

شِرْكَةُ الشَّيْخِ الْأَوَّلِ

شِيْخُ الْمُتَّكَبِّرِ الْأَوَّلِ
الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينُ الْجَسَائِيُّ

١١٦٦ - ١٤٤٥

مُؤْلِفُ الْمُؤْلِفِ الْمُؤْلِفِ

تَقْرِيمٌ

تَوْفِيقَتْ أَصْرَارِ الْيُوْنَانِيِّ

تَحْقِيقٌ وَمَرْاجِعَةٌ
مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْفَضَلَاءِ

جِهَادُ شَرْعِ الْأَوَّلِ

الْجُزْءُ الخَامِسُ كَشْفُ

مَوْسَسَةُ الْإِحْقَافِ

© جميع الحقوق محفوظة
الطبعة الثانية
م ٢٠١٧ / هـ ١٤٣٨

تراث الشيخ الأوحد ٣٨

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

- اسم الكتاب جوامع الكلم - الجزء الخامس عشر
- المؤلف الشيخ أحمد الأحسائي
- الناشر مؤسسة الإحقاق للتحقيق والطباعة والنشر
- تحقيق ومراجعة مجموعة من الفضلاء
- الإشراف الطباعي الأميرة للطباعة والنشر

مؤسسة الإحقاق
للتّحقيق والطباعة
والنشر



لِلطبَّاحَةِ وَالنَّسْرِ وَالنَّزَفِ
سيِّدُوتِ دِيَنَاتِ

هاتف: ٠٢٩٤٦٦٦١ - ٠٢١١٥٤٧٦٠ - تلفاكس: ٠٢٩٤٦٩٨٨٨ - ٠١٧٧٦٩٨٨٨

<http://www.Dar-Alamira.com>
e-mail: Info@dar-alamira.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شَيْخُ الْمَسَاهِيَّةِ الْأَوَّلُ
الشَّيْخُ أَحْمَدُ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْأَجْسَادِيُّ

١١٦٦ - ١٩٤١ هـ
رُسْخَتْ لَهُ الْقَدْرُ مُرْسَخَةً

الْأَوَّلُ

تَقْرِيمٌ
تَوْفِيقٌ كِبْرَ الْبُوَّاعِلَيْتِ

خَفْقَ وَمَرَاجِعَهُ
مُوقَعُ الْأَوَّلِ مُجْمُوعَةُ الْفَضَلَاءِ
Awhad.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْجُزْءُ الْخَامِسُ بَعْدَ شَيْخِهِ

مُؤْسَسَةُ الْإِحْقَاقِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

اللّٰهُمَّ صَلِّ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّلَا لَهُ مُحَمَّدٌ

- ١ — رسالة في جواب السيد أبي القاسم اللاهيجاني
- ٢ — رسالة في جواب السيد محمد البكاء في بيان أصول العقائد
- ٣ — رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان
- ٤ — رسالة في جواب الملا محمد الجيلاني الرشتى
- ٥ — رسالة في جواب سؤالات الميرزا محمد علي المدرس
- ٦ — رسالة في جواب سائل عن ثلاثة مسائل
- ٧ — رسالة في جواب بعض الإخوان في الرؤيا وأقسامها
- ٨ — رسالة في جواب الشيخ محمد بن عبد علي ابن عبد الجبار القطيفي
- ٩ — رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي
- ١٠ — رسالة في جواب الشيخ محمد بن الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي
- ١١ — رسالة في جواب الشيخ محمد مسعود ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أبي سعود في علم الله تعالى
- ١٢ — رسالة في جواب الشيخ رمضان بن إبراهيم عن مسائل استشكلها من بعض عبارات الفوائد وغيرها
- ١٣ — رسالة في جواب الميرزا محمد علي بن محمد نبی خان

١ — رسالة في جواب السيد
أبي القاسم الlahيunganى

رسالة في جواب السيد أبي القاسم الlahibjani في بيان السرمد والدهر والزمان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبـين
الطاهـرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدـين الأـحسـائـي : إنه قد التـمـسـ منـيـ منـ تـجـبـ عـلـيـ طـاعـتـهـ ، وـهـوـ جـنـابـ سـيـدـنـاـ العـالـمـ وـمـوـلـانـاـ جـنـابـ السـيـدـ أـبـيـ القـاسـمـ اـبـنـ المـبـرـورـ السـيـدـ عـبـاسـ اـبـنـ المـرـحـومـ السـيـدـ مـعـصـومـ الـلـاهـيـجـانـيـ ، جـوـابـ مـسـائـلـ عـرـضـتـ لـهـ وـلـيـسـ لـيـ قـدـرـةـ عـلـىـ جـوـابـ لـمـاـ أـنـاـ فـيـهـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ الـمـعـاـوـدـةـ وـالـأـعـراـضـ الـمـرـاـوـدـةـ ؟ وـلـقـدـ أـحـبـبـتـ أـنـ تـكـونـ أـتـتـ إـلـيـ قـبـلـ هـذـهـ الـأـيـامـ الـتـيـ عـرـضـتـ لـيـ فـيـهـ الـأـلـامـ لـأـقـضـيـ لـجـنـابـهـ مـنـ جـوـابـ مـسـائـلـهـ أـقـصـىـ الـمـرـامـ ، إـلـاـ أـنـيـ أـشـيرـ إـلـىـ بـعـضـ الـمـطـالـبـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ فـهـمـهـ الـقـوـيـمـ وـإـدـرـاكـهـ الـمـسـتـقـيمـ ، لـأـنـ الـاـقـتـصـارـ فـيـ جـوـابـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ حـالـيـ الـآنـ هـوـ الـمـيـسـورـ وـهـوـ لـاـ يـسـقـطـ بـالـمـعـسـورـ ، وـإـلـىـ اللـهـ تـرـجـعـ الـأـمـورـ .

بيان تعدد الأوقات

قال أـيـدـهـ اللـهـ تـعـالـىـ : شـيـخـنـاـ أـرـيدـ مـنـ جـنـابـكـ وـكـرـيمـ بـابـكـ تـحـقـيقـ الـأـوـعـيـةـ الـثـلـاثـةـ مـنـ السـرـمـدـ وـالـدـهـرـ وـالـزـمـانـ .

أقول : أعلم أن الأوقات بقول مطلق وهو ما يجري على السنة
كثير من الناس خمسة : الأزل والسرمد والأبد والدهر والزمان .

رأي المتكلمين وغيرهم في الأوقات

ف عند المتكلمين أن الثلاثة الأول أوعية للقديم ، فالأزل هو
الأول ، والأبد هو الآخر ، والسرمد هو ما بينهما وهمما طرفاه ،
وهذا باطل ، لأن الأولية إذا غايرت الآخريـة كانتا حادثتين وما
بينهما وهو السرمـد حادث لأنـه مسبوق بالغير ومتـعقب بالـغير ،
فيكون الكل حادثاً .

وأما غير المتكلمين فلهم في ذلك أحوال واعتبارات لا فائدة
في أكثرها .

في بيان أن الأزل والأبد شيء واحد

والحق الذي دلت النصوص من أهل الخصوص عليهم
السلام : أن الأزل هو نفس الذات البحث ، وهو نفس الأبد ، قال
أمير المؤمنين عليه السلام : (لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً
قبل أن يكون آخرأ ، ويكون باطنأ^(١) قبل أن يكون ظاهراً^(٢))^(٣) .

(١) في المصادر المذكورة : (ظاهراً) .

(٢) في المصادر المذكورة : (باطناً) .

(٣) نهج البلاغة : ٦٥ / ١١٢ الخطبة ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٢٨٥ ، وشرح
أصول الكافي للمازندراني : ١١ / ٤ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٦ .

وفي الدعاء عنهم عليهم السلام : (اللهم أنت الأبد بلا
أمد) ^(١).

والحاصل : الأزل والأبد شيء واحد بكل اعتبار وهو
المعبد الحق عز وجل ، فلا يدرك للأزل والأبد معنى غير ذات
الحق سبحانه ، وإلا لزم تعدد القدماء ، وهو بالعبارة الظاهرة على
الحقيقة يلزم القول بالمحال ، لأن فرض التعدد أو المتعدد إنما
هو في الممكناً ، ويستحيل في الوجوب لاستلزم ذلك الحلول
والشمول والظرفية .

في بيان السرمد

وأما السرمد فهو مسبوق بالغير وملحوظ فيه الامتداد
والاستمرار ، وهي صفات الحوادث ولكن لما أريد منه عدم
التناهي لا في نفسه ولا إلى غيره كان مفارقًا للزمان والدهر
لأنهائهما إلى غيرهما ، ومبئنًا للأزل لكونه مسبوقاً بغيره ،
والأزل ليس مسبوقاً بالغير .

(١) مضباح المتهجد : ٤٧٤ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٩٦ .

قال عليه السلام : (علوت في دنوك ودنوت في علوك ولطفت في جلالك
وجللت في لطفك ، لا نفاد لملكك ولا منتهى لعظمتك ولا مقياس لجبروتك
ولا استحراز من قدرتك ، اللهم فأنت الأبد بلا أمد والمدعوه فلا منجي منك
والمنتهى فلا محicus عنك والوارث فلا مقصري دونك ، أنت الحق المبين
والنور المنير والقدوس العظيم ، وارث الأولين والآخرين حياة كل شيء
ومصير كل ميت وشاهد كل غائب وولي تدبير الأمور) .

وقولنا : إن السرمد لا ينتهي إلى غيره مع أنه مسبوق بالغير ، نريد به أن السرمد هو ظرف المشيّة وليس قبله شيء من الممكّنات ليجوز أن ينتهي إليه ، ولا يصح أن ينتهي إلى الأزل ، لأن الحادث لا ينتهي إلى القديم ، وإنما ينتهي إلى مثله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (انتهى المخلوق إلى مثله ، وألْجَاهُ الْطَّلبُ إِلَى شَكْلِهِ) ^(١) .

(١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (إن قلت : مِمَّ هُوَ؟ فقد بَيْنَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا؟ فَهُوَ هُوَ ، وإن قلت : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت : له حَدٌّ فَالْحَدُّ لِغَيْرِهِ ، وإن قلت : الهواء نسبي فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستنباط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألْجَاهُ الْطَّلبُ إلى شكله ، وهجم به الفحصُ إلى العجز ، والبيانُ على فقدِ ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، ووجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مفترض من بحار مجده بلسان الثناء شاكر...) .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمانعة . له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ومعنى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل البيونة لا بيونة له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس برب من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبد من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء بائن =

فح حيث لم يكن في الإمكان قبله غيره كان منتهياً إلى نفسه ، وهو في نفسه غير متناه ، فصح قولنا ، إنه لا يتناهى في نفسه ولا إلى غيره .

ومعنى كون ما لا يتناهى في نفسه ولا إلى غيره ظرفاً للمشية أن المشية إنما تعلقت بالإمكان الراوح ، وهو محلها الذي تقوم به تقوم ظهور ، والإمكان غير متناه ، بل هو ممتد متراهم إلى غير النهاية ولا يقف إلى حد مثلاً إمكان شيء من الأشياء يجوز له أن يلبس كلّ صورة بلا نهاية فيكون عقلاً ، ويكون روحًا ويكون نفساً ويكون طبيعة ، ويكون مادة ويكون صورة ويكون جسماً ، ويكون نوراً ويكون منيراً ، ويكون حيواناً وإنساناً وملكاً ونبياً وشيطاناً وسماء وأرضاً وجنة وناراً وهكذا بلا غاية ونهاية ، وكل ذلك بالمشية فكان امتدادها في جميع الأزمنة والدهور والأجناس والأنواع والأصناف والأشخاص وجميع أجزاء الأشياء من كلّ شيء سرمدياً ، لأن الأفراد التي يمكن أن تصدر من إمكان واحد

لا يبنونه غائب عنها...) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . =
والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له).
رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ،
انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٣٠١ . ٢٩

بلا نهاية مع تباين أوقاتها وأمكنتها ورتبها وجهاتها وكمياتها وكيفياتها وأوضاعها وكتبها وأجالها ومع تراميها إلى غير النهاية وتقدم بعضها على بعض تتعلق بها المشيّة في آن واحد ، كما أشارت إليه أخبارهم عليهم السلام في معنى قوله تعالى : «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى**»^(١) ، يعني من كل شيء (فليس شيء أقرب إليه من شيء)^(٢) ، فهذا معنى السرمد بأنه الوقت المستمر الذي يكون آنه الواحد يطوي المتعددات مع تباين أمكنتها وأوقاتها من غير تكثّر في انبساطه عليها عند تعلق الفعل بها من جهته ، ولا تعدد لا معنوي ولا صوري ولا مثالي ولا جسماني .

وإن تكثرت الأشياء وتعددت من جهتها في أنفسها عند تعلق الفعل بها وتبينت وتباعدت بخلاف الدهر ، فإنه يتکثر ويتعدد معنوياً بما حل فيه من العقول وصوريأ بما حل فيه من النفوس ، وبرزخياً بما لحق ما حل فيه^(٣) من الأشباح ، وبخلاف الزمان ،

(١) سورة طه ، الآية : ٥.

(٢) عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى**» [طه : ٥] ، فقال : (استوى من كل شيء ، فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ، ولم يقرب منه قريب استوى من كل شيء) .

التوحيد : ٢١٥ ، باب (٤٨) معنى قول الله عز وجل : «**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى**» ح ٢ .

(٣) في نسخة : بيان لما لحق .

فإنه يتکثر ويتعدد بما حلّ فيه تعددًا حسيًّاً وطي السرمد للأشياء المتعددة المتفرقة بطي المشيَّة ولا كيف لذلك ، لأن الكيف من آثاره ولا يجري عليه ما هو أجراه .

ثم اعلم أن السرمد وقت الفعل المسمى بالمشيَّة والإرادة والإبداع والاختراع ومكانه الإمكانيات الراجحة ، وأما الإمكانيات الكونية فهي ظهوراتها المتخصصة بالقيودات المشخصة لها ، وتعييناتها بأکوانها وقيودها .

والسرمد أيضًا وقت للأفعال المتعلقة بها ، إلا أنه في الرتبة الإمكانية وعاء للفعل ولمتعلقه من الإمكانيات العلمية ، وتعاقبها فيه سرمدي .

وأما في الكونية فهو وعاء للفعل يتجنّس ويتنوع ويتشخص بتجنّس الفعل وتنوعه وتشخصه مبرأ في كلها عن الكيف .

وأما متعلقات هذه الأفعال الكونية فوعاؤها الدهر والزمان والبرزخ المؤلف منهما ، لأنه وعاء للفعل نفسه ولما تقوم به الفعل في أصل تحققه ، فإذا تعلق بشيء من الوجودات المقيدة اختص السرمد بالفعل دون المتعلق ، إلا أن ظرفيته للفعل حينئذٍ بنسبة ذات الفعل في التجنس والتنوع والتشخيص ، لأن تجنّس الفعل وتنوعه وتشخصه ليس لاحقًا له ولا منسوباً إليه إلا باعتبار وقوعه على المكون وتعلقه به ، وإنما فهو في نفسه مبرأ عن ذلك كله .

في أنه لا شيء ممكن قبل السرمد

والسرمد محل لا يقدر إلا بتقدّر الحال ، على أن ظرفيته إنما هي بالاعتبار لعدم المغایرة بينهما إلا بالاعتبار ، فهو معه على الحال الإمكانى الأولي ، ولهذا كان متعلقات الفعل في الراجح مغایرة له بالقوة وفي المساوى بالفعل ، لأن الوقت والمكان متساويان في النسبة إلى الشيء ، فلا يكون السرمد وعاء لشيء من الأكوان ، وإنما لكان من متممات قابليتها ، ويلزم منه كون المفعول مركباً من المشيّة كما يقوله بعض الصوفية ، وهو قول لضرار كما حكاه الرضا عليه السلام حين قال له سليمان المرزوقي : الإرادة هي الإنشاء ؟

قال : (يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم : إن كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بريّ أو بحر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة إرادة الله ، وإن إرادة الله تحيي وتموت وتذهب ، وتأكل وتشرب ، وتنكح وتلد ، وتظلم وتفعل الفواحش وتكره وتشرك ، فنبراً منها ونعاديها ، وهذا حدّها)^(١) انتهى .

أقول : أراد سليمان بقوله : (هي الإنشاء) أنها هي المنشأ

(١) الاحتجاج للطبرسي : ٢ / ١٨٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ١٠ / ٣٣٣ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام للصادق : ٢ / ١٦٤ باب ١٣ ح ١ .

يعني المفعولات ، ومن الضرورة أن الفعل غير المفعول وإن كانت هيئة المفعول مشابهة لهيئة تأثير الفعل فيه .

والحاصل : أن السرمد وقت للفعل ليس قبله شيء ممكн ، ومثال مثاله وأية آياته ودليل دليله الزمان في الأجسام ، فاعتبروا يا أولي الأ بصار .

إلا أن السرمد ملازم للإطلاق كال فعل ، فإذا تعلق الفعل بالمقييدات المتمايزلات المتعاقبات انسلاخ مع انسلاخ الفعل عن القيود والتمايز والتعاقب في ذاتهما ، وبقيت المتعلقات ملزومة للتمايز والتعاقب المعنويين في الجبروت والصوريين في الملكوت والجسمانيين في الملك ، وإنما كان السرمد ملزماً للإطلاق كال فعل ، لأن تغايرهما إنما هو بالاعتبار إذ ليس ثم تركيب إلا بالاعتبار ، وما دون ذلك فتركيبه حقيقي سواء كان عقلاً أم نفساً أم جسماً .

في بيان الدهر

وأما الدهر فهو وقت للمجردات عن المادة العنصرية والمدة الزمانية سواء كان مجردأ عن الصور مطلقاً^(١) كالعقل ، أم عن الصور التامة كالأرواح ، أم غير مجرد كالنفوس ، وهو قار الذات

(١) في نسخة أخرى : تامة كانت أم غيرها .

ظاهراً على نحو قرار ما فيه من المجردات بمعنى أن فيها التعاقب والتمايز والترقي والهبوط في كلّ من الثلاثة بحسبه ، إلا أن ذلك في العقول معنى^(١) وفي الأرواح رقيقة وفي النفوس صورة .

المعنى الباطني للدهر

وأما في باطن الأمر فهو وما فيه من المجردات يجري فيها ما يجري في الأجسام من التجدد والتقضي حرفاً بحرف ، إلا أن ذلك خفي وبطيء لسعة ذلك الوقت وشرفه والعقول والأرواح وال NFOS باطن الأجسام ومكانها باطن مكان الأجسام ووقتها أي الدهر باطن وقت الأجسام ، يعني الزمان والأجسام وأمكنتها وأزمنتها ظواهر لتلك ومراتب لها ، لأن المصنوعات إنما تتقوم بالبواطن والظواهر إلا أن ذلك في كلّ شيء بحسب حاله من العوالم الثلاثة .

ولا يقال : إنه كما كان عالم الجبروت والملائكة مرتبطاً بعالم الملك على نحو ما ذكرتم يكون عالم الأمر بينه وبين عالم الجبروت هذه النسبة ، فيكون عالم الأمر الذي هو الوجود المطلق باطنناً لعالم الجبروت ، لأن هذه النسبة إنما كانت بين عوالم المفعولات الثلاثة لا حتياجها إلى ذلك ، فإنها لا يستغني بعضها عن بعض كما أشار إليه أبو عبد الله عليه السلام في باب

(١) في نسخة : بحسب المعنى .

حدوث الأسماء من الكافي^(١) ، قال عليه السلام : (فأظهر منها ثلاثة أسماء لفقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون)^(٢) . النـ .

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) الكافي : ١ / ١١٢ ح ٢ ، وتوحيد الصدوق : ١٩١ ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٦٦ ح ٨ .

ولفظه في التوحيد : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى خلق اسمًا بالحروف وهو عز وجل بالحروف غير منعوت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ ، منفي عنه الأقطار وبعد عنه الحدود محجوب عنه حسنه كل متوهם مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لفقة الخلق إليها وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخر سبحانه له كل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسمًا فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخير السميع البصير الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشيء البديع الرفيع الجليل الكريم الرزاق المعحي المميت الباعث الوارث ، فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتم ثلاثة وستين اسمًا فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة ، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه =

فالثلاثة الأسماء التي ظهرت يراد منها الإشارة إلى عالم الجبروت وعالم الملائكة وعالم الملك ، والاسم المحجوب هو عالم الأمر ، بمعنى أن المحدث لا يتركب منه فلا يظهر إلا به لا فيه ، لأن المصنوع لا يتركب من الفعل وإن حدث عنه ، فلأجل الاحتياج في بعض الثلاثة إلى بعض تشابهت أوقاتها وأمكنتها كما تشابهت ذواتها وإن اختلفت في حقائقها بخلاف عالم الفعل .

أما سمعت ما قدمنا من أن أوقاتها تميزت نسبة تميزها وتمايز متعلقاتها ، ولم يتميز وقت الفعل^(١) بتمايز متعلقاته كما مرّ ، فالزمان امتداد مدة انتقال الجسم إلى الامكنة الظاهرة العقلية أو مكثه فيها ، والدهر باطنه وروحه وهو امتداد معنوي لمدد انتقال النُّطف المجردة إلى أماكنها العقلية أو مكثها فيها ، وامتداد روحي لمدد انتقال المضغ المجردة إلى أماكنها الروحانية أو مكثها فيها ، وامتداد صوري لمدد انتقال الصور النفسانية المجردة إلى أماكنها النفسانية أو مكثها فيها .

ومعنى مدة انتقال العقول إلى أماكنها أنها في ترقيتها في مراتب ظهورات الأفئدة وقربها إليها بالتلخلق بأخلاقها وتعلمها منها خلع بعض قيودها ومحو بعض إشاراتها ، تسبح في تلك

= الأسماء الثلاثة وذلك قوله عز وجل : ﴿قُلْ آدْعُوا اللَّهَ أَوْ آدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْخَيْفَى﴾ [الإسراء : ١١٠] .

(١) في نسخة : وهو السرمد .

الأفلاك حتى تصل إلى أقرب مقام من مقامات الأئمة وتخالف
مدد الوصول باختلاف قابليات العقول ، وفي تنزلها في ظهورها
بالأرواح إلى أن تتحقق المظاهر ، وتخالف مدد التنزل أيضاً كما
روي في نور قلب محمد صلى الله عليه وآلـه حين تنزل إلى نور
روح علي عليه السلام في ثمانين ألف سنة .

وذلك ما روى جابر بن عبد الله الأنباري في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾^(١) ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : (أول ما خلق الله نوري ، ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته ، فا قبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين ألف سنة ، ثم سجد لله تعظيمًا ، ففتق منه نور علي فكان نوري محيطاً بالعظمة ونور علي محيطاً بالقدرة ، ثم خلق العرش واللوح والشمس وضوء النهار ونور الأ بصار والعقل والمعرفة وأ بصار العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري)^(٢) الحديث .

وكتنزل أنوارهم عليهم السلام إلى أرواح الأنبياء عليهم السلام في ألف دهر وإلى أرواح المؤمنين في ألف ألف دهر^(٣) .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١١٠ .

(٢) مشارق أنوار اليقين : ٥٨ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٢٢ ح ٣٨ ، ومستدرک سفينة البحار : ٢ / ١٤ .

(٣) في الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر =

وكذلك مدة انتقال الأرواح في ترقيتها إلى مراتب ظهورات العقول وفي تنزلاتها في ظهورها بالنفوس .

وكذلك مدد انتقال النفوس في ترقيتها إلى مراتب ظهورات الأرواح وفي تنزلاتها بالطبايع .

وكذلك مدد انتقال الطبايع في ترقيتها إلى مراتب ظهور النفوس وفي تنزلاتها بالمواد وجواهر الهباء .

وهكذا كلّ شيء بحسبه في ترقيه وتنزلاته وفي مكنته ، وكلها مدد الدهر إلّا أن لطيفه في العقول ، ومتوسطه في النفوس وكثيفه في جواهر الهباء ، وما في الأرواح والطبايع من المدد الدهرية برازخ بين اللطائف والكتائف .

عليه السلام فذكرتُ اختلاف الشيعة فقال : (إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزِلْ فَرْدًا مُتَفَرِّدًا فِي الْوَحْدَانِيَّةِ ثُمَّ خَلَقَ مُحَمَّدًا وَعَلَيْهِ وَفَاطِمَةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَمَكَثُوا أَلْفَ دَهْرٍ ، ثُمَّ خَلَقَ الْأَشْيَاءَ وَأَشْهَدُهُمْ خَلْقَهَا وَأَجْرَى عَلَيْهَا طَاعَتَهُمْ وَجَعَلَ فِيهِمْ مَا شَاءَ ، وَفَوَضَّعَ أَمْرَ الْأَشْيَاءَ إِلَيْهِمْ فِي الْحُكْمِ وَالتَّصْرِيفِ وَالْإِرْشَادِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِي الْخَلْقِ لِأَنَّهُمْ الْوَلَّةُ فَلَهُمُ الْأَمْرُ وَالْوُلَايَةُ وَالْهُدَى ، فَهُمْ أَبْوَابُهُ وَنَوَابِهُ وَحَجَابُهُ يَحْلِّلُونَ مَا شَاءُ وَيَحْرَمُونَ مَا شَاءُ ، وَلَا يَفْعَلُونَ إلَّا مَا شَاءُ ، عِبَادُ مَكْرُمَوْنَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، فَهَذِهِ الْدِيَانَةُ الَّتِي مَنْ تَقْدِمُهَا غَرَقَ فِي بَحْرِ الْإِفْرَاطِ ، وَمَنْ نَقَصَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الَّتِي رَتَبَهُ اللَّهُ فِيهَا زَهْقَ فِي بَحْرِ التَّفْرِيطِ وَلَمْ يَعْرِفْ أَلِّيْ مُحَمَّدٌ حَقَّهُمْ فِيمَا يَجْبُ عَلَى الْمُؤْمِنِ مِنْ مَعْرِفَتِهِمْ) . ثُمَّ قال : (خَذُهَا يَا مُحَمَّدٌ إِنَّهَا مِنْ مَخْزُونِ الْعِلْمِ وَمَكْنُونَهُ) الكافي : ١ / ٤٤١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ .

وإنما قلنا : في الزمان إنه امتداد مدة انتقال الجسم إلى الأماكن الظاهرة ، لأن المكان الحقيقي للجسم لا يفارقه لأنه من مشخصاته ، وهو بعد المخلوق الذي شغله الجسم بالحصول فيه ، ولا يدرك كونه مخلوقاً إلا بنظر الفؤاد ، وذلك لأن تصوره إنما هو لو فرض عدم الجسم كان موضع حجمه فارغاً ، وحيثئذ يتوهם كثير أنه أمر اعتباري ، ولذا فسروه بأنه بعد الموهوم الذي تشغله الأجسام بالحصول فيه وبعض فسره بأنه بعد مجرد ، إلخ ، يعني موجود ولكنه ليس من عالم الملك ، وإنما هو من عالم الملوك .

وهذا كلام ليس على ما ينبغي لأنه إن أراد أنه قبل حلول الجسم فيه ، فصحيح ولكنه حيث لم ينزل من الملوك ، وكذلك الجسم الحال فيه ، فإنه قبل الحلول في المكان والزمان في جوهر الهباء وهو آخر المجردات قبل المثال ، وإنما نزلا في الملك حين تعلق به مثاله وحل في المكان وحين حل فيه كان الحال والمحل جسمانين في الملك ، فسبحان من شقه وشغله بالجسم الحال فيه رأفة به ورحمة له .

بيان اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات

قال أيده الله : واللوحان المحفوظ ولوح المحو والإثبات .

١ - اللوح المحفوظ

اعلم أن اللوح المحفوظ جوهرة من زمردة خضراء كتب الله فيه بقلم كلمته ما شاء من خلقه وما فيه من النقوش هي آحاد الموجودات ، فمن المكتوب فيه جواهر ومنه صور ، ومنه طبائع ، ومنه مواد ، ومنه أشباح ، ومنه أجسام ، ومنه أعراض كالحركات والألوان والهيئات والنمو والذبول وما أشبه ذلك .

طبقات اللوح المحفوظ

واللوح المحفوظ ثلات طبقات :

الأولى : فيها جزئيات الجبروت .

والثانية : فيها جزئيات الملكوت .

والثالثة : فيها جزئيات الملك مثلاً هو كتاب مسطور فزيد وعمرو حروف فيه والجبل حرف والبحر حرف والبر حرف والهواء حرف والغيم حرف والمطر حرف وكل قطرة حرف وكل شجرة حرف وكل غصن حرف وكل ورقة حرف .

وهكذا حال جميع أفراد الملك من الحركات والهيئات

والأمثال حال قيامها بمحفوظاتها ، وأما بعد اتصاف موصوفاتها بشيء لا يجامعها تمحى من هذه الطبقة فتغيب عن حواسك الظاهرة وتثبت في الطبقة الثانية التي فوقها من الملوك فتشاهدتها هنالك مكتوبة بشبّع مكانها وزمانها .

بيان هذا أنك إذا رأيت زيداً في المسجد يوم السبت يصلّي فرض الصبح مثلاً رأيته هو وعمله في هذا المكان والزمان ببصرك ، لأن الجميع في الملك فإذا انتقل إلى حالة أخرى انمحىت الحالة الأولى من هذا اللوح الملكي فغابت عن بصرك إلى اللوح الملكوتي فتشاهدتها بخيالك هنالك ، يعني ترى مثال زيد في المسجد الملكوتي يوم الجمعة الملكوتي يصلّي .

قولنا : بشبّع مكانها وزمانها نريد أنها معلقة بموصوفاتها^(١) الملكوتبة ، لأن التي تشاهد أمثلة ما رأيت بعينك كتبها قلم القدر في اللوح في الطبقة الملكوتبة بعدما سارت عنها الطبقة الملكية ، لأن الزمان سريع التقسي والدهر قارٌ بالنسبة إلى تقسي الزمان .

إمكان المحو في طبقات اللوح المحفوظ

ثم اعلم أن هذا اللوح المشار إليه بطبقاته الثلاث منه ما يستحيل محوه ، ومنه ما يمكن محوه ولا يمحى ، ومنه ما يمحى .

(١) في نسخة : بموصوفاتها .

١ - ما يستحيل محوه

الأول : ما كتب فإنه حين كُتِبَ يستحيل ألا يكتب ، وهذه الدفة جف القلم فيها .

٢ - ما يمكن محوه ولا يمحى

والثاني : ما كُتِبَ ويمكن أن يمحى ما كتب ويكتب ضده ، ولكنه من جهة الحكمة وما حقت عليه الكلمة والكرم الابتدائي لا يمحى ولا يغير ، وذلك مثل أشقاء السعداء الصالحين المطيعين لله تعالى وإسعاد الأشقياء الطالحين العاصيin الله تعالى ، فإنه سبحانه قادر على ذلك ولكنه لا يفعله أبداً .

٣ - ما يمحو

والثالث : ما يمحو ويفسر ويثبت ، وذلك بما قدر من الأسباب والموانع التي اقتضتها الحكمة الإلهية من الابتلاء والاختبار لانتظام التكليف .

مثاله أن زيداً يقارب المعصية فتحول بينه وبين المدد الإلهي الذي به قوامه وبقاوئه فيتقدر بقاء قواه التي بها حياته خمس سنين ، فتنظر الملائكة الموكلون به وبقواه ، فينتقض في نفوسهم أنه يعيش خمس سنين ، وربما تاب زيد وندم على ما عمل فاندكَ الحجاب الحائل بينه وبين المدد ، فيقوى اتصال المدد به ، فيتقدر بقاء قواه خمسين سنة ، فتنظر تلك الملائكة الموكلون به فينرمي

ما كان في نفوسهم قبل ، وينتقل مكانه في نفوسهم أنه يعيش خمسين سنة .

ومثاله في المحسوس وهو منه أيضاً لو كان جدار مبني من الطين في أرض رخوة ، فإنك إذا تأملت فيه انتقاله في ذهنك أنه يبقى خمس سنين ثم ينهدم ، لأنه من الطين في أرض مترهلة رخوة ، ثم بعد حين أتي صاحبه ورجبه بالجص والصخر من أمامه وخلفه وأحکم بناءه ، فلما رأيته بعد ذلك انمحى ما في خيالك سابقاً وانتقل فيه أنه يبقى خمسين سنة مثلاً ، فقد كتب الله سبحانه بما قدر من المowanع في تركيب بنية زيد بمعصيته أنه يعيش خمس سنين ، وكتب في نفوس الملائكة بمشاهدتهم لبنية زيد أنه يعيش خمس سنين ، وكتب سبحانه في بنية الجدار بتساهل بانيه وواضعه في الأرض الرخوة أنه يبقى خمس سنين ثم ينهدم ، وكتب في ذهنك باطلاعك على حال الجدار أنه ينهدم بعد خمس سنين ، فلما تداركت زيداً رحمة الله عز وجل وتاب وقوى اتصال المدد به كتب الله سبحانه في بنية بذلك السبب المقتضي بتقديره أنه يعيش خمسين سنة ، وكتب في نفوس الملائكة بمشاهدتهم لبنيته أنه يعيش خمسين سنة .

ولما تلافي صاحب الجدار ما قصر في بنائه كتب سبحانه بما قدر من السبب المقتضي لذلك أنه يبقى الجدار خمسين سنة ، وكتب في نفسك بما شاهدت من أحکام بناء الجدار أنه يبقى خمسين سنة ، فقد محا سبحانه ما أثبت في بنية زيد وبنية الجدار

بما لحقهما من موانع البقاء وما أثبتت في نفوس الملائكة ونفسك بما شاهدتما من لوازم الموانع ، وأثبتت بما قدر من الأسباب في بنية زيد وبنية الجدار بقاء الخمسين سنة ، وأثبتت ذلك في نفوس الملائكة ونفسك بما أوقفكما عليه ، فبنية زيد وبنية الجدار ونفوس الملائكة ونفسك في الحالة الأولى ألواح المحو ، وفي الحالة الثانية ألواح الإثبات فهذا من ذلك ، فافهم .

بيان معنى القضاء والقدر وعالم الذرّ

قال أيده الله : والقضاء والقدر وعالم الذرّ وما يلائمه من الكلام في الشقاوة والسعادة الأصليين وأن الثانية كيف تلائم مقام التكليف وما يتربّ عليه من العذاب .

بيان معنى القضاء والقدر

اعلم أن القضاء والقدر في اصطلاح القوم غير ما اصطلاح عليه أنا ، لأن القضاء عندهم سابق على القدر وهو عبارة عن وجود جميع الموجودات في العالم العقلي مجتمعة مجملة على سبيل الإبداع ، والقدر عبارة عن وجودها في المواد الخارجية مفصلاً واحداً بعد واحد ، وربما جعل بعضهم القضاء من أحكام الوجوب فقال : القضاء علمه المحيط بكيفية المعلومات ، وقال : وأشرف صفات الذات هو العلم وهو القضاء والحكم ، ولهم في ذلك تحدسات وظنونات استنبطوها مما عرفوا من أنفسهم وقادوا بها صفات الحق تعالى عن ذلك علواً كبيراً .

تعريف الشيخ الأوحد للقضاء والقدر

وأما عندنا فالقدر سابق على القضاء ، وإن القدر هو وضع الحدود والهندسة والقضاء إتمام الصنع ونظمه على ما هو عليه في الوجود الخارجي ، كما هو طريقة أهل العصمة عليهم السلام ، ومن الأخبار الجامدة لبيان القدر والقضاء وما قبلهما من المراتب ما رواه في الكافي بسنده قال : سئل العالم عليه السلام : كيف علم الله ؟

قال : (علم وشاء وأراد وقدر وقضى ، وأمضى فأمضى ما قضى وقضى ، ما قدر وقدر ما أراد ، فبعلمه كانت المشية وبمشيته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضاءه كان الإمضاء ، فالعلم متقدم المشية والمشية ثانية والإرادة ثالثة ، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللله تعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه والمشية في المشاء قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه ، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً ، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح وزن وكيل مما^(١) دبّ ودرج من إنس وجنّ وطير وسباع وغير

(١) في المصدر : (وما) .

ذلك مما يدرك بالحواس ، فللّه تعالى فيه البداء مما لا عين له ، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء . وبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها . وبالإرادة ميز نفسها في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها . وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم)^(١) انتهى .

وحيث أراد سلمه الله بيان القضاء والقدر بطريق غير مخل وتطويل ممل ، وهذا لا يحصل إلا بالإشارة لأنها هي التي تطوي بعيد ، والمقام يقتضي بسطاً في الكلام إلا أن الوقوف على حد مطلبه هو غاية المرام ، ولنقتصر فيما أردنا على معنى ظاهر هذا الحديث الشريف .

فقوله عليه السلام : (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى) ، يريد بهذا العلم العلم الإمكانى الراجح الوجود وهو إمكانات الأشياء ، وهذا محل المشيئة الإمكانية وهذا هو العلم الذى لا يحيطون بشيء ، وشاء هذه المشيئة الكونية المتعلقة بالأكونات أي وجودات الأشياء المتعينة .

(١) الكافي : ١ / ١٤٨ ح ١٦ ، وبحار الأنوار : ٥ / ١٠٢ - ١٠٣ ، وتفسير الميزان : ١٣ / ٧٥ .

وهذا هو العلم الذي يحيطون به بإذنه تعالى ، وأراد هي الإرادة العينية المتعلقة بأعيان الأشياء وبها حدثت القوابل وانفعالات الوجودات ، وبهذه المشيئة والإرادة تحقق الخلق الأول الذي هو كالمداد للكتابة وكالخشب للسرير والباب وغيرهما في هذا المقام ، هذه المواد صالحة ، لأن تلبس صور السعادة والشقاوة والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والمعرفة والإنكار وسائر الصفات المتضادة ، وفي هذا المقام ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾^(١) .

وقدر هو وضع الحدود من الكم والكيف والرزق وأجل الظهور والبقاء والفناء والمعرفة والإنكار والطاعة والمعصية والسعادة والشقاوة وغير ذلك ، وفي هذا المقام كان الخلق الثاني والتکلیف في عالم الذر ويجري في هذه المراتب الثلاث لله تعالى البداء بالمحو والإثبات والتغيير في الذوات والصفات وفي سائر الحدود المشار إليها ، وقضى إتمام ما قدر مما أراد وشاء فيما علم منها ، وفي هذا المقام يكون الغالب إمضاء ما قضاه لقلة عروض الموانع المنافية بعد وقوع القضاء ، ولهذا ورد إذا قضى أمضى وقد يجري هنا البداء فيقضي ولا يمضي ، وإليه الإشارة بتأويل قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَمُ سَاكِنًا ثُرَّ جَعَلَنَا

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣

الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٦﴾ ثُمَّ قَبَضَتْهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٧﴾^(١) ، وأمضى أي أظهر ما قضاه مُبِينَ العلل مشروح الأسباب ، لأن كل شيء خلقه إنما خلقه مشابهاً لهيئة مشيئته المتعلقة به ، وهي مظهر الصفات العامة والعجائب غير المتناهية فيخرج دليلاً على شيء ، ومدلولاً لشيء ، ومثالاً لشيء ، وله مثال وعلة لشيء ومعلولاً لشيء وعلمأً بشيء ، ومعلوماً لشيء ، وعرضأً لشيء ، ومعروضاً لشيء وهكذا .

وقوله : (فبعلمه كانت المشيئه) ، يعني أن هذا العلم الإيماني والمشيئه هي الكونية ولا تتعلق إلا بإمكان لتكسوه حلة الظهور الكوني الخارجي ؛ قوله : (وبمشيئه كانت الإرادة) ، يعني أن الإرادة إنما تتعلق بعين الكون والكون من المشيئه ؛ قوله : (وبإرادته كان التقدير) ، يعني به أن التقدير إنما يكون في الأعيان أي المواد التامة وهي إنما يكون بالإرادة ؛ قوله : (وبتقديره كان القضاء) ، يعني أن القضاء إنما يتعلق بالأشياء بعد تقديرها ؛ قوله : (وبقضاءه كان الإمضاء) ، لأنه تعالى إنما يمضي أي يظهر ويأذن للمفعول بالخروج بعد إتمامه وقضائه ؛ قوله : (فالعلم متقدم المشيئه) ، يراد به العلم الإيماني الحادث يعني المشيئه الإيمانية ومتعلقها من الإمكانات الراجحة الوجود ؛ قوله : (والمشيئه ثانية) ، المراد بها المشيئه الكونية المتعلقة

(١) سورة الفرقان ، الآياتان : ٤٥ ، ٤٦ .

بالأكوان المقيدة وكونها ثانية للعلم والإرادة ثالثة دليل على إرادة العلم الحادث لدخوله في جملة المعدودات .

وقوله : (والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء) ، يشير إلى أن التقدير في المادة إيجاد أسباب القضاء من المتممات للماهية خصوصاً الثانية .

وقوله : (فَلَّهُ تَعَالَى الْبَدَاء) ، إلى قوله : (فَلَا بَدَاء) ، يشير إلى أن له تعالى فيما يريد قضاءه قبل أن يقضيه في جميع مراتب ما ذكره به قبل القضاء البداء في محوه وتغييره وتبديله ، فإذا قضاه وأمضاه فلا بدأ له فيما قضى وأمضى وله تعالى المحو والتغيير والتبديل في المقضي كيف شاء متى شاء .

وقوله : (فَالْعِلْمُ بِالْمَعْلُومِ قَبْلَ كُونِهِ) ، يعني في إمكانه ، والمشيئة في المشاء قبل عينه ، يعني في كونه ، والإرادة في المراد قبل قيامه ، يعني في عينه التي هي ماهيته النوعية قبل قيامه بشيء من مشخصاته .

والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً ووقتاً ، يعني أنها قبل التفصيل المربوط بالتوصيل في الخارج والوقت معلومات ، أي إنما تتميز قبل التقدير في العلم المسمى بنون في قوله تعالى : ﴿نَّ وَالْقَلْمَرَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾^(١) ، فهي كالحروف في المداد وكالسرير والباب والصنم في الخشب قبل التفصيل المربوط بالتوصيل .

(١) سورة القلم ، الآية : ١.

نعم ، التقدير في التفصيل قبل التوصيل ، وأما التفصيل مع التوصيل فهو القضاء ، فلذا قال : قبل تفصيلها وتوصيلها عيا ووقتاً الذي هو مقام القضاء .

وقوله : (والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات) ، إلى قوله : (مما يدرك بالحواس) ، يشير فيه إلى أن القضاء قبل الإمضاء قد تقتضي الحكمة تعلق البداء به من محو وتغيير وتبدل ، وإن كان نادر الواقع بالنسبة إلى عدم التعلق لملازمة الإمضاء له غالباً ، وإلى هذا أشار عليه السلام قبل بقوله : (فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء) ، يعني أنه قبل ارتباط الإمضاء به قد يقع ويتعلق به البداء .

ويحتمل أنه إذا كان القضاء خيراً وسعادة وطاعة لا يتعلق به البداء ، وإن كان قبل الإمضاء كما تشير إليه بعض الأخبار ، بخلاف ما لو كان المقضي شراً وشقاوة ومعصية ، فإنه قبل الإمضاء يكون فيه البداء .

وقوله : (فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء) ، يراد منه أنه إذا وقع المقضي في خارج الوجود وظاهره فلا بداء ، وقبل أن يكون مفهوماً مدركاً يجوز فيه البداء بـألا يكون مفهوماً مدركاً بمحتواه أو تغييره أو تبديله ، أو بأن ينقص من أجل بقائه في الوجود قبل أن يقدرها أو بعده ، لأن كل أسباب البقاء والوجود نعمه لا تخرج عن قبضته بعد الإعطاء ، كما هي

قبل الإعطاء يعطي ما يشاء منها من يشاء كما يشاء ، ويمنع منها ما يشاء مَنْ يشاء كما يشاء .

وقوله : (وَاللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ) ، أشار فيه إلى نحو هذا ؛ وإلى ما يستقبلُ من أحوال المقتضى قوله : (فِي الْعِلْمِ عِلْمُ الْأَشْيَاءِ قَبْلَ كُونَهَا) ، بإمكاناتها الراجحة الازمة لها التي لا تفارقها منذ امكانها مخترعها .

وقوله : (بِالْمُشَيَّةِ عَرَفَ صَفَاتَهَا وَحَدْدَوْدَهَا وَإِنشَاءَهَا قَبْلَ إِظْهَارِهَا) ، أي صفات أكوانها من كم وكيف وحدود أكوانها من رتبة وجهة ، وإنشاء أكوانها ، من مكان ووقت ؛ وقوله : (وَبِالْإِرَادَةِ مَيْزَ أَنفُسَهَا فِي الْأَوَانِهَا وَصَفَاتِهَا) ، أي ميز أعيانها في نورها وظلمتها وصفات أعيانها في إقبال قبوله وإدارره ؛ وقوله : (بِالتَّقْدِيرِ قَدْرِ أَقْوَاتِهَا وَعْرَفَ أَوْلَاهَا وَآخِرَهَا) ، أي قدر آجالها وأرزاقها وقابلياتها ومقبولاتها وإجاباتها وإنكاراتها وطاعاتها ومعاصيها وجميع أسبابها ومسبباتها ، وعرف أول أعمالها وأحوالها وأقوالها وأواخرها وأول ظهورها وبطونها وأخرهما ؛ وقوله : (وَبِالْقَضَاءِ أَبَانَ لِلنَّاسِ أَمَاكِنَهَا وَدَلَلَهُمْ عَلَيْهَا) ، أي أبان محال ظهورها كالإنسان في فوق الأرض والحوت في البحر ، والسحب في الهواء ، والنجوم في السماء ، والأضواء في الكثيف ، والصور في المرايا وفي الماء وهكذا ، ودللهم عليها بالعقل والنفس والأسماع والأبصار والألفاظ والإشارات والأضواء والألوان والمقادير وما أشبه ذلك .

وقوله : (وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها) ، يعني شرح عللها فجعل كلّ فرد منها دليلاً ومدلولاً عليه وعلماً بشيء ومعلوماً به ، وهكذا ، وشرح هيئة التركيب ومراتب الصنع ، كما قال تعالى : ﴿ يَتَأْيِهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتُنْبَيَنَ لَكُمْ ﴾^(١) ، وهذا من شرح العلل ، وإنما خلقها كذلك لئلا يتوهم من الناس أنها غير مصنوعة ، فشرح لهم كثيراً من الأدلة منها أنه خلق الإنسان في أطوار على التدرج كما في الآية المذكورة ذلك تقدير العزيز العليم .

في بيان عالم الذرّ

وأما قوله : وعالم الذرّ وما يلائمه من الكلام في الشقاوة والسعادة الأصليين ، فاعلم أنه إنما تم الخلق الأول الذي هو من المشيئة والإرادة المعبّر عنه بالكون والعين الذي هو الهيولي للخلق الثاني كالخشب لما يعمل منه من السرير والباب والصنم وغير ذلك ، بالتكليف الإجمالي المتوجه إلى المتكلفين على الوجه الكلي وقبوله كمقبوله ، وذلك كالصلوح الكلي في نوع الخشب من كل جزء منه للسرير والباب والصنم والسفينة ، وما أشبه ذلك ، فخرجوا في الوجود العيني بالتكليف الكلي الإجمالي

(١) سورة الحج ، الآية : ٥.

متمايزين في ظواهرهم بالمشخصات الكونية متفقين على الصلوح النوعي فنثرهم تعالى بيد كلمته بين يدي قدره حين أخبر عنهم في كتابه العزيز بقوله : « كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً » ، يعني في الإجابة النوعية الإجمالية « فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيًّا مُبَشِّرًا وَمُنذِرًا »^(١) .

وكان تعالى قد نشر النبيين قبل هذا المشهد في المشهد الثاني بألف دهر ، وأرسل إليهم محمداً صلى الله عليه وآله وعليهم ، فقرأ عليهم ما أوحى إليه ربّه في المشهد الأول الذي هو قبل مشهدتهم بألف دهر ، فقال لهم الله سبحانه على لسان محمد نبيه صلى الله عليه وآله : « أَلَسْتُ إِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلْنَّ »^(٢) ، ومحمد نبيكم علي والأئمة من ذريته أولياؤكم وأئمتكم ؟ « قَالُوا بَلْنَ »^(٣) ،

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٣ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٣) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهو كالذرّ يدبون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : « أَلَسْتُ إِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلْ شَهَدْنَا أَنْ نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَفِلِينَ » [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : « أَلَسْتُ إِرَبِّكُمْ » وأنّ هذا محمد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ « قَالُوا بَلْنَ » ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنني ربكم ، ومحمد رسولي ، وعلىي أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولادة أمري ، وخزان علمي ، وأنّ المهدي انتصر به للدين ، وأظهر به دولتي ، وأنقم به من أعدائي ، وأعبد =

فبعثهم عليهم السلام بما عهد إليهم على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآلـه إلى الناس .

وكان الناس كما ذكرنا أولاً قد عرض عليهم التكليف الإجمالي وهو ما أعطوه من العهد من أنفسهم أن يطعوه ، ولم يفصل لهم في هذا المقام خصوصيات طاعاته حين أخذ هذا العهد ، بل طلب منهم مطلق الطاعة فأعطوه من أنفسهم ذلك متفقين في الإجابة المطلقة مختلفين في الطوية ، وذلك لأن أخذ العهد منهم الله كان على ألسنة أوليائه عليهم السلام ، ولم يذكروا لهم أسباب طاعتهم لله تعالى ووسائلها ولا خصوص شيء منها ، فأجابوا التكليف المطلق بالإجابة المطلقة ، وانطوى بعض منهم على أنه تعالى إن اتّخذ في ذلك وسائل من غيرهم وأسباباً من دونهم لم يقبلوا ، فكانوا بالإجابة المجملة المطلقة متساوين .

فلما بعث سبحانه النبىين مبشرين ومنذرين بما عهد إليهم إلى الناس في المشهد الثالث بأخذ العهد لله سبحانه بالتكليف التفصيلي وخصوص كل طاعة وجب فيها ذكر شرائطها وأسباب قبولها ووسائلها ، فقال من انطوى على الخلاف : إنما لم نعاهد ربنا إلا على طاعته من غير شرائط ووسائل وليس غيرنا إلا مثلنا ،

= به طوعاً وكراهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهادنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، وختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ ، وأمالى الصدوق : ٤١٢ ح ٢٣٣ .

فقالت لهم رسلاهم : إن الله سبحانه لم يكلفكم إلا بواسطة ولم يخاطبكم بذاته وقبلتم ذلك لعجزكم عن التلقي عنه بدون الواسطة ، فكيف تقدرون على طاعته بدون الواسطة ؟ ! ، لأن ما لا يوافق محبته ورضاه لا يصلح أن يكون طاعة له ، ولا يعلم محبته ورضاه إلا من يقدر على التلقي منه .

قالوا : إذا أطعناه بما وقفنا عليه الواسطة ولم يقبل غير ذلك كان الواسطة ولينا ، قالت رسلاهم : لذلك خلقكم وبه أقامكم ؛ قالوا : لا نطيع أمره بواسطة بل نريد طاعته بغير واسطة فنكثوا ما عاهدوا الله عليه ، وهو تأويل قوله تعالى : « وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى أَلْقِي بَرَكَاتِنَا فِيهَا فُرَّقَ ظَهِيرَةً وَقَدَرَنَا فِيهَا أَسْيَرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَامًا ءَامِينَ ﴿١٦﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمَوْا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَهَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ » (١) .

وبالعبارة الظاهرة أنه سبحانه جعل فيهم الاختيار وهو الصالح لفعل الشيء وضده ، وندبهم إلى ما فيه نجاتهم من غضبه وفوزهم برضاه ، فأجاب من خلق للإجابة بإجابتـه وأنكر من خلق للإنكار بإـنكارـه وعدم قبولـه ، وكان ما كان من الفريقيـن عن اختيارـهم وعلمـهم بـعاقـبة ما هـم عـاملـون ، ولـذلك جـعل فيـهم الاختـيار والـتمـكـين من فعلـ الشـيء وضـده والـتمـكـن بما جـعل فيـهم

(١) سورة سباء ، الآياتان : ١٨ ، ١٩ .

من الإرادة الصالحة والآلات الصالحة لكلٍّ من الطرفين ، وإنما مكنهم من خلاف أمره ليعملوا بأمره مختارين ، إذ من لم يقدر على المعصية لم يقدر على الطاعة ، لأن شرط الطاعة أن يفعل ما أمر به مع قدرته على تركه ليكون فعله طاعة .

وقوله سُلْطَنُهُ اللَّهُ : فِي السَّعَادَةِ وَالشَّقاوَةِ الْأَصْلَيْنِ .

بيانه في أصليتهما أنه تعالى خلق الوجود وهو مادة الشيء النورية ، ولا بد لها في تقويمها من ضد تستند إليه ويستند إليها ، فخلق لذلك الماهية الظلمانية وهي صورة الوجود أي انفعاله ، ونعني به أنه لما خلقه الله انخلق ، فالمحدث الوجود وانحداثه الماهية ، فكل مخلوق لا بد له من اعتبارين : اعتبار من خالقه واعتبار من نفسه ، فال الأول وجوده ومادته خلقها لا من شيء ، والثاني ماهيتها وصورته خلقها من نفس وجوده ، كما تفهم من قوله : خلقه فانخلق فإن انخلق صورة ما أحدثه الله سبحانه ، فكان هذان محدثين وكل محدث يحتاج في بقائه إلى المدد ، فالفاعل سبحانه يمدّه من نوعه ، كما يمد الطين من الطين والماء من الماء والهواء من الهواء ، فلكل ميل إلى نوع مدده فللوجود الذي هو نور ميل إلى المدد من نوعه الذي هو النور وهو الطاعات وأنواع الخيرات ، ولله الماهية التي هي ظلمة ميل إلى المدد من نوعها الذي هو الظلمة وهو المعاشي وأنواع الشرور وقيام كلّ منهما بمدده ، كقيام الصورة في المرأة بمقابلة الشاخص ، لكن لما كانا منضمين اكتفى أحدهما بمدد الآخر في

مطلق البقاء المتحقق بأدنى صدق الاسم عليه في أصل ذاتيته بمعنى عدم ارتفاع حقيقته أصلاً ، مع وجود مدد ضده في حال انضمامهما لا بمعنى بقائهما في رتبته من القرب أو البعد ، وذلك لأنّه لما كان معتمداً ومستنداً إلى ضده المستمد حصل له مسمى بقائه بالاستناد إلى المستمد ، مثلاً إذا كانا منضمين ظهر زيد ، ولا بد لبقاء زيد من بقائهما ولا بد لبقاءهما من المدد من أحدهما أو من كلّ منهما على التعاقب لا غير ، لأن الاستمداد من كلّ منهما في حال واحد يلزم منه فناؤهما .

فإذا استمد وجود زيد من النور بتوفيق الله سبحانه من الأعمال الصالحات قوي وتماسكت ماهيته باستنادها إليه ، إلا أنها تكون مقهورة تحت سلطنته ، فلا تكاد تميل إلى شيء من نوعها فحينئذ تكون مطمئنة وراضية ومرضية وكاملة ، وينقلب لونها من السواد والظلمة إلى الزرقة السماوية .

وإذا استمدت ماهيته من الظلمة بخذلان الله عزّ وجلّ من المعاصي قويت وتماسك وجوده باستناده إليها ، إلا أنه يكون مقهوراً تحت سلطنتها ، فلا تكاد يميل^(١) إلى شيء من الخير فحينئذ يكون ظالماً جهولاً و مجرماً وإناثاً وشيطاناً مريداً لعنه الله ، ففي صورة استمداد الوجود قربت الماهية من رتبتها البعيدة فكانت أختاً للوجود ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ فَإِنَّمَا كُنُّ

(١) في نسخة : تميل .

في الْدِّيَنِ ﴿١﴾ ، إِلَّا أَنْ حَقِيقَتَهَا لَمْ ترْتَفِعْ أَصْلًا ، وَفِي صُورَةِ
اسْتِمْدَادِ الْمَاهِيَّةِ بَعْدِ الْوُجُودِ مِنْ رَتْبَتِهِ الْقَرِيبَةِ : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ
فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي النَّقْوَمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢﴾ ، فَلَمَثُلِ ما أَشَرْنَا إِلَيْهِ
كَانَتِ السَّعَادَةُ وَالشَّقاوةُ أَصْلَيْنِ ، وَذَلِكَ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿وَمَا تُحْزِنُ إِلَّا
مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾ .

وَأَمَّا قُولُهُ سَلَّمَهُ اللَّهُ : وَإِنَّ الثَّانِيَةَ كَيْفَ تَلَائِمُ مَقَامَ التَّكْلِيفِ وَمَا
يَتَرَبَّ عَلَيْهِ مِنَ الْعَذَابِ ؟ فَيُرِيدُ مِنْهُ أَنَّ الشَّقاوةَ وَالسَّعَادَةَ إِذَا كَانَا
أَصْلَيْنِ كَيْفَ يَلَائِمُهُمَا مَقَامَ التَّكْلِيفِ إِلَّا ، وَبِيَانِهِ مَا أَشَرْنَا
إِلَيْهِ أَنَّ الْأَصَالَةَ الْمُذَكُورَةُ مَحْدُثَةٌ بِفَعْلِ الْمَكْلُفِ الْإِخْتِيَارِيِّ ، وَإِنَّمَا
سَمِيَا بِأَصْلَيْنِ لِأَنَّهُمَا مَشَخَصَاتُ الْمَكْلُفِ وَمَمِيزَاتُهُ عَنْ غَيْرِهِ فَهُمَا
حَدُودُ صُورَتِهِ الْشَّخْصِيَّةِ ، وَهِيَ مَعَ حَدُوثِهِ عَنْ فَعْلِهِ وَصِدْرِهِ
عَنْ قَابْلِيَّتِهِ جَزْءٌ مَاهِيَّتِهِ ، لِأَنَّ مَاهِيَّتَهُ لَا تَتَقَوَّمُ بِحَصَّةِ مَادَتِهِ مِنْ نُوْعِهِ
إِلَّا بِهَا كَالسَّرِيرِ ، فَإِنَّ الْهَيْئَةَ الْشَّخْصِيَّةَ جَزْءٌ مَاهِيَّتِهِ الَّتِي يَفَارِقُ بِهَا
الْبَابُ وَالسَّفِينَةُ وَيُغَایِرُهُمَا حَقِيقَةً مَعَ أَنَّ حَدُوثَهُ عَنْ قَابْلِيَّتِهِ الَّتِي
هِيَ الْصَّلْوَحُ الْمُشَارُ إِلَيْهِ سَابِقًا ، فَإِنَّهُ هُوَ الْإِخْتِيَارُ فِي حَقِيقَتِهِ وَلَا
حَقِيقَةُ لِلْسَّرِيرِ مَعْقُولَةٌ وَلَا مَحْسُوسَةٌ إِلَّا بِهَذِهِ الصُّورَةِ الْشَّخْصِيَّةِ ،
لِأَنَّهَا جَزْءٌ مَاهِيَّتِهِ حَقِيقَةً ، وَقَبْلِ تَعْلُقِ هَذِهِ الصُّورَةِ بِحَصَّةِ السَّرِيرِ

(١) سورة التوبه ، الآية : ١١.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥١.

(٣) سورة الصافات ، الآية : ٣٩.

من الخشب لم يكن للسرير وجود متعين إلا في العلم خاصة ، وهذا آية حكم المكلف في تشخيصه في التكليف في عالم الذر بالشقاوة والسعادة فهما فيه أصليتان لأنهما جزء ماهيته ، وهذا لا ينافي مقام التكليف وما يترتب عليه من الثواب والعقاب ، لأن هذه الماهية التي لا تتحقق شيئاً شائياً إلا بها إنما حدثت بقابلية ، فوجود القابلية والماهية التي هي جزء شيئاً شائياً وشيئيته متساوقتان في الظهور في الأعيان وحدوث ذلك كله باختيار الشيء ، لأن تحقق الاختيار فيها متساوق في وجوده لوجودها .

فإذا ثبت أن الصورة الشخصية جزء الماهية وأن كلّ واحد من القابل والمقبول حدث بالاختيار وكلّ ذلك متساوق ثبت أن المكلفين فاعلون لأعمالهم من طاعة ومعصية فلا يكون منافيأً لمقام التكليف وما يترتب عليه من الثواب والعقاب ، لأن المنافة إنما تكون لو كانت الماهيات غير مجعلة أو مجعلة بغير اختيار المكلف أو باختياره ولم يسر للموافقة لو أرادها .

فيلزم من الأول : طلب المحال أو تحصيل الحاصل لعدم جواز انقلاب الحقائق وتعذر إيجاد الموجود .

ومن الثاني : الجبر المنافي للعدل والحكمة .

ومن الثالث : إبطال الكرم ومنع المتفضل فضله بل كانت مجعلة باختياره مشفوعة باللطف والرحمة .

في بيان البداء والأجل المحتوم والمخروم

قال سلمه الله : وتحقيق البداء والأجلين المحتوم وغيره .

في بيان البداء والحكمة منه

أقول : أما البداء فقد تقدم ما يبيّن كيفية ظهوره وسبب تعلقه ، وأما الإشارة إلى مصدره القريب من الكيفية : فاعلم أن الحكمة في الإيجاد معرفة الموجد ، وفائدة المعرفة إبلاغهم جلائل النعم واطلاعهم على عظائم مراتب الجود والكرم ، فخلق الخلق ليغمرهم بجزيل نعمائه ، ويعرفهم عظيم كرمه وألائه فاقتضت هذه الغاية إيجاد الخلق على أكمل النظام ، فيكون إثبات ما لم يكن ومحو ما كان ثابتاً وإيجاد ما لم يوجد وإبقاء ما وجد على حسب ما يؤدي إلى أبلغ مصلحة تتصور في حق الخلق .

فمنها : ما تقتضي المصلحة بقاءه بقدر ما كتب له من الأجل .

ومنها : ما تقتضي تغييره أو محوه أو إثباته .

ومنها : ما تقتضي إبقاءه أزيد مما كتب له من الأجل فيمحى ما كتب أولاً ويزيد في خلقه ما يشاء ، وفي كل ذلك صلاح لعامة النظام ولخصوص ما غير بزيادة أو نقيصة أو أبقي على ما ظهر به في الوجود فأمرض الصحيح لمصلحته ولمصلحة النظام ، وأصح

المريض كذلك وأغنى الفقير وأفقر الغني وأحيى الميت وأمات الحي كل ذلك لما أراد بهم من الخيرات والنعم العظام إبلاء بنعمه وإظهاراً لكرمه ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتُوْدُوا مَا عَمِلُوا وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾^(١).

وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله : (لو كشف لكم الغطاء لما اخترتم إلا الواقع)^(٢) ، أو كما قال ، ومع ذلك فهي آجال تتقضى ومدد تتصرم ظهر سر الخلقة على هيئة الحقيقة وهيئه الحقيقة على تأثير الحق عز وجل ، وتأثير الحق سبحانه بعلمه ، يعني أن ما سمعت مما أشرنا إليه وما لم تسمع إنما ظهر مثلاً ودليلًا حاكياً بهيئته هيئه الحقيقة يعني هيئه فعل الله تعالى ، وفعل الله تعالى إنما ظهر على هيئه نفسه التي هي تأثير الله تعالى ، وتأثير الله سبحانه إنما أظهره الله وأحدثه على هيئه نفسه بعلمه تعالى وهذا سر الخلقة وتطوراتها في أطوارها بأوطارها .

(١) سورة النجم ، الآية : ٣١.

(٢) في الكافي عن أبي الصخر أحمد بن عبد الرحيم رفعه إلى أبي الحسن صلوات الله عليه قال : نظر إلى الناس في يوم فطر يلعبون ويضحكون فقال لأصحابه والتفت إليهم : (إن الله عز وجل خلق شهر رمضان مضماراً لخلقه ليستبقوا فيه بطاعته إلى رضوانه فسبق فيه قوم ففازوا ، وتخلف آخرون فخابوا ، فالعجب (كل العجب) من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويغيب فيه المقسرون ، وأيم الله لو كشف الغطاء لشغل مُحسن بِإحسانه ومسيء بإساءته) . الكافي : ج ٤ / باب المعتكف يجامع أهله ح ٦٧٢٦ .

وهذا العلم المشار إليه هو العلم الإشرافي الذي يسمونه عليهم السلام بوقوع العلم على المعلوم ، وهو العلم الراجح الوجود وهو ظهور العلم الذاتي به ، وذلك الظهور هو سر الأسرار الجارية على هياكله الأقدار .

في بيان الأجل المحتوم والمخروم

وقوله : (والأجلين المحتوم وغيره) ، بيانه أن المحتوم هو حدُ التقدير لمدة البقاء المقدر ، وهو خلق من خلق الله وحجر محجور يحدُّه الله بداعي سر الخلقة المشار إليه قبل .

ويبيان هذا البيان أن الفيض الابتداعي الذي ملأ العمق الأكبر ليس له انقطاع ولا انتهاء فإذا وجد به القابل له استمر انبساطه على القابل ، وهذا الاستمرار هو علة البقاء والدوام حتى ينزل الحجاب والحجر المحجور كإشراق الشمس ما دامت موجودة ، وهي مقابلة للجدار فإن الاستضاءة أبداً باقية ما استمرت المقابلة ، فإذا اقتضت المصلحة عدم الاستضاءة بسر الخلقة أحدث حجاباً حائلاً بينها وبين الجدار .

وهذا الحجاب إنما أحدثه حين أراد رفع الاستضاءة وكان هذا الحجاب غائباً في الإمكان الراجح لم يحضر ، فإذا أريد الرفع دُعي فجاء فإذا جاء لا يستأثر الاستضاءة ساعة ولا تستقدم ، فهذا الحجر المحجور والحجاب المستور هو الأجل

المحتوم المذكور كان غائباً في الإمكان ، فإن اقتضت المصلحة حضوره دُعي فجاء وإن اقتضت تأخيره لم تدع وهو الأجل المقصي الذي يزيد وينقص ، ومعنى أنه يدعى أنه يكون من خزانة الإمكان الراجح ، فافهم .

بيان سر أركان العرش الأربعة وحملته

قال سلمه الله : وسر أربعة الأركان لعرش الرحمن وحال حملتها الأربعة وسر أنهم يومئذ يصيرون ثمانية كلها بطريق التوسط من غير إيجاز مخل ولا إطاب ممل .
انتهى كلامه أعلى الله مقامه .

أقول : أما سر أربعة الأركان لعرش الرحمن ، فلأن الوجود الذي يمكن حصره بالإجمال أربعة أقسام وعليها يدور النظام من الإيجادات والحكام وهي الخلق والرزق والموت والحياة ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَاءِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾^(١) ، فتحدى عباده المنادين له بشيء من ذلك ، ولو كان شيء خامس لجاز أن يقال إذا لم يجز أن تفعل الشركاء شيئاً من هذه الأربعة جاز أن تفعل من غيرها وتصدق به الشركة ، وإنما قلنا الوجود الذي يمكن حصره بالإجمال ، لأن حصره

(١) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

بالتفصيل إن كان بالإمكان لزم الانقطاع وهو ليس بمنقطع في الإمكان ولا محدود فيه ، وإن كان في الإمكان ، لأن الإمكان غير متناه في الإمكان ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : « خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَحْذُوذٍ »^(١) وقال تعالى : « وَنَكِيمَهُ كَثِيرٌ ٣٢ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ »^(٢) ، وقولنا : الذي يمكن حصره ، احترازاً عن الوجود الحق تعالى ، لأن هذه الأربعة المشتملة على جميع وجودات الإمكان بعض مظاهر الحق ، فإن الحياة الذاتية والعلم الذاتي والقدرة والبقاء والسمع والبصر الذاتيات ، وغير ذلك من الصفات الذاتية والعنایات الإلهية لا تدخل في معنى يمكن إلا مظاهرها الفعلية .

والحاصل : أنه لما انحصرت وجودات الإمكان في الأربعة وكانت مبادئ إيجاداتها داخلة في الصفة الرحمانية ظهر الرحمن بهذه الصفة على جامع حواملها الذي يسع تلك الإيجادات وهو العرش ، وهو عبارة عن أربعة ملائكة أي مسميين في الجملة بهذا الاسم ، وهم في الحقيقة خلق أعظم من الملائكة ولهم أسماء كثيرة في كلام الأئمة عليهم السلام وفي كلام العلماء والحكماء ، وفي كلام سيد الساجدين عليه السلام (إن العرش مركب من أربعة أنوار : نور أحمر منه احمرت الحمرة ، ونور أصفر منه اصفرت

(١) سورة هود ، الآية : ١٠٨.

(٢) سورة الواقعة ، الآيات : ٣٢ ، ٣٣.

الصفرة ، ونور أخضر منه اخضرت الخضراء ، ونور أبيض منه البياض ، ومنه ضوء النهار^(١) أو كما قال .

والمراد من النور الأحمر هو الملك الذي على ملائكة الحجب ومنه مظهر الخلق والمتلقي عنه جبرائيل ، وهو ركن العرش الأسفلي الأيسر ، وهو المسمى بالطبيعة الكلية ، والنور الأصفر هو الملك الذي هو روح من أمر الله ومنه مظهر الحياة

(١) قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (وأئمَّا مَا سُأْلَ عَنْهُ مِنْ عَرْشِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَ خَلْقَهُ أَرْبَاعًا لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إِلَّا ثَلَاثَةً أَشْيَاءً : الْهَوَاءُ وَالْقَلْمُ وَالنُّورُ ، ثُمَّ خَلَقَهُ مِنْ أَنْوَارٍ مُخْتَلِفَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ النُّورُ نُورٌ أَخْضَرٌ اخْضَرَتْ مِنْهُ الْخَضْرَاءَ ، وَنُورٌ أَصْفَرٌ اصْفَرَتْ مِنْهُ الصَّفَرَةَ ، وَنُورٌ أَحْمَرٌ احْمَرَتْ مِنْهُ الْحَمْرَاءَ ، وَنُورٌ أَبْيَضٌ وَهُوَ نُورُ الْأَنْوَارِ وَمِنْهُ ضُوءُ النَّهَارِ ، ثُمَّ جَعَلَهُ سَبْعِينَ أَلْفَ طَبْقًا عَلَى طَبْقٍ كُلَّ طَبْقٍ كَأُولَى الْعَرْشِ إِلَى أَسْفَلِ السَّافَلَيْنِ ، لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ طَبْقًا إِلَّا يَسْبِحُ بِهِمْ رَبُّهُ وَيَقْدِسُهُ بِأَصْوَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ وَالْأَسْنَةِ غَيْرِ مُشْتَبِهَةٍ ، وَلَوْ أَذِنَ لِلْلُّسَانِ مِنْهَا فَأَسْمَعَ شَيْئًا مِمَّا تَحْتَهُ لَهُمْ الْجَبَالُ وَالْمَدَائِنُ وَالْحَصُونُ وَلَخْسَفُ الْبَحَارِ وَلَأَهْلُكُمْ مَا دُونَهُ ، لَهُ ثَمَانِيَّةُ أَرْكَانٍ عَلَى كُلَّ رَكْنٍ مِنْهَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَا لَا يُحْصِي عَدْدُهُمْ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ ﴿ يُسَيِّحُونَ أَيْلَلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٠] وَلَوْ حَسِنَ شَيْئًا مِمَّا فَوْقَهُ مَا قَامَ لِذَلِكَ طَرْفَةُ عَيْنٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الإِحْسَاسِ الْجَبَرُوتِ وَالْكَبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ وَالْقَدْسِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعِلْمِ ، وَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا مَقَالٍ) التَّوْحِيدُ : ٣٢٦ بَابٌ ٥١ (أَنَّ الْعَرْشَ خَلَقَ أَرْبَاعًا) ح ١ ، وَبِحَارِ الْأَنْوَارِ : ٢٤ / ٣٧٤ - ٣٧٦ ح ١٠٣ .

وروي بلفظ : (إِنَّهُ مَرْكَبٌ مِنْ أَرْبَعَةِ أَنْوَارٍ : نُورٌ أَحْمَرٌ مِنْهُ احْمَرَتْ الْحَمْرَاءَ ، وَنُورٌ أَخْضَرٌ مِنْهُ اخْضَرَتْ الْخَضْرَاءَ ، وَنُورٌ أَصْفَرٌ مِنْهُ اصْفَرَتْ الصَّفَرَةَ ، وَنُورٌ أَبْيَضٌ مِنْهُ أَبْيَضَ الْبَيَاضِ) شَرْحُ أَصْوَلِ الْكَافِيِّ : ٤ / ٩٣ ح ١ بَابُ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ ، وَتَفْسِيرُ الْمِيزَانِ : ٨ / ١٦٢ ، وَبِحَارِ الْأَنْوَارِ : ٥٥ / ١٠ .

والمتلقي عنه إسرا فيل وهو ركن العرش الأسفل الأيمن ، وهو المسمى بالروح في قوله صلى الله عليه وآلـه : (أول ما خلق الله روحـي) ^(١) ، وبعـض العـرـفـاء يـسمـيهـ بالـبـرـاقـ بـنـاءـ عـلـىـ طـرـيقـتـهـمـ فـيـ التـأـوـيلـ .

والنور الأخضر وهو الملك الذي على ملائكة الحجب ومنه مظهر الممات والمتلقي من صفتـهـ عـزـرـائـيلـ ، وهو الرـكـنـ العـرـشـ الأـعـلـىـ الأـيـسـرـ ، وهو المـسـمـىـ بـالـلـوـحـ وـالـكـتـابـ الـمـسـطـورـ ، وهو المـسـمـىـ بـالـنـفـسـ الـكـلـيـ وـالـنـورـ الـأـبـيـضـ ، وهو الملك المـسـمـىـ بـالـرـوـحـ وـرـوـحـ الـقـدـسـ وـالـمـسـمـىـ بـالـعـقـلـ الـكـلـيـ وـبـالـقـلـمـ وـالـمـلـكـ المـتـلـقـيـ مـنـ صـفـتـهـ مـيـكـائـيلـ ، وهو الرـكـنـ العـرـشـ الأـعـلـىـ الأـيـمـنـ ، وهو المراد من قوله صلى الله عليه وآلـهـ : (أول ما خلق الله عـقـليـ وـالـعـقـلـ - أوـ نـورـيـ) ^(٢) ، وإنـماـ قـلـنـاـ مـنـ صـفـتـهـ فـيـ الـأـخـضـرـ وـالـأـبـيـضـ ، لأنـ الـأـخـضـرـ يـتـلـقـيـ مـنـ ذـاتـهـ مـيـكـائـيلـ وـالـأـبـيـضـ يـتـلـقـيـ مـنـ ذـاتـهـ جـبـرـائـيلـ .

(١) شرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ٣٣ / ٥٨ ح ٣٩٨ ، وج : ١٥ / ٢٤ ، ومشارق أنوار اليقين للبرسي : ٤٢.

(٢) انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ٣٣ / ٥٨ ح ٣٩٨ ، وج : ١٥ / ٢٤ ، ومشارق أنوار اليقين للبرسي : ٤٢ ، وعوايي اللآلـيـ : ٤ / ٩٩ ح ١٤١.

وروي بلفظ : (أوـلـ ماـ خـلـقـ اللهـ العـقـلـ) مـحـاسـنـ البرـقـيـ : ١ / ١٩٦ ، الكـافـيـ : ١ / ٢١ ح ١٤.

وهنا تفاصيل كثيرة لسنا بصددها وهذه الأربعة الذين هم أركان العرش المسمون بالعالين هم أوعية جميع آثار الرحمانية ومظاهرها ، وهم الحافظون لها وحملتها والأربعة المتلقون منهم يعني جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزراطيل هم المؤدون عن العالين الحافظين إلى قوابل الموجودات أحکام الأمور الأربعة : الخلق والرزق والممات والحياة ، ففي الدنيا حملة العرش أربعة فإن أريد الحمل الذي هو الحفظ فهم العالون ، وإن أريد الحمل الذي هو التأدية فهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزراطيل هذا في الدنيا .

حملة العرش الثمانية في عالم الآخرة

وفي الآخرة يحمل ثمانية ويراد به وجوهاً :

منها : حملة الحفظ وحملة التأدية كما مرّ .

ومنها : أحکام الأربعة في الدنيا وفي الآخرة أو في الرجعة فإن أريد على هذا في الآخرة ، فالمراد من الموت هلاك الدين وهو شقاوة الأبد نعوذ بالله .

ومنها : إذا أريد به الدين فالثمانية نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي والحسن والحسين صلی الله عليه وآلہ وعلیہم .

ومنها : أن يراد به الأعم فيكون المراد بالحملة الثمانية هؤلاء

الثمانية عليهم السلام ، فإنهم حافظون للأكونان الوجودية والأكونان الشرعية ، إما من كل واحد بنسبة مقامه منها ، وإما على التوزيع بمعنى أن نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى حاملون لبعض منها على قدر احتمالهم ، ومحمدًا وعلياً والحسن والحسين صلى الله عليه وآلها وعليهم حاملون للكل على الانفراد والاجتماع إذ كل واحد منهم صلى الله عليهم علة تامة لكل شيء من التكروينية وشرعها والتشريعية وجودها .

ومنها : أن العدد باعتبار إدراك عامة الخلق لذلك ففي الدنيا يدركون أربعة وفي الآخرة ثمانية .

ومنها : أن ذكر الثمانية باعتبار حمل أربعة لظاهر تلك الأمور وحمل أربعة لباطنها وأمثال ذلك .

وفيه وجوه لا فائدة في ذكرها أو لا يحسن ذكر بعضها .

والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلى الله على محمد وآلها الطيبين الطاهرين .

وكتب أحمد بن زين الدين الأحسائي

ضحي الثالث من جمادى الثانية سنة ثلاثين بعد المئتين
والألف

حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

٢ - رسالة في جواب السيد محمد البّكاء
في بيان أصول العقائد

رسالة في جواب السيد محمد البكاء في بيان أصول العقائد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدـين الأحسـائي : إنه قد أـرسل إـليـ السيدـ الجـليلـ والـسـندـ النـبـيلـ الأـوـحدـ المـمـجدـ السـيـدـ مـحـمـدـ بـمـسـائـلـ طـلـبـ منـيـ جـوابـهاـ عـلـىـ غـيرـ ماـ يـذـكـرـ الـمـفـسـرـونـ ظـاهـراـ ، وـشـدـدـ فـيـ الـطـلـبـ وـأـطـالـ وـأـسـهـبـ وـكـانـ الـقـلـبـ مـتـشـتـتاـ وـعـزـمـ مـتـهـافـتاـ لـيـ وـجـدانـ مـنـ اـخـتـلـافـ أـحـوالـ الـإـخـوانـ وـالـزـمـانـ ، وـلـكـنـ لـاـ يـمـكـنـنـيـ غـيرـ إـجـابـتـهـ وـإـسـعـافـ طـلـبـتـهـ ، فـكـتـبـتـ مـاـ يـتـيـسـرـ وـتـرـكـتـ مـاـ طـالـ أوـ تـعـسـرـ إـذـ لـاـ يـسـقـطـ الـمـيـسـورـ بـالـمـعـسـورـ وـإـلـىـ اللهـ تـرـجـعـ الـأـمـورـ .

قال سـلـمـهـ اللهـ تـعـالـىـ : بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ، الـحمدـ للـهـ الـذـيـ لـاـ يـرـدـ سـائـلـهـ ، وـلـاـ يـخـيـبـ آـمـلـهـ ، بـابـهـ مـفـتوـحـ لـسـائـلـيـهـ وـحـجـابـهـ مـرـفـوعـ لـآـمـلـيـهـ ، وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ مـفـتـاحـ كـنـوزـ أـسـرـارـهـ مـحـمـدـ وـآلـهـ الطـاهـرـينـ سـادـةـ أـهـلـ أـرـضـهـ وـسـمـائـهـ .

وبعد : فيا مفتاح كنوز أسرار أهل العصمة مولانا وقبلتنا وقرة عيننا وأستاذنا ومحببي نفوسنا من حيرة الشكوك والشبهات وشمس سماء الحسن والكشف والفضل والمجد والفيوضات أشرف علماء الأولين والآخرين ، وزبدة قاطبة العرفاء السابقين واللاحقين ومعدن حقائق الإلهية وبحار معارف الربانية وصاحب النفس القدسية اللاهوتية الرؤوف الرحيم البر الحليم الذي قصرت ألسن الأقلام عن بلوغ حقيقة جلاله وحسن حاله كما يليق ، به مفقود القدر فخر خواص أهل العصمة شيخنا الجليل ومولانا الجميل ، مستجتمع الحقائق والمعارف مشكاة أهل العلم والمعرفة وباب مدينة أسرار أهل العصمة الشيخ أحمد بن زين الدين سلمه الله من الآفات والبليات وحشره الله مع ساداته في بحبوحات الجنات ، أنا عبدكم السائل بباب فيوضاتكم الآمل بجنابكم أن لا ترد حقيقة سؤالي وأن تكشف الغطاء لحقيقة مسألتي بحق الله العليم الكريم الذي لا يرد سائلاً عليك وبحق ساداتك الأطهار .

قال : بين لي حقيقة سورة التوحيد من أولها إلى آخرها .

في بيان حقيقة سورة التوحيد

أقول : حقيقة سورة التوحيد لبيانها وجوه كثيرة لا يدخل حصرها تحت علمنا ، وإنما نتكلّم عليها بما يحضرنا حال الخطّ مما نعرف ، مما أذنَ ببيانه فنقول :

قد قام الإجماع ودللت النصوص بأن ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ آية منها فتدخل في المسؤول عنها ، وحيث علم بالنصر أن هذه السورة تسمى نسبة الرب ، كما رواه في التوحيد عن الصادق عليه السلام قال : (إِنَّ الْيَهُودَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلهِ فَقَالُوا : انْسِبْ لَنَا رَبًّا كَفِيلًا ثَلَاثَةً لَا يُجِيبُهُمْ ، ثُمَّ نَزَّلَتْ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١)) الخ ، دل ذلك على أن البسمة مشتملة على النسبة إلا أنها على جهة الباطن والتأويل ، والإشارة إلى ذلك على سبيل الاقتصار هو أنه روي عن الصادق عليه السلام : (الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله)^(٢) .

وفي رواية : (ملك الله)^(٣) فنسب نفسه بأنه ذو البهاء وهو

(١) توحيد الصدوق : ٩٣ ح ٨ ، وشرح أصول الكافي : ٣ / ١٣٧ ح ١.

(٢) الكافي : ١ / ١١٤ ح ١ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٣٨ ح ٢١٣.

(٣) توحيد الصدوق : ٢٣٠ باب ٣١ معنى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) ح ٢ ، والكافي : ١ / ٩١ ح ٣ ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ٤٦ ح ١٢ ، وبحار الأنوار : ٨٩ / ٢٣١ ح ١١ ، ومعاني الأخبار : ٣ ح ١.

ولفظه في التوحيد : عن عبد الله بن سنان قال : سألت أبي عبد الله عليه السلام عن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال : (الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله) .

وروى بعضهم : (ملك الله ، والله إله كل شيء ، الرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين خاصة) .

وعنه عليه السلام أنه سئل عن (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال : (الباء بهاء الله ، والسين سناء الله ، والميم ملك الله ، قال : قلت الله قال : الألف آلاء =

الضياء ، والمراد به ما ابتدعه من الوجود بمشيّته ، وهو إشارة إلى العقل الكلي المشار إليه بقوله تعالى : ﴿مَثُلُّ نُورٍ كَيْشَكَوْقَرْ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾^(١) الآية ، وما له من الرؤوس والوجوه العقلية ، وهي عقول جميع الموجودات ، وهي أشعة ذاته ، وأنه ذو السناء وهو نور الضياء ، والمراد به ما سواه من العين بإرادته ، وهو إشارة إلى النفس الكلية ، وهي المشار إليها بقوله : ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾^(٢) ، وهي اللوح المحفوظ مع ما لها من الرؤوس والوجوه النفسية ، وهي نفوس جميع الموجودات ، وهي أشعة ذاتها ، وأنه ذو المجد وهو الكرم هنا .

والملك على الرواية الأخرى يراد به ما يراد بالمجد ، والمراد به ما حدّده من المفعمولات بقدرها ، وهو إشارة إلى عالم الملك من الأجسام والأعراض والنسب والأوضاع وغير ذلك ، فكانت العوالم الثلاثة نسبة له لأنها أثر فعله ، والمراد بالنسبة للصلة ، أي وصف نفسه لهم بصفة فعله وأثره ، وذلك لأن الفعل صفة الفاعل والأثر صفة المؤثر ، فالباء إشارة إلى المفعمولات العقلية والسين إشارة إلى المفعمولات النفسية ،

= الله على خلقه من النعيم بولايتنا واللام إلزام الله خلقه ولايتنا ، قلت : فاللهاء ؟
قال : هوان لمن خالف محمداً وأل محمد صلى الله عليه وآله ، قال : قلت : الرحمن ؟ قال : بجميع العالم ، قلت : الرحيم ؟ قال : بالمؤمنين خاصة) .

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥.

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١١٦.

والميم إشارة الى المفهولات الجسمانية ، وهذه المراتب الثلاث ظواهر النسبة ومراكب بوطنها ، والأسماء الثلاثة التي هي مسميات ﴿إِسْم﴾ ، وهي ﴿اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ مقوماتها وبوطنها ، وذلك لأن اسم الله هو المراد من الباء وال المشار بها إليه ، واسم الرحمن هو المراد من السين والمشار بها إليه ، واسم الرحيم هو المراد من الميم والمشار بها إليه .

وبيانه أن نقول : الله سبحانه هو المنسوب والألوهية نسبته ، والباء محلها وصورتها ، والرحمن تعالى هو المنسوب والرحمانية نسبته وهي الرحمة التي وسعت كل شيء ، والسين محلها وصورتها ، والرحيم عز وجل هو المنسوب ، والرحيمية نسبته وهي الرحمة المكتوبة والميم محلها وصورتها ، فالباء صورة للألوهية التي هي صفة الله سبحانه وهي الجامعة لصفات القدس كالسبحان والقدس والعزيز والعلی وما أشبه ذلك ، ولصفات الإضافة كالعليم والسميع والبصير القادر والمدرك ، وما أشبه ذلك ، ولصفات الخلق كالخالق والرازق والمعطي وما أشبه ذلك ، والسين صورة الرحمانية التي هي صفة الرحمن تعالى ، وهي الجامعة لصفات الإضافة وصفات الخلق ، والميم صورة الرحيمية التي هي صفة الرحيم عز وجل ، وهي الجامعة لصفات الخلق وهو سبحانه وصف نفسه لعباده ، وتعرف لهم بنسبته في صفتة ، كما أشرنا إليه فقال : ﴿إِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ،

فاللوهية جبروت في الدهر العلوي ، والباء صورة لرتبتها ومحلها ، والألف القائم في الله صورة معناها ، والرحمنية ملكوت في الدهر السفلي والسين صورة لرتبتها ومحلها ، والألف المبسوط في الرحمن صورة معناها ، والرحيمية ملك في الزمان والميم صورة لرتبتها ومحلها ، والألف الراكد في الرحيم صورة معناها ، والظاهر بهذه الصفات الثلاث في السرمد أظهرها في مراتبها فتعرف بصفاته لجميع مخلوقاته .

فقد تضمنت البسمة نسبته سبحانه لعباده بالتلويع كما أشرنا إليه ، وبالتصريح كما هو ظاهر الأسماء الثلاثة ، وهي : ﴿الله الرحمن الرحيم﴾ ، وفيها إشارة إلى ما تضمنته السورة لأن سرّها في البسمة ، وذلك أنه قال : ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ، فوصف نفسه بالشيئية ونفاها عن غيره إلا به ، ألا ترى كيف جعل العوالم الثلاثة المسماة بالجبروت والملكت والملك المشار إليها بحرروف ﴿بِسْمِ﴾ اسمًا لصفاته الثلاث ، والصفات الثلاث اسمًا له في ظهوره بها ، فكان ﴿هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ ﴿الصَّمَدُ﴾ الذي ﴿لَمْ يَكُلْدُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾^(١)

(١) سورة التوحيد ، الآيات : ١ - ٤ .

بيان حقيقة البسمة

ثم اعلم أن البسمة اسم الله الأعظم ، وفي الدعاء (أسألك باسمك باسم الله الرحمن الرحيم)^(١) ، وإنما قال الرضا عليه السلام : (إنَّ بِسْمَ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ مِنْ سُوادِ الْعَيْنِ إِلَى بِيَاضِهَا)^(٢) ، لأن لفظ البسمة الاسم اللفظي الذي هو سواد العين أقرب إلى الاسم المعنوي الذي هو بياض العين والتمثيل مأخوذ من ظاهر الظاهر ، فإن البياض عبارة عن البساطة والسواد عن التركيب ، ولو أخذ من الباطن لعكس ، لأن النور في السواد لا في البياض ، ولما كان كلامه عليه السلام في اللفظ ناسب أن يقول : (أَقْرَبُ إِلَى الْإِسْمِ الْأَعْظَمِ) ، إذ الاسم هو المعنوي الذي هو الصفة المشتملة على التجريد والتفريد والتوحيد والتجريد والتحميد ، ونحن لما كان كلامنا في اللفظ والمعنى بل في المعنى ناسب أن نقول هو الاسم الأعظم ، لأنَّ الاسم الأعظم له أربعة أركان :

أركان الاسم الأعظم

الأول التوحيد الحق ، والثاني القائم به ، والثالث الحافظ

(١) مصباح المتهجد للطوسي : ٤٤٩ ح ٣٣٨ ، وتهذيب الأحكام : ٣ / ١١٤ .

(٢) أمالی الصدق : ٧٤٠ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٨ ح ١١ ، وتحف العقول : ٤٨٧ ، ومستدرک الوسائل : ٥ / ٥ ح ٨٩ .

له ، والرابع التّابع فيه ، فالّاول الله والثاني الرحمن والثالث الرحيم والرابع بسم ، هذا باعتبار الصفات .

وباعتبار الذات ما روي عن الكاظم عليه السلام : (فالّاول لا إله إلّا الله ، والثاني محمد رسول الله صلى الله عليه وآلّه ، والثالث نحن ، والرابع شيعتنا) ^(١) .

ولا إله إلّا الله هو التوحيد الحق ، وهو توحيد الله في ذاته : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخِذُوا إِنَّهَيْنِ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ﴾ ^(٢) .

وتوحيده في صفاته : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ، شَيْءٌ وَهُوَ أَكْبَرُ الْبَصِيرُ﴾ ^(٣) .

وتوحيده في أفعاله : ﴿أَلَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحِيطُكُمْ هَلْ مِنْ شَرَكَاهُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ^(٤) .

وتوحيده في عبادته : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ، فَلَيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ^(٥) .

والبسملة مشتملة على الأربعة الأركان في الظاهر والظهور

(١) لم نجد له عليه فيما توفر لدينا من مصادر .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٥١.

(٣) سورة الشورى ، الآية : ١١.

(٤) سورة الروم ، الآية : ٤٠.

(٥) سورة الكهف ، الآية : ١١٠.

والمظهر الأول الظاهر بالألوهية ، والثاني الظاهر بالرحمانية ، والثالث الظاهر بالرحيمية ، والرابع الظاهر بيسسم .

وأما الظهور ظهور الظاهر في ظهوره فيما لكل ركن فيه ، وأما المظهر ظهور الظاهر في المظهر له فهي الاسم الأعظم لأن سر الكتب في القرآن ، وسر القرآن في الفاتحة ، وسر الفاتحة في البسملة ، ولا ينافي هذا أن سر البسملة في الباء ، وسر الباء في النقطة لدخول ذلك ^(١) .

الاسم الأعظم أول الموجودات

ولما كان أشرف الأكوان كون الاسم الأعظم والوجود مبنيا عليه وجب أن يكون أول الموجودات لعليته ، والكتاب التدويني طبق الكتاب التكويني كان الاسم الأعظم أول التدويني لعليته وهو باسم الله الرحمن الرحيم ، وذلك مقتضى المطابقة ولما تجلى بجوده ونسب نفسه للمكلفين وخصوص السائلين بما يخفى من الإشارة نسب نفسه لهم بما يظهر من العبارة وذلك لهم بهم ، فأمر نبيه أن قل : يا محمد هو أي رب المسؤول عن نسبته الظاهر لهم بهم ليتنبهوا ويثبتوا الثابت المحتجب عن درك الأبصار

(١) الأسرار الفاطمية : ٢٣٥ ، ومشارق أنوار اليقين : ٥٢
ولفظه في المشارق : قال علي عليه السلام : (عن الباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تبين العايد عن المعبد) .

والحواسّ ، أو قل : يا محمد هو أي الذي أمرك ، أو هو الله أحد أي الذي أدعوكم إلى عبادته الله أحد أي التام في واحديته الكامل في أحديته أحد ، يعني الله واحد في ذاته واحد في صفاتة واحد في أفعاله واحد في عبادته ، فالواحد صفة الأحد فكان الواحد بعدد باسم الله الرحمن الرحيم ، ولا يتم إلا بالأحد ، فهو معنى باسم الله الرحمن الرحيم ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَتْ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ وَلَوْا عَلَى أَدَبِنِهِمْ نُفُورًا﴾^(١) .

الفرق بين واحد وأحد

وإنما قال : (أحد) ولم يقل واحد لأن الواحد لا يستوعب مراتب التوحيد الأربع إلا بتكرره ، إذ لا يقال للواحد في أكثر من مرتبة من مراتب الأحد ، لأن الواحد صفة الأحد كما تقول زيد قاعد زيد قائم زيد راكب ، فواحدية الذات غير واحدية الصفات ، وهي غير واحدية الأفعال ، وهي غير واحدية العبادة ، فال الأحد لا يتغير في صفاته والصفة تتغير في مراتبها كزيد فإنه لا يتغير في صفاته وكالقائم والقاعد والراكب ، فإنها تتغير في مراتبها بخلاف الأحد ، ولأن الواحد يدخل في العدد ولو بضم آخر إليه ، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : (واحد لا بتأويل عدد)^(٢) ، لأن

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٤٦.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ، ونهج البلاغة : ٢ / ٤٠ وفيه :

الواحد قد يدخل في العدد في بعض الأحوال ، فإذا أريد استعماله في حقه تعالى احتاج إلى قيد أو تتمة كما فعل عليه السلام بخلاف الأحد ، ولأن الواحد لا يستوعب الكثرة في وحده تقول ما في الدار واحد ، ويجوز أن يكون فيها اثنان لأنه وجه من وجوه الأحد كما هو شأن الصفة بخلاف الأحد ، فإنه يثبت بثبوته القليل والكثير إذا قلت : في الدار أحد ، وينتفي باتفاقه القليل والكثير إذا قلت : ما في الدار أحد ، تنبيه وإشارة إلى القومية في كل شيء ، ولهذا قيل : إن الواحد تسعة عشر

(الأحد بلا تأويل عدد ، والخلق لا يعني حركة ونصلب ، والسميع لا بأدلة ، والبصير لا بت分区 آلة ، والشاهد لا بمسافة ، والبائن لا بتراخي مسافة ، والظاهر لا برؤيه ، والباطن لا بلطافه بان من الأشياء بالقهر لها ، والقدرة عليها ، وبانت الأشياء منه بالخصوص له والرجوع إليه ، من وصفه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال أين ؟ فقد حيزه ، عالم إذ لا معلوم ، ورب إذ لا مربوب ، وقدر إذ لا مقدور) .

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام : (.. لا يتغير الله بتغير المخلوقات ، ولا يتحدد بتحدد المحدود ، واحد لا بتتأويل عدد ، ظاهر لا بتتأويل المباشرة ، متجل لا باستهلال رؤية ، باطن لا بمزايلة ، مباين لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسم ، موجود لا عن عدم ، فاعل لا باضطرار ، مقدر لا بفكرة ، مدبر لا بحركة ، مريض لا بعزيمة ، شاء لا بهمة ، مدرك لا بحسنة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأدلة ، لا تصحبه الأوقات ، ولا تضمه الأماكن ، ولا تأخذه السنات ، ولا تحدده الصفات ، ولا تقيده الأدوات ..)

وتمامه الأحد يعني أن الأحد يراد منه معناه لا عدده فيكون عشرين وهي كاف الكون المستديرة على نفسها التي هي علة الموجودات ، وقولنا يثبت : بثبوته القليل والكثير ، لا نريد أن ثبوت الكثرة به إنما هو لانبساط معناه على الأفراد المتعددة على سبيل الشمول أو البذرية ليصدق عليه أنه كل أو كلي ، وإنما نريد أنه فرد بكمال البساطة ، وإنما يتناول الكثير بوجهه له ومظاهر مع وحدته تحدث عنه عند الكثرة ، وتعدم عند الوحدة ، ولهذا اختصر بسورة التوحيد ولذلك سميت هذه السورة سورة التوحيد بخلاف واحد ، فإن حصول البساطة المطلقة إنما هي بتخصيص إرادة لها غير أصل الوضع لاستعماله في الأنواع والأجناس والمركبات .

وأما قول بعضهم : إذا كان لفظ الله علمًا وجزئياً لزم أن يكون لفظة أحد في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) لغوًا ، فينبغي أن يحمل الأحد على الواحد ، وحينئذ يشكل تسميتها بسورة التوحيد ، إلا أن يقال : تسميتها باعتبار آخرها على طريقة عموم الاشتراك ، لأنه يراد بلفظ (أحد) أحد معنيه أولاً والآخر ثانياً ، انتهى .

ففيه أن جزئياً إن أريد به المعنى الاصطلاحي لم يصح لاستلزماته لكتلية يدخل هو مع مشاركه من الأفراد الموجودة ولو بالفرض تحته أي تحت الكلية ، وإن أريد به معنى التشخيص لم

(١) سورة التوحيد ، الآية : ١.

يصح لاستلزمـه معنى التـحدـيد ، وإن أـريدـ به معنى البـساطـةـ والـتـفـرـدـ الحـقـيقـيـ لمـ يـكـنـ حـمـلـ أـحـدـ عـلـيـهـ لـغـوـاـ فلاـ حاجـةـ إـلـىـ التـكـلـفـاتـ ، وـلـمــ اـمـتـنـعـ فـيـ حـقـهـ تـعـالـىـ أـنـ يـكـونـ كـلـيـاـ أوـ جـزـئـيـاـ أوـ كـلـاـ أوـ جـزـءـاـ أوـ عـامـاـ أوـ خـاصـاـ أوـ مـطـلـقاـ أوـ مـقـيـداـ أوـ مـبـهـماـ أوـ مـتـعـيـنـاـ اـحـتـيـجـ فـيـ إـطـلاقـ وـاحـدـ عـلـيـهـ إـلـىـ تـخـصـيـصـ إـرـادـةـ لـيـكـونـ موـافـقـاـ لـمعـنـىـ أـحـدـ ، فـإـنـ مـعـنـىـ أـحـدـ الـبـساطـةـ وـالـوـحـدـةـ الـمـنـزـهـةـ عـنـ الـكـلـيـ وـالـجـزـئـيـ ، وـالـكـلـ وـالـجـزـءـ وـالـعـمـومـ وـالـخـصـوصـ وـالـإـطـلاقـ وـالـتـقـيـيدـ وـالـإـبـهـامـ وـالـتـعـيـنـ وـغـيرـ ذـلـكـ فـيـ أـصـلـ الـوـضـعـ ، وـتـنـاوـلـهـ لـشـيـءـ مـنـ ذـلـكـ إـنـمـاـ هـوـ بـتـخـصـيـصـ إـرـادـةـ مـاـ اـسـتـعـمـلـ فـيـهـ مـنـ عـمـومـ وـخـصـوصـ وـحـكـاـيـةـ وـغـيرـ ذـلـكـ ، وـلـهـذـاـ لـاـ تـقـولـ فـيـ فـصـيـحـ الـكـلـامـ : زـيـدـ أـحـدـ ، إـلـاـ عـلـىـ مـعـنـىـ الـحـكـاـيـةـ ، أـوـ إـرـادـةـ أـخـرـىـ ، وـتـقـولـ فـيـ فـصـيـحـ الـكـلـامـ : زـيـدـ وـاحـدـ ، وـتـقـولـ : اللـهـ أـحـدـ ، فـيـ فـصـيـحـ الـكـلـامـ بـأـصـلـ الـوـضـعـ ، وـلـاـ تـقـولـ : اللـهـ وـاحـدـ ، إـلـاـ بـتـخـصـيـصـ إـرـادـةـ التـفـرـيدـ الـبـحـثـ ، فـاـفـهـمـ .

ولـمــاـ كـانـتـ الـوـحـدـةـ الـمـسـتـفـادـةـ مـنـ الـوـاحـدـ لـاـ تـنـافـيـ مـطـلـقـ الإـشـارـةـ مـنـ دـلـالـةـ الـلـفـظـ ، وـلـهـذـاـ قـلـنـاـ : إـنـ أـحـدـ هوـ الـوـاحـدـ فـيـ ذـاتـهـ ، الـوـاحـدـ فـيـ صـفـاتـهـ ، الـوـاحـدـ فـيـ أـفـعـالـهـ ، الـوـاحـدـ فـيـ عـبـادـتـهـ ، فـلـاـ يـعـمـ الـمـرـاتـبـ كـمـاـ يـعـمـهـ أـحـدـ لـمـ يـحـسـنـ جـعـلـهـ فـيـ سـوـرـةـ التـوـحـيدـ لـمـ يـرـادـ بـهـ مـنـ نـفـيـ مـطـلـقـ الإـشـارـةـ رـدـاـ عـلـيـهـمـ حـينـ قـالـوـاـ : هـذـهـ آلهـتـنـاـ نـشـيرـ إـلـيـهـاـ فـأـشـرـ أـنـتـ إـلـىـ إـلـهـكـ ، فـأـنـزـلـ اللـهـ سـُورـةـ التـوـحـيدـ بـالـأـحـدـ الـذـيـ لـاـ يـجـامـعـ مـطـلـقـ الإـشـارـةـ وـلـوـ عـقـلـيـةـ وـلـوـ فـيـ بـعـضـ

المظاهر إذ لا يفقد في شيء ، قال تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(١) ، يعني في غيبتك وفي حضرتك^(٢) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا كَنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾^(٣) ، وذلك بعد أن أتى بقوله : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾^(٤) ، لأنَّه نَبَهَ بالهاء إلى ثابت ، وأنَّه ليس في جهة وإلا لكان مقصداً للإشارة بالواو التي يُشار بها إلى نفي الجهات الست ، و﴿اللَّهُ﴾ عَلِمَ بالتلقيب في الاستعمال على الذات الموصوف بجميع الكلمات المنزَّه عن كل ما يستلزم النقصان ، وقال الخليل بن أحمد أنه مرتجل لقوله تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيَّاً﴾^(٥) ، ولأنَّه لو حكمنا باشتراك كل اسم لزم الدور أو التسلسل ، فلا بد أن تؤول الأسماء إلى جامد ، ولأنَّه يكون هو الاسم الكريم أولى ، والحق أنه مشتق .

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣.

(٢) قال الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فما فُقدَ في العبودية وُجدَ في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أُصِيبَ في العبودية ، قال الله تعالى : ﴿سَرِّيْهُمْ إِيْنَتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْشِيْرِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَحَقُّ أَوَلَمْ يَكُفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت : ٥٣] ، يعني موجود في غيبتك وفي حضرتك) .

انظر مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسیر الأصفى للفیض الكاشاني : ٢ / ١١٢١ ،

وتفسیر نور الثقلین : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧.

(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ١٧.

(٤) سورة التوحید ، الآية : ١.

(٥) سورة مریم ، الآية : ٦٥.

الخلاف في اشتقاق اسم الجلال

واختلف فيما اشتق منه^(١) ، فقيل : إنه مشتق من لَأَهُ الشَّيْءِ إذا خفي^(٢) ، وقيل : من لَأَهُ بمعنى تحير لتحير العقول في عظمته^(٣) ، وقيل : من لَأَهُ بمعنى غاب لأنَّه لا تدركه الأَبْصَار ، وقيل : من لَأَهُ بمعنى بعُد لبعد كنهه عن الإدراك ، وقيل : من أَلَهُ بالمقام إذا أقام به لعدم تغييره وتنقله ، وقيل : مَنْ لَأَهُ يلُوْهُ بمعنى ارتفاع لارتفاع عز جلاله عن تمييز الوصف ، وقيل : مِنْ وَلَهُ الفَصِيلُ بِأَمْهِ إذا ولَع بها ، لأنَّ العباد موهلون^(٤) أي مولعون بالتضرع إليه تعالى ، وقيل : من أَلَهُ بمعنى فزع ، لأنَّ الخلق يفزعون إليه ، وقيل : من أَلَهُ بمعنى سكن ، لأنَّ الخلق يسكنون إلى ذكره ، وقيل : من الإلهية وهي القدرة على الاختراع ، وقيل : من أَلَهُ بمعنى عبد^(٥) ، والإله هو المستحق للعبادة أو المألوه أي المعبد ، والأخير هو المروي عن أهل العصمة عليهم السلام^(٦) .

(١) انظر شرح أصول الكافي للمازندراني : ٣ / ١٠٠ .

(٢) انظر الصحاح للجوهري : ٦ / ٢٢٤٨ .

(٣) انظر بحار الأنوار : ٣ / ٢٢٦ .

(٤) كذا في الأصل .

(٥) انظر بحار الأنوار : ٣ / ٢٢٦ .

(٦) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (الله معناه المعبد الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه ، والله هو المستور عن درك الأَبْصَار ، المحجوب عن الأوهام والخطرات) .

وكلّ جهات الاشتقات المذكورة باعتبار عزته لا بُعد فيها ، فلما وقع محمولاً على هو أو بدلاً منه أو حقيقة ما عُني بالشأن منه وهو أي هو نبَّه على ثابت بكتابه هُويَّته بالهاء غائب عن إدراك العقول والحواس لا يطلب في جهة من الجهات الستّ الظاهرة والباطنة لخفاء ظهوره بالواو ، ومحمولاً عليه أحد الذي يدل بأصل وضعه على البساطة المعرّاة عن الجزئية والكلئية والجزء والكلّ والعموم والخصوص والإطلاق والتقييد وغير ذلك ، وعن مقصد الإشارة مطلقاً ، يعني لا في الوقت ولا في المكان ولا في الرتبة ولا في الجهة ولا في الكم ولا في الكيف ولا في غير ذلك ، كان أي الله مراداً منه مفad المحمولية والموضوعية الذي هو مقتضى صحة التوسيط ومفيداً لهم بالإطلاق التغليبي الاستعمالي بالذات وبالصّفة الاتصاف بصفات القدس وصفات الإضافة وبصفات الخلق ، ولأجل ذلك ناسب أن تكون هذه السورة سورة التوحيد وحسُنَ توجيهه مَنْ وجَه قوله عليه السلام : (إن الله علم أنه سيكون أقوام متعمقون ، فأنزل سورة التوحيد ، والأيات من سورة الحديد)^(١) أنَّ المراد أنَّه سبحانه أراد

= وقال الباقر عليه السلام : (الله معناه المعبد الذي أله الخلق عن درك ما هيته والإحاطة بكيفيته) .

انظر توحيد الصدوق باب ٤ باب تفسير قل هو الله أحد إلى آخرها ح ٢ .

(١) الكافي : ١ / ٩١ ح ٣ ، وتوحيد الصدوق : ٢٨٣ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٦٤ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٢٣٦ ح ٥ .

إعجازهم بهما بحيث لا يبلغون المراد منها ، لأن المراد ليقتصروا عليهم .

وقال الباقر عليه السلام : (الله معناه المعبود الذي أَلَّهُ الخلق عن درك ماهيّته ، والإحاطة بكيفيّته) ^(١) .

وقال عليه السلام : (الأَحَدُ الفردُ المُتَفَرِّدُ ، والأَحَدُ وَالوَاحِدُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ) ^(٢) قوله عليه السلام : (بمعنى واحد) فيما يجتمعان فيه بالوصف لا فيما يفترقان فيه ، وقد مررت الإشارة إلى ذلك .

بيان معنى الصمد

وعنه عليه السلام عن أبيه عن أبيه الحسين بن علي عليهم السلام أنه قال : (الصمد الذي لا جوف له ، والصمد الذي قد

(١) توحيد الصدوق : ٨٩ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٢ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٢٣٤ .

(٢) توحيد الصدوق : ٩٠ باب ٤ تفسير « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » [الإخلاص: ١] ح ٢ ، وتفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٦ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٢ . ولفظه في التوحيد : قال الباقر عليه السلام : (الأَحَدُ الفردُ المُتَفَرِّدُ ، والأَحَدُ وَالوَاحِدُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَهُوَ الْمُتَفَرِّدُ الَّذِي لَا نَظِيرٌ لَهُ ، وَالْتَّوْحِيدُ إِلَقْرَارُ الْوَحْدَةِ وَهُوَ الْأَنْفَارُ وَالْوَاحِدُ الْمُتَبَاينُ الَّذِي لَا يَنْبَعِثُ مِنْ شَيْءٍ وَلَا يَتَحَدُّ بِشَيْءٍ ، وَمَنْ ثَمَّ قَالُوا : إِنَّ بَنَاءَ الْعَدْدِ مِنَ الْوَاحِدِ وَلَيْسَ الْوَاحِدُ مِنَ الْعَدْدِ ، لَأَنَّ الْعَدْدَ لَا يَقْعُدُ عَلَى الْوَاحِدِ بَلْ يَقْعُدُ عَلَى الْأَثْنَيْنِ فَمَعْنَى قَوْلِهِ : « أَلَّهُ أَحَدٌ » [الجن : ٢٢] المعبود الذي يألهُ الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه) .

انتهى سؤدده ، والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب ، والصمد الذي لا ينام ، والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال^(١) .

فال الأول : هو الذي لا مدخل فيه لغيره من مباين أو مماثل أو مشابه أو مشارك من ذات أو صفة أو فعل أو أثر من جميع المداخل والإدراكات ولو بالفرض والاعتبار أو التوهم والتّجويز .

والثاني : هو الذي يستغني عن سواه ، ويحتاج إليه من سواه ، ولا تتمكن فيه المساواة بينه وبين من سواه ، لأن احتياج كلّ منْ سواه إليه صفة كمال والمساواة تستلزم فوائتها وعدتها نقص لا يجري على الوجوب والغنى المطلق .

والثالث : هُوَ الذي لا يحتاج إلى مدد من غيره من طعام وشراب ظاهرين أو باطنين كالتعلم ، فإن العلم طعام وشراب قال تعالى : «فَلَيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ»^(٢) أي إلى علمه من أين يأخذه ؟ «أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبَّبْنَا»^(٣) أي العلم ، وكعبادة الغير ، ومنه قوله عليه السلام في حق الملائكة : (طعامهم التسبيح والتقديس)^(٤) ، وكالوجود أو الإيجاد قال العسكري عليه

(١) توحيد الصدق : ٩٠ / ٣ ، ومعاني الأخبار : ٧ / ٣ ، ونور البراهين : ١ / ٣٥ ح ٢٣٥.

(٢) سورة عبس ، الآية : ٢٤ .

(٣) سورة عبس ، الآية : ٢٥ .

(٤) تفسير فرات الكوفي : ١٨٥ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٩٢ ، وشرح الأسماء الحسنی : ٢ / ٥١ وفيهما : (... وشرابهم التقديس) .

السلام : (وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة) ^(١) وكالاستعانة والاستجارة وأمثال ذلك ، ويجمعها الحاجة الممتنعة من الأزل .

والرابع : هو الذي لا تجري عليه الغفلات ولا البدوات كالرضا والغضب والغفلة والتوجّه والنوم واليقظة والذكر والنسيان وما أشبه ذلك من صفات الأفعال .

والخامس : هو الذي لا تتغير ذاته ولا تتبدل صفاته ولا تختلف حالاته ، وقال الباقي عليه السلام : (كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول : الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره) ^(٢) ، يعني الذي اعتماد وجوده وصفاته وقوامه بذاته ، وقال : (الصمد

(١) قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام : (قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سبع طبقات أعلام الورى بالهدایة ، فنحن ليوث الوغى وغيوث الندى وطعناء العدى فيما السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل ...) ، فالكليم ليس حالة الاصطفاء لما شاهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة ... وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة قطرة من بحر الحكمة) المراقبات للتبريزی : ٢٤٥ ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧ ، ومجمع التورين للمرندي : ٣٠٦ .

(٢) توحيد الصدوق : ٩٠ ح ٣ ، ومعاني الأخبار : ٧ ح ٣ ، وتفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٧ ، ومصباح الکفعمي : ٣٢٩ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٣ . ح ٢ .

السيد المطاع الذي ليس فوقه أميرٌ وناهيٌ^(١) ، يعني الذي يدخل كلّ من سواه تحت قهاريته ، ولا يدخل تحت قهارية أحد .

وسائل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال : (الصمد الذي لا شريك له ، ولا يئوده حفظ شيء ، ولا يعزب عنه شيء)^(٢) ، يعني الصمد هو الذي تفرد بالصفة ، والفعل والملك والعبادة ، وبه قوام كلّ شيء ، ولا يغفل عن شيء .

وعن زيد بن علي بن الحسين عليه السلام : (الصمد هو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، والصمد الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً ، وتفرد بالوحدة بلا ضدٍ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ)^(٣) يعني هو العام القدرة ، فليس عنده إيجاد شيء أسهل من إيجاد آخر ، وهو الذي يخترع أصناف البدائع على ما يطابق الحكمة البالغة من غير أن يحذو فيها حذو غيره وهو الفرد الأحد المعنى ، فلا ضد له يخالف ذاته ولا شكل له غير علمه الذي هو ذاته ولا مثل له إلا ما عرّف من صفاتِه وأظهر من آياته ، ولا ند له مشارك في صفاتِه الذاتية .

(١) نور البراهين : ١ / ٢٣٦ ح ٣ ، وتوحيد الصدق : ٩٠ ح ٣ ، ومعاني الأخبار : ٧ ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٣ ح ١٢ .

(٢) نور البراهين : ١ / ٢٣٦ ح ٣ ، وتفسير مجمع البيان : ١٠ / ٤٨٧ ، ومعاني الأخبار : ٧ ح ٣ .

(٣) توحيد الصدق : ٩٠ ح ٤ ، ومعاني الأخبار : ٧ ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٣ ح ١٣ .

وعن الصادق عليه السلام جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليهم السلام : (إِنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ كَتَبُوا إِلَى الْحَسِينِ بْنِ عَلَى عَلَيْهِمَا السَّلَامِ يَسْأَلُونَهُ عَنِ الصَّمْدِ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِمْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمَا بَعْدَ : فَلَا تَخُوضُوا فِي الْقُرْآنِ ، وَلَا تَجَادِلُوا فِيهِ ، وَلَا تَكَلَّمُوا فِيهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَلِيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ . وَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ فَسَرَ الصَّمْدَ فَقَالَ : ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ، ثُمَّ فَسَرَهُ فَقَالَ : ﴿لَمْ يَكُلْدُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ﴿لَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾^(١) : ﴿لَمْ يَكُلْدُ﴾ لَمْ يَخْرُجْ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيفٌ كَالْوَلْدِ وَسَائِرُ الأَشْيَاءِ الْكَثِيفَةِ الَّتِي تَخْرُجُ مِنَ الْمُخْلوقِينَ ، وَلَا شَيْءٌ لَطِيفٌ كَالنَّفْسِ ، وَلَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ الْبَدَاوِاتُ كَالسُّنَّةِ وَالنُّومِ وَالخَطْرَةِ وَالهَمِّ وَالْحَزْنِ وَالْبَهْجَةِ وَالضَّحْكِ وَالبَكَاءِ وَالخُوفِ وَالرَّجَاءِ وَالرَّغْبَةِ وَالسَّأْمَةِ وَالجُوعِ وَالشَّيْعَ ، تَعَالَى أَنْ يَخْرُجَ مِنْهُ شَيْءٌ وَأَنْ يَتَوَلَّدْ مِنْهُ شَيْءٌ كَثِيفٌ أَوْ لَطِيفٌ ، ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ : لَمْ يَتَوَلَّدْ مِنْ شَيْءٌ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ شَيْءٌ كَمَا تَخْرُجُ الأَشْيَاءُ الْكَثِيفَةُ مِنْ عَنَاصِرِهَا كَالشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ وَالدَّابَّةِ مِنَ الدَّابَّةِ وَالنَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ مِنَ الْيَنَابِيعِ وَالثَّمَارِ مِنَ الْأَشْجَارِ ، وَلَا كَمَا تَخْرُجُ الأَشْيَاءُ الْلَّطِيفَةُ مِنْ مَرَاكِزِهَا كَالبَصَرِ مِنَ

(١) سورة التوحيد ، الآية : ١ - ٤ .

العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيّته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، «وَلَمْ يَكُنْ لِهِ كُفُواً أَحَدٌ»^(١) .

وعن جابر بن يزيد قال : سألتُ أبا جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال : (إن الله تبارك وتعالى أسماؤه التي يُدعى بها ، وتعالى في علوٍ كنجه ، واحد توحد في التوحيد في علوٍ توحيد ، ثم أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدوس ، يعبده كل شيء ، ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علمًا)^(٢) .

فأشار إلى أن الصمد هو الذي يعبده من سواه وهو الذي يصمد إليه في الحاجات ، وهو الذي أحاط بكل شيء علمًا .

عن داود بن القسم الجعفري قال : قلتُ لأبي جعفر عليه السلام : جعلتُ فداك ما الصمد ؟

(١) توحيد الصدق : ٩٠ - ٩١ ح ٥ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٣ ح ١٤ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٢٣٦ - ٢٣٧ ح ٥ .

(٢) توحيد الصدق : ١٣٦ ح ٧ ، ونور البراهين للجزائري : ١ / ٣٤٥ ح ٧ . وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٤ / ٦١ ح ٢ .

قال : (السيد المصمود إليه في القليل والكثير)^(١) ، يعني الذي يحتاج إليه في كلّ شيء من خلق ورزق وحياة وممات وما يتشعب عنها ويترتب عليها ، وأشار بقوله : «لَمْ يَكُلْدَ وَلَمْ يُولَدَ»^(٢) إلى وصف المعبود المشار إليه بـ «هُوَ» ، المبين بقوله : «الله» ، الموصوف بـ «أَحَدٌ» ، الذي هو «الصَّمَدُ» ، الذي «لَمْ يَكُلْدَ» يعني لم يخرج منه شيء ذات أو صفة أو فعل ذاتي أو عرضي ، وذلك ما أشار إليه الحسين عليه السلام مفصلاً فيما كتب لأهل البصرة ، إذ من كان كذلك كان مختلفاً متغيراً متهافتاً ، «وَلَمْ يُولَدَ» يعني لم يخرج من شيء كما مرّ من ذات أو صفة أو فعل ذاتي أو عرضي ، على نحو ما مرّ في الحديث المذكور ، إذ لا زيادة على ما أشار عليه السلام إليه إلا مما هو متفرع عليه فلا نعيده .

«وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ» يعني لم يكفيه أي يشاكله ويماثله ويعادله ويساويه أو يخالفه أو يضاده أو يناده في ذاته أو في صفاته أو في فعله أو في عبادته أو في غناه ، وفاقة ما سواه إليه ، أو في قيمته أو في قيامه على كلّ نفس بما كسبت ، أو في

(١) الكافي : ١ / ١٢٣ باب تأويل الصمدح ١ ، وتوحيد الصدق : ٩٤ ح ١٠ ، ومعاني الأخبار : ٦ / ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٧١٠ ، وبحار الأنوار : ٣ / ٢٢٠ .

(٢) سورة التوحيد ، الآية : ٣ .

إحاطته بما سواه أو في تدبيره وتقديره أو في ملكه ، أو في تصرفه أو في أمره أو في هويته أو في إلهيته أو في أحديته أو في صمديته أو في استقلاله وتفرد़ه أو في ثباته على حاله أو في معرفته أو في آياته أو في أمثاله أو في كلامه أو في شيء ما ، أو ليس له صاحبة ولا ولد ولو فرضاً أو توهماً أو احتمالاً أو اعتباراً في كلّ جهة من جهاتِ الفروض المحتملة والتوهمات الجائزة في حال من الأحوال لا إله إلا هو الكبير المتعال .

أنواع الشرك الثمان

وقال بعض أرباب البيان : (وجَدْنَا أنواع الشرك ثمانية : النقص والتقلب والكثرة والعدد وكونه علة أو معلولاً والأشكال والأضداد ، فنفى الله سبحانه عن صفته نوع الكثرة والعدد بقوله : ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، ونفى التقلب والنقص بقوله : ﴿أَللَّهُ الصَّمَدُ﴾ ، ونفى العلة والمعلول بقوله : ﴿لَمْ يَكِلْدَ وَلَمْ يُؤْكَدْ﴾ ، ونفى الإشكال والأضداد بقوله : ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾^(١) فحصلت الوحدانية البحت)^(٢) ، انتهى .

(١) سورة التوحيد ، الآيات : ٤ - ١ .

(٢) هو أبو علي الروذباري ، انظر تفسير الشعبي : ٣٣٦ / ١٠ ، وتفسير مجمع البيان : ٤٨٩ / ١٠ .

الفرق بين أحد في أول سورة التوحيد وأخره

ثم اعلم أن ﴿أَحَدٌ﴾ في أول السورة - كما أشرنا لك - يدل على محض البساطة والوحدة العارية عن الكلية والجزئية والعموم والخصوص والتشكيك والتواطؤ والترادف وغير ذلك ، فلا يصح معرفته بإثباتات غيره ولا بنفيه كما مرّ ، وإنما تصح معرفته به عند نفي غيره ، فأحاديثه أحديّة حقيقة ، بخلاف ﴿أَحَدٌ﴾ في آخر السورة ، فإنّ أحاديثه أحديّة حقيقة لغوية ، أي على ما يعرفه أهل اللغة فصدقه على القليل والكثير إثباتاً ونفياً إنما هو بتناول لفظه المطلق لغةً ، بخلاف أحدٌ في أول السورة ، كما مرّ .

فضل سورة التوحيد

وروي أنّ النبي صلى الله عليه وآلـهـ بـعـثـ سـرـيـةـ ، وـاستـعـمـلـ عـلـيـهـ عـلـيـاـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـلـمـاـ رـجـعـواـ سـأـلـهـمـ ، فـقـالـوـاـ : كـلـ خـيرـ غـيـرـ أـنـهـ قـرـأـ بـنـاـ فـيـ كـلـ الصـلـاـةـ بـ﴿قـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ﴾ ، فـقـالـ : (يا عـلـيـيـ لـمـ فـعـلـتـ هـذـاـ؟ـ) .

قال : (لـحـيـيـ لـقـلـ هـوـ اللـهـ أـحـدـ) .

فـقـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهــ : (ما أـحـبـبـتـهاـ حـتـىـ أـحـبـبـكـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ) ^(١) .

(١) التوحيد : ٩٤ ح ١١ ، وسائل الشيعة : ٦ / ٤٩ ح ٧٣١١ ، وبحار الأنوار : ٣٦ / ٨٣ ح ٢٦ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآلـه : (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ حين يأخذ مضجعه غفر الله له عز وجل ذنوب خمسين سنة) (١) .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام : (إنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى سَعْدِ بْنِ مَعاذٍ ، فَقَالَ : لَقَدْ وَافَى مِنَ الْمَلَائِكَةِ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَفِيهِمْ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصْلَّوْنَ عَلَيْهِ . فَقَلَّتْ : يَا جَبَرِيلُ بِمَ اسْتَحْقَ صَلَاتُكُمْ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : يَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَرَاكِبًا وَمَاشِيًّا وَذَاهِبًا وَجَائِيًّا) (٢) .

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (من قرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ مرّةً واحدةً فكأنّما قرأ ثلث القرآن ، وثلث التوراة ، وثلث الإنجيل ، وثلث الزبور) (٣) .
وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

(١) مفتاح الفلاح : ٢١٣ ، والكافـي : ٢ / ٥٣٩ ح ١٥ ، وأمالـي الصـدوـقـ : ٦٤ ح ٢٧.

(٢) الكافي : ٢ / ٦٢٢ ح ١٣ ، وأمالـي الصـدوـقـ : ٤٨٦ ح ٦٤٥ ، والتـوحـيدـ : ٩٥ ح ١٣ .

(٣) تـوحـيدـ الصـدوـقـ : ٩٥ ح ١٥ ، ووسائل الشـيعـةـ ٦ / ٢٢٥ ح ٧٧٩٢ ، ونور البراهـينـ للـجزـائـريـ : ١ / ٢٤٤ ح ١٥ .

تفسير آية النور والمشكاة

قال سلمه الله تعالى : وآية النور من أولها إلى آخرها .

أقول : ي يريد تفسير آية النور وهي قوله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورٌ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثُلُّ نُورُهُ كِشْكُوْقٌ فِيهَا مِصَابُحٌ الْمِصَابُحُ فِي
نُجَاحَةٍ﴾^(١) إلى قوله : ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٢) ، بغير ما ذكره
المفسرون ، ولقد شافهني بذلك مراراً وكان هذا من أصعب الأمور
على النفس التفاتاً إلى قول الصادق عليه السلام : (ما كلُّ ما يُعْلَمُ
يُقَالُ ، وما كُلٌّ ما يُقَالُ حان وقته ، وما كُلٌّ ما حانَ وقتُه حضر
أهله)^(٣) ، ولننهي عليه السلام حيث يقول : (لا تحدُث بما تسارع
العقل إلى إنكاره)^(٤) ، ولكن الميسور لا يسقط بالمعسور .

فأقول : قال سبحانه : ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي
هادي من في السماوات والأرض ، ومُنْوِرُهم أي موجدهم بالنور
من النور ، ومزيّنُهم بالهادين من الأنبياء والأوصياء والعلماء
والمؤمنين ، ومعطيهم ما ينفعهم والمحسن إليهم والمنعم عليهم
وراحمهم ودليلهم إلى مصالحهم ودالُّهم على ما فيه نجاتهم .

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥.

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.

(٣) مختصر البصائر : ٢١٢ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ١١٥ ح ٢١ ، ومستدرك
سفينة البحار : ٩ / ٦٣ .

(٤) لم نجده فيما توفر لدينا من مصادر .

ومعنى أنه سبحانه نور السماوات والأرض بما ذكر ونحوه ، أنه أوجدهم بمشيّته وأقامهم بأمره وعرفهم نفسه بنفسه وأنفسهم بأنفسهم وفتح لهم أبواب رحمته بطاعته ، وخص السماوات والأرض بالذكر مع إرادة دخول ذلك المحدد والكرسي وسائر الأفلاك الكلية والجزئية لأنهما هما المعروfan عند عامة الناس ، وخص المذكورات بالذكر دون الملائكة والإنس والجن والشياطين وسائر الحيوانات لأنها مطارح الأنوار وخزائن الأسباب وعلل الأشياء .

ويجوز أن يكون المعنى أنه سبحانه ينور بالسماوات والأرض من فيهن من الخلائق بما جعل فيها من أسباب أرزاقهم وما يوعدون ، وأن يكون المعنى أنه سبحانه نور السماوات والأرض بالصالحين من خليقته ، أمّا بما يدعون إليه أو بما يدعونه له أو بما يدعون به أو بما يدعون فيه ، فإنّ البيوت التي يعبد فيها تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض ، أو المراد سماوات العقول بما فيها من أنوار معرفته وأرضى النفوس بما فيها من أنوار طاعته ، أو تحقيق أنوار تلك بهذه أو إظهار أنوار هذه بتلك أو لتلك بأنفسها ، فالله عزّ وجلّ نور السماوات والأرض بكلّ معنى ، والنور هو الظاهر في نفسه المظهر لغيره .

أمّا أنه سبحانه المظهر لغيره فكما أشرنا إليه فهو نور ، وأمّا أنه الظاهر في نفسه فلأن كلّ ظاهر سواء وإنما ظهر بفضل ظهوره

وغيّب ما سواه ظهوره فهو أظهر من كلّ ما سواه ، قال الحسين عليه السلام : (أَيْكُون لِغَيْرِكَ مِنَ الظَّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظَهَّرُ لَكَ ، مَتَى غَيْبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدْلِيلُ عَلَيْكَ ، وَمَتَى بَعْدَهُ حَتَّى تَكُونَ الإِشَارَةُ هِيَ الَّتِي تَوَصِّلُ إِلَيْكَ) ^(١) .

وذلك لأنّ الظاهر بظهور يكون أظهر من ظهوره وليس شيء من خلقه إلا وهو ظهوره ويجوز أن يكون معنى الظاهر في نفسه أنه ظاهر بمعناه أي بما يقصد بأسمائه وصفاته ومعرفته .

﴿مَثَلُ نُورٍ﴾ أي مثل هداه لما سواه أو إيجاده أو ما أشير

(١) من دعاء الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة قال عليه السلام : (إلهي تردد في الآثار يوجب بعد المزار ، فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك ، كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك ؟ ! أَيْكُون لِغَيْرِكَ مِنَ الظَّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظَهَّرُ لَكَ ؟ ! مَتَى غَيْبَتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدْلِيلُ عَلَيْكَ ؟ ! وَمَتَى بَعْدَهُ حَتَّى تَكُونَ الآثارُ هِيَ الَّتِي تَوَصِّلُ إِلَيْكَ ؟ ! عَيْمَتْ عَيْنُ لَكَ تَرَاكَ عَلَيْها رَقِيباً ، وَخَسِرَتْ صَفَقَةً عَبْدَ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبُّكَ نَصِيباً ، إلهي أَمْرَتْ بِالرُّجُوعِ إِلَى الآثارِ فَأَرْجَعْتِي إِلَيْكَ بِكُسوَةِ الْأَنوارِ ، وَهَدَائِيَةِ الْأَسْتِیصَارِ ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا ، مَصْوُنَ السُّرُّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْها ، وَمَرْفُوعَ الْهِمَةَ عَنِ الْأَعْتِمَادِ عَلَيْها ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، إلهي هذا ذُلّي ظاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ ، وَهذا حالي لا يَخْفِي عَلَيْكَ ، مِنْكَ أَظْلَبُ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، وَبَكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ ، فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ ، وَأَقْمِنِي بِصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ . . .) .

انظر مفاتيح الجنان : ٣٥٠ ، ومستدرك سفينة البحار : ١٠ / ٢٦٠ ، بحار الأنوار : ٦٤ / ١٤٢ الباب الرابع ، وج ٩٥ / ٢٢٦ ، وفيه : (الآثار التي توصل إليك) ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٩٠٧ ، وشرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ١ / ٥١ .

إليه سابقاً ، أو أنه لا يراد بهذا النور ما يراد من الأول ، والمراد بالمثل - بفتح الثناء - : الوصف أو الذكر أو الأثر أو نفس المضاف إليه ، أي مثلٌ هو نوره ، أو الدليل على نوره أو هيكل نوره ، والمراد من النور : الإيجاد أو الوجود أو الموجود أو هداه أو ظهوره أو نور الإيمان به في قلوب أهل السماوات والأرض ، أو هو القرآن أو نوره في صدور الذين أوتوا العلم ، أو سبحانه جلاله الدالة على توحيده في ذاته وصفاته وأفعاله وعبادته ، وعلى عدله أو أمره الذي قامت به السماوات والأرض ، أو وحيه أو وجهه الباقى بعد فناء كلّ شيء ، أو نوره الأدلة الدالة على توحيده ، أو مثل نور من آمن به كما في قراءة أبي ، أو نوره قيومية صمديته لمن صمد إليه ، أو هو محمد صلى الله عليه وآله كما دلت الأخبار المتکثرة عليه ، أو رسالته صلى الله عليه وآله ، قال تعالى : ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنْ أَنَّا نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ١٥ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِنَا﴾^(١).

أو هو الإمامة قال تعالى : ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صَرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(٢) ، أو العقل الأول وهو الاسم الذي أشرقت به السماوات والأرضون ، أو أنوار العرش الأربع ، أو العلم

(١) سورة المائدة ، الآياتان : ١٥ ، ١٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ١٦ .

مطلقاً ، أو في اللوح المحفوظ ، أو هو الولي عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَشَرَّقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَّبِّهَا ﴾^(١) وغير ذلك .

﴿ كَمِشْكَوْقَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ المشكاة الكوة في الحائط غير النافذة يوضع عليها الزجاجة ، ثم يكون المصباح خلف الزجاجة ، فينبعث نور المصباح من الزجاجة ، ويقع على حائط الكوة وينعكس منه إلى الزجاجة ، فيكون نور المصباح ونور الزجاجة ونور الحائط ينعكس بعضها على بعض .

والمصباح : السراج ، وقيل : المشكاة القنديل والسراج الفتيلة ، والأولى أن يقال : المصباح هو السراج المنير ، قال تعالى : ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسَرَاجًا مُّنِيرًا ﴾^(٢) ، والسراج هو مجموع النار والدهن ، وذلك أن النار بقوه حرارتها تلطف الأجزاء الدهنية المقاربة لها حتى تكون بحرارتها ويبوستها تحيط بها دخاناً فينفعل ذلك الدخان عن النار بالنور ، والحافظ للدخان أجزاء دهنية مقاربة للدخانية تنش لقربها من النار تمد الدخان المنفعل بالضوء عن النار بالتدرج لئلا يتلاشى الدخان ويضمحل فتنطفئ النار ، والفتيلة ركن للدهن في السراج لأن الدخان مستحيل من الدهن ومن الفتيلة ، ولا يلزم تساوي الأجزاء ولا أن يكون من الفتيلة .

وقال عبد الرزاق الكاشي : صفة وجوده وظهوره في العالمين

(١) سورة الزمر ، الآية : ٦٩.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٦.

بظهورهما به كمثل مشكاة فيها مصباح ، وهي الإشارة إلى الجسد الظلمانية في نفسه وتنوره بنور الروح الذي أشير إليه بالمصباح ، وتشبيكه بشباك الحواس وتلألؤ النور من خلالها كحال المشكاة مع المصباح^(١) .

﴿الْمِصَابُحُ فِي زِجَاجَةٍ﴾ أي السراج في زجاجة والزجاجة القلب المستنير بنور الروح أو العقل ، والفتيلة علقة الدم ، والدهن الدم الأصفر القائم بالعلقة الذي يحمل الطبائع الأربع ، والدخان ما اعتدل نضجه من أبخرة الدم الأصفر ، وقد يكون بمشاركة العلقة ، واستنارة الكوة من الزجاجة بإشراق المصباح عليها كاستنارة الجسد بنور الحياة وما يلزمها من القوى من القلب بإشراق الروح أو العقل عليه وهو مثل لذلك ، وذلك مثل لاستنارة العالم من المحدد بما يفيض على الأفلاك وما فيها من الأرواح^(٢) والقوى والأشعة المنبسطة منها على ما تتعلق به من العالم السفلي لانتظام الأقواس بإشراق العقل الأول عليه ، وظهوره بما أودع فيه من الخزائن ، المشار إليها بقوله تعالى : ﴿وَإِنْ مِنْ شَئٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ لَّهُ وَمَا تُوعَدُونَ﴾^(٤) ،

(١) اللمعة البيضاء للتبريزى : ١٦٤ ، وتفسير ابن عربى : ٢ / ٧٠ .

(٢) في نسخة أخرى : الأرواح .

(٣) سورة الحجر ، الآية : ٢١ .

(٤) سورة الذاريات ، الآية : ٢٢ .

فهو بما أودع من الخزائن وأعينَ من التسخير للأفلاك يقدر لها ما
أُودع فيها من التقدير الذي به النظام .

﴿الْرُّجَاجَةُ كَانَهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ أي كوكب يشبه الدرّ في صفائمه
بضم الدال وتشديد الياء وقد تكسر الدال ، وقرىء بتحقيق الياء
والهمزة بعدها مِنْ درًّا لأنَّه لشدة نوره يدرأ الظلام ، أي يدفع ،
أي ذلك القلب كأنه كوكب يشرق بجوهرية صفائمه ونوريته ، وبما
يسرق عليه من نور الروح .

فإن قلت : فأي إشراق في المحدد المشبه بالزجاجة
المشرقة ؟

قلتُ : إنَّ إشراقه على الأفلاك وما فيها من الكواكب أعظم
من إشراق الكوكب الدرّي لأنَّه صاحب التسخير لها فهو يمدّها
بقوته ، ويمد الشمس بعقله فتمد زحل والقمر ويمدّها بنفسه ،
فتمدّ الشمس المشتري وعطارد ويمدّها بطبيعته ، فتمدّ المريخ
والزهرة ، فهو بحركته يقدر مكث أشعتها على مطارحها من العالم
السفلي ، فلا إشراق أعظم من هذا .

﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَرَّكَةٍ زَيْوَنَةٍ﴾ الشجرة شجرة الزيتون
ودهنها أصفر من سائر الأدهان وأضوء ، لاسيما في السراح .

وقيل : إنها أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان ومنبتُها
مَنْزِل الأنبياء عليهم السلام ، وسُمِّيت مباركة لأنَّه قد بارك فيها
سبعون نبياً منهم إبراهيم عليه السلام .

والشجرة هي النفس وتطوراتها وتشعب تعلقات أفعالها كل منها بما يليق له من الجسد والجسم أغصان لها ، وما يترتب على ذلك من الأحكام الوجودية والشرعية ثمرات لها ، قال تعالى : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ﴾ أي الأجساد والأجسام أو أنه جمع جبلة وهي الطبيعة ، وذلك على تفسير ظاهر الظاهر ، ﴿بِيُوتًا﴾ وهي مطارح ارتباطاتها وأفعالها من الأجساد والأجسام والطبايع ، ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ أي النفوس كما مرّ ، ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾^(١) من تعلقات أفعال النفس بالأجساد والأجسام والطبايع ، ﴿ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الْثَّمَرَاتِ﴾^(٢) وهي مقتضيات تلك النسب الحاصلة من تلك التعلقات المقتضية للأحكام الشرعية المستلزمة بامتثالها والقيام بها لاستنارة القلب والطبيعة ، والجسم والجسد ، بنور العقل والروح ، لاستمدادها بتلك الأعمال بواسطة العقل والروح من المبدأ الفياض .

والشجرة هي الشجرة الكلية والحقيقة المحمدية ومقام ﴿أَوْ أَدْنَى﴾^(٣) ، والمشيئة والإرادة والإبداع والاختراع ، سُمِّيت بذلك لتشعب وجوه تعلقاتها بذرات الوجود التي لا تنتهي في مراتب الإمكان شعوبًا وقبائل ، فمنها شعب ومنها غصون كلية ومنها

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٨ .

(٢) سورة النحل ، الآية : ٦٩ .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٩ .

غضون جزئية ومنها ورق ، ومما ذكر أ��وان وأعيان ومقدرات ومقضيات ومُمضيات وإمكانات وجواهر وأعراض وإضافات ونسب وأوضاع وكتب وآجال وأوقات وغير ذلك .

وهي مباركة لبركة آثارها قال تعالى : ﴿أَنْ بُورَكَ مَنْ فِي الْأَنَارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١) .

أو هي شجرة الإخلاص لله وحده لا شريك له في مراتب التوحيد الأربع ، فإنها شجرة خضراء ناعمة طيبة مباركة ﴿تُؤْتَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٢) .

﴿لَا شَرِقَيَّةٌ وَلَا غَرْبَيَّةٌ﴾ لا يفيء عليها ظلّ شرق ولا غرب ، بل هي على سواء الجبل تطلع الشمس عليها وتغرب ، أو ليست بشرقية لا تصيبها الشمس إذا غربت أو إلّا إذا غربت ، ولا غربية لا تصيبها الشمس إذا طلعت أو إلّا إذا طلعت .

أو ليست من شجر الشرق فتغلب عليها حرارة الجهة فيضعف زيتها ولا من شجرة الغرب فتسولي عليها البرودة كذلك ، لكنها من شجرة الشام الذي جهته أقرب إلى اعتدال الشجر .

أو أن الشجرة شجرة النبوة وهي إبراهيم عليه السلام لأن أكثر

(١) سورة النمل ، الآية : ٨.

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٥.

الأنبياء عليهم السلام منه ، وذلك آثار البركة قال تعالى : ﴿ وَبَرَّكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَّقَ إِسْحَاقَ ﴾^(١) .

أو لأن النبي صلى الله عليه وآله وآلله عليهم السلام من صلبه الذي هم أصل البركة وفرعها ومصدرها وموردها ، وتلك الشجرة لا شرقية أي نصرانية تصلي إلى الشرق ، ولا غربية أي يهودية تصلي إلى الغرب ، قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا ﴾ ، ولكنه على سواء الصراط : ﴿ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾^(٢) .

أو لا شرقية مدعية لحال الطلوع من شرق الصدور من النور كالروح المجردة عن الارتباط وتعلق الانحطاط ، ولا غريبة منكرة لمبدئها لغلبة طبيعتها وغلوظ مادتها كال أجسام ، بل هي على سواء الصراط جامعة بين انكسار الانحطاط وقوّة الانبساط ، أو مطمئنة لا أمارة بالسوء ولا لؤامة على الخير والشر بل مطمئنة ، أو لا شرقية غالبة ولا غريبة قالية ، أو لا شرقية مسرفة ولا غريبة مقترة ، أو لا شرقية متعرّزة على المؤمنين بل هي ذليلة عليهم ، ولا غريبة متذللة للكافرين بل عزيزة عليهم ، أو لا شرقية ناصبة للدين ولا غريبة تابعة للجاحدين بل شاكرة لنعمة رب العالمين ، أو لا شرقية تثبت الألوهية والمعبودية لشيء من المخلوقين ولا

(١) سورة الصافات ، الآية : ١١٣.

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٦٧.

غربيّة تعجَّدُ ولا ية أمير المؤمنين عليه السلام ، أو لا مدعية ما لا
ليس لها ولا منكرةً لما لها ، أو لا قانطة من رحمة الله ولا آمنة
لمكرِ الله .

﴿يَكَادُ زَيْتَهَا يُضَىءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّسْ نَارٌ﴾ أي يكاد قابليتها
تظهر في الكون والتحقق لشدة تأهيلها للوجود وقربها من فوارة
النور بما لها من رجحان زيتها قبل الإيجاد ، أو يكاد زيتها لصفاته
في نفسه وانعكاس نور الزجاجة عليه بمعونة انعكاس ما في
المشاكاة يظهر في نفسه ويظهر غيره ولو لم تمسسْ نار ينفعل
عنها ، وذلك لقوّة نضجه واعتدال هوائه وحسن منبته ، أو تكاد
النفس الأئمّة واللوامة التي كانت فيه صلی الله علیه وآلہ لحفظ
وجوده أن تفني ظلمتها لقربها من المبدأ ولقلة ظلمتها ، لأنها هي
رأس مخروط الظلمة الضدية للعقل ، فتكون بذاتها مُظْمَئنةً وإن لم
يستول عليها نور العقل ، أو تكاد الأرض الميتة وأرض الجرز
التي هي مغرس أغصان الحكمة ومنشأ هياكل التوحيد^(١) ،

(١) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة؟) قال : ما لك والحقيقة؟
قال : أو لست صاحب سرّك؟ قال : بلـ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني!
قال : أو مثلـ يُخـيب سائلاً؟ قال : الحقيقة كشف سبعـات الجلال من غير
إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال :
زدني فيه بياناً . قال : هتك الستـ لغلبة السـ . قال : زدني فيه بياناً . قال :
جذب الأحاديـة بصفة التوحـيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من
صبح الأزل فتلـوح على هيـاكل التـوحـيد آثارـه . قال : زدني فيه بياناً . قال : =

وأرض الإمكان التي هي ذوات محمد وأهل بيته صلى الله عليه وآلـهـ أن تنبت بتلك الأشجار المباركات والأغصان الباسقات ، ولو لم يقع عليها ماء الوجود من سحاب المشية المتراكـمـ أو تـكـادـ المـاهـيـةـ أن تـنـوـجـدـ لـقـرـبـ رـتـبـتهاـ منـ الـمـبـدـأـ ، لأنـ رـأـسـ مـخـروـطـهاـ مـساـوقـ لـقـاعـدـةـ الـوـجـودـ بـالـنـسـبـةـ إـلـىـ الـإـيجـادـ وـالـاخـتـرـاعـ قـبـلـ أـنـ تـوـجـدـ بـتـبـعـيـةـ الـوـجـودـ .

﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ يعني أن المشكاة المستنيرة بنور الزجاجة المنيرة بذاتها المستنيرة بالمصباح المنير نور على نور ، أو أن صدر محمد صلى الله عليه وآلـهـ أو صدر علي عليه السلام ، أو الأئمة عليهم السلام أو المؤمن المستنير بنور القلب المنير بذاته المستنير بنور العقل أو الروح أو العلم نور على نور .

أو أن الأمثال والأدلة المؤيدة بنور الحكمة أو العقل أو العلم المستندة إلى القرآن المستنيرة بمحكم ظاهره وظاهره وباطنه وباطن باطنه وتأويله وباطن تأويله نور على نور .

أو أن مشكاة ابراهيم وزجاجة اسماعيل ومصباح محمد صلى الله عليه وآلـهـ نور على نور ، أو أن مشكاة عبد المطلب وزجاجة عبد الله ومصباح محمد صلى الله عليه وآلـهـ نور على نور ، أو هو

= إطف السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٣٣ ،
وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للأملي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ١ . ٢٢٢

المؤمن المستغرق في الله إن أعطي شكر ، وإن ابتلي صبر ، وإن حكم عدل ، وإن قال صدق ، وإن وعد وفى ، وإن ظلم عفا ، وإن نظر اعتبر ، وإن صمت فكر ، وإن تكلم ذكر فهو حي بين الأموات كلامه نور وصيته نور وعلمه نور ونظره نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى نور ، فهو نور على نور ، أو حسنه نور وفكرة نور وخياله نور وعلمه نور وقلبه نور وفؤاده نور فهو نور على نور .

﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ﴾^(١) ، يعني يهدي الله لمعرفته ومعرفة معانيه وأبوابه ورسله وأوليائه ومحببيهم من شاء ، أو يهدي الله لدینه وإيمانه من يشاء ، والدين والإيمان والمعرفة قد يجتمع بعضها مع بعض وقد يفترق ، فيبين كُلُّ و كُلُّ عموم وخصوص من وجه ، أو يهدي الله لإنجاته من يشاء أو للنبوة والولاية أو للإسلام ، أو لمعرفة نفسه المستلزم لمعرفة ربها ، أو لهداه قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَاهُمْ أَفَتَدِهُ ﴾^(٢) .

أو لمعرفة القرآن ، أو الارتداء بهداه ، أو لل بصيرة في الدين ، أو لمعرفة الأشياء كما هي ، أو لمعرفة الوجود المستلزم لمعرفة المعبد ، أو لمعرفة التقوى واليقين ، أو لمعرفة التفقه أو الأحكام

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥.

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩٠.

الشرعية ، أو للعلم والعمل ، أو للتقرب بالتوافل المستلزم للمحبة الموجبة للعلم بالله والقيام بأمر الله .

﴿ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ بخلقهم أنفسهم وبخلق الأشياء كإنزال المطر مثلاً للدنيا وللبعث ، وكالآيات الدالة على الأبواب الدالة على المعاني الدالة على التوحيد ، وآيات الأنفس والأفاق وضرب الأمثال للخلق من أنفسهم ، وبآياته الدالة على توحيده ونبوة محمد صلى الله عليه وآلله وولاية الأئمة عليهم السلام وبها لأوليائه عليهم السلام ، قال تعالى : ﴿ وَكَانَتْ مِنْ آيَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَرِّضُونَ ﴾^(١) ، وقال : ﴿ سَرِّيْهُمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ ﴾ كما ضرب هنا لنوره نور محمد وأهل بيته عليهم السلام بالمشكاة والزجاجة والزيت والسراج ، ﴿ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَقٌّ يَبَيَّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾^(٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ ﴾^(٣) ، وغير ذلك .

والآمثال : جمع مثل محركاً ، كسبب وأسباب ، أو جمع مثل بكسر ميم وسكون الثاء كحمل وأحمال ، فال الأول تشبيه لصفة المؤثر بإيجاد الأثر ، والثاني تمثيل لصفة المؤثر بصفة الأثر ، ويضرب الله الأمثال للحق ، لأن الحق بالمثال والباطل بالجدال .

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٢١ .

﴿وَاللَّهُ يُكْلِلُ شَنِئَ عَلِيمٌ﴾^(١) بما يوافق الطباع المتباعدة
والأذواق المختلفة في تعريفهم ودعائهم لما يحييهم بالمثال
والمثال والحكمة والجدال والأسواق والأحوال ، وبالأفعال
والأقوال وبالعلوم والأعمال ، وذلك لطف بالمكلفين ليدعوه
بالي هي أحسن إقامة للحججة عليهم ﴿لِيَهُلَكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ
بَيْنَةٍ﴾^(٢) .

وعن الباقي عليه السلام : (إن قوله ﴿كِمْشَكَوَةٌ فِيهَا
مِصْبَاحٌ﴾ ، وهو نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله ،
و﴿الزُّجَاجَةُ﴾ صدر علي عليه السلام علمه النبي صلى الله عليه
وآله فصار صدره ، ﴿يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيَّهُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ﴾
يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله يتكلّم بالعلم قبل أن
يُسأل ، ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في أثر
إمام من آل محمد صلى الله عليه وآله ، وذلك من لدن آدم إلى
وقت قيام الساعة ، هم خلفاء الله في أرضه وحججه على خلقه لا
تخلو الأرض في كلّ عصر من واحد منهم)^(٣) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٢.

(٢) سورة الأنفال ، الآية : ٤٢.

(٣) توحيد الصدوق : ١٥٨ ح ٤ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ١ / ١
٢٤٠ ، والصراط المستقيم : ٢ / ٤٢ ، وانظر بحار الأنوار : ٢٣ / ٢٣١
ح ١٧ .

وعن أحدهم عليهم السلام ما معناه : (﴿مَثُلُّ نُورِنَا﴾) هو محمد صلى الله عليه وآله ، (﴿كَمِشْكَوْر﴾) هو صدر علي عليه السلام ، (﴿فِيهَا مِصْبَاح﴾) نور العلم من محمد صلى الله عليه وآله في صدر علي عليه السلام ، (﴿الْمِصْبَاحُ فِي زَجَاجَة﴾) هو الحسن بن علي عليه السلام ، (﴿الْزَجَاجَة﴾) هو الحسين عليه السلام ، (﴿كَانَهَا كَوَكْبُّ دُرَّي﴾) فاطمة عليها السلام تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض ، (﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَة﴾) علي بن الحسين عليه السلام ، (﴿مُبَرَّكَة﴾) محمد بن علي الباقي عليه السلام ، (﴿زَيْتُونَة﴾) جعفر بن محمد عليه السلام ، (﴿لَا شَرِيقَة﴾) موسى بن جعفر عليه السلام ، (﴿لَا غَرِيْبَة﴾) علي بن موسى عليه السلام ، (﴿يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيَّءُ﴾) محمد بن علي الجواد عليه السلام ، (﴿وَلَوْ لَمْ تَمَسَّسْهُ نَار﴾) علي بن محمد الهادي عليه السلام ، (﴿نُورٌ عَلَى نُور﴾) الحسن بن علي العسكري ، (﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِنَا مَنْ يَشَاءُ﴾) ^(١) القائم المهدي عليه السلام ^(٢).

وروى أحاديث كثيرة بتفسير هذه الآية الشريفة بالأئمة عليهم السلام بغير هذه الرواية وبغير ترتيبها ^(٣) ، وهذا الاختلاف مع

(١) سورة النور ، الآية : ٣٥.

(٢) تفسير نور الثقلين : ٣ / ٦٠٢ ح ١٦٩ ، وشرح أصول الكافي : ٥ / ١٨٠ .

(٣) انظر أصول الكافي : ١ / ١٩٥ ح ٥ .

اتفاق معانيها فيهم عليهم السلام ، وهذا الذي أشرنا إليه فيه كفاية لأولي الألباب في بيان هذه الآية الشريفة .
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه .

الفرق بين النبوة والولاية

قال سلمه الله تعالى : وحقيقة الفرق بين النبوة والولاية .
أقول : النبي في ظاهر اللغة هو الإنسان المخبر عن الله بغير واسطة بشر ، سواء كان له شريعة كالرسول صلى الله عليه وآلـه وسائر الرسل عليهم السلام ، أم لا كيحيى عليه السلام وسائر الأنبياء عليهم السلام .

وهو مشتق من أنباء أي أخبار عن الله سبحانه ، أو من نبأ ينبو بمعنى ارتفع لأنـه ارتفع وشرف على غيره .

الفرق بين النبي والرسول

وربما فرق بين النبي والرسول أنـ النبي من ليس له شريعة والرسول له شريعة ، وبأنـ النبي صلى الله عليه وآلـه يرى في منامـه ويسمع الصوت ، ولا يعاينـ الملك الذي يوحـى إليه في الإيحـاء والرسول يرى في المنام ويسمع ويعـاينـ .

والرسول : قد يكونـ من غيرـ البشر ، بخلافـ النبي .
ورويـ أنـ الأنـبياء مئـة ألفـنبي وعشـرون ألفـنبي أو أربـعة

وعشرون ألفنبي على اختلاف الروايتين ، المرسلون منهم ثلاثة مئة وثلاثة عشر رسولاً كعدة أصحاب بدر ، وكعدة أصحاب القائم عليه السلام .

معنى الولاية

وأَمَّا الْوِلَايَةُ بِفَتْحِ الْوَاءِ : فَهِيَ الرِّبُوبِيَّةُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

﴿ هُنَالِكَ الْوَلَيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ ﴾^(١) .

وقد تكسر الواو وبالكسر بمعنى ولاية السلطان والملك وقد تفتح الواو ، فالولي هو المتأول للأمور وتدبرها والمربي لها ، فالنبوة هي إخبار ورسالة عن أمر الملك ونهيه ولولاية هي تولى سلطنة الملك ومملكته وتدبرها والنظر فيها ، والنبي لما كان حاملاً لأمر الملك ونهيه إلى الرعية لزم أن تكون له ولاية ليتصرف في تبليغ الرسالة وتقويم الرعية على حسب مراد الملك ، فكانت الولاية لازمة للنبوة ولا عكس ، فكلّنبي ولي ولا عكس .

والأصل في ذلك أنّ الظاهر إذا ثبت دلّ على وجود الباطن والباطن لا يدل على وجود الظاهر ، فالولاية روح النبوة ونفسها ، قال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (أنت مني بمنزلة الروح من الجسد)^(٢) .

(١) سورة الكهف ، الآية : ٤٤.

(٢) مجمع النورين للمرندى : ٢٦٨ ، ومشارق أنوار اليقين : ٩٠ - ٢٦٩ .

وقال صلی الله عليه وآلہ : (أنت نفسی التي بين جنبي)^(١) .

بيان معنی أن الولاية باطن النبوة

قال سلمه الله تعالى : وما حقيقة الولاية باطن النبوة وما حقيقة معناها ؟

أقول : قد تقدم في المسألة التي قبل هذه جواب هذه المسألة فراجعه ، فإن النبوة الرفعة والشرف أو الإخبار عن مطلب الغير ولا يكون ذلك حتى يتسلط ويظطلع على وضع الأشياء من التكاليف مواضعها ولا يكون ذلك حتى يتولى من قبل الأمر على المكلفين ليتصرف كما أمر وهو الولاية فكانت الولاية باطن النبوة ، فافهم .

قال أيده الله تعالى : وما معنی الحديث : (داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عن الأشياء ، لا كخروج شيء من شيء)^(٢) .

(١) مشارق أنوار اليقين : ٢٥٦ .

(٢) محسن البرقي : ١ / ٢٤٠ ح ٢١٧ ، والكافی : ١ / ٨٦ ح ٢ ، وأمالی الصدوق : ٤٢٣ وتوحید الصدوق : ٢٨٥ ح ٢ .

ولفظه في الكافي : عن علي بن عقبة بن قيس بن سمعان بن أبي ربيحة مولى رسول الله صلی الله عليه وآلہ قال : سئل أمیر المؤمنین عليه السلام : بم عرفت ربک ؟ قال : (بما عرّفني نفسه) .

قيل : وكيف عرّفك نفسه ، قال : (لا يشبهه صورة ولا يحس بالحواس ولا يقاس بالناس ، قريب في بعده ، بعيد في قريبه ، فوق كل شيء ولا يقال شيء =

اعلم أنَّ الأَزلي داخِل فِي الْأَشْياء وَخَارِج مِنْهَا بِحَالٍ وَاحِدٍ فَهُوَ لَيْس دَاخِلًا فِيهَا وَلَا خَارِجًا مِنْهَا دَفْعَةٌ وَهَذَا لَا شَكٌ فِيهِ ، أَمَّا أَنَّه دَاخِل فَلَأَنَّه لَوْ لَم يَكُنْ دَاخِلًا لَخَلَتْ مِنْهُ وَمِنْ خَلَالِهِ مِنْ شَيْءٍ كَانَ مَحْصُورًا وَالْمَحْصُور حَادِثٌ لَا حِتْيَاجَهُ إِلَى الْمَكَانِ وَالْجَهَةِ فَإِنَّه يُقَال : هُوَ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا هَذَا الشَّيْءَ ، وَلَوْ لَم يَكُنْ خَارِجًا لَا شَتَّمَتْ عَلَيْهِ وَلَزَمَهُ الْحِوَايَةُ وَالْمَحْوَيُ حَادِثٌ لَا حِتْيَاجَهُ إِلَى مَا حَوَاهُ إِلَّا لَم يَحْوُهُ ، فَعَلَى هَذَا كَانَ دَاخِلًا خَارِجًا دَفْعَةً وَهُوَ مَعْنَى لَيْس بِخَارِجٍ وَلَا دَاخِلٍ دَفْعَةً ، وَيُلْزَمُ مِنْ ذَلِك أَنَّ خَرْوَجَهُ لَيْس

فَوْقَهُ ، أَمَّا كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَال لَهُ أَمَّا ، دَاخِلٌ فِي الْأَشْياء لَا كَشِيٌّ دَاخِلٌ فِي شَيْءٍ ، وَخَارِجٌ مِنَ الْأَشْياء لَا كَشِيٌّ خَارِجٌ مِنْ شَيْءٍ ، سَبِّحَنَ مِنْهُ هَذِهِنَا وَلَا هَذِهِنَا غَيْرَهُ وَلَكُلِّ شَيْءٍ مِبْدَأً) .

وَرَوَاهُ فِي الْأَمْالِي بِلِفْظِهِ : فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ ؟ فَقَالَ : (وَيَلْكَ يَا ذُعْلَبَ لَمْ أَكُنْ بِالَّذِي أَعْبَدَ رَبِّا لَمْ أَرْهُ) قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ ، صَفَهُ لَنَا ؟ قَالَ : (وَيَلْكَ لَمْ تَرِهِ الْعَيْنُ بِمَشَاهِدَةِ الْأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتِهِ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ ، وَيَلْكَ يَا ذُعْلَبَ إِنْ رَبِّي لَا يُوَصِّفُ بِالْبَعْدِ وَلَا بِالْحُرْكَةِ وَلَا بِالسُّكُونِ وَلَا بِقِيَامِ قِيَامِ اتِّصَابِ وَلَا بِجَيْئَةِ وَلَا بِذَهَابِ ، لَطِيفُ الْلَّطَافَةِ لَا يُوَصِّفُ بِاللَّطْفِ ، عَظِيمُ الْعَظَمَةِ لَا يُوَصِّفُ بِالْعَظَمِ ، كَبِيرُ الْكَبْرَيَّاتِ لَا يُوَصِّفُ بِالْكَبْرِ ، جَلِيلُ الْجَلَالَةِ لَا يُوَصِّفُ بِالْغَلَظَةِ ، رَؤُوفُ الرَّحْمَةِ لَا يُوَصِّفُ بِالرَّقَّةِ ، مُؤْمِنُ لَا بِعِبَادَهِ ، مُدْرِكُ لَا بِمَجْسَدَهِ ، قَائِلٌ لَا بِلِفْظِهِ ، هُوَ فِي الْأَشْياء عَلَى غَيْرِ مَمازِجَةِ ، خَارِجٌ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ مَبَايِنَةِ ، فَوْقُ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَال : شَيْءٌ فَوْقَهُ ، أَمَّا كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يُقَال لَهُ : أَمَّا ، دَاخِلٌ فِي الْأَشْياء لَا كَشِيٌّ فِي شَيْءٍ دَاخِلٌ ، وَخَارِجٌ مِنْهَا لَا كَشِيٌّ مِنْ شَيْءٍ خَارِجٌ) . فَخَرَ ذُعْلَبَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .

بمزايـلة وإـلا لـكان دخـولـه بـملاـصـقة وـبـالـعـكـس ، والـمزـايـلـ مـحـصـورـ فيـ غـيـرـ ماـ زـاـيـلـه ، والـمـلاـصـقـ مـُشـابـهـ لـماـ لـاصـقـهـ وـقـوـلـهـ دـاـخـلـ لاـ كـدـخـولـ شـيـءـ فـيـ شـيـءـ فـيـ لـحـاظـانـ :

أـحـدـهـماـ : إـنـ دـخـولـهـ لـوـ كـانـ كـدـخـولـ شـيـءـ لـزـمـهـ الـحـواـيـةـ وـالـمـلاـصـقـ وـيـلـزـمـ ذـلـكـ الـاجـتـمـاعـ وـالـاقـترـانـ ، وـمـنـ كـانـ كـذـلـكـ كـانـ مـشـابـهـاـ وـحـادـثـاـ كـمـاـ قـلـنـاـ .

وـثـانـيـهـماـ : إـنـ شـيـءـ فـإـذاـ قـلـنـاـ : دـاـخـلـ فـيـهاـ لـوـ كـانـ الشـيـئـانـ مـتـسـاوـيـنـ ، لـزـمـ ماـ ذـكـرـ مـنـ الـمـحـذـورـاتـ ، فـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ الـمـرـادـ مـنـ شـيـئـيـتهـ غـيـرـ مـاـ يـرـادـ مـنـ مـعـنـىـ الشـيـئـيـةـ الـمـفـهـومـةـ لـأـنـ الشـيـئـيـةـ التـيـ هـيـ بـحـقـيـقـةـ الشـيـئـيـةـ لـاـ يـُـدـرـكـ مـعـنـاهـاـ مـنـ شـيـئـيـتهـ بـغـيـرـهـ ، لـأـنـ هـذـهـ مـشـتـقـةـ مـنـ شـاءـ فـالـشـيـءـ شـيـءـ لـأـنـهـ مـشـاءـ ، وـصـادـرـ عـنـ الـمـشـيـةـ وـالـشـيـئـيـةـ بـحـقـيـقـةـ الشـيـئـيـةـ بـخـلـافـ ذـلـكـ ، وـخـلـافـ خـلـافـ فـلـاـ مـثـلـ لـهـ وـلـاـ ضـدـ وـلـاـ نـدـ ، وـأـمـاـ الشـيـءـ فـيـ الشـيـءـ دـخـولـاـ أوـ خـرـوجـاـ فـمـنـ مـرـحـلـةـ وـاحـدـةـ ، فـالـشـيـءـ فـيـ الشـيـءـ يـلـزـمـهـ الـمـلاـصـقـةـ وـالـاقـترـانـ وـلـوـ مـعـنـىـ ، وـخـرـوجـ شـيـءـ مـنـ الشـيـءـ تـلـزـمـهـ الـمـفـارـقـةـ وـالـجـهـةـ وـالـحـصـرـ ، فـلـمـاـ كـانـتـ شـيـئـيـتهـ لـيـسـتـ كـشـيـئـيـةـ الـأـشـيـاءـ كـانـ دـخـولـهـ فـيـهاـ لـاـ كـدـخـولـ شـيـءـ فـيـ شـيـءـ ، بـلـ دـخـولـهـ عـيـنـ خـرـوجـهـ فـخـرـوجـهـ بـلـ مـفـارـقـةـ عـزـلـةـ بـلـ بـمـفـارـقـةـ صـفـةـ وـدـخـولـهـ بـلـ مـلاـصـقـةـ حـلـولـ وـمـشـابـهـةـ بـلـ بـمـلاـصـقـةـ قـيـوـمـيـةـ وـإـحـاطـةـ ، فـافـهـمـ .

شرح حديث كون الله نعيم المؤمن

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى (يا نعيمي وجنتي) ^(١) في المناجاة للسجاد عليه السلام .

أقول : معنى كون الله نعيمه أن حبه ولذة مناجاته ، ومشاهدة أنوار جلاله ، عند العارف نعيم مقيم لم يخلق الله سبحانه في الوجود نعيمًا ولا لذة أعظم منها ، وإليه الإشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي في حق الخصيصين من المؤمنين ، قال تعالى : (إِذَا تَلَذَّذُ أَهْلُ الْجَنَّةِ بِمَا كَلَّهُمْ وَمَشَارِبِهِمْ تَلَذَّذُوا بِمَنَاجَاتِي وَبِكَلَامِي) ^(٢) وبباقي السؤال مع ملاحظة هذا الكلام ظاهر .

(١) مقطع من مناجاة المریدین ، المناجاة الثامنة ، انظر الصحفة السجادية : ٤١٣
دعا رقم ١٨٩ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٩١ / ١٤٨ ، وجامع السعادات : ٣ / ١٢٣ .

قال عليه السلام : (. . . فَأَنْتَ لَا غَيْرُكَ مُرَادِي ، وَلَكَ لَا لِسْوَاكَ سَهْرِي
وَسُهْدِي ، وَلِقَاؤكَ قُرْءَةُ عَيْنِي ، وَوَضْلُكَ مُنْتَقِسِي ، وَإِلَيْكَ شَوْقِي ، وَفِي
مَحَبَّتِكَ وَلَهِي ، وَإِلَى هَوَاكَ صَبَابِتِي ، وَرِضَاكَ بُعْتِي ، وَرُؤْيَاكَ حاجِتي ،
وَجِوارُكَ طَلَبِي ، وَقُرْبُكَ غَايَةُ سُؤْلِي ، وَفِي مَنَاجَاتِكَ رَوْحِي وَرَاخِتي ، وَعِنْدَكَ
دواءِ عِلَّتي ، وَشِفاءُ غُلَّتي ، وَبَرْدُ لَوْعَتِي ، وَكَشْفُ كُرْبَتِي . فَكُنْ أَنِيسِي فِي
وَحْشَتِي ، وَمُقْبِلَ عَثْرَتِي ، وَغَافِرَ زَلَّتِي ، وَقَابِلَ تَوْبَتِي ، وَمُجِيبَ دَعْوَتِي ، وَوَلِيَّ
عِضْمَتِي ، وَمُعْنَيَّ فَاقِتِي ، وَلَا تَقْطَعُنِي عَنْكَ ، وَلَا تُبْعَدُنِي مِنْكَ يَا نَعِيمِي
وَجَتِي ، وَبِاَدْنَيَّ وَآخِرَتِي ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

(٢) بحار الأنوار : ٦ / ٧٤ ح ٢٣ ، والجواهر السنية للحر العاملی : ١٩٣ =

بيان طريقة الرياضة وكيفية تحصيل السعادة والمعرفة

قال سلمه الله تعالى : وبين لي في آخر الأجوية طريقة الرياضة وكيفية تحصيل السعادة والمعرفة ، وقل لي : أي شيء أفعل في الخلوة ؟ وبين لي كلّ شيء ترى فيه صلاح أحوالى ولا تتأمل في قضاء حاجتي ، وأنا والله العظيم معترف بلسانى وقلبي وجوارحي بأن حقيقة الحق عندك ، وبه وبركتكم وحسن التفاتكم كشف الله عن قلبي غطاء الظلمة والريب ، وابسط كلّ البسط في الأحقيّة واكشف غطاء الإجمال واكتب حقيقة الكشف ولا تقتصر بالاستدلال حتى تكون أجوبتكم ذخيرتي في دُنياِي وآخرتي وأنسي في وحشتي وخلوتي ، إن لم تكشف الغطاء والله يوم القيمة عند جدي آخذ ذيلك وأشكو إليه ، واعلم يقيناً أن ليس في عصرنا أحد يعرف قدركم وأنت مجھول القدر كسداتك الطاهرين طول الله عمركم ، وجعلني الله من العارفين بحكمكم ونور قلبي بأنوار قلبي ، بأنوار مشكاة معارفكم وفيوضاتكم ، ولا تنساني من صالح دعائكم وحسن رأفتكم في الدنيا والآخرة ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أقول : إن طريق الحق ونهج الصدق في الرياضة هو ما سَنَّه

= وميزان الحكمة : ١ / ٤٣٣ ، ولفظه في الجواهر : (وإذا تلذذ أهل الجنة بالطعام والشراب تلذذ أولئك بذكرى وكلامي وحديثي) .

أئمة الهدى عليهم السلام وهو أن تسلك الطريقة المستقيمة في الأحوال والأفعال والأقوال .

١ - وأما في الأكل والشرب فلا تأكل حتى تجوع ، فإذا أكلت فلا تشبع بل تبقي من شهوتك ، ولا تشرب حتى تعطش ، وإذا شربت فلا ترث .

٢ - وأما في العبادة فتحسن وضوئك ، وتقرأ عنده الأدعية المأثورة وسورة القدر في أثناءه ، وبعد الفراغ تقرأها ثلاثة ، وتحسن صلاتك وتقبل عليها بقلبك وفرغ قلبك في صلاتك لعبادة ربّك وتصلي صلاة مُودع .

٣ - وأما في أحوالك فاجعل قلبك منبراً للملائكة ولا تجعله مربطاً لحيوانات الشهوات ، ولتكن ذاكراً الله كثيراً بأن لا تغفل عن الله فتذكريه عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتركتها ، ولا تحقر شيئاً من طاعة الله فعسى أن يكون فيه رضا الله ، ولا شيئاً من معاصي الله فعسى أن يكون فيه سخطه ، وأن تكون دائم النظر في خلق الله نظر اعتبار وتدبر وتذكرة الآخرة والموت ، وتنظر إلى الدنيا وتقلباتها وعدم دوام لذاتها .

٤ - وأما أفعالك فإنْ قدرْتَ أن لا تتحرّك ولا تسكن إلا بما يُواافقُ محبّة الله فافعل ، فاجعل سعيك إلى المساجد ومواقع الذكر وبطشك في ما أمر الله تعالى ، ونظرك وسمعك وجميع جوارحك .

٥ - وأما أقوالك فلا تنطق إلا فيما يعنیك في الدنيا والآخرة ،
وعليك بقراءة القرآن بتدبر ، فإنه مفاتيح خزائن الغيب .

أثر الإيمان والتقوى على الرياضة النفسية

ثم اعلم أن الله يقول : ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا أَتَقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلَحَاتِ ثُمَّ أَتَقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ أَتَقَوْا وَآخْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) ، فذكر الإيمان ثلاث مرات والتقوى ثلاث مرات ، فالأول الإيمان بالله ، والتقوى تقوى الله فيما بينك وبينه فلا تنظر غير الله إلا بالعرض ، كأن تراه سبباً لفعل الله أو مظهراً لقدرته ، ولا تعتمد على غير الله في شيء قل أو جل ، فإن ما سوى الله ليس شيئاً إلا بالله ولا تيقن بغير الله في كل حال ، بل اتقى الله أن تنظر لغير الله شيئاً في كل لحظة إلا به .

التقوى الثانية أن تتقى نفسك فلا تلين لها ولا تتركها وشهوتها فتورتك المهالك ، بل يجعل همك في جهادها وحملها على الانقياد لأمر الله .

والإيمان الثاني أن تؤمن بذلك ، فإنك إذا فعلت بها كذلك غير مؤمن به انهدم ما أسيست لها .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٣

والتفوى الثالثة أن تتقى الناس بأن تجتنب ما حملوك من العادات المخالفة للشرع والآراء ومجالسة أهل الغفلة منهم والمعاصي ، وأن تجتنب كلّ ما لا يحبون منك مما لا يُرادُ منك شرعاً بل تعاملهم بما تحب أن يعاملوك به وتكون مؤمناً بذلك كما ذكرنا ، وتعمل وتحسن العمل ، فإنه تمام الأمر ولا تستصعب ما وصفت لك بل تعمل ما تقدر عليه ، ولا ترك ما تقدر عليه لأجل ما يصعب عليك ، فإنك إذا فعلت ما تقدر عليه قويت على ما صعب عليك ، قال الصادق عليه السلام : (بالحكمة يُستخرج غور العقل ، وبالعقل يُستخرج غور الحكمة) ^(١) .

وإذا داومت على الأعمال الصالحة والنوافل انفتحت لك الأبواب وتسبيّث لك الأسباب ، ورفع عنك الحجاب ورزقك الله من رحمته وعلمه ومعرفته ومعرفة أحكامه بغير حساب ، قال تعالى : (ما زال العبد يتقرّب إلىَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي

(١) أصول الكافي : ١ / ٢٨ ح ٣٤، ومجمع البحرين للطريحي : ٣ / ٣٣٧، وعيون الحكم والمواعظ : ١٨٨، وشرح أصول الكافي : ١ / ٣٢٨ ح ٣٤. ولفظه في الكافي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول : بالعقل استخرج غور الحكمة وبالحكمة استخرج غور العقل ، وبحسن السياسة يكون الأدب الصالح . قال : وكان يقول : التفكر حياة قلب البصير كما يمشي الماشي في الظلمات بالنور بحسن التخلص وقلة الترخيص) .

يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته)^(١) الحديث .

فإذا تقرب العبد إلى الله بالنواقل أحبه ، فإذا أحبه قال صلى الله عليه وآله : (ليس العلم بكثرة التعلم ، وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب ، فينفسح فيشاهد الغيب ، وينشرح فيتحمل البلاء) .

قيل وهل لذلك من علامة ؟

قال صلى الله عليه وآله : (التعجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والاستعداد للموت قبل نزوله) ^(٢) .

فهذه حقيقة الطريقة وطريقة الحقيقة وهي أقرب الطرق إلى الله وأقوها ، وأما ما ذكره أهل التصوف وأصحاب التقىف من

(١) الكافي : ٢ / ٣٥٢ ح ٧ ، وعوايي اللاللي للأحسائي : ٤ / ١٠٣ ح ١٥٢ ، ومعارج اليقين : ٢٠٥ ح ٥٠٥ ، وشرق الشمسين للبهائي : ٤٠٢ ، ومفتاح الفلاح : ٢٨٨ ، ووسائل الشيعة : ٤ / ٤٥٤٤ ح ٧٢ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٩١ ح ٤٤٣ بتفاوت .

ولفظه في الكافي : عن حماد بن بشير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل : من أهان لي ولیاً فقد أرصل لمحاربتي ، وما تقرب إلي عبد بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وإنه ليتقرّب إلي بالنافلة حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددي عن موت المؤمن ، يكره الموت وأكره مساعته) .

(٢) روضة الوعاظين للنيسابوري : ٤٤٨ ، ومكارم الأخلاق : ٤٤٧ .

الرياضات والأذكار التي لم ترد عن الأئمة الأطهار فذلك زخرف القول يفعلونه غروراً ، ولو شاء ربّك ما فعلوه ، ولكنّه تركهم وخلّا لهم من يد رحمته : ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَلَنَصْعَى إِلَيْهِ أَقِعْدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرَضُوا﴾^(١) ، من إخوانهم أهل الغواية والضلالة والملاهي الذين يطلبون ما يباهون به العلماء ويمارون به السفهاء ، فيصوّرون الباطل في صورة الحق ليستحسننه أهل الإلحاد في أسماء الله ، وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون ، وهو طريق كثيراً من العقارب ومظلم كالليل الدامس مُسبع ، وهو سبيل الفجّار وطريق النار فاجتنبوا لهلكم تهتدون ، والسلام على من اتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته .

وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين ، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـهـ .

(١) سورة الأنعام ، الآياتان : ١١٢ - ١١٣ .

٣ - رسالة في جواب
بعض الإخوان من أصفهان

رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين .

أما بعد ، فيقول العـبـدـ الـمـسـكـيـنـ أـحـمـدـ بـنـ زـينـ الدـيـنـ الأـحسـائـيـ : إنه قد أـتـتـ إـلـيـ بـعـضـ الـمـسـائـلـ مـنـ بـلـدـ الـأـمـانـ وـالـإـيمـانـ أـصـفـهـانـ حـرـسـهـاـ اللـهـ مـنـ طـوـارـقـ الـحـدـثـانـ مـنـ بـعـضـ الـإـخـوـانـ حـفـظـهـ اللـهـ مـنـ نـوـائـبـ الزـمـانـ بـأـحـادـيـثـ مـشـكـلـةـ يـرـيدـ فـيـهاـ الـبـيـانـ ، وـكـانـ الـقـلـبـ غـيـرـ مـجـتمـعـ وـالـبـالـ مـتـشـتـتـاـ ، وـلـكـنـ لـاـ يـسـقـطـ الـمـيـسـورـ بـالـمـعـسـورـ وـإـلـىـ اللـهـ سـبـحـانـهـ تـرـجـعـ الـأـمـورـ .

فـمـنـهـ : صـحـيـحـ عـاصـمـ بـنـ حـمـيدـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ

قـالـ : ذـاكـرـتـ أـبـاـ عـبـدـ اللـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ فـيـمـاـ يـرـوـونـ مـنـ الرـؤـيـةـ ،

فـقـالـ عـلـيـهـ السـلـامـ : (الـشـمـسـ جـزـءـ مـنـ سـبـعـيـنـ جـزـءـاـ مـنـ نـورـ

الـكـرـسيـ ، وـالـكـرـسيـ جـزـءـ مـنـ سـبـعـيـنـ جـزـءـاـ مـنـ نـورـ الـعـرـشـ ،

وـالـعـرـشـ جـزـءـ مـنـ سـبـعـيـنـ جـزـءـاـ مـنـ نـورـ الـحـجـابـ ، وـالـحـجـابـ جـزـءـ

مـنـ سـبـعـيـنـ جـزـءـاـ مـنـ نـورـ الـسـتـرـ ، فـإـنـ كـانـواـ صـادـقـينـ فـلـيـمـلـؤـواـ

أـعـيـنـهـمـ مـنـ الشـمـسـ لـيـسـ دـوـنـهـ سـحـابـ)^(١) .

(١) أـصـوـلـ الـكـافـيـ : ١ / ٩٨ حـ ٧ ، وـتـوـحـيـدـ الصـدـوقـ : ١٠٨ بـابـ (٨) مـاـ جـاءـ فـيـ

الـرـؤـيـةـ حـ ٣ـ ، وـبـحـارـ الـأـنـوـارـ : ٤ / ٤٤ حـ ٤٤ .

بيان أنوار الشمس والكرسي والعرش والحجاب والستر

أقول : المقام يقتضي في بيان هذا الحديث الشريف أوجهًا ثلاثة :

الأول : ما هذه الأنوار ؟

الثاني : كيف كانت خمسة ؟

الثالث : لم كانت نسبة الأنوار بعضها إلى بعض سبعين ؟

بيان المراد بالكرسي

فالأول : اعلم وفقك الله تعالى أن المراد بالكرسي نفس ذلك البروج ، وهو العلم الظاهر الذي أحاط بكل شيء ، قال الله تعالى : « وَسَعَ كُرْسِيُهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ »^(١) .

بيان المراد بالعرش

والمراد بالعرش نفس ذلك محدد الجهات ، وهو العلم الباطن ، وهو علم الكيففة وعلل الأشياء ومصدر البداء .

بيان المراد بالحجاب والكرهيبين

والمراد بالحجاب منازل الگروبيين ، وهم هياكل التوحيد

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥

التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد^(١) ، وأشار الصادق عليه السلام إليهم كما رواه الصفار في البصائر بسنده عنه ، وقد سئل عن الْكَرُوبِيَّين فقال : (قوم من شيعتنا من الخلق الأول جعلهم الله خلف العرش ، لو قُسِّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكتاهم ، ولما سأله موسى عليه السلام ربه ما سأله أمر رجلاً من الْكَرُوبِيَّين فتجلى للجبل فجعله دكاً^(٢))^(٣) .

(١) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة ؟ قال : ما لك والحقيقة ؟ قال : أو لست صاحب سرّك ؟ قال : بلـى ! ولكن يرشع عليك ما يطفع مني ! قال : أو مثلـك يُخـيب سائـلاً ؟ قال : الحـقـيقـة كـشـف سـبـحـاتـ الجـلالـ منـ غـيـرـ إـشـارـةـ . قال : زـدـنيـ فـيـ بـيـانـاًـ . قال : مـحـوـ المـوـهـومـ معـ صـحـوـ الـعـلـمـ . قال : زـدـنيـ فـيـ بـيـانـاًـ . قال : هـنـكـ السـتـرـ لـغـلـيـةـ السـرـ . قال : زـدـنيـ فـيـ بـيـانـاًـ . قال : جـذـبـ الـأـحـدـيـةـ بـصـفـةـ التـوـحـيدـ . قال : زـدـنيـ فـيـ بـيـانـاًـ . قال : نـورـ يـشـرقـ مـنـ صـبـحـ الـأـزـلـ فـتـلـوـحـ عـلـىـ هـيـاـكـلـ التـوـحـيدـ آـثـارـهـ . قال : زـدـنيـ فـيـ بـيـانـاًـ . قال : إـطـفـيـ السـرـاجـ ، فـقـدـ طـلـعـ الصـبـحـ !) شـرـحـ الـأـسـمـاءـ الـحـسـنـيـ : ١ / ١٣٣ ، وـكـتـابـ جـامـعـ الـأـسـرـارـ وـمـبـنـيـ الـأـنـوـارـ لـلـآـمـلـيـ : ١٢٧ ، وـنـورـ الـبـرـاهـيـنـ لـلـسـيـدـ نـعـمـةـ اللـهـ الـجـزـائـريـ : ١ / ٢٢٢ .

(٢) قال تعالى : « وَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى لِيَبْيَتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّيْ أَنْظُرْ إِلَيْنَكَ قَالَ لَنْ تَرَيَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ أَسْتَقِرَ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَيَنِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّـاً وَحَرَّ مُوسَى صَوْقَـاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَكَنَكَ بُتْتُ إِلَيْنَكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ » [الأعراف : ١٤٣] .

(٣) بصائر الدرجات : ٨٩ ح ٦ ، ومستطرفات السرائر لابن إدريس الحلبي : ٥٦٩ ، وبحار الأنوار : ١٣ / ٢٢٤ ح ١٨ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٦٤ . ٢٤٥

بيان المراد بالستر

والمراد بالستر نور العظمة والجمال ، وهو أول مقام من الوجود المقيد ، وهو الذي قال الله تعالى ذكره : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾^(١) ، وفي الدعاء : (أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَشْرَقْتَ بِهِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَوْنَ)^(٢) .

سبب كون الأنوار خمسة

وأما الوجه الثاني : فاعلم أنه عليه السلام إنما ذكر هذه الخمسة ، لأن أدنى الأنوار التي لا يقدرون على النظر إليها هو الشمس ، وأعلاها مما لا تسع العقول إلى إنكاره هو الستر ، والمراد بها الأنوار المتناسبة كل واحد إلى ما فوقه واحد من سبعين ، وإلا فلو كان المراد مجرد التناسب لكان تحت ذلك مثله ، فقد روي أن (السکينة جزء من سبعين جزءاً من نور الزهرة ، والزهرة جزء من سبعين جزءاً من نور القمر ، والقمر جزء من سبعين جزءاً من نور الشمس)^(٣) ، وكذلك فوق الستر ، ولا خصوصية في هذا العدد ولا فائدة هنا فيه .

(١) سورة النجم ، الآية : ٩.

(٢) مصباح المتهجد للطوسي : ٢٢٨ ح ٣٣٦ ، ومستدرك الوسائل : ٧ / ٣٦١ ح ٨٤١٦ ، وبحار الأنوار : ٥٣ / ٩٥.

(٣) انظر شرح أصول الكافي : ٣ / ١٨٥.

وجه عدد السبعين في نسبة الأنوار

وأماماً الوجه الثالث : فاعلم أن عدد السبعين في الحديث يراد منه أمر ظاهري وأمر حقيقى .

فأمّا الظاهري فاعلم أنهم قد يطلقون العدد ولا يكون مراداً بخصوصه وإنما يراد به مجرد الكثرة ، وهذا كثير في الروايات وفي القرآن مثل أنهم كعدة بنى إسرائيل سبعين ألفاً أو يزيدون ، وهذا يراد به مجرد الكثرة يدل عليه ما ذكر في قصة موسى عليه السلام وحيلة بلעם بن باعورا لما طلب منه الجبارون الدّعاء على موسى وقومه ، فانسلخ الاسم من لسانه فاحتال لهم ، وقال : زينوا نساءكم وبناتكم وأمروهن يمضين إلى عسكر موسى وأوصوهن ألا تمنع جارية أحداً يريدها ، وأنا أرجو أنهم يزنون بهن وما فشوا الزنى في قوم إلا حلّ بهم الطاعون ، ففعلوا فحلّ فيهم الطاعون وكان سيفاً موسى عليه السلام تلك الساعة غائباً واسمه الفُنْحاص ابن العَيْزَار ، فأتى فلما رأى ذلك عمد إلى شلوم بن زمير وهو معانق لُكشتا بنت صور من القوم الجبارين فانتظمهما بحربة معه فرفعهما في الهواء ، وقال : يا رب هذا يرضيك ، فرفع الطاعون فحسب المفقود من الطاعون من قوم موسى في ساعة واحدة سبعين ألفاً ، وكذلك في قوله تعالى : «فَمَا ءاَمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّنْ قَوْمِهِ، عَلَىٰ حَوْفٍ مِّنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِمْ»^(١) أي آبائهم لأنّ الطائفة

(١) سورة يونس ، الآية : ٨٣ .

المؤمنة الأولاد الصغار منبني إسرائيل ، وكانوا ست مئة ألف كذا قيل ، وقيل : الكل ست مئة ألف ، فإذا كان الأولاد ست مئة ألف ، فكيف يكون الجميع سبعين ألفاً ؟ وإنما يراد منه مجرد الكثرة وكذلك في قوم يونس عليه السلام .

والمراد بالسبعين هنا هذا المعنى ، لأن السبعين على المعنى الباطن صحيح ، ولكن هذه النسبة باعتبار التشكيك في الشدة والضعف ، وأما في الكل فلا يدخل عدده تحت علمنا وستسمعه إن شاء الله تعالى .

وجه آخر في عدد السبعين

وأما الوجه الحقيقي في عدد السبعين : فاعلم أن أول فرد من الأعداد هو الثلاثة وهو عدد كلّ فرد من معدن ونبات وحيوان وذلك عدد الكيان ، إذ كلّ فرد فله عقل ونفس وجسد .

واعلم أيضاً أن أول زوج الأربعـة وكلّ فرد مما ذكر فهو مربعـ الكيفية حرارة ورطوبة وبرودة وبوسـة ، فكلّ فرد فهو ذو سبعة مثلـثـ الكيان مربعـ الكيفية ، فكانت السبعة هي العدد الكامل ، فجرى في الأصول لقوله تعالى : ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾^(١) ، يجري صنعـه بأمرـ محـكمـ وقضاءـ مـبرـمـ وعلمـ متـقنـ ، فـلـذـكـ كـانـتـ السـمـاـواتـ سـبـعاـ وـالـأـرـضـونـ سـبـعاـ وـالـأـيـامـ سـبـعاـ وـالـأـنـبـيـاءـ أـولـوـ الشـرـائـعـ سـبـعاـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ ، وـالـسـبـعةـ فـيـ مـرـتـبـةـ الأـصـوـلـ وـالـعـلـلـ .

(١) سورة هود ، الآية : ٥٦ .

ثم لـما كانت المعلولات في الوجود الثاني بالنسبة إلى عللها ، فكانت الفاعلية في المرتبة الأولى ، وهي مرتبة الآحاد وكانت المفعولية في مرتبة العشرات فكان اعتبار السبعة في الأولى سبعين في الثانية ، فكانت العلة في الشدة سبعين والمعلول في الضعف واحداً .

فإن قيل : فإذا كانت السبعة في المرتبة الثانية سبعين وهي نسبة رتبة المعلول من العلة ينبغي أن يكون واحداً من عشرة^(١) لا واحداً من سبعين .

قلنا : لما كان المعلول لا يتكون من سنسخ العلة ، وإنما يتكون من فعلها في رتبته لا في رتبة العلة لأنّ رتبة الفعل في رتبة

(١) بسم الله الرحمن الرحيم : لو قيل : إن المعلول واحد من عشرة بالنسبة إلى علته التي هي في المرتبة الأولى ، وقد لوحظ فيها كونها مثلثة الكيان مربعة الكيفية ، دل هذا الكلام على أنه من سنسخ العلة من جهة أنها عند نسبته إليها هي في الثاني ، فتكون سبعين فالواحد من العشرة هو سبعة من سبعين لأنه لما كانت رتبته الثانية ورتبتها الأولى ، ففرضها في الثانية لأجل النسبة سبعون في الشدة والقوة ، فهي تكرر الأولى التي هي السبعة ، فإذا قيل : واحد من سبعين ، يراد منه أن السبعين التي هي العلة المفروضة في الأولى سبعة هي واحد والمعلول أثر وجده أي ظهوره به فهو أي المعلول واحد حقيقي من سبعين في الشدة والقوة هي واحد حقيقي ، فلا يكن الواحد هنا جزءاً للسبعين ليكون من سنسخها ، وإنما هو أثر لوجهه والأثر ليس جزءاً للمؤثر فلا يكون من سنسخه ، ولا جزءاً من عشرة لأن العلة إن لوحظ فيها التعدد حين النسبة أريد منها السنخية كما مر ، أو أن الجزء المنسوب إلى علته إنما نسب إلى أحد أجزائها السبعة التي تكررت في الرتبة الثانية عند النسبة ، فلا يكون منسوباً إليها بأجمعها ، بل إلى جزئها ، ولا يكون أثراً لها ، فافهم . منه (أعلى الله مقامه) .

المفعول ، فإذا قلت : زيد ضرب ضرباً ، كان ضرب في رتبة ضرباً ، لأن الفعل إنما قام بزيد قيام صدور لا قيام عروض ولا يستند إلى زيد ، وإنما يستند إلى جهة ظهور زيد بالضرب ، وذلك هو حقيقة ضرب وهو نفسه ، ففي الحقيقة كان ضرب يدور على تلك الجهة على خلاف التوالي وتلك تدور على ضرب على التوالي ، فالفعل ظاهره وحقيقة لا يحل بزيد ولا يستند إليه ، وإنما أحده زيد بنفسه وهو في رتبة مفعوله الذي هو ضرب من الوجود وإن كان ضرب متقدماً عليه بالعلية ، فلما كان ما تقوم به النور من المنير إنما هو تلك الجهة وهي ظهوره بالنور للنور ، لم يكن عشير السبعين وإلا لكان من سنته ، فيكون فيه من كل واحد من السبعة الثلاثة الكيان والأربع الكيفيات عشرة ولو كان كذلك لكان من ذاته .

غاية الأمر أنه أقل منه كمّا وليس كذلك بل هو واحد من السبعين ، لأن السبعة لمّا ظهرت في المرتبة الثانية كانت سبعين ، وهي مراتب ظهورات السبعة مرتبة أعلىها الأصول وأسفلها جهة الظهور ، وهو نفس نور الشمس مثلاً بالنسبة إلى نور الكرسي ونور الكرسي بالنسبة إلى نور العرش ، فلهذا كان النور الذي هو نفس ظهور المنير واحداً من سبعين من ضياء المنير لا من ذات المنير فافهم وفقك الله تعالى .

وقولنا هنا : إن المراد به مجرد الكثرة ، نريد به أنه في حقيقة واحد أي إشراقٍ من سبعين وجهاً من المنير دائم الإشراق ، يعني

ذلك الوجه ، فكأنَّ للمنير سبعين وجهًاً مشرقاًً أبداً ، فالنور إشراق من وجه فإذا نظرت إلى العدد المخصوص فهو صحيح كما قررنا ، وإن لحظت دوام الإشراقات من المبادئ فهي لا تحصى فيكون ذلك النور نهرًا يجري على هيئة الاستدارة الصحيحة أوله في آخره ، فالوجه أبداً يمده منه فلا يستغني أبداً عن المد ولا يقف على حد فهو نهر يجري مستديراً قطبه ذلك الوجه من ذلك المنير . فهذا حقيقة ما طلبت وما لم تطلب ، فإن ظهر لك فاحمد الله على جزيل نعمه ، وإن خفي عليك فاسأله الفتاح يفتح لك باب المعرفة .

واعلم وفقك الله أن الله سبحانه بلطيف صنعه لم يخرج شيئاً من خزائنه إلا مبيناً مشروحاً على أكمل وجه ، ولكنه خلق الأشياء كما علمها فجرت في مراتب تكوينه مختاراً لما يسرها له لا يخالف شيء منها محبتته وذلك كمال اختيارها ، فكان مما أجرى بجميل تدبيره أن جعل ما ظهر بيانه وما بطن خفي برهانه ، ولو أني حاولت في إظهار هذه التي أشرت إليها بالعبارة الظاهرة المعلومة عند العوام لعُمِّيَّتُ الطريق وصعب المسلوك ، لأن الأشياء إنما تحاول بما يسهل فيها ، وهو العبارة الظاهرة للمعنى الظاهر والإشارة للباطن ، فافهم .

الأنوار التي خلق منها العرش

ومنها فقال أمير المؤمنين عليه السلام : (إن العرش خلقه الله

تبارك وتعالى من أنوار أربعة : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونورُ أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض منه البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة^(١) .

أقول : أعلم أن العرش يطلق ويراد به معان مختلفة يعرف

(١) أصول الكافي : ١ / ١٢٩ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ١٠ ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ٧٣٢ ح ١٣٤ .

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (وأما ما سأل عنه من العرش فإن الله عز وجل خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنور ، ثم خلقه من أنوار مختلفة فمن ذلك النور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة ، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة ، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار ، ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين ، ليس من ذلك طبق إلا يسبّح بحمد ربّه ويقدسه ، بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة ، ولو أذن للسان منها فأسمع شيئاً مما تحته لهدم الجبال والمدائن والمحصون ولخسف البحار ولأهلك ما دونه ، له ثمانية أركان على كل ركن منها من الملائكة ما لا يُحصي عددهم إلا الله عز وجل ﴿ يُسَبِّحُونَ أَيْلَمْ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتَرُونَ ﴾ [الأنياء : ٢٠] ، ولو حسّ شيئاً مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين ، بينه وبين الإحساس الجبروت والكرياء والعظمة والقدس والرحمة والعلم ، وليس وراء هذا مقال) التوحيد : ٣٢٦ باب ٥١ (أن العرش خلق أرباعاً) ح ١ ، وبحار الأنوار : ٣٧٤ - ٣٧٦ ح ١٠٣ . وروي بلفظ : (إنّه مرّكب من أربعة أنوار : نور أحمر منه احمرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض منه أبيض البياض) شرح أصول الكافي : ٤ / ٩٣ ح ١ باب العرش والكرسي ، وتفسير الميزان : ٨ / ١٦٢ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ١٠ .

أحداها بالمقامات : فهذا العرش هنا المراد به مظهر الرحمانية ومجمع صفات الإضافة وصفات الخلق قال الله تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾^(١) ، يعني استوى برحمانيته إلى كل شيء ، فأعطى كل ذي حق حقه ، وساق إلى كل مخلوق رزقه ، ومجموع هذه الأنوار الأربع هي العرش بتمامه ، فالنور الأبيض هو الأعلى وهو عن يمين العرش أي ركته الأيمن ، والنور الأصفر تحته والنور الأخضر عن يسار العرش وهو ركته الأيسر ، والنور الأحمر تحته فالنور الأصفر ركن أيمان تحت الأبيض والنور الأحمر ركن أيسر تحت الأخضر .

وهذه الأنوار الأربع هي : سبحان الله وهو الأبيض ، والحمد لله وهو الأصفر ، ولا إله إلا الله وهو الأخضر ، والله أكبر هو الأحمر ، فهذه الأركان الأربع هي جميع الوجود المقيد الذي أوله العقل الأول وأخره الثرى ، وقد جعل سبحانه لكل ركن ملكاً يحمله ، وهي : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزراطيل ، ومعنى يحمله أن شؤونه منحصرة في هذا الملك ولكل ملك جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله ، فدار الوجود المقيد كله على هذه الأربع المراتب وهو قوله تعالى : ﴿خَلَقْتُكُمْ ثُمَّ رَزَقْتُكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ﴾^(٢) ، فالموكل بأثار الخلق جبرئيل من جهة النور الأحمر وإليه الإشارة بقول النبي صلى الله عليه وآله :

(١) سورة طه ، الآية : ٥ . (٢) سورة الروم ، الآية : ٤٠ .

(الورد الأحمر من عرق جبرئيل) ، والموكل بآثار الرزق ميكائيل من جهة النور الأبيض ، وهو قوله صلى الله عليه وآلـه : (الورد الأبيض من عرقـي) .

والموكل بالموت عزراـيل من جهة النور الأخـضر ، والموكل بالحياة إسراـفـيل من جهة النور الأصـفر ، قال صلى الله عليه وآلـه : (الورد الأصـفر من عرقـ البراق) ^(١) .

وكلـ مـلك من هـذه الأـربـعة يـعينـه على ما وـكـلـ به مـلـكانـ بـنـصـفـ قـوـتهـماـ :

بيان معنى النور الأبيض

(فالنور الأـبيـض) : هو القـلمـ وهو اـسـمـ اللهـ الـذـيـ أـشـرـقـتـ بـهـ السـمـاـواتـ وـالـأـرـضـونـ (وـهـ مـلـكـ لـهـ رـؤـوسـ بـعـدـ الـخـلـائـقـ مـنـ خـلـقـ وـمـنـ لـمـ يـخـلـقـ إـلـىـ يـوـمـ الـقيـامـةـ ، ولـكـلـ رـأـسـ وـجـهـ ولـكـلـ آـدـمـيـ رـأـسـ مـنـ رـؤـوسـ الـعـقـلـ ، وـاسـمـ ذـلـكـ إـلـيـانـ عـلـىـ وـجـهـ ذـلـكـ الرـأـسـ مـكـتـوبـ وـعـلـىـ كـلـ وـجـهـ سـتـرـ مـلـقـىـ لـاـ يـكـشـفـ ذـلـكـ السـتـرـ حـتـىـ يـوـلـدـ هـذـاـ الـمـولـودـ وـيـبـلـغـ حـدـ الرـجـالـ أـوـ حـدـ النـسـاءـ ، فـإـذـاـ بـلـغـ كـشـفـ ذـلـكـ السـتـرـ فـيـ قـلـبـ هـذـاـ إـلـيـانـ نـورـ فـيـفـهـمـ الـفـريـضـةـ وـالـسـنـةـ وـالـجـيـدـ وـالـرـدـيـءـ ، أـلـاـ وـمـثـلـ الـقـلـبـ كـمـثـلـ السـرـاجـ فـيـ وـسـطـ

(١) في مكارم الأخلاق : ٤٤ الفصل الأول : قال النبي صلى الله عليه وآلـهـ : (الورد الأـبيـضـ خـلـقـ مـنـ عـرـقـيـ لـيـلـةـ الـمـعـرـاجـ ، والـورـدـ الأـحـمـرـ خـلـقـ مـنـ عـرـقـ جـبـرـئـيلـ ، والـورـدـ الأـصـفـرـ خـلـقـ مـنـ الـبـرـاقـ) .

البيت) ، رواه في العلل عن علي عليه السلام^(١) ، وهو الركن الأيمن الأعلى من العرش الذي هو مظهر الرحمانية وهو ألف القائم وهو المعاني المجردة عن المدّة والمادة والصورة وهو أول صوغ للموجودات ، وهو القلم المذكور في الروايات عند مقام ﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾^(٢) ، وهو روح القدس الأكبر ، وهو أول مخلوق ظهر بأول خلق ، وهو أول الوجود المقيّد ، وهو العقل الأول الذي قال الله له : أديب فأديب بالمعاني ، فقال له : أقبل فأقبل بالأسماء الثمانية والعشرين التي أولها البديع وآخرها رفيع الدرجات ، وأركان الوجود الأربع المخصوصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربع ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل عنه آثار

(١) علل الشرائع للصدقون : ١ / ٩٨ باب ٨٦ ح ١ ، ومستدرك الوسائل : ١ / ٨١ ح ٣١ ، وبحار الأنوار : ١ / ٩٩ ح ١٤ .

ولفظه في العلل : عن علي بن أبي طالب عليه السلام : (أن النبي صلى الله عليه وآله سئل مما خلق الله جل جلاله العقل؟ قال : خلقه ملك له رؤوس بعدد الخلائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيمة ، ولكل رأس وجه ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب وعلى كل وجه ستر ملقي ، لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد هنا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء ، فإذا بلغ كشف ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور فيفهم الفريضة والسنة والجيد والرديء ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في وسط البيت) .

(٢) سورة النجم ، الآية : ٩ .

ركن الحياة ، وعزرايل يحمل عنه آثار ركن الممات وظرفه أعلى الدهر القريبة من السرمد ، فنهاية أعلى الدهر فهو في عالم الدهر كمحمد الجهات في عالم الزمان ، وقد أشار العسكري عليه السلام إليه في قوله : (روح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة) ^(١) .

والصاقورة هي العرش المشار إليه وحدائقهم عليهم السلام غرسوها بأيد في الأرض الجرز التي هي الدواة الأولى ، قال الله تعالى : ﴿تَّ﴾ ، وهي الدواة الأولى ﴿وَالْقَلْمَرَ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ^(٢) ، ف﴿وَالْقَلْمَرَ﴾ هو هذا ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ هو النور الأخضر ، ويأتي فافهم راشداً .

بيان معنى النور الأصفر

و(النور الأصفر) : هو الروح قال صلى الله عليه وآله : (أول

(١) قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام : (قد صعدنا ذرى الحقائق بأقدام النبوة والولاية ، ونورنا سبع طبقات أعلام الورى بالهدایة ، فنحن ليوث الوعي وغيوث الندى وطعناء العدى فيما السيف والقلم في العاجل ، ولواء الحمد والعلم في الآجل ...) ، فالكليم ليس حلقة الاصطفاء لما شاهدنا منه الوفاء ، وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكرة . . وهذا الكتاب ذرة من جبل الرحمة و قطرة من بحر الحكمه) المراتب للتبريزی : ٢٤٥ ، وبحار الأنوار : ٢٦ / ٢٦٤ ح ٥٠ ، وقرة العيون للفيض الكاشاني : ٤٤٧ ، ومجمع التورين للمرندی : ٣٠٦ .

والباكرة: أول الثمرة وهي الحبة والتين والزيتون . منه (أعلى الله مقامه) .

(٢) سورة القلم ، الآية : ١ .

ما خلق الله روحـي^(١) ، وهو الركن الأيمن الأسفل من العرش المذكور وهو الروح الكلية ، قال الله تعالى : « إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسْرُّ التَّنَظِيرِينَ »^(٢) ، وفي الحديث ما معناه : (إِنَّ الْبَرَاقَ جَنَاحَهَا بَيْنَ فَخْدَيْهَا وَعِنْدَهَا فِي رِجْلَهَا وَأَذْنَاهَا تَحْرِكَ أَبْدًا)^(٣) ، وهو ثاني مخلوق ، بأول خلق وهو البراق في الإشارة وهو الرقائق المجردة عن المادة والمدة وهو بربخ بين معاني العقل ، وصور النفس وصورته بين صورة العقل وهي (١) وبين صورة النفس وهي (—) ، فصورته هكذا (—) .

ومثال الرقائق المشار إليها كالمضعة قبلها النطفة كالمعاني ، وبعدها الخلق الآخر كالصُّور ، وأركان الوجود الأربع المختصة به تحمل آثارها عنه الملائكة الأربع ، فجبرئيل يحمل عنه آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل عنه آثار ركن الرزق ، وإسرافيل

(١) انظر محسن البرقي : ١ / ١٩٦ ، الكافي : ١ / ١٤ ح ٢١ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ٣٣ / ٣٩٨ ح ٥٨ ، وج : ١٥ / ٢٤ ، ومشارق أنوار اليقين : ٤٢ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٦٩ .

(٣) روى في العيون عن رسول الله صلى الله عليه وآله : (إِنَّ اللَّهَ سَخَرَ لِي الْبَرَاقَ وَهِيَ دَابَّةٌ مِّنْ دَوَابِ الْجَنَّةِ لَيْسَ بِالْقَصِيرِ وَلَا بِالْطَّوِيلِ ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذْنَ لَهَا لِجَالَتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي جَرِيَةِ وَاحِدَةٍ وَهِيَ أَحْسَنُ الدَّوَابِ لَوْنًا) انظر عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٣٥ باب ٣١ فيما جاء عن الرضا عليه السلام من الأخبار المجموعة ح ٤٩ ، وبحار الأنوار : ١٨ / ٣١٦ ح ٢٩ ، وتفسير الأصفى : ١ / ٦٧٠ .

يحمل عنه آثار ركن الحياة ، وعزرائيل يحمل عنه آثار ركن الموت وظرفه الدهر ، ونسبة من الدهر نسبة فلك الثواب المعتبر عنه بالكرسي من الزمان ، فافهم راشداً .

بيان معنى النور الأخضر

و(النور الأخضر) : هو الكتاب المسطور في رق منشور وهو ملك ، رواه سفيان الثوري عن الصادق عليه السلام وهو اللوح المحفوظ ، وهو (الروح الذي هو على ملائكة الحجب) ، كما ذكره علي بن الحسين عليه السلام في دعائه في الصلاة على حملة العرش^(١) ، وهو النفس الكلية وهو ثالث مخلوق بأول خلق وهو الصور المجردة عن المادة والمدّة وهو شجرة طوبى وسدرة المنتهى وجنة المأوى ، وفي تفسير التأويل هي النفس التي لا يعلم ما فيها عيسى عليه السلام .

(١) قال عليه السلام : (اللَّهُمَّ وَحْمَلْتَ عَرْشِكَ الَّذِينَ لَا يَقْتُرُونَ مِنْ تَسْبِيحِكَ ، وَلَا يَسْأَمُونَ مِنْ تَقْلِيسِكَ ، وَلَا يَسْتَحِسِرونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَلَا يُؤْثِرُونَ التَّقْصِيرَ عَلَى الْجِدَّ فِي أَمْرِكَ ، وَلَا يَغْفِلُونَ عَنِ الْوَلَهِ إِلَيْكَ . وَإِسْرَافِيلُ صَاحِبُ الصُّورِ ، الشَّاهِصُ الَّذِي يَتَنَظَّرُ مِنْكَ الْإِذْنَ وَحْلُولُ الْأَمْرِ ، فَيَبْيَهُ بِالنَّفْحَةِ صَرْعِي رَهَائِنُ الْقُبُورِ . وَمِيكَائِيلُ دُوَّالْجَاءِ عِنْدَكَ ، وَالْمَكَانُ الرَّفِيعُ مِنْ طَاعَتِكَ . وَجَبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَى وَحِيكَ ، الْمُطَاعُ فِي أَهْلِ سَمَاوَاتِكَ ، الْمَكِينُ لَدَيْكَ ، الْمُقَرَّبُ عِنْدَكَ ، وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ عَلَى مَلَائِكَةِ الْحُجَّبِ ، وَالرُّوحُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْرِكَ . اللَّهُمَّ فَصَلِّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِمْ مِنْ سُكَّانِ سَمَاوَاتِكَ وَأَهْلِ الْأَمَانَةِ عَلَى رِسَالَاتِكَ) الصحفة السجادية : ٤٠ دعاؤه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكل ملك مقرب .

وأركان الوجود المختصة به تحملها الملائكة الأربع ، فجبرئيل يحمل آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل آثار ركن الحياة ، وعزرايل يحمل آثار ركن الموت ، ونسبة من الدهر كنسبة فلك البروج من الزمان أو كنسبة الكرسي في الصور وهو كمال الصوغ الأول للموجودات ، وعند علماء الصناعة يقولون هو التزويج الأول .

وتحت هذا العالم نثر الخلق بين يديه كالذرّ يدبّون ، فخاطبهم بأعيانهم ، فسعد من سعد بإجادته وشقي من شقي بمعصيته ، وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (السعيد من سعد في بطن أمه ، والشقي من شقي في بطن أمه) ^(١) .

(١) هو مضمون حديث وله نصان : الأول روي عن محمد بن أبي عمير قال : سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله : (الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه) فقال : (الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال الأشقياء ، والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل أعمال السعداء) قلت له : فما معنى قوله صلى الله عليه وآله : (اعملوا فكل ميسر لاما خلق له ؟) فقال : (إن الله عزّ وجلّ خلق الجن والإنس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزّ وجلّ : «وَمَا خَلَقْتُ لِجِنًّا وَإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ» [الذاريات : ٥٦] ، فيسر كلاماً لما خلق له فالويل لمن استحب العمى على الهدى) . توحيد الصدوق باب (٥٨) السعادة والشقاوة ح ٣ ، وشرح أصول الكافي : ١ / ٢٣٢ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٦٢ ، ونهاية الأفكار للعرافي : ٢ / ١٧١ .

والثاني ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله في حديث طوبل قال فيه : (خطب النبي صلى الله عليه وآله لما أراد الخروج إلى تبوك بشنية الوداع فقال بعد أن =

ويأتي بيان هذا إن شاء الله مشرحاً واضحاً في بيان حديث الطينة .

بيان معنى النور الأحمر

و(النور الأحمر) : وهو ملك كان من النور الأبيض والنور الأصفر قالوا : إن الحمرة تتولد منهما ، واستدلوا على ذلك بحمرة الزنجفر وهو من الزيبق والكبريت الأصفر هذا على اعتبار ، وباعتبار آخر تولّد من الأبيض والأخضر أن الأبيض واحد والأخضر في الحروف الكونية اثنان ، وقالوا : إنّ الألف انعطف على الباء فكانت منهما الجيم وهو حرف النور الأحمر هكذا : **►** وهذه صورة الجيم وهو الركن الأيسر الأسفل من العرش المذكور وهو رابع مخلوق بأول خلق ، وهو الكسر الأول لل موجودات بعد كمال الصوغ الأول في النور الأخضر ، وذلك بعد أنْ قال تعالى للمطيعين : (للحجنة ولا أبالي) ، وقال للعاصين : للنار ولا أبالي)^(١) .

حمد الله وأثني عليه : أيها الناس إن أصدق الحديث كتاب الله وأوثق العرى كلمة التقوى ... إلى أن قال : وشر المكاسب كسب الربا ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقي في بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع ...) رواه المفید في الاختصاص : ٣٤٣ ، والصدوق في الأمالي : ٥٧٧ ح ٧٨٨ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ٤٠٢ ح ٥٨٦٨ .

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماءً عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً =

وأركان الوجود المختصة به تحمل آثارها الملائكة الأربع : فجبرئيل يحمل آثار ركن الخلق ، وميكائيل يحمل آثار ركن الرزق ، وإسرافيل يحمل آثار ركن الحياة ، وعزرايل يحمل آثار ركن الموت ونسبة من الدهر كنسبة ذلك المنازل من الزمان أو كنسبة الكرسي في حركته الواحدة ، فكان كلّ واحد من الملائكة الأربع المذكورة يحمل أربعة أركان من الأنوار الأربع من كلّ واحد ركن ، فجبرئيل يحمل آثار أركان الخلق من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وميكائيل يحمل آثار أركان الرزق من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وإسرافيل يحمل آثار أركان الحياة من الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، وعزرايل يحمل آثار أركان الموت من

= من أديم الأرض فعركه عركاً شديداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذرّ يدّبون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : « أَسْتُ بِرِّيْكُمْ قَاتُوا بِلِّي شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَنِيِّلِينَ » [الأعراف: ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : « أَسْتُ بِرِّيْكُمْ » وأنّ هذا محمد رسولي ، وأنّ هذا عليّ أمير المؤمنين ؟ « قَاتُوا بِلِّي » ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أتنبيّ ريتكم ، ومحمد رسولي ، وعلىي أمير المؤمنين وأوصياؤه عليهم السلام من بعده ولادة أمري ، وخزان علمي ، وأنّ المهديّ انتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكراهاً . قالوا : أقررنا يا ربّ وشهادنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، وختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤

الأبيض ومن الأصفر ومن الأخضر ومن الأحمر ، فيعملون في عالم الدهر وعالم الزمان وما بينهما ، وتحت كلّ واحد من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلّا الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾^(١) .

فمجموع ما سمعت هو العرش ، قوله عليه السلام : (منه احمرت الحمرة) معناه أن ذلك النور يظهر على الملائكة الأربع وتوؤدي آثاره إلى جنودهم الجزئية من الملائكة .

في أن فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقاً

ثم اعلم أنّ فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقاً وهي مظهر الوجود الثاني فتستمد من نفس الطبيعة الكلية ، وتفيضه على المريخ وتستمد من صفتها وتفيضه على الزهرة فتستدير الأفلاك وتلقي الكواكب أشعتها خصوصاً المريخ والزهرة بواسطة الجنود الجزئية على السحاب ، ويقع على الأرض ، ويختلط به نبات الأرض ، وفيه مبادئ الحمرة هذا ، والشمس تمدّ السفلويات بألوان الحمرة في قبسات الأشعة وبواسطة الكوكبين ، فتظهر الحمرة في قابلياتها وهي من الطبيعة التي هي النور الأحمر ، ولهذا قال عليه السلام : (منه احمرت الحمرة) .

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٧

وكذلك الخضرة فإن الشمس تستمد من نفس النفس الكلية وتفيضه على المشتري ، وتستمد من صفة النفس وتفيضه على عطارد تجري في تدبير ألوان الخضرة ما ذكر في الحمرة ، وتستمد من الروح من ذاتها وصفتها وتفيضه على باطن زحل وظاهر المريخ ، وتجري بإذن الله في تدبير ألوان الصفرة كما ذكر ، وكذلك البياض من نفس العقل على زحل ومن صفتة على القمر ، وهكذا .

وفي بعض الروايات : (منه أبيض البياض)^(١) ، وفي بعضها بهذه الرواية : (منه البياض) ، وفي بعضها : (ومنه ضوء النهار)^(٢) ، وفي هذا سرّ اختلف العلماء فيه ، هل البياض صبغ أم هو لونُ هو الوجود والألوان تطراً عليه؟ فمن قال بالأول استدلّ بحديث : (منه أبيض البياض) ، وحمل حديث : (منه البياض) على أن البياض لما كان أول ظاهر على الشيء بعد

(١) قال عليه السلام : (إنه مرگب من أربعة أنوار : نور أحمر منه احرّت الحمرة ، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة ، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة ، ونور أبيض منه أبيض البياض) شرح أصول الكافي : ٤ / ٩٣ ح ١ باب العرش والكرسي ، وتفسير الميزان : ٨ / ١٦٢ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ١٠ .

(٢) قال الإمام زين العابدين عليه السلام : (وأماماً ما سُأْلَ عنِّه من العرش فإنَّ الله عزّ وجلّ خلقه أرباعاً لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء : الهواء والقلم والنور ، ثم خلقه من أنوار مختلفة فمن ذلك النور نور أخضر اخضرّت منه الخضرة ، ونور أصفر اصفرّت منه الصفرة ، ونور أحمر احرّت منه الحمرة ، ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار...) التوحيد : ٣٢٦ باب ٥١ (أن العرش خلق أرباعاً) ح ١ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٣٧٤ - ٣٧٦ ح ١٠٣ .

وجوده شابه الذاتي فأطلق عليه عبارته ، ولأن الموجود مركب والأصل في المركب اللون .

ومن قال بالثاني استدل بهذا الحديث ، وحمل الحديث : (ابيض البياض) على بياض الوجود ، يعني أن الأصل فيه البساطة التي هي البياض ، وعندى أن الثاني أجود .

وبالجملة ، فالأنوار الأربع هي العرش ، وهو ينقسم إليها وهي ، وأشعتها هي مجموع الوجود المقيد الذي أوله الذرّة وآخره الذرّة ، وأعني بأشعتها كلّ ما في الزمان من الأجسام والألوان من متحرك وساكن وجماجم ونام .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

في بيان طينة سجين وطينة البرذخ

ومنها ما رواه في الكافي^(١) بسنده عن ربيعي بن عبد الله عن رجل عن علي بن الحسين عليه السلام قال : (إن الله عز وجل خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسلى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمان وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

تلك الطينة وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم ، فخلط بين الطينتين ، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويولد الكافر المؤمن ، ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة ، فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه ، وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه)^(١) .

اعلم أن الله سبحانه لم يخلق شيئاً فرداً قائماً لذاته للدلالة عليه ، بل كل مخلوق لا بد وأن يكون مركباً بسائطها ومركباتها ، فلا يكون شيء إلا من وجود وماهية .

وبيانه أن الوجود لمّا خلقه الله تعالى انخلق أو لم ينخلق : فإذا قلت : انخلق .

قلت لك : ضمير انخلق يعود إلى المخلوق والمخلوق لم يكن قبل انخلق ، فكيف يعود عليه ذكر ولم يك شيئاً ؟ وإن قلت : لمّا خلقه لم ينخلق ؟

قلت : إذاً ما كان .

والجواب أنه خلقه فانخلق فخلقه هذا وجوده وماهيته انخلق فالشيء إنما هو شيء بالوجود ، والماهية وهي الفعل والانفعال ، وهما متساويان في الظهور لا يوجد أحدهما إلا بالأخر ، وحقيقة

(١) بصائر الدرجات للصفار : ٣٥ ح ٥ ، والكافي : ٢ / ٢٠ ح ٢ ، وعلل الشرائع : ١ / ٨٢ ح ٢ .

هذا الوجود هو أثر المشيّة التي هي فعل الله وإبداعه ، فالإبداع بالله أخذ من هواء العمق الأكبر ، ثم أخرجه إلى ذلك الهواء لفظاً مرتكباً من حروف ، وذلك اللفظ هو السحاب فأمطر من السحاب ماءً على الأرض الجرز فخرج النبات ، فالسحاب هو اللفظ والماء هو الدلالة من خصوص المادة والهيئة والأرض الجرز هي أرض القابليات التي هي أرض الانفعالات كما ذكرنا ، فظهر المعنى من اللفظ كالثمرة من الشجرة .

ثم اعلم أن الشيء لا يكون إلا على ما يمكن لذاته من المشيّة فألبسته المشيّة الحياة والعلم والقدرة وجميع صفات الكمال كلّ بحسبه ، وكانت جميع الخلائق في عالم البرائية ، سواء بالنسبة إلى الإمكان والاختيار ، فلما نشّرهم بين يديه يد الرحمة ويد العدل قال لهم : (أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ ، وَعَلِيٌّ وَلِيُّكُمْ وَإِمَامُكُمْ ؟ قالوا : بَلَى)^(١) ، فمنهم من قالها بلسانه وقلبه مؤمناً معتقداً ،

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ - تَبارَكَ وَتَعَالَى - حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبَى ، وَمَاءً مَا لَحَا أَجَاجًا فَامْتَزَجَ الْمَاءُانَ ، وَأَخْذَ طَبِيَّةً مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَ شَدِيدًا . فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذِّرَّ يَدْبُونَ : إِلَى الْجَهَةِ بِسْلَامٍ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنَّنَا نَتَوَلَّوْنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » [الأعراف : ١٧٢] . ثُمَّ أَخْذَ الْمِيزَانَ عَلَى النَّبِيِّينَ ، فَقَالَ : « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ » وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولِيٌّ ، وَأَنَّ هَذَا عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ « قَالُوا بَلَى » ، فَبَثَتْ لَهُمُ الْنَّبِيَّةُ . وَأَخْذَ الْمِيزَانَ عَلَى أُولَئِي الْعِزَمِ أَنَّنِي رَبُّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولِيٌّ ، وَعَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَّاهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ بَعْدِهِ وَلَاهُ أَمْرِي ، وَخَزَانَ عَلَمِي ، =

فذلك المطيع فخلقه الله خلقاً ثانياً من طينة الطاعة التي هي طينة علیین ، ومنهم من قال : بلی منکراً مستھزاً فذلك العاصي فخلقه الله خلقاً ثانياً من طينة المعصية التي هي طينة سجين ، ومنهم من قال : بلی غیر منکر ولا معتقد فخلقه الله عز وجل خلقاً ثانياً من طينة البرزخ وهي طينة من الطينتين .

بيان طينة الطاعة وطينة المعصية

ثم اعلم أن قولنا : إن المخلوق أول مرة مركب من الوجود والماهية الذي هو الفعل والانفعال ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَانَ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(١) نريد به الهيولى الأولى ، وهذا بعد التركيب هو الهيولى الثانية باصطلاحنا لأنه في التمثيل مركب من المادة والصورة النوعية مثلاً ، كالخشب الذي هو صالح للباب والسرير

= وأن المهدى انتصر به لدینی ، وأظهر به دولتی ، وأنقم به من أعدائی ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهادنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، وختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلین : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ .

وقال رسول الله صلی الله عليه وآلہ لعلی علیه السلام : (أنت الذي احتجّ الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألسْت بربكم؟ قالوا : بلی ! وقال : محمد رسولكم؟ قالوا : بلی . قال : وعلى أمیر المؤمنین؟ فأبى الخلق جميعاً إلّا استکباراً وعتوّا عن ولایتك إلّا نفر قليل ، وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) أمالی الصدق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(١) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

والمداد الذي يصلح أن تكتب به الاسم الشريف والاسم الوضيع فهذا هو الخلق الأول ، ولما قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾^(١) ؟ فمن أطاع خلقه من طينة الطاعة التي خلقها الله من رحمته وهي الصورة الإنسانية التي مقتضاها الطاعة والمعرفة بالاختيار ، وهي طينة عليةن أي أعلى الجنة وهي أرض الولاية العلوية المخمرة بماء المحبة الفاطمية ومنْ عصى خلقه من طينة المعصية التي خلقها الله تعالى بعدله ، وهي صور الحيوانات والحشرات والمقادير الشيطانية التي مقتضاها المعصية والإنكار بالاختيار وهي طينة سجين وهي الصخرة تحت الأرض ، وهي طينة الجحود والطغيان المخمرة بماء الحميم ، وهي منبت شجرة الزقوم فالطينة هي طينة الطاعة والمعصية ، لأن الطينة هي الصورة الفعلية وهي متعلق الأحكام والمادة الواحدة تختلف باختلاف الصورة اختلافاً ضدياً ، لأن السامر يلما صنع العجل من الذهب ، ووضع فيه من تراب الحياة ، خار لأنه صورة عجل ، فإذا حيى كان عجلاً ولو صنع ذلك الذهب كلباً ووضع فيه ذلك التراب نبع وكان نجس العين ، ولو صنعه إنساناً ووضع فيه ذلك التراب تكلم وكان طاهر العين مثلاً ، فالأحكام والحقائق والطاعة والمعصية كلها من الصورة ، وهي التي أشرنا إليه في الحديث في التأويل : (السعيد

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

من سعد في بطن أمّه^(١) ، وهي الصورة كما يدل عليه كلام الصادق عليه السلام ، حيث قال : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْمُؤْمِنَ مِنْ نُورٍ وَصَبَغَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ^(٢) فَالْمُؤْمِنُ أَخْوَ الْمُؤْمِنِ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ أَبُوهُ النُّورِ وَأُمِّهِ الرَّحْمَةِ^(٣)) ، فتأمل هذا الحديث الشريف ما أصرحه في المدعى ، أَلَا ترى ما حكم به أهل الشرع فيما إذا نَزَّا كلبً على شاة فأولدها أن حكم ذلك المولود في الحل والتحريم والطهارة والنجاسة تابع لصورته ، فإن كان شاة فحلال طاهر ، وإن كان كلباً فحرام نجس والمادة واحدة ، وإنما اختلفت الأحكام باختلاف الصورة ، فصور الطاعة في ذلك البروج ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْمِيَّتٍ ١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيْنَا ١٧﴾ كِتَابٌ مَرْفُوعٌ
 يَشَهِّدُهُ الْمُقْرِئُونَ ٢١﴾^(٤) ، وهم الكروبيون والأبرار هم خواص الشيعة ، وقد يطلق على خصيصي الشيعة بالنسبة إلى أئمتهم عليهم السلام وصور المعصية في الصخرة التي تحت الملك الحامل للأرض ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجْنٍ ٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجْنٌ^(٥)

(١) توحيد الصدوق باب (٥٨) السعادة والشقاوة ح ٣ ، وشرح أصول الكافي : ١ / ٢٢٢ ، وشرح الأسماء الحسنی : ١ / ٢٦٢ ، ونهاية الأفکار للعراقي : ٢ / ١٧١.

(٢) في المصادر زيادة : (وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية).

(٣) محسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٣ ح ٢.

(٤) سورة المطففين ، الآيات : ١٨ - ٢١.

﴿كِتَبٌ مَّرْقُومٌ وَّيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(١) هُمْ خَوَاصٌ أَصْحَابُ الشَّمَاءِ .

سَرُّ وِرَاتِبِ خَلْقِ طَيْنَةِ الْقُلُوبِ وَالْأَبْدَانِ

وَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (قُلُوبُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ) فِيهِ إِجْمَالٌ ، وَتَفْصِيلٌ ذَلِكَ : أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ مِّنْ عَلَيْنَا ، يَعْنِي مِّنْ غَيْبِ عَلَيْنَا خَلْقٌ طَيْنَةٌ أَبْدَانُهُمْ ، وَذَلِكَ الْغَيْبُ هُوَ غَيْبُ الْكَرْسِيِّ وَالْعَرْشِ وَجَسْمِ الْكُلِّ وَالْمَثَالِ وَالْهَيْوَلِيِّ وَالْطَّبِيعَةِ الْكُلِّيَّةِ وَالنَّفْسِ الْكُلِّيَّةِ وَالرُّوحِ الْكُلِّيَّةِ ، فَهَذِهِ ثَمَانُ مَرَاتِبٍ ، وَمِنْ سَرِّ ذَلِكَ الْغَيْبِ خَلْقُ قُلُوبِهِمْ وَخَلْقُ مِنْ فَاضِلٍ طَيْنَةٍ أَبْدَانُهُمْ قُلُوبٌ شَيْعَتْهُمْ .

وَمَعْنَى قَوْلُنَا (فَاضِلٌ) نَرِيدُ بِهِ الشَّعَاعَ ، كَمَا تَقُولُ نُورُ الشَّمْسِ الْوَاقِعُ ظَاهِرًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ هُوَ مِنْ فَاضِلِّ نُورَهَا الْقَائِمُ بِجَرْمِهَا ، وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَخَلْقُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تِلْكَ الطَّيْنَةِ) أَيْ مِنْ فَاضِلِّهَا ، أَيْ مِنْ شَعَاعِهَا ، وَإِنَّمَا سُمِيَ الشَّيْعَةُ شَيْعَةً لِأَنَّهُمْ مِنْ شَعَاعِ أَئْمَانِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَوْ مِنْ الْمَشَايِعِ وَهِيَ الْمَتَابِعَةُ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (وَجَعَلَ أَبْدَانَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ دُونِ ذَلِكِ) ، أَيْ جَعَلَ أَبْدَانَهُمْ مِنْ ظَاهِرِ عَلَيْنَا ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّ وَاحِدٍ خَلَقَ مِنْ عَشَرَ قَبْضَاتٍ تَسْعَ مِنَ الْأَفْلَاكِ التَّسْعَةِ وَقَبْضَةٌ مِنْ أَرْضِ الدُّنْيَا ، وَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى تَفْصِيلُ ذَلِكَ .

(١) سورة المطففين ، الآيات : ٧ - ١٠ .

وقوله عليه السلام : (وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم) ، كما تقدم خلق قلوبهم من أسفل من سجين وهو غيبها ، وهو غيب الثور والحوت والبحر والريح العقيم وجهنم والطّمّاطم والثرى وما تحته ، فهذه ثمان مراتب وخلق أبدانهم من عشر قبضات من سجين والملك والأرضين السبع وسماء الدنيا .

وقوله عليه السلام : (وخلط بين الطينتين) ، أي طينة المؤمن وطينة خواص المكذبين ، وذلك بعد أن كلفهم في عالم الذر كلف المؤمنين تحت النور الأخضر ، وكيف المنافقين فوق الثرى ، فلما حكم على أهل طاعته بمقتضاها وهو قوله : (للجنة ولا أبالي) ، وعلى أهل معصيته بمقتضاها وهو قوله : (للنار ولا أبالي) ، وذلك بعد أن صاغ المؤمنين في النور الأخضر ، والمنافقين في الثرى كسرهم جميعاً فجعلهم تراباً ، كسر المؤمنين في النور الأحمر وكسر المنافقين في الطمّاطم ، ثم خلط الطينتين في هذه الدنيا فكررت عليه العناصر الأربع والأفلاك فنعت الطينتان فصعدت في النباتات ثماراً جنية وحنطة وأرزًا وتمراً وعنبًا ، وغير ذلك .

في بيان تكوُّن الطين من شجرة المزن

ثم اعلم أنَّ الله بلطيف صنعه قد خلق شجرة تحت العرش اسمها المزن ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْمِزَنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾^(١) ، هو

(١) سورة الواقعة ، الآية : ٦٩.

المنزل وهو العلي الحكيم وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجَنَا لَهُمْ دَآبَةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِشَاءَتِنَا لَا يُؤْفِقُونَ ﴾^(١) وإنما ذكرت هذه الإشارات المغلقة استدعاً لقرع الباب فإن من قرع الباب أوشك أن يفتح له .

والحاصل : وكانت شجرة المزن تقع منها النطف قطر المطر اللطيف على الشجر والثمار المذكورة والبقول ، فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة المزن مؤمن أو كافر إلا خرج من صلبه مؤمن ، وإن الله بلطيف صنعه أنبت شجرة الزقوم ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٦٤ طَلَعُهَا كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ٦٥ ﴾^(٢) ، وتلك الشجرة منكوبةعروقها في طينة خبال وهي سجين وثمارها في الجحيم .

وقوله : ﴿ كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ أي هو رؤوس الشياطين وتلك الشجرة تصعد منها أبخرة إلى أرض الدنيا فتقع النطف وهي القطر منها على الشجر والثمار المذكورة والبقول فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة الزقوم مؤمن أو كافر إلا خرج من صلبه كافر ، والمعنى في ذلك أن قطر شجرة المزن تسرى فيما لها من الطين الطيبة بفتح ياء الطين حتى يكون المؤمن

(١) سورة النمل ، الآية : ٨٢ .

(٢) قال تعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ٦٤ طَلَعُهَا كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ٦٥ ﴾ سورة الصافات ، الآيات : ٦٤ ، ٦٥ .

من الجميع ، وإن قطر شجرة الزقوم تسري فيما لها من الطين الخبيثة - بفتح ياء الطين - حتى يكون المنافق من الجميع ، فهذا معنى قوله عليه السلام : (فمن هذا يلد المؤمن الكافر ، ويولد الكافر المؤمن) ، ولما كانت الطينتان قد امتزجتا في الأرض والماء والهواء والنار والمطاعم كلها والملابس والأمكنة والأزمنة والصور كان المؤمن من جهة لطخ طينة الكافر يصيب السيئة ، وكان الكافر من جهة لطخ طينة المؤمن يصيب الحسنة .

ومعنى قوله : امتزجتا في الصور ، أنه سبحانه لما قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾^(١) ، فمن قال بلسانه وقلبه عارفاً بما قال خلقه من طينة الطاعة ، وهي الإنسانية التي هي جوهرة كنهاها الربوبية ، ومن قال بلسانه خاصة خلق صورته صورة إنسان لإقراره باللسان وقلبه وصورة حقيقته صورة شيطان وهي صورة المعصية فامتزاجهم في الصورة الإنسانية ظاهراً ، فالصورة الإنسانية الظاهرة أصاب الكافر الحسنة .

وقوله عليه السلام : (فقلوب المؤمنين تحنّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنّ إلى ما خلقوا منه) معناه أن قلوب المؤمنين خلقوا من فاضل طينة أئمتهم عليهم السلام ، ولما مزجت الطينتان إنما امتزجت طينتا الجسمين ، وأما طين القلوب فهي باقية على بساطتها ووحدتها لم تمزج بطين قلوب الكفار ، فلهذا إذا أصاب

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

المؤمن السيئة كان قلبه منكراً عليه ماقتاً له نادماً على فعله لأنه لا لطخ فيه ، وإذا ذكرت أئمتهم عليهم السلام طارت قلوبهم إليهم بالاشتياق والوفاق ، لا ملاحظة رجاء ثواب ولا ملاحظة دفع عقاب .

قال تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفِيدَةً مِنَ النَّاسِ تَهُوَى إِلَيْهِمْ ﴾^(١) .

وكذلك قلب الكافر لم يمزج بطينة المؤمن فكان إذا فعل بعض الطاعة كان قلبه كارهاً لها لأنها ليست من شجرته ولا من ثمرها ، وإذا فعل المعصية مالت نفسه وقلبه إليها لأنه منها ، وإذا ذكر أولياء الله استوحشوا ، وإذا ذكر أعداء الله أنسوا ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَأَرَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشُونَ ﴾^(٢) .

وأخبرك وفكك الله أنّي لم أترك شيئاً من البيان فيما سألت عنه ، نعم قد يكون خفيّاً لعدم الأنس بالاصطلاح وقد يكون غفلت عنه ، ولا ريب أن الكتابة ليست كالمشافهة فإن المشافهة تطرد العصافير بقطع الشجرة لا بالتنفير .

والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة إبراهيم ، الآية : ٣٧.

(٢) سورة الزمر ، الآية : ٤٥.

القبضات التي خلق منها آدم عليه السلام

قال : ومنها عن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : (إن الله عز وجل لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة) ^(١) .

أقول : ي يريد بأول ساعة من يوم الجمعة أول آخر مراتب العوالم ، وذلك لأن (الله سبحانه خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم نحن في آخر العوالم وأخر الآدميين) ^(٢) ، في يوم الجمعة هو يوم تم فيه مراتب الوجود الكلية ابتدأ من يوم الأحد وهو النور الأبيض ، ويوم الإثنين هو النور الأخضر ، وأما النور الأصفر فمتردد بين اليومين ، ويوم الثلاثاء هو النور الأحمر ، ويوم الأربعاء هو جوهر الهباء في العمق الأكبر ، ويوم الخميس هو

(١) الكافي : ٢ / ٥ ح ٧ ، وتفسير نور التقلين : ١ / ٧٤٨ ح ١٩٣ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٨٧ ح ١٠ ، وتفسير الميزان : ٧ / ٣٠٧ .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق ، وهذا العالم وأسكن أهل الجنة وأهل النار النار ، جدد الله عز وجل عالماً من غير فحولة ولا إناث ، يبعدونه ويوحدونه ، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسماء غير هذه السماء تظلهم ، لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد ، وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين) انتهى ، الخصال : ٦٥٢ ح ٥٤ ، والتوحيد : باب ٣٨ ذكر عظمة الله جل جلاله ح ٢ .

المثال ويوم الجمعة يوم الجسم ، فهذه هي الستة الأيام التي خلق الله السماوات والأرض فيها ، وهي فصل الربيع والصيف والخريف والشتاء والمادة والصورة ، فكمال مراتب الوجود الكلية وتمامها وجود أبينا وذريته وزمانه ، وكان أبوانا أول من وجد منها فكان أول ساعة من يوم الجمعة .

قال عليه السلام : (فقبض بيمنه قبضة فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، وأخذ من كل سماء تربة ، وقبض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى)^(١) .

(١) وتمام الحديث كما في الكافي : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ بَعْثَ جَبَرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامَ فِي أَوَّلِ سَاعَةٍ مِّنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَقَبَضَ بِيْمِينِهِ قَبْضَةً ، بَلَغَتْ قَبْضَتِهِ مِنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، وَأَخْذَ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ تَرْبَةً وَقَبَضَ قَبْضَةً أُخْرَى مِنَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْعُلِيَا إِلَى الْأَرْضِ السَّابِعَةِ الْقُصُوْيِّ)^(١) .

فَأَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كَلْمَتَهُ فَأَمْسَكَ الْقَبْضَةَ الْأُولَى بِيْمِينِهِ وَالْقَبْضَةَ الْأُخْرَى بِشَمَالِهِ ، فَقَلَقَ الطَّينُ فَلَقَيْتَنِي فَذَرَاهُ مِنَ الْأَرْضِ ذَرْوًا وَمِنَ السَّمَاوَاتِ ذَرْوًا فَقَالَ لِلَّذِي بِيْمِينِهِ : مِنْكَ الرَّسُولُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأُوصِيَاءُ وَالصَّدِيقُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالسَّعَادَاءُ وَمِنْ أَرِيدَ كَرَامَتَهُ فَوْجَبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ ، وَقَالَ لِلَّذِي بِشَمَالِهِ : مِنْكَ الْجَبَارُونَ وَالْمُشَرِّكُونَ وَالْكَافِرُونَ وَالظَّاغِيَّاتُ وَمِنْ أَرِيدَ هُوَانَهُ وَشَقْوَتَهُ ، فَوْجَبَ لَهُمْ مَا قَالَ كَمَا قَالَ ، ثُمَّ إِنَّ الطَّيْنَتَيْنِ خَلَطْتَنَا جَمِيعًا ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَمَدُ وَالْأَنْوَاعُ » [الأنعام : ٩٥] فالحب طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته ، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير وإنما سُمي النوى من أجل أنه =

أقول : أعلم أن الله خلق الإنسان من عشر قبضات ، ومثل عليه السلام بسبع قبضات ، إشارة إلى قوله : ذكوان ، في قول الباقي عليه السلام : (إن حديثنا صعب مستصعب ، أجرد ذكوان^(١) ، ثقيل مقنع)^(٢) الحديث ، وإنما فهي عشر قبضات : قبضة من محدد الجهات خلق منها قلبه ، وقبضة من الكرسي خلق منها صدره ، وقبضة من فلك زحل خلق منها عقله ، وقبضة من فلك المشتري خلق منها علمه ، وقبضة من فلك المريخ خلق منها وهمه ، وقبضة من فلك الشمس خلق منها وجوده الثاني ، وقبضة من فلك الزهرة

=
نَّاٰيٰ عَنْ كُلِّ خَيْرٍ وَّ تَبَاعِدُ عَنْهُ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَخْرُجُ الْمَيِّتُ مِنَ الْأَيَّتِ وَمُخْرُجُ الْأَيَّتِ مِنَ الْمَيِّتِ » [الأنعام : ٩٥] ، فالحي : المؤمن الذي تخرج طبيته من طينة الكافر ، والميت الذي يخرج من الحي : هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن ، فالحي : المؤمن ، والميت : الكافر ، وذلك قوله عز وجل : « أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتاً فَأَحْيَيْنَاهُ » [الأنعام : ١٢٢] فكان موته اختلاط طبيته مع طينة الكافر وكان حياته حين فرق الله عز وجل بينهما بكلمته ، كذلك يخرج الله عز وجل المؤمن في الميلاد من الظلمة بعد دخوله فيها إلى النور ، ويخرج الكافر من النور إلى الظلمة بعد دخوله إلى النور ، وذلك قوله عز وجل : « لَيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيَاً وَيَحْيَى الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » [بس : ٧٠] .

(١) ذكي وذاك : ساطع الرائحة (لسان العرب : ذكا) . والذكاء : التوفّد والالتبّاب ، أي : ينور الخلق دائمًا .

(٢) وتمام الحديث : (.. ثقيل مقنع لا يحتمله ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، قيل : فمن يحتمله ؟ قال عليه السلام : نحن) . مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم عليه السلام للأصفهاني : ١ / ٤٣٥ ، وبصائر الدرجات : ٤٢ / ح ١٠ و ٣ .

خلق منها خياله ، وقبضة من فلك عطارد خلق منها فكره ، وقبضة من فلك القمر خلق منها حياته ، وقبضة من أرض الدنيا خلق منها جسده هذا خلق المؤمن .

ثم لما أراد أن يخلق الكافر أمر الملك فقبض قبضة من الحوت الذي على البحر تحت الأرضين فخلق منها قلبه ، وقبضة من الثور فخلق منها صدره ، وقبضة من الأرض السابعة القصوى أرض الشقاوة ، فخلق منها دماغه ، وقبض قبضة من الأرض السادسة خلق منها علمه وهي أرض الإلحاد ، وقبضة من الأرض الخامسة أرض الطغيان خلق منها وهمه ، وقبضة من الأرض الرابعة أرض الشهوة خلق بها وجوده الثاني ، وقبضة من الأرض الثالثة أرض الطبع خلق منها خياله ، وقبضة من الأرض الثانية أرض العادة خلق منها فكره ، وقبضة من الأرض الأولى أرض النفوس خلق منها جسده ، وقبضة من سماء الدنيا خلق منها حياته .

فهذا تفصيل القبضات وفي الحديث ذكرها مجملة .

قال عليه السلام : (فأمر الله كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمنيه والقبضة الأخرى بشماله ، ففرق الطين فلقتين فذرأ من الأرض ذروأ ومن السماوات ذروأ ، فقال للذى بيمنيه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ، ومن أريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال ، وقال للذى

بسم الله : منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواحيث ،
ومن أريد هوانه وشققته فوجب لهم ما قال كما قال) .

أقول : قوله عليه السلام : (فأمر الله كلمته) يريد بالكلمة
كلمة ﴿ كُن ﴾^(١) ، فالكاف إشارة إلى الكلمة التي انزجر لها
العمق الأكبر ، وهي الكاف المستديرة على نفسها وهي الاسم
الذي استقر في ظلّه فلا يخرج منه إلى غيره ، والنون إشارة إلى
الأرض الجرز والدواة الأولى وبينهما حرف وهو (و) ، لأن
(كُن) أصله كُون ، وإنما حُذفت الواو لالتقاء^(٢) الساكنين ،
إشارة إلى أنها موجودة في الكون مفقودة في العين والواو هي
الماء الذي جعل الله منه كلّ شيء حي ، وهي في اللفظ الظاهر هي
دلالة اللفظ على معناه ، فالماء هو الذي ساقه الله إلى الأرض
الجرز فأنبت فيها ما شاء كما شاء ، فالكلمة في الحديث هي عالم
الأمر وهي المشية والإبداع فأمسك القبضة الأولى التي من
السموات وهي الطينة الطيبة بيمينه واليمين هي يد الرحمة وهي
باطن الولي ، يعني باطن الباب فاليمين هو الولي عليه السلام وهو
يمين المشية وعده بالجمل الكبير مئة وعشرة ، والمراد من القبضة
هو التكليف الأول حين قال لهم : (ألسْت بِرَبِّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٧ .

(٢) في نسخة أخرى : للاتقاء .

نبيكم ، وعلى ولیکم^(١) ؟ فالتكلیف من الله سبحانه بالكلمة المذکورة ، ويین الكلمة يد الرحمة وهو الولي عليه السلام ، فلما قال الأولياء : «**بَكَانَ**» معتقدين دخلوا في الباب الذي باطنه فيه الرحمة ، فهذا معنی الإمساك لأنّ الطاعة هي الدخول في الولاية ، فمعنی قولنا : خلق من طينة الطاعة ، كقول أمیر المؤمنین عليه السلام لكمیل : (فیلوح علی هیاکل التوھید آثاره)^(٢) ، ظهور

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مائَةً عَذْبَاً ، وَمَائَةً مَالْحَاجَأَ فَامْتَزَجَ الْمَاءُ وَالنَّارُ ، وَأَخْذَ طِينًا مِنَ الْأَرْضِ فَعَرَكَ شَدِيدًا) . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون : إلى الجنة سلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي ، ثم قال : «**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَّ شَهِدْنَا أَنْ نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ**» [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : «**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ**» وأنّ هذا محمد رسولی ، وأنّ هذا على أمیر المؤمنین «**قَالُوا بَلَّ**» ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولی العزم أتنی ربکم ، ومحمد رسولی ، وعلى أمیر المؤمنین وأوصیاؤه عليهم السلام من بعده ولاة أمری ، وخزان علمی ، وأنّ المهدی انتصر به لدینی ، وأظهر به دولتی ، وأنتقم به من أعدائی ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهدنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومختصر البصائر : ١٥٥ ، وتفسیر نور الثقلین : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ .

وقال رسول الله صلی الله عليه وآلہ لعلی عليه السلام : (أنت الذي احتاج الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ألسنت بربکم ؟ قالوا : بلى ! وقال : محمد رسولکم ؟ قالوا : بلى . قال : وعلى أمیر المؤمنین ؟ فأبى الخلق جميعاً إلا استکباراً وعتواً عن ولايتك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) أمالی الصدق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(٢) قال لكمیل بن زیاد لعلی عليه السلام : (ما الحقيقة ؟ قال : ما لك والحقيقة ؟

الآثار كهيكل التوحيد أنهم لما قبلوا التوحيد خلقهم كهيكل التوحيد ومثاله ، لما أن شعاع الشمس أطاعها وامتثل أمرها أظهرت له كهيكلها منيراً حاراً يابساً كهيكلها فإنها منيرة حارة يابسة ، وهذا معنى قولنا سابقاً : خلقهم لما أجابوا من طينة الطاعة وهي الصورة الإنسانية ، ثم إن الكلمة أمسكت القبضة الأخرى وهي الطينة الخبيثة بشماله وهي يد العدل ، وهو قوله تعالى : ﴿وَظَاهِرُهُ﴾ أي ظاهر الباب ، ﴿مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾^(١) وذلك حين أنكروا فخلقهم من طينة المعصية أي إنكارهم الولاية ، وهي ﴿وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ ، وذلك معنى قوله صلى الله عليه وآله حين سُئل : لم كان على قسيم الجنة والنار ؟

قال : لأن الله خلق الجنة من حبه وخلق النار من بغضه^(٢) .

قال : أو لست صاحب سرك ؟ قال : بل ! ولكن يوشح عليك ما يطفح مني !
 قال : أو مثلك يُخيب سائلاً ؟ قال : الحقيقة كشف سمات الجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغبطة السر . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلوح على هيكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إطف السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنتبع الأنوار للأملي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / ٢٢٢ .

(١) سورة الحديد ، الآية : ١٣ .

(٢) عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام في محادثته مع جابر الأنصاري قال : يا ابن رسول الله أما علمت أن الله تعالى إنما خلق الجنة لكم ولمن أحبكم ، =

وقوله عليه السلام : (فَلَقَ الطِّينَ فَلَقْتَيْنَ) معناه أنهم قبل التكليف الأول باعتبار إمكان الطاعة والمعصية بالنسبة إلى الفريقين شيء واحد ، وإنما افترقا بالطاعة والمعصية ، فمن أطاع خلق بصورة المطيع ومن عصى خلق بصورة العاصي ، فهذا معنى خلق فلقتين وهو معنى : (ذرًا من السماوات ذرُواً ومن الأرض ذرُواً) وهو معنى : (فَقَالَ لِلَّذِي بِيْمِينِهِ مِنْكُ الرَّسُلِ) الخ ، لأن كلّ هذه المعاني هي حكم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ .

وقوله عليه السلام : (فوجب لهم ما قال كما قال) معناه أنه

وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم ، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك ، قال له علي بن الحسين عليه السلام : (يا صاحب رسول الله ، أَمَا علمت أن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلم يدع الاجتهد له ، وتعبد بأبيه هو وأمي حتى انتفع الساق وورم القدم ، وقيل له : أتفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أَفَلَا أَكُون عبدًا شكوراً) . فلما نظر جابر إلى علي بن الحسين عليه السلام وليس يعني فيه من قول يستميله من الجهد والتعب إلى القصد ، قال له : (يا ابن رسول الله ، البقايا على نفسك ، فإنك لمن أسرة بهم يستدفع البلاء ، وتستكشف الألواء ، وبهم تستمطر السماء) . فقال : (يا جابر ، لا أزال على منهاج أبيي مؤسساً بهما صلوات الله عليهما حتى ألقاهما) فأقبل جابر على من حضر فقال لهم : (والله ما أرى في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب عليه السلام ، والله لذرية علي بن الحسين عليه السلام أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب ، إن منهم لمن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً) انظر أمالی الطوسي : ٦٣٧ ح ١٣١٤ ، وبشارة المصطفى للطبرى : ١١٤ ح ٥٣ ، ومناقب آن أبي طالب : ٣ / ٢٨٩ ، ومدينة المعاجز : ٤ / ٢٤٣ ح ١٢٧٣ .

خلق ما خلق على ما هو عليه وهو العليم الخبير لا يبخس مستحقاً ولا يظلم أحداً.

قال : (ثُمَّ إِنَّ الطَّينَتَيْنِ خَلَطْنَا جَمِيعاً ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿فَالْحَبَّ طِينَةٌ الْمُؤْمِنُينَ الَّتِي أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهَا مَحْبَبَتِهِ ، وَالنَّوْى طِينَةُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ نَأَوْا عَنْ كُلِّ خَيْرٍ﴾).

أقول : قد تقدم بيان خلط الطينتين بعد أن كسرت طينة المؤمن في النور الأحمر وطينة الكافر في الطيطام ، فلا فائدة في إعادتها ، ولقد أوضحت لك في الطينة ما يرتفع به الجبر إذ ليس في الوجود جبر بل الله سبحانه مختار وفعله مختار ومفعوله مختار فليس جبر أبداً ، فافهم .

شرح حديث تخمير طينة آدم بيدي الله تعالى

ومنها حديث : (خَمَرَتْ طِينَةُ آدَمَ بِيَدِيِّ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً) (٢) .

أقول : الإشكال المسؤول عنه في لفظ (خمرت) وفي (بيديّ) وفي (أربعين صباحاً) لا تزيد ولا تنقص .

فالجواب : عن الأول : أن التخمير المراد به تنعيم أجزاء

(١) سورة الأنعام ، الآية : ٩٥.

(٢) عوالي اللالي : ٤ / ٩٨ ح ١٣٨ ، وشرح فصوص الحكم : ١ / ٥٨ ، وشرح نبراس الهدى للسبزواري : ٢١٥ .

المخمر وتكتل يسنه بالحرارة والرطوبة المصلحين ، وهمما في كل شيء بحسبه ، وقد مر ذكر ذلك في الجملة وهو تخمير طينة آدم في عالم الجبروت في العقول وفي الأرواح وفي النفوس وحلّها في الطبيعة والمادة ، وعدها في المثال وحلّها في الأجسام العلوية وفي الملائكة ، وفي الريح وفي السحاب والأرض . وطينة ذريته في كل المراتب المتقدمة ، وفي أغذية النبات وفي الشمار وفي الطبخ بالماء والنار ، وعند الأكل بالتنعيم بالأضراس وفي المعدة حتى كان كيلوساً ثم كان كيموساً ثم غذاءً مشاكلاً مشابهاً ، ثم يكون نطفة في الأصلاب ، ثم في البيضة اليسرى حتى يبيض ، ثم في اليمنى حتى يصفو ، ثم في الرحم برطوبة الحيض وحرارة الحمى ، وهكذا حتى يخرج إلى فضاء الدنيا .

وعن الثاني : أنه قد تقدم ذكر اليدين ، والمراد بهما يداً الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهمما يد الفضل ويد العدل ، والكلمة هي الربوبية إذ مربوب ، ومعنى أنه سبحانه رب زيد أنه مالكه ، يعني أن جميع ذات وجوده التكويني والتشريعي كلها بيده سبحانه حين هي واصلة إليك كما هي قبل أن تظهر عليك فهي أبداً قائمة به قيام صدور لا قيام عروض ، وهو قول الرضا عليه السلام : (هو المالك لما ملكهم والقادر على ما أقدرهم عليه)^(١) .

(١) توحيد الصدوق : ٣٦١ ح ٧ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١ = ١٣٢

ومعنى أنه رب أي مربّيه ، وهو المقدّر في التأليف ومقوّي الضعف بحسن التقدير ، ولطيف التدبير .

ومعنى أنه ربه أنه سائق رزقه الوجودي والتشريعي .

ومعنى أنه ربّه أي صاحبه فهو معه في كلّ حال ، بمعنى أنه شيء بمشيته وهو معنى القيومية في كلّ شيء .

وأمّا الكلام في الربوبية إذ لا مرّبوب من حيث مبلغ الحادث فهو طويل عريض يفني الأيام ، وأمّا من حيث الذات فقد سدت دونه الأبواب وليس للسائل عنه جواب إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب .

وعن الثالث : اعلم أنّ الله سبحانه خلق الحرارة من حركة الفعل الكونية ، وخلق البرودة من سكون المكوّن ، فنكحت

= ح ٤٨ ، وبحار الأنوار : ٥ / ٢٢ ، والاختصاص للمفيد : ١٩٨ ، والاحتجاج للطبرسي : ٢ / ١٩٨ .

ولفظه في التوحيد : عن سليمان بن جعفر الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال : ذكر عنده الجبر والتقويض فقال : (ألا أعطيكم في هذا أصلاً لا تختلفون فيه ، ولا تخاصمون عليه أحداً إلا كسرتموه ؟) قلنا : إن رأيت ذلك ، فقال : (إن الله عزّ وجلّ لم يطبع بإكراه ولم يعص بغلبة ولم يهمل العباد في ملکه ، هو المالك لما ملکهم ، والقادر على ما أقدرهم عليه ، فإن ائتمر العباد بطاعته لم يكن الله عنها صاداً ولا منها مانعاً ، وإن ائتمروا بمعصيته فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل وإن لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم فيه) . ثم قال عليه السلام : (من يضبط حدود هذا الكلام فقد خصم من خالقه) .

الحرارة البرودة فأولدت الرطوبة ونکحت البرودة الحرارة فأولدت اليبوسة فكانت الطبائع الأربع ، فأدار بعضها على بعض فتولدت العناصر وهو الدور الأول فأدار العناصر بعضها على بعض فتولدت المعادن وهو الدور الثاني ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت النباتات وهو الدور الثالث ، وأدار الجميع بعضه على بعض فتولدت الحيوانات وهذه هي الأدوار الأربع ، الرابع منها هو تمامها ، وقد قلنا سابقاً : إن الإنسان خلق من عشر قبضات ، وقد مر ذكر ذلك ، وكل قبضة إنما وجدت على هذا الترتيب بأن كورت أربع كورات ورابع كل قبضة هو تمامها ، فالعشر بغير التمام ثلاثة وبالتمام أربعين وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَعْدَنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّنَهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَتُ رَبِيعٍ أَرْبَعينَ لَيْلَةً ﴾^(١) ، فكان الفاعل واحداً والفعل واحداً والمفعول واحداً .

فمعنى أنه خمر طينة آدم أربعين صباحاً مثلاً القبضة التي من محمد الجهات خمر في أول يوم العناصر عناصرها وفي أول ثاني يوم معدها وفي أول ثالث يوم نباتها ، وفي أول رابع يوم حيوانها ، فالعشر القبضات كل قبضة أدارها أربعة أدوار وهذه أربعين وهي مراتب الوجود ، قوله صباحاً يشير به إلى أول اليوم .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢ .

ثم اعلم أن هذا التدوير إن كان في الغيب فهو في اصطلاحنا
كُور ، وإن كان في الشهادة فهو دور .
والحمد لله وحده .

تمت بقلم المجيب أحمد بن زين الدين الأحسائي
يوم الثلاثاء من جمادى الأولى سنة ١٢٢٣ حامداً مصلياً
مستغفراً .

٤ - رسالة في جواب الملا

محمد الجيلاني الرشتي

رسالة في جواب الملا محمد الجيلاني الرشتني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .
أما بعد ، فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدين الأحسائي : إنـ العالم العـامل الفـاضل المـمجد شـيخنا الشـيخ المـلا محمد حـمدـت عـوـاقـبـه ، وـسـدـدـت مـذاـهـبـه ، قد عـرـضـت لـه بـعـضـ الاـشـتـبـاهـاتـ فـي بـعـضـ الـمـسـائـلـ الـعـرـفـانـيةـ حـالـ الـدـرـسـ عـلـيـ فـكـتـبـهاـ وـأـرـادـ مـنـيـ جـوـابـهاـ وـكـانـ حـالـ سـفـرـنـاـ إـلـىـ الـعـتـبـاتـ الـمـقـدـسـاتـ وـلـمـ يـكـنـ لـيـ تـوـجـهـ إـلـيـهاـ .

فـقالـ لـيـ حـرـسـهـ اللهـ تـعـالـىـ وـسـدـدـهـ : عـسـىـ أـنـ يـحـصـلـ لـكـمـ تـوـجـهـ فـيـ الـطـرـيقـ أـوـ فـيـ أـيـ حـالـ ، فـلـمـ يـسـعـنـيـ رـدـهـ أـدـامـ اللهـ فـضـلـهـ وـجـدـهـ فـكـتـبـتـ عـلـىـ جـهـةـ الإـشـارـةـ وـالـاقـتـصـارـ اـعـتـمـادـاـ عـلـىـ فـهـمـهـ وـرـسـمـتـ كـلـامـهـ أـعـلـىـ اللهـ مـقـامـهـ كـالـمـتـنـ وـجـوـابـيـ كـالـشـرـحـ لـيـكـونـ أـدـلـ عـلـىـ الـمـطـلـوبـ .

قالـ سـلـمـهـ اللهـ : بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ، الـحـمـدـ للـهـ ربـ العالمـينـ وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ مـحـمـدـ خـاتـمـ النـبـيـنـ وـعـلـىـ آـلـهـ الطـاهـرـينـ وـأـصـحـابـ الـكـامـلـينـ وـأـحـبـائـهـ الـمـسـكـمـلـينـ ، وـبـعـدـ ، فـالـاستـدـعـاءـ مـنـ

الدرة النادرة في دهره رأس الكاملين ورئيس العارفين وقطب المجتهدين والمتألهين وقدوة المتقدمين والمتاخرين المقنن لقوانين الدين المبين لأحكام الأئمة المعصومين عليهم السلام أجمعين .

إنما ذكرت هذه الأوصاف مع اعتقادي في نفسي خلافها لأجل ما ذكر غيره لي في مثل هذا وإرادة كتابته ولاعتقاده ذلك ، وأنا أقول كما قال الله سبحانه : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(١) الآية ، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون .

قال سلمه الله : أن يمن تفضلاً على أحوج عباد الله الفقير الحقير محمد بن محمد نصير الجيلاني بتحقيق المسائل التي وردت عليه في أثناء القراءة والاستفادة من جنابكم ، ولما كانت إطالة الكلام في أثنائها من سوء الأدب بجهات عديدة مع أن أمثال هذه المسائل وغيرها عندكم من قبيل الأوليات . وكان البيان بتحرير الأقلام أوقع فذكرت بعضها في هذه الصحيفة ملتمساً من التحرير الأوحد والمربى الماجد أن ينظرها بعين الرأفة والرحمة ويبينها بنحو التفصيل على ما هو الحق عند نظره الجليل :

منها : ما المراد من الإمكان الذي هو المكان للمتمكن الأول والوعاء للمشية الكونية ؟

(١) سورة النساء ، الآية : ١٢٣ .

بيان المراد من الإمكان والوعاء للمشيخة الكونية

أقول : إنني لضيق وقتي وعدم توجّه قلبي لا أتكلّم على شيء من العبارة لا بتطويل ولا تعديل في جميع المسائل أو أغليّها ، وإنما اقتصر على ما هو الحق في المسألة بما هو مستفاد من كلمات أهل العصمة عليهم السلام مما هو مطابق للعقل المستنير بنور هدايتهم عليهم السلام ، وإن لم أذكر خصوص الدليل أو جهة المأخذ اعتماداً على فهمه واعتقاده فيما أقرّه .

قال سلمه الله : فإن كان عبارة عن إمكانات الشيء الموجود كإمكان كونه فرساً أو بقراً أو غنماً أو إنساناً إلى غير ذلك حين كونه حجراً فهذه بعينها وعاء ومكان للمشيخة الإمكانية ، فعلى هذا إما يلزم الاتّحاد بينهما أو كون أحدهما بلا مكان ، وكلاهما باطلان ضرورة أن كلّ كون مسبوق بالإمكان فالسابق غير المسبوق كما أنّ لكلّ لا بدّ من مكان إلا أنه في كلّ بحسبه .

أقول : إن الإمكان المسؤول عن حقيقته وتعيينه هو متعلق المشيخة الإمكانية والتعيين الأول^(١) ظهرت به لأنّه شرط لظهورها وهو إمكانات جميع الممكّنات ما كان وما يكون وما لا يكون ، والشيخة واحدة ، ففي الرتبة الأولى تُسمى بالإمكانية لتعلقها بالإمكانات وهي العلم الذي لا يُحيطون بشيء منه كما في الآية

(١) في نسخة : والتعيين الأول .

الشريفة ، وتسّمى في الرتبة الثانية بالكونية لتعلقها بالأكونان ، وهي العلم الذي يحيطون به في قوله تعالى : « إِلَّا بِمَا شَاءَ »^(١) ، فليس المشيّة مشيّتين إحداهما إمكانية والثانية كونية ليجب تغايرهما ، والمكان مكانان فتعلقها بالأولى تعلق الإمكان وبها حدث الإمكان لأنّه تعالى أمكن بها هذا الإمكان الراجح الوجود وهذا هو خزائن كلّ شيء .

قال تعالى : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا حَزَارَيْنُهُ »^(٢) ، فكل خزانة لكل شيء من الموجودات ، فمن هذه الخزائن نزلها تعالى بقدر معلوم ، وتعلقها بالثانية تعلق الكون ، أي الوجود ، وبها في هذا المقام أخرج ما شاء من تلك الخزائن وألبسها حلّة الوجود ، وهذا هو العلم المستثنى في قوله تعالى : « إِلَّا بِمَا شَاءَ »^(٣) ، فالمشيّة وما قام بها قيام تحقق من جميع الإمكانات مما سوى الله سبحانه هو الوجود الراجح ، ولا يخرج شيء من هذه المرتبة إلى اللاشيء أبداً ، فإذا عين تعالى شيئاً منها بمشخصاته خرج في رتبة

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٢١.

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥.

قال تعالى : « أَللّٰهُ لَا إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نُوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْهُ وَلَا يَأْذِنُهُ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفُهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ وَلَا يَثُوْدُ حَقْطَهُمَا وَهُوَ عَلٰيُّ الْعَظِيمِ » .

الأكوان وهو حينئذ متعلق المشية الكونية لتعلقها بما ألبسته من الكون ومتصل المشية الإمكانية لتعلقها بما تحقق به من الإمكان ، فالمشية واحدة والمتعلق اثنان ، فللمشيخة مكانان : أما المكان الأول فهو الراجح الوجود لا يفقد أبداً .

وأما المكان الثاني فقد يخرج عنه إلى الأول إذا شاء سبحانه ، إلا أن القرآن المجيد والسنّة النبوية دالان على بقاء ما دخل في الأكوان خصوصاً من الإنسان ، مثل قوله تعالى : ﴿قَدْ عِلِّمْنَا مَا نَفْعُضُ الْأَرْضَ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِظ﴾^(١) .

وكذلك ما دلّ على بقاء الجنة وأهلها ونعيمهم ، والنار وأهلها وتآلمهم وأمثال ذلك ، والعقل المستنير بأنوار هديهم عليهم السلام يشهد بذلك ، وهو قوله تعالى : ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمَاءَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(٢) .

فقوله أيده الله : (وكلاهما باطلان) أما كون أحدهما بلا مكان فصحيح وكذلك اتحاد المكانين ، وأما في اتحاد المشية فلا ، بل هي مشية واحدة تعلقت بالإمكان تعلق رجحان ، وبالإمكان تعلق جواز فالإمكان الأول راجح الوجود ، والثاني جائز الوجود .

وقوله : (ضرورة أن كلّ كون مسبوق بالإمكان) مسلم ، وهو

(١) سورة ق ، الآية : ٤.

(٢) سورة ق ، الآية : ٣٧.

ما قلنا من أنّ أول ما أحدث سبحانه إمكان الشيء ثم أحدث فيه كونه ، فالإمكان باقٍ بفعل الله والكون محلّ التغيير والتبدل .

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : وإن كان عبارة عن الإمكانيات الراجحة المتحققة في ضمن الأكوان فمع قطع النظر عن المناقشة اللغوية مكان المشيّة الكونية حينئذٍ هو الأكوان لا الإمكانيات ، فعلى هذا لا أجد فرقاً بين مكان المشيّة الكونية ومكان الموجودات المقيدة المجردة عن المواد العنصرية التي في عالمنا هذا ، بل المجردات والماديّات كلها بنسبة واحدة بمعنى أنّ أوعيتها وأمكنتها على حسب تفاوت مراتبها عبارة عن بعد المفظور المساوٍ لها ، بحيث لا يتحقق التفاضل بين المكان والمتمكن في شيء منها ، فائي سرّ في العدول عن بعد المفظور إلى كلّ الإمكانيات تارة وبكلّ الممكن أخرى ، هل هذا محض اصطلاح عندكم أو عند القوم أو مستنبط من الأخبار يبنوا لنا حقيقة الأمر أجركم على الله؟

أقول : الإمكانيات هو عبارة عن جميع الإمكانيات الراجحة ، فإنّ جميع ما سوى الله لا يفارق الإمكانيات لا في حال وجوده ولا في حال عدمه ، وأماماً الأمور المحالات فليست شيئاً وإنما يعبرون عن أحد اعتبارين لها ، إما عن طرفي إمكان متناقضين متعادلين ينظر العقل إلى كلّ واحد على حدة وهو ممكّن موجود ، ثم يتلفّظ باجتماعهما من غير أن يناله العقل مجتمعاً ، وإنما يراهما متفرّقين وهذا التلفظ مركب من معنيين متعاندين لم يجدهما العقل

مجتمعين فهو لفظ لا معنى له ، مثاله ما يقال دخول الأرض في البيضة لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة ، فإن هذا في الحقيقة من المغالطات ، لأنّه يلتفت بخياله إلى الأرض الجسمية في حال كبرها على الانفراد ، ويلتفت إلى البيضة الجسمية في حال صغراها على الانفراد ، فإذا حاول تخيل اجتماعهما لم يجده فهو يعبر عن معنى الانفراد حال الانفراد بلفظ الاجتماع حال الانفراد ، ولهذا كان ممتنعاً ومن ثم أجاب عيسى عليه السلام إبليس لما سأله عن ذلك ، وقال : ربّك قادر ، قال عليه السلام : (ربّي على كلّ شيء قادر) .

قال : يقدر أن يدخل الأرض في البيضة لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة ؟

قال عليه السلام : (يا وليك من أقدر ممن يكبّر البيضة حتى تسع الأرض ، أو يصغر الأرض حتى تدخل في البيضة) ، أو كما قال^(١) .

(١) رواه في البحار بلفظ : قال : يا عيسى يقدر ربّك أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها ؟

فقال عليه السلام : (إنّ الله لا يوصف بعجز ، والذّي قلت لا يكون) يعني هو مستحيل في نفسه كجمع بين الضدين ، بحار الأنوار : ١٤ / ٢٧١ ح ٣ ، وقصص الأنبياء للراوندي : ٢٦٨ ح ٣٤٠ .

ورواه في التوحيد بلفظ : قال عيسى عليه السلام : (وليلك إنّ الله لا يوصف بعجز ، ومن أقدر من يلطف الأرض ويعظم البيضة) .

فأجابه عليه السلام بمعنى الاجتماع بشرائط إمكانه .

وإما عن مختلف ممكн سموه بغیر الممکن كالعبارة عن شريك الباري تعالى فإنه اسم لمخلوق سموه باسم القديم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تَتَعْوِنُهُمْ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُونَ مِنَ الْقَوْلِ ﴾^(١) .

وبالجملة : فالمحال ليس شيئاً فلا عبارة له ، فالشيء بحقيقة الشيئية هو الله سبحانه وحده ، وما سواه فهو شيء بفعل الله أمره وكل ما سوى الله ممكناً في أصل حقيقته داخل في الملك بالإمكان الراجح والأكونان حل الأشياء تلبسها وتخلعها على السواء ، وليس الإمكان في ضمن الكون بل الأصل هو الإمكان ، وأما الكون فطار عليه ومكان المشيئية الإمكان والأكونان بعدها لأنهما رتبتان لتعلقها وهي واحدة .

فقوله أيده الله : (فعلى هذا لا أجد فرقاً بين مكان المشيئية الكونية ومكان الموجودات) ، بيان جوابه أن الأكونان والموجودات كلها وأمكنتها وأوقاتها وجميع شروطها ومشخصاتها محل المشيئية ومتعلقة مطلقاً .

وروي نحوه عن أمير المؤمنين عليه السلام وقد قيل له : هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن يصغر الدنيا أو يكبر البيضة ؟ قال : (إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون) التوحيد : ٧٠ ح ٩ باب القدرة .

(١) سورة الرعد ، الآية : ٣٣

قوله : (عبارة عن البعد المفظور) غلط ، لأن مرادنا بالمكان هو المكون سواء كان متحيزاً أم حيّزاً جوهرأً أم عرضاً عيناً أم معنى ذهنياً أم خارجياً ، لا أَنَا نريد به الحيز المعروف خاصة فالبعد المفظور من مكان المشية والحال فيه من مكان المشية ، وهو السر في عدولنا عنه إلى كل الإمكان في متعلق المشية الإمكانية ، يعني أنها تعلقت بجميع إمكانات الأشياء قبل أن تكون وبعد أن كُونت وإلى كل الممكн في متعلق المشية الكونية ، يعني أنها متعلقة بجميع الإمكانات من المجردات والماديات الذوات وغيرها ، وهذا المعنى ليس محض اصطلاح ولا مأخذ من كلام القوم بل أكثر هذه الأشياء لا يعرفونها إلا ظواهر منها أكثرها باطل ، وإنما هي مستنبطة مما تشير إليه بواطن الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام ما اختلف الليل والنهر ، وأن الأكثر ليمررون على هذه وأمثالها في الأحاديث ولم يقفوا عليها كما قال تعالى : « وَكَائِنٌ مِّنْ ءَايَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعَرِّضُونَ »^(١) .

قال أيده الله : ومنها : أن قوله عليه السلام : (فبعلمه كانت المشية) الخ^(٢) ، يدل على أن الكونية مخلوقة بالإمكانية ، وهذا

(١) سورة يوسف ، الآية : ١٠٥ .

(٢) في التوحيد عن معلى بن محمد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأبدى فأمضى ما قضى وقضى ما قدر =

بظاهره ينافي قوله عليه السلام : (خلق الأشياء بالمشيّة والمشيّة بنفسها)^(١) إن كان المراد منها الكونية ، على أن تخصيص العلم بالإمكانى لا بدّ له من مخصوص ، ثم التعبير بالعلم الإمكانى هل مبني على الإصلاح^(٢) عندكم أو عند القوم أيضاً ؟ أو مستنبط من كلمات الأئمة عليهم السلام والأخير أرجح ولكن ينبغي الإشارة إلى مأخذ ووجه دلالته ؟

الفرق بين الإرادة والمشيّة

أقول : إن قول الكاظم عليه السلام : (فبعلمه كانت المشيّة) ، لا يدلّ في الظاهر على ما ذكرتم لأنّه عليه السلام أيضاً قال بعد هذا : (وبالمشيّة كانت الإرادة وبالإرادة كان التقدير)

وقدّر ما أراد بعلمه كانت المشيّة وبمشيّته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير =
وبتقديره كان القضاء وبقضاءه كان الإمضاء ، فالعلم متقدم المشيّة والمشيّة
ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء ، فللله تبارك وتعالى
البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء
فلا بداء) توحيد الصدوق : ح ٣٣٤ باب ٥٤ البداء ، وبحار الأنوار : ٥ / ٩
، ونور البراهين للجزائري : ٢٢٥ / ٢ .

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء
بالمشيّة) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ،
وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .
وفي رواية : (خلق الله المشيّة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيّة) التوحيد
ح ٨ باب (٥٥) المشيّة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .
(٢) في نسخة : الاصطلاح .

الخ ، ولا يلزم منه ما ذكرتُم ، وإنما يراد منه التقدم كما قال عليه السلام : (فالعلم متقدم المشيّة والمشيّة ثانية والإرادة ثالثة)^(١) ، هذا حكم الظاهر .

وأمّا ما هو نفس الأمر فكذلك ، لأن كلّ شيء مسبوق بشيء وهو متربّ عليه فهو مخلوق به بمعنى أنه أحد شروط وجوده كالابن فإنه مخلوق بأبيه بمعنى أنه مخلوق بشرائط خلقه ومنها وجود أبيه وأمه مثلاً ، وعلى المعنى الظاهر والباطن يكون المعنى ، فعن علمه كانت المشيّة لأنّها الظهور الثاني ، وعن المشيّة كانت الإرادة لأنّها العزيمة على ما يشاء ، وهكذا ، ثم على كلّ تقدير لا ينافي قوله : (خلق الله المشيّة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيّة) ، لأنّا قد أشرنا سابقاً أنّ المشيّة الإمكانية هي الكونية بعينها ، وإنّما تعددت أسماؤها باعتبار تعدد متعلقاتها كما ذكرنا في كثير من رسائلنا أن فعل الله سبحانه واحد ، فإذا تعلق بالأكونان سمّي مشيّة ، وإذا تعلق بالأعيان سمّي إرادة ، وإذا تعلق بالهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء سمّي قدرأً ، وإذا تعلق بالإتمام سمّي قضاء وهكذا ، ومن هنا إذا تعلق بالإمكانات سمّي علماً وقد أشار إليه النصوص عن أهل الخصوص عليهم السلام أن الحق عزّ وجلّ لا يرتبط بشيء ، ولا يرتبط به شيء ،

(١) انظر ما تقدّم في الهاشم الأول .

ولا يقترن بشيء ، ولا يقترن به شيء ، ولا يطابق شيئاً ولا يطابقه شيء ، ودللت على أن له علمين علماً قديماً هو ذاته وهذا لا يقترن شيئاً ولا يقترن به ولا يطابق شيئاً ولا يطابقه ، وعلى أنه تعالى عالم ولا معلوم ، الخ^(١) ، ودللت أيضاً على أنه عالم بها وهذا هو العلم الاقتراني ، وهو قول الصادق عليه السلام : (فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع)^(٢) الخ .

(١) قال عليه السلام : (... أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جمِيعاً بالثنية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عده ، ومن عده فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال : فيم ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غايته ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مريب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون) . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبخار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبخار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لم يزل الله جل جلاله عزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة =

ومعلوم بأن الواقع على المعلوم ليس هو الذاتي لأنّ الذاتي هو الله ، ولا يجوز أن يقال : فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع الله على المعلوم ، لأنه يلزم منه أن يكون له حالتان مختلفتان حالة عدم الوجود وحالة الوجود وهذا صفة المصنوع ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا ، ودللت على أن العرش والكرسي بابان من العلم وهذا وجه التسمية ؛ نعم ورد في الأخبار تسميته بالحادث ونحن سميّناه بالإمكانية لفائدة .

هل ما يمتنع عن الممكن يوجد في الواجب ؟

قال أيده الله تعالى : ومنها : قولكم في إفاداتكم وأكثر رسائلكم وأجوبتكم : كلّ ما يمتنع في الممكن فهو في الواجب واجب بظاهره ، يقتضي الكلية جارية في جميع جهات التعريف . وفيه : أن التجلي في إقليم الإمكان يمتنع أن يكون لذوات الموجودات إلا في الذوات للآثار والصفات ، وكلها من قبيل التعينات بالأفعال والظهورات منها ، وحيثئذ لا يخلو إما أن يكون في الواجب واجبًا على مقتضى تلك القضية الكلية ، فعلى هذا تصحّ تصحيح العبارات التي لأكثر أهل العقول من الثانية عشرة من غير تنافر بين كلامكم وكلامهم مع أنكم لا ترضون به ، وإنما

= على المقدور) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟
قال : (إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم) .

ألا يكون فيبطل استدلالكم بتلك القضية الكلية ، فلا يصح أن يقال : إن كلّ ما يمتنع في الممكن فهو في الواجب واجب ، وإن كنت أعرف أن الترديد بهذا النحو من سوء الأدب إلّا أن مقام السؤال لتحقيق الحال لاطمئنان البال يقتضي ذلك ، والمرجو من الحليم العطوف وال الكريم الرؤوف العفو ثم العفو .

أقول : إنما قلنا ذلك إذا كان الممتنع صفة كمال بحسب مفهومها وكذلك الجائز لأنّ الممتنع إذا كان نقصاً لم يجز إثباته للحقّ تعالى ، مثل أنّ الإنسان يمتنع أن يكون متحرّكاً ساكناً في حال واحدة ، وهذا لا يجوز على الله تعالى ، لأنّ الحركة الانتقال والسكنون اللبث ، وكذلك مثل الإقبال والإدار لأنهما الانتقال ، وإنما يعني ما لم يكن نقصاً في نفسه كالظهور والبطون والقرب والبعد وما أشبه ذلك ، فإنها تمتنع في الخلق وتجب في الخالق ، ثم أنّا إنما قلنا ذلك بتبنيه أهل العصمة عليهم السلام لنا على ذلك ، فإنه تعالى لا يجري عليه ما هو أجراء ولا يلحقه ما هو أبداه على أنّ الذي أشرت إليه خلاف ما قلنا ، لأن التجلي بنفس الذات يجوز على المخلوق فيمتنع على الخالق وأنت تضطر إلى القول ، بخلاف ما ذكرت أنت لأنك تقول : (من عرف نفسه فقد عرف ربّه)^(١) ،

(١) شرح أصول الكافي : ٣ / ٢٣ ، وعوا أبي اللالي : ١ / ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٣٢ ، ومصباح الشريعة : ١٣ ، والصراط المستقيم : ١ / ١٥٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٧١ - ١٧٢ مورد الآية ١٠٥ من المائدة - البحث الروائي .

ولا يعرف أحد نفسه معرفة تكون هي معرفة ربّه حتى يعرفها بذاتها بعد كشف جميع سُبُّحاتها من غير إشارة^(١) ، ولو أن نفسه ظهرت له بشيء من شؤونها من أفعالها أو آثارِ أفعالها لم يعرفها بالكتنه ، وإذا لم يعرفها بالكتنه لم يعرف ربّه ، فلم تكن معرفة نفسه معرفة ربّه .

فإن قلت : يلزم أن تكون النفس هي الربّ أو تعدد المعرفتين !

قلت : لا يلزم شيءً منها لأنّ حقيقة النفس هي وصفُ الله سبحانه نفَسُه لعبدِه ، فإذا عرف الوصف عرف الله ، فالنفس حقيقتها آيةُ الله التي بها يُعْرَف ، أي وصفه الذي تعرّف به للعبد ، قال تعالى : ﴿سَرُّهُمْ أَيَّتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِم﴾^(٢) ، ولم يقل سرّيهُم ذاتنا في الآفاق وفي أنفسهم ، ولا يلزم تعدد المعرفتين ، لأنّ معرفة الله هي معرفة وصفِّه نفَسُه لعبدِه فافهم ، فلا تمنع ذوات الموجودات أن تتجلى وتظهر في إقليم الإمكان

(١) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة؟) قال : ما لك والحقيقة؟ قال : أو لست صاحب سرّك؟ قال : بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني ! قال : أو مثلك يُخْبِب سائلاً؟ قال : الحقيقة كشف سُبُّحات الجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السرّ . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلقى هيأكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إطفى السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامع الأسرار ومنبع الأنوار للأملی : ١٢٧ ، ونور البراهین : ١ / ٢٢٢ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣

بذاتها ، بل ذلك ممكن لها فيمتنع ذلك في حق الواجب ، فلا يبطل استدلالنا بتلك القضية الكلية ، وأخبار أئمتنا عليهم السلام ناطقة به .

وقولك : فعلى هذا يصح تصحيف العبارات التي لأكثر أهل العقول من الائتين عشرية من غير تنافر بين كلامكم ، وكلامهم مع أنكم لا ترضون به .

فيه أولاً : أن هؤلاء الذين أشرت إليهم ليسوا من أهل العقول المستقيمة وإن كانوا من أهل العقول الموجحة ، وليسوا من الائتين عشرية وإن اتسموا بسماتهم ، وقالوا بقولهم في الفروع ، ولهذا حكم العلماء بکفرهم لأنهم إنما اتّمّوا بإمامهم مميت الدين^(١) ، وذلك لأنهم يقولون : إن علم الله مستفاد من المعلومات وليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وإنما معنى الاختيار في حقه هو القصد إلى ما يفعل والرضا به ، وقالوا : الفعل يده اليمني والانفعال يده اليسرى ، فذاته الفاعلة والمنفعلة لأنها واحدة والكثرة شؤون ، فصح أنه ما أوجد إلا نفسه وليس إلا ظهوره ،

(١) هو أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .
مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .
انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

وقالوا : إنَّ تكْلِمَهُ تَعَالَى عَيْنَ ذَاتِهِ سَبْحَانَهُ ، وَقَالُوا : إِنَّ الْأَشْيَاءَ جَمِيعُهَا كُلَّ شَيْءٍ مِّنْهَا مَرْكَبٌ مِّنْ وُجُودٍ هُوَ اللَّهُ سَبْحَانُهُ وَمِنْ مَاهِيَّةٍ مَوْهُومَةٍ ، فَجَمِيعُ الْخَلَائِقِ وَجُودُهَا هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ وَأَعْرَاضُهَا مَوْهُومَةٍ مَا شَمَّتْ رَائِحَةُ الْوُجُودِ ، حَتَّى أَنْ بَعْضُهُمْ يَقُولُ : أَنَا اللَّهُ بَلَّ أَنَا ، وَقَالَ فِي الْفَصُوصِ إِمامُهُمْ :

فَلَوْلَاهُ وَلَوْلَانَا لَمَّا كَانَ الذِّي كَانَ
فَإِنَّا أَعْبُدُ^(١) حَقًّا وَإِنَّ^(٢) اللَّهَ مَوْلَانَا
إِذَا مَا قِيلَ إِنْسَانٌ فَلَا تَحْجَبْ بِإِنْسَانٍ
فَقَدْ أَعْطَاكَ بُرْهَانًا فَكُنْ حَقًّا وَكُنْ خَلْقًا
تَكُنْ بِاللَّهِ رَحْمَانًا وَغَدَّ خَلْقَهُ مِنْهُ
تَكُنْ رَوْحًا وَرَيْحَانًا فَأَعْظَمْنَاهُ مَا يَبْدُو
بِهِ فِينَا وَأَعْطَانَا فَصَارَ الْأَمْرُ مَقْسُومًا
بِإِيَّاهُ وَإِيَّانَا وَأَحْيَاهُ الَّذِي يَدْرِي
بِهِ فِينَا وَأَحْيَانَا وَكُنَا فِيهِ أَعْيَانًا
وَلَكِنْ كَانَ كَانَ أَحْيَانًا وَلَيْسَ بِدَائِمٍ فِينَا

وَقَالَ غَيْرُهُ :

(١) فِي نسخة : نعبد .

(٢) فِي نسخة : أنا .

(٣) شرح فصوص الحكم : ٨٧٣ - ٨٧٥

وَمَا النَّاسُ فِي التَّمَثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٌ
وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابُعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُ الْمَاءِ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ^(١)
وأمثال هذه من القول بوحدة الوجود .

وكيف يصحح قولهم بقولي وهم يقولون : هو ظهر بذاته فتكتّر في وحدته ، فمن شهد الوحدة في الكثرة فقد عرفه ورأه وأحاط به ، لأنّهم يقولون : إن ذاته يمكن إدراكتها والإحاطة ، بها وإنما يمتنع الإحاطة بصفاته ، لأن علمه لا يتناهى وقدرته لا تتناهى ، ويقولون هو يلبس صور الخلق ويخلعها قال شاعرهم :

كُلُّ مَا فِي عَوَالِمٍ مِّنْ جَمَادٍ وَنَبَاتٍ وَذَاتٍ رُوحٌ مُعَارٍ
صُورٌ لِي خَلَعْتُهَا فَإِذَا مَا زِلْتُهَا لَا أَزُولُ وَهِيَ جِوارِي
أَنَا كَالثَّوْبِ إِنْ تَلَوَنْتُ يَوْمًا بِاحْمِرَارٍ وَتَارَةً بِاصْفِرَارٍ
وأنا أقول : هو سبحانه لا يظهر بذاته لشيء من خلقه ، ولا
يتحوّل من حال إلى حال ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :
(لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخرًا ويكون
باطناً^(٢) قبل أن يكون ظاهراً^(٣))^(٤) انتهى ، كان وحده والأزل

(١) انظر شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١٦٤ .

(٢) في المصادر المذكورة : (ظاهراً) .

(٣) في المصادر المذكورة : (باطناً) .

(٤) نهج البلاغة : ١ / ١١٢ الخطبة : ٦٥ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٢٨٥ ، وشرح
أصول الكافي للمازندراني : ٤ / ١١ ، وشرح الأسماء الحسنی : ١ / ٢٦ .

ذاته والقدم ذاته قبل أن يخلق الخلق وهو الآن على ما كان ، وحده أحدث الأشياء لا من شيء وأقامها بأمره لم يخرج من شيء ، ولا يخرج منه شيء ، ولا يصل إليه شيء ، ولا يحيط به شيء بل (كلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم) ^(١) .

فهذا وأمثاله قوله : فأين هذا من ذاك ، قوله غير قولهم وديني غير دينهم ﴿فَلِلَّهِ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَكْعَبُونَ﴾ ^(٢) ، مع ما ورد من النهي عن الميل إليهم والتشبّه بهم والتسمّي باسمائهم لغير تقيّة وتأويل كلامهم ، وورد من البراءة ممّن مال إليهم وأول كلامهم ، فكيف يصحّح قوله مع مخالفته لدين الإسلام ولمنذهب النبي وآلـه صلـى الله علـيه وآلـه ؟ ! فافهم .

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الرافي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سمي عالماً قادراً إلا لما وهب العلم للعلماء والقدرة للقادرین ، وكلّ ما ميّزتموه بأوهامكم في أدقّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوهم أن الله زيانيتين لأنهما كمالها وتتصور أن عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٩١

كون الصفة تابعة للموصوف في الظهور والخفاء والقوّة والضعف

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ : وَمِنْهَا : أَنْ كُلَّ صَفَةٍ مِنْ حِيثُ هِيَ تَابِعَةٌ
لِمَوْصُوفِهَا فِي جَمِيعِ مَا فِيهِ وَلِهِ وَعَلَيْهِ مِنَ الْقُوّةِ وَالضُّعْفِ وَالكِمالِ
وَالنَّقْصِ وَالظُّهُورِ وَالخُفَاءِ إِلَّا أَنَّهُمَا فِيهَا عَلَى نَحْوِ التَّبَعِيَّةِ ، فَكُلَّ
مَوْصُوفٍ أَقْوَى مِنْ غَيْرِهِ تَكُونُ صَفَتُهُ كَذَلِكَ ، وَهَذَا مِنْ دَلِيلِ
الْحِكْمَةِ كَمَا اسْتَفَدْنَا مِنْ إِفَادَاتِكُمْ مَرَارًا كَثِيرًا .

وَفِيهِ : أَنَّهُ لَا رِيبٌ أَنَّ الْمَوْجُودَاتِ الْذَّهَنِيَّةِ فِي غَيْرِ عَلَةِ
الْمَوْجُودَاتِ كُلَّهَا مِنْ عَكُوسَاتِ الْمَوْجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ أَوْ
الْإِمْكَانِيَّةِ وَتَوَابِعِهَا وَلَوْا حَقَّهَا فَكُلُّهَا تَرْجَعُ إِلَى مَا مِنْهُ بُدِيءَ .

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْوَجُودَاتِ الْخَارِجِيَّةِ الْكُوُنِيَّةِ أَقْوَى ظُهُورًا
وَأَجْلَى اِنْكَشافًا مِنَ الْوَجُودَاتِ الْإِمْكَانِيَّةِ فَبِمَقْتَضِيِّ دَلِيلِ الْحِكْمَةِ
يُجَبُ أَنْ تَكُونَ صَفَةً كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِثْلُهُ فِي الْظُّهُورِ وَالخُفَاءِ
وَالْقُوّةِ وَالضُّعْفِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مَعَ أَنَّا لَا نَجِدُ فَرْقًا بَيْنَ الْوَجُودَاتِ
الْذَّهَنِيَّةِ النَّاسِيَّةِ النَّازِلَةِ مِنَ الْأَكْوَانِ إِلَى الأَذْهَانِ أَوْ مِنَ الْإِمْكَانِ
إِلَيْهَا ، فَإِنْ قُلْتُمْ : بِأَنَّ الْوَجُودَاتِ الْإِمْكَانِيَّةِ مِنَ الْوَجُودَاتِ الْكُوُنِيَّةِ
عَلَى حِسْبِهَا ، فَلَا يَقْدِحُ فِيمَا ذَكَرْنَا ، لِأَنَّ خَفَاءَهَا وَضَعْفَهَا بِالنَّسْبَةِ
إِلَى الْمَكَوَنَاتِ وَالْمَشَاءَاتِ مَا لَا رِيبٌ فِيهِ بَيْنَوَا جَزَاكُمُ اللَّهُ خَيْرًا .

أَقُولُ : ظَاهِرٌ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ لِيُسَلِّمَ لَهُ مَحْصُلُهُ وَلَا فَائِدَةُ ، وَيُمْكِنُ
أَنْ نَتَكَلَّفَ إِثْبَاتِ فَائِدَةِ لَهُ .

فنقول أولاً : فرض هذه المسألة ينبغي أن يكون في خصوص اتحاد صفتين الشيئين المفترضتين ، كما نقول : الشجاعة في السبع بالنسبة إليه والشجاعة في السنور بالنسبة إليه ، لا مطلق كل صفة بالنسبة إلى موصوفها وإن اختلفا ، فإن كل عقار من العقاقير له صفة من الطبائع فقد يتساويان في الذات ويختلفان في الصفة ، مثل الترياق فإنه وإن كان بارداً يابساً أشد من برودة الحامض ويبوسته كالليمون لكنه لا يقمع الصفراء ، والحامض يقمع الصفراء لأن برودة الحامض يضعف حرارة الصفراء فتسكن ، ولا كذلك برودة الترياق ، وكذلك القمر والزهرة نورهما من الشمس على قول بعضهم ، وهو مروي عن الأئمة عليهم السلام ، مع (أن نور الزهرة جزء من سبعين جزءاً من نور القمر) . فعلى احتمال أن نوريهما من الشمس بغير واسطة القمر للزهرة وعلى احتمال توسطه بينها وبين الشمس ونوره أقوى من نورها ، لا ريب أن نورها حار والحرارة أقوى من البرودة كما هو مقرر في العلم الطبيعي ، والنار أقوى من الماء وصفتها التي هي البرودة والرطوبة ليطفي النار ولهذا روي أنه أقوى منها .

والحاصل : أنه لا بد في تشيد تصحيح هذه المسألة من اعتبار خصوص اتحاد صفتين الشيئين ، ثم على كل تقدير إذا قلنا : بأن الخارجية الكونية أقوى من الإمكانية يجب وجود الفرق بين الصفتين ، فإنه إذا كان عندك عشرة آلاف تومان موجودة يكون تأثيرها في استغنائك بها أقوى من مئة ألف تومان ممكنة قبل أن

توجد ، فإنّها قبل أن توجد يكون تأثير فلس واحد أقوى من تأثيرها قبل وجودها بل لا تأثير لها أصلًا ، فقد حصل الفرق بين الموجدة والممكنة ولا ريب في هذا .

وأما ما تفرضه من جهة تصوّرّهما فإنّهما في التصوّر متساويان في الحصول الذهني فلا فرق حينئذ بينهما ، فلا معنى لجعل تصوّر الموجود موجوداً يعني بنسبيته وتصوّر الممكّن ليس بموجود يعني بنسبيته إذ لا فرق في التصوّر ، فإنّ من أثبت الوجود الذهني أثبتته فيهما ومن نفاه نفاه فيهما ومن جعله من صنع الله فكذلك ومن جعله من صنع النفس فكذلك .

والحاصل : أنه لا محضّيل لهذه المسألة إلا أنّ لكلّ سؤال جواباً .

هل الوجود بالنسبة للواجب والممكّن مشتركاً معنوياً ولفظياً؟

قال سلمه الله تعالى : ومنها : قولكم : الوجود بالنسبة إلى الواجب والممكّن ليس مشتركاً معنوياً ولا لفظياً لأنَّ الاشتراك وكذا العموم والخصوص وغيرها من العناوين كلّها من صفات الممكّنات ، وما ليس فيها لا يصح اتّصافه بصفاتها ، فالوجود المدرَك في حقِّ الواجب هو الإثبات لا غير ، كما قال عليه السلام : (وجوده إثباته ودليله آياته)^(١) .

(١) ورواه المصتف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في =

أقول : وإن كنتُ أعرف ليس فوق كلامكم كلام لأنَّه المستنبط

خطبته : (وإن قلتَ : مِمَّ هُوَ ؟ فقد بَيْنَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا ؟ فَهُوَ هُوَ ، وإن قلتَ : فَهُوَ هُوَ ، فَالْهَاءُ وَالْوَاءُ كَلَامُهُ صَفَةٌ اسْتِدَالٌ عَلَيْهِ لَا صَفَةٌ تُكَشِّفُ لَهُ ، وإن قلتَ : لَهُ حَدٌّ فَالْحَدُّ لِغَيْرِهِ ، وإن قلتَ : الْهَوَاءُ نَسْبَةٌ فَالْهَوَاءُ مِنْ صَنْعِهِ رَجْعٌ مِّنَ الْوُصْفِ إِلَى الْوُصْفِ وَعُمُّ الْقَلْبِ عَنِ الْفَهْمِ وَالْفَهْمِ عَنِ الْإِدْرَاكِ ، وَالْإِدْرَاكُ عَنِ الْاسْتِبْطَاطِ ، وَدَامَ الْمَلْكُ فِي الْمَلْكِ ، وَأَنْتَهِيَ الْمَخْلُوقُ إِلَى مُثْلِهِ وَأَجْهَانِ الْتَّطْلِبِ إِلَى شَكْلِهِ ، وَهَجَّمَ بِهِ الْفَحْصُ إِلَى الْعَجَزِ ، وَالْبَيَانُ عَلَى الْفَقْدِ ، وَالْجَهْدُ عَلَى الْيَأسِ ، وَالْبَلَاغُ عَلَى الْقُطْعِ ، وَالسَّبِيلُ مَسْدُودٌ ، وَالْتَّطْلِبُ مَرْدُودٌ ، دَلِيلُ آيَاتِهِ ، وَوُجُودُهِ إِثْبَاتُهِ) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مفترض من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . . .) .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته وجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمداناه . له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ومعنى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل البنونة لا بينونة له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس برب من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبد من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء كائن لا بينونة غائب عنها . . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، وجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

إما من كلام الملك العلام أو أئمة الأنام عليهم السلام ، إلا أنّ لي فيه شبهة هي أنّ الإثبات فعل للمثبت وأثر من آثار فعله الذي هو الحركة الإيجادية ومن المعلوم أنّ هذا النحو من الوجود بالنسبة إلى الواجب والممكّن على نحو واحد ، فإذا قلنا : الواجب موجود والممكّن موجود فهما على هذا النحو من الوجود ، أي الإثبات مشاركان فيكون الاشتراك بهذا المعنى معنوياً ، والقائلون بالاشتراك المعنوي لا يريدون إلا هذا المعنى .

أقول : إن مرادنا بقولنا : الوجود بالنسبة إلى الواجب والممكّن ليس مشتركاً معنوياً ولا لفظياً ، الخ ، هو المعنى والمستوى لا العناوين الانتزاعية ليتوّجه الاعتراض لفظاً ، وإنما يعني بوجود الواجب ذاته وبوجود الممكّن ذاته من فعل صانعه ، وإذا لحظت هذا المراد علمت بأنه لا يصح الاشتراك المعنوي لأنّه يلزم من ذلك أن يجمع الواجب والممكّن حقيقة واحدة ولا الاشتراك اللفظي ، لأنّ أقله أن يكون الممكّن سميّاً للواجب فيما يراد منه الذات والعقل يمنع منه القرآن ناطق بنفيه ، قال تعالى : ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾^(١) وهذا ظاهر .

ومن توهم أن المراد بذلك الوجود الأمر الانتزاعي اعتراض بما شاء ، ولو عرف الأمر الواقع على احتمال إرادة الأمر

(١) سورة مريم ، الآية : ٦٥ .

الانتزاعي أيضاً لم يتوجه له اعتراض لأنّ المتخيل إنّ أريد به مطلق التسمية بمعنى مطلق الثبوت فلا محذور في إطلاق الاشتراك معنى ، لأن مطلق ذلك أنه غير عدم وهذا شيء واحد بالنسبة في النسبة إلى الواجب والممكّن فهو اشتراك معنوي يدلّ عليه لفظ الوجود بوضع واحد ، وهذا معنى محدث مدرّك ، لأن التكليف إنما جرى على ما يعرف المكلّف ويفهم ، ولا يجوز أن يجري على غير ما لا يفهم ، ويراد منه من ذلك ما يفهم وهو لا يفهم إلّا ما كان من نظائره ، وإن أريد به مطلق ما يفهم من اللفظ مع قطع الالتفات إلى المصداق فكذلك ، وإن أريد به العنوان الذي هو الدليل على المعنون .

والآية على معرفته اختلف المفهومان اختلافاً هو عدم المشابهة ، أعني عدم المطابقة وعدم المفارقة لأنّ ما يقال الله سبحانه يعرف به ، وما يقال للعبد يعرف به ، وما يعرف به ربّ عزّ وجلّ لا يقال للعبد بوجه وذلك كالذي يظهر من معرفة النفس المراده في الحديث فإنّه لا يشابهه شيء من أحوال الخلق ، وإلّا لما عرف الله به ، فلا يصح هنا أن يقال بالاشراك إلّا من باب التسمية كما مرّ ، لأنّ الاشتراك إنّ كان هو المعنوي امتنع لأنّ ما لعنوان الواجب عزّ وجلّ هو الجلال والنور بعد كشف جميع السبحات حتى الإشارة والكيف ، ولم يبق إلّا نور الله وأثرُ الله وأيّةُ الله .

وأما ما لم يمكن فهي الحدود والمشخصات والمميزات وهي محدودة مقهورة بقيودها ، فإذا استعمل اللفظ للأول فعلى ما هو الصحيح من أنَّ بين الألفاظ وبين معانيها مناسبةٌ ذاتيةٌ بمعنى أنَّ مادة اللفظ تدل على مادة معناه بما بينهما من المشابهة في الصفات الذاتية لما تقرر في محله أن الحروف فيها ما في الأكونان من التوالي والتناكح والتساوي والتواخي والتعادي والمنافرة والمخالفة والمصادقة والتباغض والتحابُّ والقوَّة والضعف واستخدام بعضها لبعض وغير ذلك من جميع ما يوجد في العالم التكويني ، فإنه يوجد في التدويني ، وإن هيئة اللفظ تدل على هيئة معناه بما بينهما من المشابهة من الشخصية أو النوعية لم يكن ما يوضع لآية الواجب تعالى التي بها يعرف يصلح لغيره وإلا لشاركه في النوع أو الشخص ولو شارك ما للواجب من العنوان الذي به يعرف ما للخلق في النوع أو الشخص لكان تعالى يعرف بخلقه ، ومن عُرف بشيء من الخلق فهو من الخلق ، وهذا ظاهر كما بيناه في بعض رسائلنا ومباحثاتنا .

وعلى قول المشهور من أنه ليس بين الألفاظ وبين المعاني مناسبة ، وإنما المخصوص إرادة الواضح فلا بد أن يتصور الواضح الموضوع له في ذهنه ، ثم يؤلف بإزائه لفظاً ، سواء كان الموضوع له كلياً أو جزئياً وتتصور ما للواجب من العنوان الذي هو دليل معرفته وأيته التي يستدل بها عليه غير ممكن ، وإلا لعُرف تعالى

بالتصور ، فإذا لم يمكن تصوره لم يمكن وضع لفظ بيازائه ، فلا يصح الاشتراك لا لفظاً ولا معنى ، لأن ذلك فرع التصور على الوجه المشهور وفرع المناسبة على الوجه الصحيح ، وهو سبحانه وتعالى لا يعرف بالتصور ولا بالمناسبة ، فلا يصح شيء من ذلك إلا على جهة مطلق التسمية للتفهم والتفهيم على نحو ما أشرنا إليه سابقاً ، وإن اختلفت جهتا التسمية مثل لفظ واحد يوصف به الواجب تعالى من جهة أنه واحدي المعنى لا كثرة فيه في حال من الأحوال ، ويوصف به الإنسان من جهة أنه ليس باثنين مع تكثير ذاته واختلاف أحواله وتعدد صفاته واختلافها ، فإذا تفهمت ما ذكرنا ظهر لك أن القائلين بالاشتراك لا يريدون ما أشرنا إليه ، وإنما يريدون ما استنبطوه من القضايا الحampilيات التي لا تفيد شيئاً من الحق فيما نحن بصدده فيقولون : الله موجود وزيد موجود فصناعتهم في اللفظ ، ولو رجعوا إلى المعنى بطل رأيهم أصلاً وصار حملهم سقطاً .

وقول أمير المؤمنين عليه السلام : (وجوده إثباته) ، يريد أن جميع الخلائق لا يجدون من وجوده إلا إثباتهم وجوده في قلوبهم بأن يعتقدوا أن لهم إليهاً موجوداً ، وهذا الوجود الذي حصلوا ليس هو وجوده الحق ، لأن وجوده الحق هو ذاته وهم ما حصلوا ذاته ، وإنما حصلوا ما يعرفون من أن الوجود الذي وجدوه هو المعبر عنه باللغة الفارسية (بهستي) ، وهو المسنّى عند القوم

بالكون في الأعيان والوجود المفهود^(١) هو ما به الكون في الأعيان وجود الحوادث تحيرت في معرفته أفهم العلماء وتأت في تعلقه أحلام الحكماء ، مع أنه أظهر من كلّ شيء بل لم يكن شيء ظاهراً فيها غيره إلا بالتبع ، لأنّه في الحقيقة هو مادة الأشياء ، فوجود كلّ شيء مادته وماهيته صورته ، مثلًا السرير شيء موجود له وجود وماهية فوجوده الخشب وماهيته الهيئة المخصوصة ، وهذا المعنى لا يعرفه إلا من نور الله قلبه بأنوار كلمات أهل العصمة عليهم السلام ، فإنه صريح في كلامهم وهم يقرأونه ولا يفهمونه .

قال الصادق عليه السلام : (إن الله خلق المؤمنين من نوره وصبغهم في رحمته ، فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة)^(٢) ، ثم استشهد بقول جده أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ، ثم فسّره عليه السلام فقال : (يعني من نوره الذي خلق منه)^(٣) انتهى .

وهذا صريح بأن الوجود هو الذي خلق منه وهو نور الله والذي خلق منه هو مادته ، كما تقول : خلق الإنسان من تراب ،

(١) في نسخة : كذا .

(٢) محسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ ، وبصائر الدرجات للصفار : ١٠٠ باب ١٢ ح ١ و ٢ ، وبحار الأنوار : ٦٤ / ٧٣ ح ٢ .

(٣) بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٠ ح ٣٢ ، وعيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ٧ / ١٥ ح ٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١ .

وهو مادته وهو الوجود ، وهو الذي به الكون في الأعيان فأعمى أبصارهم ظهوره عن إدراكه ، فلا يتواهم أن الوجود هو المادة كالتراب بل هو هو ، فلما نزل ولبس الصور الجنسية والنوعية والشخصية تجسد ، فلما تجسد لطيفه وجسد ما يعه خفي عليهم حتى أن بعضهم جعله من المفاهيم وبعضهم جعله اعتبارياً لا تتحقق له .

وَلَوْ قَلَّدُوا الْمُوصَى إِلَيْهِ أُمُورَهُمْ لَرَمَتْ بِمَأْمُونٍ مِنَ الْعَثَرَاتِ^(١)

هل الوجودات الذهنية انتزاعية؟

قال سلمه الله : ضرورة أن المفهوم من الوجود أمر انتزاعي عقلي كيف يكون عيناً في الواجب أو في الممكن ؟

قال الفاضل الشيرازي في شرحه لأصول الكافي^(٢) في باب حدوث الأسماء : الموجود الصرف هو الذي لا يتعلّق وجوده بغيره ، ولا يتقيّد بقييد ، وهو المسمى عند العرفاء بالهوية الغيبية والغيب المطلق والذات الأحدية ، وهو الذي لا اسم له ولا نعت

(١) انظر بحار الأنوار : ٤٩ / ٢٤٦ ، وكشف الغمة للإربلي : ٣ / ١١٣ .

(٢) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلي البغدادي أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

ولا تصل إليه معرفة ولا عقل ولا وهم إذ كلّ ما له اسم ورسم فهو مفهوم من المفهومات الموجودة في العقل أو الوهم وكلّ ما يتعلّق به معرفة وإدراك ، فله اشتراك وارتباط بغيره والأول ليس كذلك لكونه قبل جميع الأشياء ولا يقبل الاشتراك ، فهو الغيب المحض والمجھول المطلق إلّا من قبيل آثاره ولوازمه ، انتهى .

أقول : قد تقدم التنبيه على أن الوجودات الذهنية انتزاعية فهي أظلّة للخارجية إلّا أن ظلّ كلّ شيء يشابه صفة مؤثره من جهة الظهور به والتأثير فيه ، فلا يكون ما انتزعه الذهن من عنوان الواجب الذي هو مقاماته التي لا تعطيل لها في كلّ مكان موافقاً لما انتزعه من غيره ، وإلّا لعُرف بذلك الغير ، فإذا اختلف المنتزعان هذا الاختلاف العظيم امتنع الاشتراك بمعنىه وما ذكره عن الملا صدرا^(١) من شرح أصول الكافي .

ففيه : أن طريقة ومذهبه أنه لا يستشهد بها على ما نقر ولا

(١) هو محمد بن إبراهيم الشيرازي (صدر الدين) حكيم ، من أهل شيراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .

رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانيف كثيرة منها : تفسير بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحكمة للأبهري ، مفاتيح الغيب ، شرح الكافي للكليني ، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية .

انظر الفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١ ، وهدية العارفين للبغدادي : ٢ / ٢٧٩ .

يعترض بها ، لأن طريقة طريقة أهل التصوّف ، وهو يقتدي بقولهم واعتقادهم ونحن مذهبنا مذهب أئمّتنا أهل العصمة عليهم السلام وهو الدين الذي أقرّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله أهل الإسلام ، وبيننا بُون بعيدٌ على أن الذي ذكره لم يكن منافياً لما قررنا إلّا في مسائلتين :

إحداهما : قوله : (إذ كلّ ما له اسم ورسم فهو مفهوم من المفهومات الموجودة في العقل أو الوهم) ، فإنه هو بل جسمه له اسم ورسم وليس من المفهومات الموجودة في العقل أو الوهم ، وإنما ذلك مختص بالانتزاعيات الظلية لا غير وتعديمه ليس بشيء ، وتوجيهه كلامه على مقصده باطل أيضاً ولا فائدة في ذكره .

وثانيةهما : قوله : (إلا من قبيل آثاره ولوارزمه) فإنه يشير إلى أن حدوث الأشياء عنه بالظلّ أو بالسُّنخ وكلا الأمرين باطل .

وقوله : (ولوارزمه) يشعر بالظل والإيجاب . وقوله : بوحدة الوجود في سائر كتبه يشعر بالسُّنخ فذرهم وما يفترون .

قال أيده الله : فإن قلت السبب في ذلك أن الوجود في الممكنات لـما كان له مثل ونظير وشبيه بخلافه في الواجب فلا يكون بمعنى واحد ولو بمعنى الإثبات مشتركاً بينهما .

قلت : كلّ هذه من لواحق الماهيات وتوابعها فالوجود هو نور الله خلقه لا من شيء ولا لشيء عائد إليه ، وجعله آية لمعرفته فهو بريء من هذه الحدود والتعيينات ، فإذاً لا فرق بينهما إلّا في

الوجوب والإمكان والفقر والغنى وهذا لا يقدح في الاشتراك
معنى بالمعنى الذي أشرنا إليه .

أقول : وجود النظير والشبيه أمر ذاتي لأنّه معنى الجنسية
والنوعية ، ويمكن له الدخول تحت الإحاطة والإدراك وعدم
النظير والشبيه موجب لعدم الإحاطة به والإدراك له وهو الوجوب
البحث وهو لا يقبل نسبة ما .

والقول بالاشراك مطلقاً إثبات نسبة وحال طارئة لم تكن في
الأزل فإذا ثبتها إثباتاً اختلف الأحوال الممتنع من الأزل ، وإنما
النسب والعلوم الإشرافية المتتجدة بوجود المنسوب أحوال طارئة
عن أفعاله تعالى متيبة إليها حادثة بها وذاته القدسية عزّ وجلّ عن
الأفعال وعن آثارها ، فإن الاشتراك مثلاً إنما حصل بعد حصول
الوجود المحدث بفعله ، فكيف يجري عليه ما هو أجراه ولم يرد
بالوجوب والغنى وبالإمكان والفقر مجرد الألفاظ ، ليقال : إن هذا
لا يقدح في الاشتراك ؟ ! بل يزيد بالوجوب والغنى هذا المعنى
الذي لا يجامع مطلق الاشتراك معنى ولفظاً ، لأن هذه أشياء خلقها
وأجراها على خلقه ليستدل بذلك على أنها لا تجري عليه ، فافهم .

عدم جواز الاشتراك اللفظي

قال سلمه الله تعالى : على أنا نقول يجوز أن يكون الاشتراك
لفظياً أيضاً بمعنى أن الذي نعبر عنه بالوجود بلا عبارة ولا عنوان

في الواجب غيره في الممكн ، ضرورة أنّ ما لا عبارة له هو الغنى المطلق بلا هوية ولا إشارة ، وهذه الصفات وإن كانت جارية في وجودات الممكناًت إلا أنها ذات محدثة لا من شيء خلقها الله تعالى آية لمعرفته ، فهما مع كونهما متمايزين بالفقر والغنى متشاركان في عنوان الوجود ، فيصح الاشتراك لفظاً كما يصح معنى .

أقول : لا يجوز الاشتراك لفظاً كما لا يصح معنى لما قلنا من أن الاستعمال فرع الوضع والوضع مسبوق بالتصور ، إما للوضع بإزائه أو لأجل إنشاء المناسبة بين اللفظ والمعنى كما تقدم ، وإما جعله تعالى للوجودات الحادثة آية لمعرفته فإنه جعلها آية استدلال عليه لا آية تكشف له فهي آية لمعرفته من جهة ما يمكن للمخلوق من ذلك وهو في الحدوث ، ولذا قال الرضا عليه السلام : (وأسماؤه تعبير وصفاته تفهم)^(١) ، يعني أنه سمي نفسه لهم ووصفها بما يفهمون ويقدرون على التعبير عنه ، والكل من صنع الإمكان ، فأين الاشتراك بمالك الملائكة ومسخر الأفلاك سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً .

(١) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ٢ ، والبحار : ٤ / ٢٢٨ .

وال الحديث طويل وفيه : (... وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهم وذاته حقيقة ، وكنه تفريق بينه وبين خلقه ، وغيره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنفه ...) .

قال أيده الله تعالى : ولا أدرى أي سر في العدول عنه بقسميه في الواجب والممكن وإثباته في المطلق والمقيد لفظاً وفي المقيدات معنى ، مع أنني لا أجد الفرق في ذلك لا بين الواجب والممكن ، ولا بين المطلق والمقيد ، ولا بين المقيدات أيضاً ، على أن ما يرد هو مشترك الورود ، ضرورة أننا لا نقدر على إدراك المطلق كما لا نقدر على إدراك الوجود في بعض المقيدات ، لأن ما يدرك من العقل الكل مثلاً فهو من حروف ذات المدرك ، لأن الشيء لا يدرك ما وراء مبدئه ، فعلى هذا لا يصح الاشتراك لفظاً ولا معنى ، لا في الواجب والممكن ولا في المطلق والمقيد ، ولا في المقيدات أيضاً ، فما السر في الإثبات بعد النفي بيّنوا لنا حقيقة الأمر لأنني عطشان منتظر والانتظار أشد من الموت ؟

أقول : قد بيّنا أن السر في ذلك امتناع الشركة للواجب بما يرجع إلى الذات ، مع الممكن في جميع الأحوال وهذا منها ، ومن قال به فإنّما جوّزه لأنّه توهّم الذات عزّ وجلّ ، فأجاز الاشتراك بين المتهوم والممكن المعلوم ، وأماماً من رفع مقام الأزل عن كلّ شيء لزمه تنزيهه عن ذلك لأنّ الاشتراك من نعائص الصفات تعالى الله عن ذلك ، وإنّما قلنا : بجواز اللفظي في المطلق مع الممكن ، لأنّ فعله تعالى وإن لم يكن مدركاً لنا لكنّا نعرف منه جهات تعلقه بالمفهولات مع أنه من المحدثات أيضاً ،

وإن حدثت به الأشياء ولأجل هذه الملايمة الظاهرة جوزنا اللغظي ، وأمّا في المقيدات فالاشراك المعنوي فيها صحيح لاشراكها في حقيقة واحدة ، فجاز وضع لفظ الوجود عليها بوضع واحد لاتحادها في الحقيقة ، وإن كان اعتبار التشكيك فيها على الصحيح إنما هو باعتبار مراتبه لا أفراده ، لأنه ليس رتبة واحدة بل خلق الله وجوداً لخير خلقه محمد وآلـه صلـى الله عليه وآلـه أجمعـين ، لم يشارـكـهم أحدـ منـ الخـلقـ فيـ ذـلـكـ ثـمـ خـلـقـ منـ شـعـاعـ ذـلـكـ حـقـيقـةـ لـشـيـعـتـهـمـ لمـ يـشـارـكـهـمـ أحدـ منـ الخـلـقـ فيـهاـ غـيرـ الأـنـبـيـاءـ ، ثـمـ خـلـقـ منـ شـعـاعـ ذـلـكـ حـقـيقـةـ لـلـمـلـائـكـةـ ، ثـمـ خـلـقـ منـ شـعـاعـ ذـلـكـ حـقـيقـةـ لـلـحـيـوـانـ ، ثـمـ النـبـاتـ ثـمـ الـمـعـدـنـ مـثـلـاـ فالـتـشـكـيكـ إنـماـ هوـ بـيـنـ مـرـاتـبـهـ لـاـ بـيـنـ أـفـرـادـ الـمـرـتـبـةـ .

وقوله : مع أني لا أجـدـ الفـرقـ فيـهـ ، إنـ عدمـ الـوـجـدانـ لاـ يـدـلـ عـلـىـ الـعـدـمـ الـوـجـودـ .

وقوله : ضرورة أنا لا نقدر على إدراك المطلق كما لا نقدر على إدراك الوجود في المقيدات ، ليس بمتجه لأننا نقدر على إدراك الوجود المقيد كما أشرنا إليه سابقاً ، والقوم توهّموا أشياء بنوا عليها علمهم وهو على غير أساس ، وهو سلمه الله تبعهم .

وقوله : لأن ما يدرك من العقل الكل مثلاً فهو من حروف ذات المدرك ، لا ربط له بما نحن فيه ، وعلى فرض أنه أراد أن ما يدركه من الوجود هو أجزاء ذات المدرك بناء على أن الوجود

غير متحقق في الخارج كما توهّمه بعضهم فلا معنى له ، لأن هذه من وساوسهم ، لأن زيداً الذي يذهب ويجيء ويأكل ويشرب وجوده أمر ذهني انتزاعي ، هذا مما ينبغي الإعراض عنه و يجعل في زاوية الخمول .

وأما وجه الإثبات بعد النفي فهو أن نفي الاشتراك مطلقاً إنما هو في الوجود الذي هو الذات ، وأما الإثبات ففي الآثار والمصنوعات وهذا بحمد الله ظاهر .

وبالباقي كلامه أعلى الله مقامه ليس فيه ما يراد منه الجواب .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

وكتب العبد المسكين أـحمد بن زـين الدـين في التـاسـع من شـهر رجب سـنة ثـلـاثـيـن وـمـئـيـن بـعـد الـأـلـفـ من الـهـجـرـةـ النـبـوـيـةـ عـلـىـ مـهـاجـرـهـ وـآلـهـ أـفـضـلـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ، حـامـداـ مـصـليـاـ مـسـتـغـفـراـ .

٥ - رسالة في جواب
سؤالات الميرزا محمد علي المدرس

رسالة في جواب سؤالات الميرزا محمد علي المدرس

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين
الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدين الأحسائي : إنه قد كتب لي السيد السند الولي الوفي العلي الميرزا محمد علي^(١) ابن السيد محمد أـحسن الله أـحواله وبلغه آمالـه في مبدئـه وماـله بعض المسـائل وكتـبت جـوابـها .

(١) هو ميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الأسترابادي . كان فاضلاً عالماً مـحققـاً مدقـقاً عـابـداً ثـقة عـارـفاً بـالـحـدـيـث وـالـرـجـال ، له كتاب الرـجـال الـكـبـير وـالـمـتوـسـط وـالـصـغـير ، ما صـنـف في الرـجـال أـحـسـن من تـصـنـيفـه وـلـا أـجـمـع إـلـا أـنـه لم يـذـكـر الـمـتأـخـرـين ، وـلـه أـيـضـاً شـرـح آـيـات الـأـحـكـام ، وـحـاشـيـة التـهـذـيب ، وـرـسـائـل مـفـيـدة .

وـذـكـرـه صـاحـبـ سـلـافـةـ الـعـصـر ، وـذـكـرـ أـكـثـرـ مـؤـلـفـاتـه وـأـثـنـىـ عـلـيـه ، وـذـكـرـ أـنـه تـوـفـيـ بـمـكـةـ سـنـةـ ١٠٣٦ .

وـذـكـرـه السـيـدـ مـصـطـفـيـ التـفـريـشـيـ فيـ رـجـالـهـ فـقـالـ : فـقـيـهـ مـتـكـلـمـ ثـقـةـ منـ ثـقـاتـ هـذـهـ الطـائـفةـ وـعـبـادـهـاـ وـزـهـادـهـاـ ، حـقـقـ الرـجـالـ وـالـرـوـاـيـةـ وـالـتـفـسـيـرـ تـحـقـيقـاً لـاـ مـزـيدـ عـلـيـهـ ، كـانـ مـنـ قـبـلـ مـنـ سـكـانـ الـعـتـبـةـ الـعـلـيـةـ الـغـرـوـيـةـ وـالـيـوـمـ مـنـ مـجاـوـرـيـ بـيـتـ اللهـ الـحـرـامـ وـنـسـاكـهـمـ ، لـهـ كـتـبـ جـيـدةـ مـنـهـاـ : كـتـابـ الرـجـالـ حـسـنـ التـرـتـيبـ يـشـتمـلـ عـلـىـ أـسـمـاءـ جـمـيعـ الرـجـالـ يـحـتـويـ عـلـىـ جـمـيعـ أـقـوـالـ الـقـومـ فـيـ المـدـحـ وـالـذـمـ إـلـاـ شـاذـاًـ ، وـمـنـهـاـ كـتـابـ آـيـاتـ الـأـحـكـامـ . اـنـظـرـ أـمـلـ الـأـمـلـ : ٢٨١ـ رـقـمـ ٨٣٥ـ .

ومنها هذا الحديث فكتب هكذا في ثواب الأعمال : أبي رحمة الله ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد بن عيسى عن إبراهيم بن هاشم والحسن بن علي الكوفي عن الحسن بن يوسف عن أبي حازم المزنبي عن سهل بن سعد الأنصاري قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآلـهـ عن قول الله : ﴿وَمَا كُنْتَ بِمَجَانِبِ الْغَرْبَةِ إِذْ قَضَيْنَا﴾^(١) قال : (كتب الله عز وجل كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس أنتبه ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمّة محمد صلى الله عليه وآلـهـ إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني وغفرت لكم قبل أن تستغروني فمن لقيني منكم يشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبدي ورسولي أدخلته الجنة برحمتي)^(٢) انتهى .

قال أيده الله بمدده : ما المراد بكتابته تعالى وتقديمها على الخلق بألفي عام وبالآسِ وبورقه وإنباته ووضعها على العرش ؟ ، وكيف نادى من لم يخلق بعد وكيف خصّ بهم الإعطاء قبل السؤال قوله وقد عمّ به غيرهم فعلاً ؟ ، ولم فرع إدخال الجنة على الشهادتين معاً مع دلالة نوع من الأخبار بظاهرها على كفاية الأولى فيه ودلالة نوع آخر على عدم كفايتها معاً ؟

(١) سورة القصص : ٤٤.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق : ١٠ ، ويحار الأنوار : ٣ / ١٢ ح ١٤ ، والجواهر السنّية للحرّ العاملی : ١٤٩ باب ١١.

بيان الهندسة الإيجادية

أقول : المراد بكتابه الله تعالى هي كتابة أجل الشخص ورزقه وكونه وما يجري له وعليه وجميع الحدود التي يقال لها : الهندسة الإيجادية وجميع تلك الأسطر والكلمات والحروف والنقط والحركات على هيئة ورقة الأَسْنَم مثل ذلك في الهاشمة :



فانظر إليها لتعرف الهيئة ، وإنما كانت بهذه الهيئة ، لأن أصل ذلك كله يدور على الروح الكلية ، فلما جمعت الكتابة اقتضى المجموع الارتباط والتعلق بالجسم من أسفل تلك الكلمات والحروف والنقط والحركات ، ووجوهاً متعلقة بالروح ووجوهاً باقية على ما هي عليه قبل الاجتماع من البساطة الإضافية فدقّ رأس الورقة لتعلقها بالأعلى وأسفلها لما ارتبط بالجسم كثف وغلظ واتسع فلم يدق لغلوظه ، فلما كانت بين رابطتين جاذبتين علية لطيفة وسفلى كثيفة امتدّت من جهة الأعلى أكثر للطافتها وعرضت من جهة الأسفل لكثافتها فصارت بين اللطافة المقتضية للطول للانجذاب العلوي ، وبين الكثافة المقتضية للعرض للانجذاب السفلي كهيئه ورقة الأَسْنَم ، كما صورنا لك في

الهامشة ، وإنما كانت خضراء كورقة الأَس ، لأن تلك المكتوبة كثرة والكثرة سواد ، وهي متقومة بنور الرُّوح الكلية وعليها تدور ، وهي النور الأصفر الذي اصفرت منه الصفرة فلما امتزج السواد بالصفرة كالنيل بالزعفران حَصَلت الخضراء ، وإنما خضر الأَس لطول أغصانه واعتداله ، لأن تلك الورقة إنما هي متعلقة بتلك الأغصان وتلك الأغصان هي أغصان شجرة الرقائق ، وهي البرزخ الحائل بين المعاني والصور فكانت أغصان الرقائق تحت أغصان المعاني في اللطافة والاعتدال ، هذا باعتبار صدور تلك المكتوبة وفعلها .

وأَمّا باعتبار ذاتها وخلقها الثاني في صورة الدعوة والإجابة فهي بصورته في دار الدنيا وهذا حالها في اللوح المحفوظ .

تقديم كتابة الله بـألفي عام في عالم الذر

وأَمّا وجه تقدّمه بـألفي عام فلأن ذلك في عالم الذر وهو قبل المادة والطبيعة لأنّه في رتبة النفس وهمما رتبتان يعبر عن كلّ منهما بـألف سنة كنایة عن أطواره في الإفراد وتکثرها في هاتين الرتبتين ، والسنة عبارة عن دور الثلاث مئة والستين الاسم ثلاث مئة وستين دورة وذلك تمام مظاهر الوجود ، وذلك لأنّ الوجود يدور على الخلق والرزق والحياة والممات ، ولكل واحد من هذه الأربعية ثلاثة أركان :

أركان مظاهر الوجود

ركن الجبروت وهو العقول ، وركن الملکوت وهو النفوس ،
وركن الملك وهو الأجسام .

١ - أركان جبرائيل

فلجبرائيل منها ثلاثة أركان موكل بها وهي أركان الإيجاد في
العقول ، وفي النفوس ، وفي الأجسام .

٢ - أركان ميكائيل

ولميكائيل منها ثلاثة أركان موكل بها وهي أركان الرّزق في
العقول ، وفي النفوس ، وفي الأجسام .

٣ - أركان إسرافيل

ولإسرافيل منها ثلاثة أركان موكل بها وهي أركان الحياة في
العقول ، وفي النفوس ، وفي الأجسام .

٤ - أركان عزرائيل

ولعزرائيل منها ثلاثة أركان موكل بها وهي أركان الموت في
العقول ، وفي النفوس ، وفي الأجسام .

فلجبرائيل الحمل والأسد والقوس ، ولميكائيل السرطان

والعقرب والحوت ، ولإسرافيل الجوزاء والميزان والدلو ،
ولعزرايل الثور والسنبلة والجدي .

أفعال الله الموكل بها الملائكة الأربع

ويجري كل ملك في كل برج بثلاثين اسمًا كل اسم فعل الله يظهر بواسطة جبرائيل مثلاً في الملائكة الخاصة به ، وذلك لأن جبرائيل تحته من الملائكة جنود لا يحصي عددهم إلا الله ، وجبرائيل صاحب الهيمنة عليهم فهم باسم الله الخاص بهم عن أمر جبرائيل عليه السلام يفعلون ، فلजبرائيل تسعون اسمًا يجري بثلاثين الجنروية في الجنروت وخدمته فيه الجنود الأعون الجنروية على حسب التقدير الذي يصل إليه من الملك الأعظم الذي هو على ملائكة الحجب الأحمر والأخضر بنصف قوته ، ومن الأصفر بنصف قوته ، ويجري بثلاثين الملكوتية في الملكوت وخدمته فيه الجنود الأعون الملكوتية على حسب التقدير الواصل إليه من الملك المذكور ، ومن الأخضر بنصف قوته ، ومن الأصفر بنصف قوته ، ويجري بثلاثين الملكية في الملك وخدمته الجنود الأعون الملكية على حسب التقدير الواصل إليه من الملك الأحمر ومن الأخضر والأصفر بنصف قوتهم ، ولكل اسم من هذه الثلاثين حكم خاص في عالمه يوم واحد وله أطوار كثيرة لا تحصى .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا
تَعْدُونَ ﴾^(١) ، لأن اليوم اثنتا عشرة ساعة ، كل ساعة ستون
دقيقة ، كل دقيقة ستون ثانية ، كل ثانية ستون ثلاثة كل ثلاثة ستون
رابعة ، وهكذا حتى تطلع الشمس ويذهب جميع سواد الليل .

وميكائيل له تسعون اسمًا له في الجبروت ثلاثون ، وفي
الملكون ثلاثون ، وفي الملك ثلاثون ، والجنود الأعوان له ثلاثة
أقسام كل منها موكل بثلاثين ، يجري ميكائيل الذي هو
صاحب الهيمنة على الجميع من الأعوان في كل عالم بما يخصه
من الأسماء وأعوانه فيها ، على حسب التقدير الوacial إلية من
الملك الذي هو من أمر الله وهو الأبيض ويعينه الأخضر والأصفر
بنصف قوتهم في العوالم الثلاثة ، كما أشير إليه في مجرى
جبرائيل .

وإسرافيل له تسعون اسمًا له في الجبروت ثلاثون ، وفي
الملكون ثلاثون ، وفي الملك ثلاثون وأعوانه من الملائكة ثلاثة
أقسام كل قسم لثلاثين وهو صاحب الهيمنة على الجميع فيجري
في كل عالم بالثلاثين الاسم المختصة به مع أعوانه فيها على
حسب التقدير الوacial إلية من الملك الذي هو من أمر الله الأصفر
ويعينه الأحمر والأبيض بنصف قوتهم .

(١) سورة الحج ، الآية : ٤٧ .

وعزرائيل له تسعون اسماً له في الجبروت ثلاثون ، وفي الملکوت ثلاثون ، وفي الملك ثلاثون ، وأعوانه ثلاثة أقسام كل قسم لثلاثين وهو صاحب الهيمنة على الجميع ، فيجري في كل عالم بالثلاثين الاسم المختصة به مع أعوانه فيها على حسب التقدير الوacial إلية من النور الأخضر ، وهو الملك الذي على ملائكة الحجب ويعينه الأحمر والأبيض بنصف قوتهما .

وحكم الأيام والدقائق والثوابي وما تحتها عند كل ملك حكم ما أشير إليه في جبرائيل ، فيكون لجبرائيل على هذا التقدير الحمل في الجبروت ويعينه الثور والجوزاء بنصف قوتهما ، وفي الملکوت الأسد ويعينه السنبلة والميزان بنصف قوتها ، وفي الملك القوس ويعينه الجدي والدلو بنصف قوتهما .

ولميكائيل السرطان في الجبروت ويعينه الثور والجوزاء بنصف قوتهما ، وفي الملکوت العقرب ويعينه السنبلة والميزان بنصف قوتهما ، وفي الملك الحوت ويعينه الجدي والدلو بنصف قوتهما .

ولإسرافيل الجوزاء في الجبروت ويعينه الحمل والسرطان بنصف قوتهما ، وفي الملکوت الميزان ويعينه الأسد والعقرب بنصف قوتهما ، وفي الملك الدلو ويعينه القوس والحوت بنصف قوتهما .

ولعزرائيل الثور في الجبروت ويعينه الحمل والسرطان بنصف

قوتهم ، وفي الملکوت السنبلة ويعينه الأسد والعقرب بنصف قوتهما ، وفي الملک الجدي ويعينه القوس والحوت بنصف قوتهما .

وأيضاً لجبرائيل كرة النار في ذات الملک ، وفي تعلق الملکوت ، وفي ظهور الجبروت ويعينه الهواء والتّراب بنصف قوتهما ولميكائيل ، الماء في ذات الملک ، وفي تعلق الملکوت ، وفي ظهور الجبروت ويعينه الهواء والتّراب بنصف قوتهما .

ولإسرافيل الهواء في ذات الملک ، وفي تعلق الملکوت ، وفي ظهور الجبروت ويعينه النار والماء بنصف قوتهما ولعزرايل التّراب في ذات الملک ، وفي تعلق الملکوت ، وفي ظهور الجبروت ويعينه النار والماء بنصف قوتهما .

ولجبرائيل الدبور ويعينه الجنوب والشمال والصفراء ويعينه الكبد والطحال .

ولميكائيل الصبا ويعينه الشمال والجنوب والرية ويعينه الطحال والكبد .

ولإسرافيل الجنوب ويعينه الصبا والدبور والكبد ويعينه الرية والمرأة الصفراء .

ولعزرايل الشمال ويعينه الدبور والصبا والطحال المرة الصفراء والرية .

وبالجملة : فما يجري لملک من الأربعه يجرين بنسبة

واحدة ، فإذا دارت الأسماء الثلاث مئة والستون ثلاث مئة وستين دورة كل اسم دورة بما ذكر من الجنود والأعوان والإعانات على نحو ما أشير إليه سابقًا تمت السنة والسنة هي العام ، ومعنى ألف عام ألف نوع من أنواع الطبيعة وألف نوع من أنواع المادة ولكل نوع تطور مخصوص ولاجل تكثير تلك الأنواع والمراتب ، قال الباقي عليه السلام : (إن الله خلق ألف الف عالم ، وألف الف آدم ، أنتم في آخر العوالم وأخر الآدميين) ^(١) الحديث .

معنى إنبات ورق الأَس في عالم الذر وعلى العرش

ومعنى إنبات ورق الأَس أن النور الأخضر هو نهايات الأرض لقوله تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي أَرْضَنَا نَقْصُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ ^(٢) قال عليه السلام : (بموت العلماء) ^(٣) .

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق ، وهذا العالم وأسكن أهل الجنة وأهل النار النار ، جدد الله عز وجل عالماً من غير فحولة ولا إنسان يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسماء غير هذه السماء تظلهم لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وتري أن الله عز وجل لم يخلق بشراً غيركم ، بل والله لقد خلق الله تبارك وتعالى ألف الف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين) ، الخصال : ٦٥٢ ح ٥٤ ، والتوحيد : باب ٣٨ ذكر عظمة الله جل جلاله ح ٢ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٤٤ .

(٣) في مجمع البيان ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي أَرْضَنَا نَقْصُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ =

والإشارة إلى أن العلم هو نهايات الأرض فالأرض تتناهى في تلطفها إلى الصور العلمية ، وهي اللوح المحفوظ في العالم الصغير الخيال ، وتلك الصور المعبر عنها بورق الآس أنبتها الله في تلك الأرض قال الله تعالى : ﴿ وَاللهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ
بَيْانًا ﴾^(١) ، وذلك باعتبار صدورها و فعلها ، وأما باعتبار خلقها الثاني فهي صور الإنسان و عالم الذر .

و معنى وضعها على العرش أن تلك الورق النابطة في تلك الأرض والصور الإنسانية في اللوح المحفوظ إنما قامت و تقوّمت بالنور الأخضر فهي نابتة فيه و منقوشة عليه ، وهو الركن الأيسر الأعلى من العرش فهي حروف ذلك الكتاب فهي موضوعة فيه وهو ركن العرش فهذا معنى وضعها على العرش .

مناداة الله لبني آدم في عالم الميثاق والذر

و معنى أنه ناداهم ولم يخلقوا أنه أخذهم من ظهور آبائهم ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾^(٢) ، وذلك لأن تتصور ابنك و تتصور ابنه و تتصور ابن ابنه ، وهكذا حتى

= [الأنياء : ٤٤] : قيل بموت العلماء ، وروي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (نقصانها ذهاب عاليها) مجمع البيان : ٧ / ٧٩.

(١) سورة نوح ، الآية : ١٧.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢.

يخرج من صلبك ألف ولد مثلاً فالله سبحانه أخرجهم هكذا ، ولكن أنت أخرجتهم في الخيال والله أخرجهم بحقائقهم في عالم الذر فنادي موجودين وخطابهم مشافهة ورأوا المخاطب عياناً ، ولهذا ولما ﴿ قَالُوا يَلْئَنِ ﴾ ، قال : يا ملائكتي اشهدوا على إقرارهم ، قالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَفِيلِينَ ﴾^(١).

وجوه فيض وإعطاء الله تعالى لبني آدم في عالم الذر
وإنما خص الإعطاء بهم قبل السؤال قوله :
أحدها : أنهم لما فاض الوجود ترتب في نفسه فتقىد بعض

(١) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حِيثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبَاءً ، وَمَاءً مَالْحَاءً أَجَاجَاءً فَامْتَزَجَ الْمَاءُ اَنَّ ، وَأَخْذَ طِينًا مِنَ الْأَرْضِ فَعَرَكَهُ عَرْكًا شَدِيدًا . فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذَّرِ يَدْبُونَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَسْتَرِيتُكُمْ قَالُوا يَلْئَنِ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَفِيلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . ثُمَّ أَخْذَ الْمِيزَانَ عَلَى النَّبِيِّنَ ، فَقَالَ : ﴿ أَسْتَرِيتُكُمْ ﴾ وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدُ رَسُولُنَا ، وَأَنَّ هَذَا عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ? ﴿ قَالُوا يَلْئَنِ ﴾ ، فَثَبَّتَ لَهُمُ الْنَّبُوَّةَ . وَأَخْذَ الْمِيزَانَ عَلَى أُولَى الْعِزَمِ أَنِّي رَبُّكُمْ ، وَمُحَمَّدُ رَسُولُنَا ، وَعَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَّاهُ : مِنْ بَعْدِهِ وَلَاهُ أَمْرِي ، وَخَزَانَ عَلْمِي ، وَأَنَّ الْمَهْدِيَّ أَنْتَصَرَ بِهِ لِدِينِنِي ، وَأَظْهَرَ بِهِ دُولَتِي ، وَأَنْتَقَمَ بِهِ مِنْ أَعْدَائِنِي ، وَأَعْبَدَ بِهِ طَوْعاً وَكَرْهًا . قَالُوا : أَقْرَرْنَا يَا رَبُّ وَشَهَدْنَا) أَمَالِي الصَّدُوقِ : ٤١٢ ح ٢٣٣ ، وَانْظَرْ الْكَافِيِّ : ٢ / ٨ ح ١ ، وَمُختَصَّرُ الْبَصَائِرِ : ١٥٥ ، وَتَفْسِيرُ نُورِ الثَّقَلَيْنِ :

أجزاءه وذلك لقوّة القابلية ، فكانوا أولاً فائض فلقرب اتصالهم بالمبداً تأهلوا للإعطاء قبل السؤال قوله ، لأن إيجاد مَن بعدهم يتوقف مددُه على تسوّطهم فيمرّ عليهم قبل من بعدهم .

ومثاله لو كانت لك أرضاً إحداها متصلة بمجرى الماء والأخرى إنما تشرب من تلك الأرض ، فإذا حملت الماء على الأرض المتصلة وسقيتها لا يلزم منه سقي الآخرى ، وإذا أردت سقي الآخرى لزم منه سقي المتصلة وإن لم تطلب الماء ، فلما كانوا واسطة وجب ذلك لهم قبل السؤال ، وفي الحقيقة لما أحبو الله أحبيهم وذلك إعطاؤهم قبل السؤال ، لأن محبته لهم قبل إيجادهم وقبل أن يكونوا سائلين وكذا بعد إيجادهم لا يسبقونه بالقول .

فإن قلت : لِمَ خلقهم الله قبل غيرهم ؟ فإن هذا تقديم منه لهم وتأخير لغيرهم فلا يكون لهم فضل على غيرهم ، لأن الله هو الذي قدّمهم وأخْرَ غيرهم .

قلت : هذا حق الله سبحانه هو المقدّم وهو المؤخّر ، ولكنه قدّم مَن تقدّم وأخْرَ من تأخّر ، وذلك لأنه إذا أفادوا الوجود لم يمكن فيه أن تتساوی أجزاءه في القرب من المبداً ، بل يجب أن يتقدم بعض على بعض ، وذلك هو ما يمكن في ذواتهم ، لأن البعض الذي تأخر إنما تأخر لأنّ من تمام قابليته للإيجاد وجود المقدّم ، فتلك الأجزاء المقدّمة هي مَن عيننا ، والله قدّمهم وأخْرَ

غيرهم ، وتقديمه لمن تقدم نفس تقدمه في الظهور بمعنى تساوقيهما ، وكذلك تأخير أمر الله مساوق لتأخر من تأخر في الظهور ، وأما تقدم تقديم الله على تقدم المتقدم وتقديم تأخير الله على تأخر المتأخر بالذات ، وفي العلة ، فهو مما أبى الله أن يطلع عليه الأوصياء عليهم السلام إلا أنفسهم .

وأما قوله أيده الله : (قولاً) فاعلم أن الخطاب إنما يخص من حضر مجلس الخطاب وهم أهل المشافهة وهم المقربون ، وأما غيرهم وإن كان مرضياً عنهم ، فإنما يصل إليهم إثر ذلك القول وهو الفعل أو قول الواسطة وهو فعل الفاعل عز وجل ، فافهم .

واما تفريع دخول الجنة على الملاقة بالشهادتين فيه نكتة : وهي أنكم يا عبادي المطيعين لي إن لم تخافون^(١) نزعت عنكم ما أعطيتكم ، لأن ما أعطيتكم لا يخرج عن قبضتي ، وهذه نعم شوارد فقيدوها بالخوف متى والثبات على إجابتي التي عاهدتمني بها حين قلت لكم : (أليست بربكم ومحمد نبيكم ، وعلى وليكم وإمامكم والأئمة من ولده أئمتك ؟) فقلتم : بل ، (فإن ثبتتم عليها حتى تلقوني على ذلك أدخلتكم الجنة برحمتي)^(٢) .

(١) في نسخة أخرى : تخافوا .

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام : (أنت الذي احتج الله بك في ابتداعه الخلق حيث أقامهم أشباحاً ، فقال لهم : ﴿أَلَسْتُ إِرَبَّكُمْ قَالُوا بَلَّا﴾ [الأعراف : ١٧٢] وقال : محمد رسولكم ؟ قالوا : بل . قال : وعلى أمير =

وللنكتة لازم وهو يا عبادي العاصين لي الذين حين دعوتهم لم يجيبوني لا تقنطوا من رحمتي ما دام التكليف لكم باقياً ، فإن أجبتكم في دار الدنيا أقلتكم وقبلتُ منكم وأدخلتكم جنتي برحمتي .

وأما الاكتفاء بالشهادة بالتوحيد وحدها وعدمه ، فاعلم أن الأخبار بحسب ظاهرها مختلفة جداً ، ولكنها متفقة في القصد والمعنى ، فما ورد من (إنّ من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة)^(١) ، أي بجميع شروطها وما يراد منها ، وورد (إن من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة)^(٢) ، ومعنى مخلصاً أن يحرجه لا إله إلا الله عما حرم الله وهذا معنى الحديث الأول

= المؤمنين ؟ فأبى الخلق جميعاً إلا استكباراً وعتواً عن ولائك إلا نفر قليل وهم أقل القليل وهم أصحاب اليمين) أمالى الصدوق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

(١) ثواب الأعمال : ٢ - ١٩٥ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٤ / ١٨٣ ، وتفسير نور الثقلين : ٥ / ٣٨ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (من قال لا إله إلا الله غرست له شجرة في الجنة من ياقوته حمراء منبتها في مسک أبيض أحلى من العسل ، وأشد بياضاً من الثلوج ، وأطيب ريحًا من المسك ، فيها أمثال ثدي الأبكار تفلق عن سبعين حلة) أصول الكافي : ٢ / ١٧ / ح ٢ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) مجمع البيان : ٩ / ١٥٥ .

(٢) توحيد الصدوق : ٢٧ ح ٢٦ ، ثواب الأعمال : ٥ ، وأوائل المقالات للمفید : ٣٣٥ ، وعوايي اللآلی : ٤ / ٩٤ .

وورد (من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة بشروطها وأنا من شروطها)^(١) ، قاله الرضا عليه السلام .

وورد (من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآلله دخل الجنة)^(٢) ، والمعنى واحد .

وورد (أن شروط لا إله إلا الله منها شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآلله وأن علياً ولبي الله وأن الأئمة الاثني عشر حجاج الله وأن محبهم محب الله وأن أعداءهم أعداء الله ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت مع الاستطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع شروطهما ، وجميع ما أمر الله واجب ، وورد ذلك مع الإيمان به)^(٣) .

الفرق بين المبدأ والمشتق

قال سلمه الله تعالى : ما الفرق بين المبدأ والمشتق في أصل الوضع ؟

أقول : إن ما يعرف بمطلق توسط اللفظ أقسام : معنى ومدلول ومصداق ومنطق ومفهوم ولازم وملزوم . فالمعنى ما

(١) عوالى اللالى : ٤ / ٩٤ ح ١٣٤ .

(٢) انظر الخصال : ٤٣٣ ح ١٦ ، وثواب الأعمال : ١٤ ، ووسائل الشيعة : ١ / ١٩ ح ١٩ .

(٣) لم نجده بهذه الألفاظ في المصادر المتوفرة لدينا .

يقصد من اللفظ بأصل الوضع ، وما يصدق عليه اللفظ وإن لم يكن من الأفراد الشائعة التي تحضر عند الإطلاق بل وكانت غير معروفة في العرف ، وإنما هي مهجورة أو كان من أفراد العام التي كثيراً ما يخرجها العرف فهو مصدق ، وما يكون في محل النطق صريحاً كدلالة المطابقة أو كالتضمن على الأصح أو غير صريح ، وهو اللازم المقصود من اللفظ كدلالة الاقتضاء ودلالة التنبيه أو لازماً غير مقصود كدلالة الإشارة فهو المنطوق ، وما يكون خارج محل النطق وهو المفهوم وهو قسمان : مفهوم موافقة ، ومفهوم مخالفة فمفهوم الموافقة ما يكون الخارج أولى بالحكم مما في محل النطق كفحوى الخطاب أي معناه ، ولحن الخطاب أي مفهومه ومفهوم المخالفة هو المخالف لما يراد من ظاهر اللفظ كالمفاهيم العشرة ، ويسمى دليل الخطاب ، وما يدل عليه اسم اللازم وما يدل عليه اسم الملزم .

وأما المدلول وهو ما يدل عليه اللفظ فإن كان مقصوداً بأصل الوضع فهو معنى وما يدل عليه بالصدق فمصدق ، والحاصل يدخل في كل قسم باعتباره ، والكلام إنما هو في المعنى وهو الذي يقصد من اللفظ بأصل الوضع ، لأن غيره إنما مثله أو دونه فيكون المعنى أعلى ما يتناوله اللفظ ، فنقول : المبدأ هو المعنى والاسم في الأصل يوضع بإزائه ، وليس المراد أن الاسم يوضع على نفس الذات إنما يوضع على جهة المدركيّة ، لأن الواضع

يتصور تلك الذات على ما هي عليه في مبلغ علمه المحصل من الرؤية أو الإخبار أو إشراف النفس فتنتقش صورته في خياله فيؤلّف حروفاً مخصوصة بهيئة مخصوصة تناسب تلك المادة وتلك الصورة مادة تلك الصورة التي في خياله وهيئتها وهي نفس جهة مدركية المعنى الخارجي ، فالوضع في الحقيقة للمعنى الخارجي ، لأن الاسم كالظاهر للذات وكالجسم للروح .

فإذا قلت : زيد قائم فقد أسندت لفظ قائم إلى لفظ زيد كإسناد معنى قائم إلى معنى زيد ، ومعنى قائم ليس هو معنى زيد ، لأن زيداً ذات بحث وقائم صفة لا ذات ، ولا مركبة من ذات وصفة كما قد يظنه بعضهم ، والصفة غير الموصوف ولم تتفقّم بذات الموصوف وإنما تقوّمت بجهة فاعليته أي ظهوره بالفعل فإن زيداً فاعل القيام ومعنى فاعل محدث والإحداث ظهور الذات لل فعل بنفسه ، وفي الحقيقة الظهور هو نفس الفعل وهو جهة الفاعل فقائم تقوّم بالأحداث من زيد وهو جهة وبيانه يظهر لك في إعرابه وقد اختلفوا في الرافع للمبتدأ والخبر .

والحق أنهما ترافعا لأن كل واحد عامل في الآخر من جهة المعنى فكان كذلك من جهة اللفظ ، ومعنى أن كل واحد عامل في الآخر أن العامل هو ما به يتقوم المعنى المقتضي للإعراب ، فالقيام بإسناده إلى جهة زيد تقوّمت به فاعلية القيام ، وفاعلية القيام هو المقتضي لرفع زيد ، واستناد قائم إلى جهة زيد أيضاً

تقوم في نفسه فتلك الجهة هي التي تقوم بها القيام باستناده إليها ، وذلك الاستناد هو المقتضي لرفع قائم والمراد من جهة زيد جهة فاعليته وهو وجهه .

فإذا قلت : جاء زيد القائم كان القائم صفةً لزيد لا بدلًا ، فلو كان القائم هو زيداً لكان بدلاً ولو كان هو زيداً وصفةً لوجب أن يكون رفعه بجاء على الأصلية ، ولكن قولك : جاء زيد القائم ، هو معنى جاء زيد زيد القائم لكنه ليس هو إيه ، ولا يقصد منه ما يقصد من زيد .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن المبدأ بالتنزيل الحقيقي هو جهة فاعلية الفاعل وتلك الجهة هي مبدأ الاشتراق والمشتق هو اسم للصفة ، فقولنا سابقاً : إن إسناد لفظ قائم إلى لفظ زيد كإسناد معنى قائم إلى معنى زيد ليس المعنى أن لفظ قائم أسنده في الحقيقة إلى لفظ زيد ، وإنما أسنده إلى لفظ زيد من حيث اتصافه بفاعلية القيام أي من حيث نسبة فاعلية القيام إليه كذلك معنى قائم أسنده إلى فاعلية ذات زيد ، وتلك الفاعلية هي جهته ، فهي في المثال كمثل الشعلة من السراج فإنها في الظاهر هي النار والأشعة التي هي بمنزلة قائم مستندة إلى الشعلة ، والشعلة هي مبدأ الاشتراق والمشتق هي الأشعة ففي الظاهر هي مستندة إلى النار التي هي العنصر المركب من الحرارة والبيوسة ، كما تقول ظاهراً : إن قائماً مستند إلى زيد ، وأما في الحقيقة فإن الأشعة

مستندة إلى الشعلة والشعلة ليست قائمة بالنار وإنما هي حالة بالكتافة وهي الأجزاء الدهنية التي حرقتها النار وكلستها حتى جعلتها أجزاءً دخانيةً انفعلت بالضوء عن النار ، فإذا أطفأت النار انفصلت تلك الأجزاء دخاناً ، فإذا عرفت المثل والممثل به ظهر لك أن مبدأ الاستدراك ليس هو الذات البحث ، وإنما تقوم بها تقوّم تحقق لا تقوّم عروض ، ولا تقوّم الكل بأجزائه والشبه العظيمة والحريرات الفادحة إنما هي لظنهم أن مبدأ الاستدراك هو الذات البحث وأن المشتق صادق عليها وحال بها ، ويلزمهم فساد توحيدهم وبطلان دينهم ، وإنما أطلت الكلام ورددت العبارات لصعوبة هذه المسالك وعدم الأنس بها ، فإذا أردت أن تبني اعتقادك في أمر الوجود فعليك بهذا الأصل فابن عليه ما عملت صواباً .

هل الوجود عين الموجود؟

قال سلمه الله تعالى : ما الذي عنى من قال : بأن الوجود هو الموجود بعينه مع أن المعهود بيننا مبaitهما ؟
 أقول : إن العقلاء قد اختلفوا في الموجود ما هو على أقوال شتى ولكن يرجع حاصل اختلافهم إلى خمسة أقوال :

الأقوال في حقيقة الوجود

١ - قول أهل الإشراق

الأول : قول أهل الإشراق ، وهو أن الشيء هو الوجود والماهية إنما وجدت بتبعة الوجود فليس في نفسها موجودةً وما شئت رائحة الوجود إن ﴿فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَهَبَّأْتُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾^(١) .

٢ - قول أهل التصوف

الثاني : قول أهل التصوف وهو أن الوجود هو الشيء والماهية عرض حال بالوجود .

٣ - قول المتكلمين

الثالث : قول أهل الكلام وهو أن الشيء هو الماهية والوجود عرض حال بالماهية .

٤ - قول الأشاعرة

والرابع : قول الأشاعرة^(٢) إن الوجود نفس الماهية في المخلوق .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٧١.

(٢) قال الشيخ الحر العاملي : (قد روی أحاديث متعددة في لعن القدرة وذمهم =

٥ - القول الحق

والخامس : هو المعروف من مذهب أهل العصمة عليهم السلام بما تشير إليه أخبارهم ، وهو أن الشيء هو الوجود والماهية فالشيء مركب منهما ، وهو الحق والأول قريب من هذا ، وفيه أقوال أخرى .

الأقوال في الماهية

وأما الماهية ففيها أقوال كثيرة وفدت على خمسة عشر قولًا :

الأول : أن الماهيات مجعلة مطلقاً .

الثاني : أنها ليست مجعلة مطلقاً .

الثالث : أنها مجعلة في مرتبة العين دون مرتبتها في الأعيان .

الرابع : أن الجعل متعلق بها أولاً وبالذات وبالوجود ثانياً وبالعرض فجعل الوجود تابعاً لجعل الماهية على معنى أنه لا يحتاج لجعل جديد .

وكفراهم ، وهم منسوبون إلى القدر ، فاما أن يراد بهم من أثبت القدر على وجه الإفراط وهم أهل الجبر ، أو من نفاه على وجه التفريط وهم أهل التفويض ، وقد فسره العلماء بالوجهين ، وقد يقرأ بضم القاف وسكون الدال نسبة إلى القدرة ، ويوجه على الوجهين ، والقسم الأول الأشاعرة ، والثاني المعتزلة ، والقسمان منكرون للرجعة ، ولم يقل بها إلا الإمامية .

الخامس : بعكس الرابع .

السادس : أنها في مرتبة الأعيان فائضة من الله سبحانه دون العين .

السابع : قال بعضهم : الجعل متعلق بها وأطلق .

الثامن : قال بعضهم : إنها فائضة منه سبحانه بتجلياته الذاتية بصور شؤونه المستجنة في غيب هوية ذاته بلا تخلل إرادة و اختيار بل بالإيجاب المخصوص .

التاسع : قال بعضهم : إنها ليست مجعلولة بل هي صور علمية للأسماء الإلهية التي لا تأخر لها عن الحق إلا بالذات لا بالزمان فهي أزلية أبدية غير متغيرة ، ولا متبدلة .

العاشر : قال بعضهم : المراد بالإفاضة التأخر بحسب الذات لا غير .

الحادي عشر : قال بعضهم : إن استعداداتها مجعلولة أيضاً وأطلق .

الثاني عشر : قال بعضهم : إنها فائضة منه من غير طلب منها إليه .

الثالث عشر : قال بعضهم : بطلب منها بلسان حالها إليها .

الرابع عشر : قال بعضهم : ليست بفائضة منه .

الخامس عشر : قال بعضهم : إنها من مقتضيات الذات ومقتضياتها لا تختلف عنها . وفيها أقوال غير ذلك .

القول الحق في الماهية

والحق أنها مجعلولة بتبعية جعل الوجود ثانياً وبالعرض لا جعلاً ابتدائياً ، بل هي موجودة بلزوم الوجود والوجود فعل الماهية انفعال كالكسر والانكسار لأنه لـما أوجده موجوده انوجد ، فالفعل من فعل الله سبحانه والانفعال من نفس الفعل والشيء مركب من الاثنين ولو كان الشيء هو الوجود خاصة لم يكن له داعيـان متضادان وهو مخالف الوجودـان ، لأن الإنسان يجد من نفسه أنـ له ميلاً ذاتياً إلى الطاعة وميلاً ذاتياً إلى المعصية .

ولـما كان مركباً من شـيتين متضادـين ، وكانـا على سـبيل التماـزج ، أيـ التـداخل مع بـقاء كلـ واحدـ منـهما على انـفرادـه في ذاتـه ، بـمعنى عدم انـقلابـه منـ جـنس الآـخـر وـعدـم انـقلـابـهـماـ شيئاً واحدـاً بالـاستـحـالة وـعدـم استـهـلاـكهـ في الآـخـر وـبقاءـ الآـخـر .

وفي فـعلـهـ بـأنـ يكونـ فـعلـ كلـ واحدـ مـبـاـيـناًـ لـفـعلـ الآـخـرـ وـاقـتضـاؤـهـ مـخـالـفـ لـاقـتضـاءـ الآـخـرـ وـجهـةـ مـيلـهـ مـخـالـفةـ لـجهـةـ مـيلـ الآـخـرـ كـانـ جـامـعاًـ مـمـلـكاًـ وـثـبتـ لـهـ الاـختـيارـ ،ـ وـلـولاـ اـمـتـزـاجـهـماـ لـتـعـدـدتـ مشـاعـرـ الإـنـسـانـ فـكـانـ لـزـيدـ قـلـبـانـ وـرـأـسـانـ وـعـقـلـانـ وـأـرـبعـ أـعـيـنـ وـأـرـبعـ أـيـدـ وـأـرـبعـ أـرـجـلـ وـهـكـذاـ ،ـ لـأـنـهـماـ اـثـنـانـ ،ـ وـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ لـهـماـ رـوـحـانـ وـيـجـبـ أـنـ يـكـونـ الـوـجـودـ مـجـبـولاًـ عـلـىـ الطـاعـةـ فـلـاـ تـقـعـ مـنـهـ مـعـصـيـةـ إـلـاـ مـجـبـورـاًـ عـلـيـهـاـ ،ـ وـأـنـ تـكـونـ المـاهـيـةـ مـجـبـولـةـ

على المعصية فلا تقع منها الطاعة إلا مجبورة عليها ، ولو لا بقاء كل واحد منها مع الامتزاج على انفراده لكان المجموع شيئاً ثالثاً له طبيعة واحدة مغايرة للطبيعتين ، فإما أن تبقى آثار الطبيعتين أو لا تبقى فإن بقيت وجب ألا يفعل طاعة إلا ويفعل ضدّها العام من المعصية وبالعكس لا غير ذلك ، فتساوي حسنات الخلق وسيئاتهم أبداً ، وإن لم تبق وجب أن يصدر عنهم شيء واحد لا طاعة ولا معصية لعدم الترجيح ، ولأن المقتضي ثالث مغاير للأولين فيجب أن يكون أثره مغايراً لأثرهما ، ولو لا مبادنة فعل كل واحد منها لفعل الآخر لوجب أن يفعلا بمقتضاهما فعلاً واحداً غيرهما وغير أحدهما أو يتتفقا على فعل أحدهما فلا يكون ما بالاقتضاء بالاقتضاء .

ولما كانا شيئاً واحداً تحققت الوحدة لينسب كل فعل من مقتضى جزء منهما إلى الكل لأجل الشيوع والامتزاج .

وبقي كل واحد مع الامتزاج على ما هو عليه في حد ذاته ليختص بما يقتضيه فيكونان جناحين للإنسان ولا يكون التعدد في الأجزاء وبقاوتها في حد ذاتها على الانفراد مع بقاء الامتزاج الذي لا تتحقق الوحدة في الذات إلا به ، ولا اقتضاء كل جزء غير ما يقتضيه الآخر مانعاً من نسبة آثارهما إلى المجموع المركب منهما ، لأن الموجود شيء واحد له اعتباران اعتبار من ربّه وهو الوجود ، لأنه نور الله وهو صفة المشيئة وأثرها واعتبار من نفسه

وهو الماهية وهو وراء الوجود وخلفه وعكسه ، وهذا الاعتباران جهتان لشيء واحد إذ لا تذوّت له إلا بهما معاً متمازجين مع بقائهما على حكم الانفراد في حد ذاتهما كما مر مكرراً .

ولا تستبعد هذا فإن ذلك إنما يكون في الأجسام المائعة الرطبة ، أما المائعة اليابسة كالهواء والأصوات فإنه يكون في اثنين والأكثر ما ذكرنا إذ لا تزاحم بينهما كما لو أشعلت سراجاً في نور الشمس أو القمر ، فإنه يحصل بين النورين كمال التداخل حتى لا يعقل جزء من الهواء إلا وقد دخله معاً ودخل كلّ واحد منهما في الآخر مع بقاء كلّ منهما على انفراده في حد ذاته ، وفي خصوص فعله وأثره ، مع أن الشخص الكائن فيهما إنما هو مستنير بنور واحد مركب منهما على سبيل التمازج ، وهذا المثال تقريري وإلا فالمثال المضروب لذلك هو شعاع السراج .

وبيانه أنّ الأشعة من المنير إلى أن تضمحل متفاوتة ، كلما قرب من السراج كان أضواً مما بعد عنه ، والعلة أنّ الشعاع بعيد مازجته ظلمة نفسه لضعف وجوده بالنسبة إلى ما قبله لواسطته بينه وبين المنير ، وإنما يصل النور إلى بعيد بواسطة القريب ، وكلما ضعف الوجود قويت الماهية ، وكلما قوي الوجود ضعفت الماهية وكيفية هيئة انبعاثهما من المنير وصورته على هيئة مخروطين إحداهما نور منبعث من المنير قاعدته بالمنير ، ويستدقّ ذاهباً إلى نقطة حتى يضمحل أو قطب قاعدة هذا المخروط الشعاعي نقطة رأس مخروط

الظلمة الذي هو الماهية ، ويمتدّ ذاهاً مساوياً لمخروط لا يخرج عن ظاهر حيزه وجهته ، وكلما بعد قوي واتسع بعكس ضده حتى تنتهي قاعدته إلى نقطة رأس المخروط النوري ، فتكون نقطة مخروط النور قطباً لقاعدة مخروط الظلمة ، فيكون أول جزء من النوري قاعدة واسعة أقوى ما في النور تدور على المنير ، لا يماثلها من الظلماني إلا نقطة لا تكاد تقبل القسمة لصغرها بل تكاد تفني ، وإليه الإشارة بقول الصادق عليه السلام كما رواه في الكافي^(١) في حديث المراجح قال : (فكان بينهما حجاب من نور يتلاًّا بخفق ، ولا أعلم إلا وقد قال : زبرجد)^(٢) الحديث .

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازى ، ويعرف بالسلسى البغدادى أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) عن علي بن أبي حمزة قال : سأله أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام وأنا حاضر فقال : جعلت فداك كم عرج برسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : (مرتين فأوقفه جبرائيل موقفاً فقال له : مكانك يا محمد فلقد وقفت موقفاً ما وقفه ملك قط ولانبي ، إن ربك يصلني فقال : يا جبرائيل وكيف يصلني ؟ قال : يقول : سبحان قدوس أنا رب الملائكة والروح ، سبقت رحمتي غضبي ، فقال : اللهم عفوك عفوك ، قال : وكان كما قال الله : « قَابَ فَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى » [النجم : ٩] فقال له أبو بصير : جعلت فداك ما « قَابَ فَوْسِينَ أَوْ أَدْنَى » ؟ قال : ما بين سيتها إلى رأسها فقال : كان بينهما حجاب يتلاًّا بخفق ولا أعلم إلا وقد قال :

والمحروطان باعتبار امتزاجهما متساويان في الحجم التمثيلي فكلما قرب من السراج كان أكثر نوراً وأقل ظلمة ، وكلما بعد ضعف النور وقويت الظلمة .

وفي وسط المخروطين يتساوى النور والظلمة ثم بعده تزيد الظلمة حتى ينقطع النور على أقوى مراتب الظلمة ، ولا تتوهם من مثالنا أن نقطة مخروط الظلمة في وسط قاعدة مخروط النور قطب لها وباقى القاعدة لا شيء فيه من الظلمة ، وكذلك نقطة النور في قطب قاعدة الظلمة فيكون باقى قاعدة الظلمة لا نور فيها أصلاً بل النقطة الظلمانية منبئه في جميع أجزاء قاعدة النور ، والنقطة النورانية منبئه في جميع أجزاء قاعدة الظلمة بحيث لا يخلص شيء من ضده ، إلا أن القاعدة فيما خلطها ضعيف جداً ، وكلما بعد عن القاعدة قوي الضد ، فالمحروطان يجمعهما شكل واحد متوازي السطح إلا أنه كلما قرب من المنير كان أشد نوراً وكلما بعد كان أشد ظلمة ، فافهم .

زيرجد ، فنظر في مثل سرم الإبرة إلى ما شاء الله من نور العظمة ، فقال الله تبارك وتعالى : يا محمد ، قال : ليك ربى قال : من لأمتك من بعده ؟ قال : الله أعلم ، قال : علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وسيد المسلمين وقائد الغر الممحجلين) قال : ثم قال أبو عبد الله لأبي بصير : (يا أبا محمد والله ما جاءت ولاده علي عليه السلام من الأرض ولكن جاءت من السماء مشافهة) .

أصول الكافي : ٤٤٢ / ١ / ك الحجة ب مولد النبي صلى الله عليه وآله ح ١٣ ،
وبحار الأنوار : ٣٠٦ / ١٨ ، وتفسير الصافي : ٥ / ٨٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٩٩ ح ٣ / ٨ .

والعلة في هذا التعاكس التدريجي أن النور كلما قرب من المنير ضعفت إنيته ، لأن قوة النور إنما هي بفنائه في المنير ، وذلك هو عدم الإنية التي هي الظلمة فإذا نظرت إلى النور البعيد رأيت نوراً ضعيفاً بالنسبة إلى ما قبله لا غير ، ولا ترى نوراً وظلمة وذلك لقوة التمازج ، ومع هذا ففعل كلّ منهما وحده على حسب اقتضاء ذاته فما تبصر به من النور لا من المجموع وما لا تبصر به ويحجبك عن الأ بصار فمن الظلمة لا من المجموع ، فافهم .

وقولنا سابقاً : كان جاماً مملكاً وثبت له الاختيار ، نشير به إلى أن الإنسان لما كان مركباً من شيئين متضادين كل واحد يكون منشأ لفعل غير ما يقتضيه الآخر جاز منه أن يفعل الأفعال المتضادة ، ولا يعني بالجامع إلا هذا لجمعه بين صفتتي الملك والشيطان ، وصح للجامع أن يكون مملكاً والمملك يتصرف في ملكه كيف شاء ، وثبت له الاختيار لأنه في شيء واحد إن شاء فعل بمقتضى أحد جزأيه ، وإن شاء ترك بمقتضى الجزء الآخر إذ كلّ منهما عكس الآخر وهما له بل عبارة عنه ، فكان للإنسان ميل ذاتي إلى جهة اليمين من الوجود وإلى جهة الشمال من الماهية ، لأن كل جزء يطلب حاجته فيميل إلى ما من جنسه وذلك لأنهما مخلوقان والمخلوق لا يستغني في بقائه عن المدد ومدد كل شيء من جنسه .

بيان مرآة العقل ومرآة النفس وتأثيرهما

ثم إن الله وله الحمد على صراط مستقيم جعل للإنسان مرأتين مرآة عن يمينه تنطبع فيها صورة وجه رأسه الخاص به من العقل الكلي بواسطة وجوده وهو العقل وهو وزير الوجود ، ولا يميل إلا إلى الطاعة .

ومرأة عن يساره تنطبع فيها صورة وجه رأسه الخاص به من جهل الكل بواسطة الماهية ، وهي النفس الأمارة بالسوء ، ولا يميل إلا إلى المعصية وجعل بلطفه على مرآة العقل ملكاً يسند له ويعينه تحت حيطة ذلك الملك ملائكة أعون للملك على جنود الشيطان .

وجعل على مرآة النفس الأمارة شيطاناً مُقيضاً يعينها على المعاصي وقيضت له جنود من الشياطين بعدد جنود ملك العقل ، وجعل الآلة التي ركبها في الإنسان صالحة لخدمة العقل ولخدمة النفس ، وجعل ما على الأرض وكلّ ما يرتبط بالإنسان في الدنيا صالحاً لمقتضى العقل تماماً في جميع مطالبه بحيث لا يميل العقل إلى شيء ما لا يجده إلا من جهة النفس ، وجعل كلّ ما يصلح لمقتضى العقل يصلح لمقتضى النفس تماماً في جميع مطالباتها بحيث لا يميل إلى شيء ما لا تجده إلا من جهة العقل ، بل كلّ ذلك صالح لكلّ منها والإنسان له شهوة مركبة ، لأنّه مركب من

الجزأين أي فعلين الأيمن أو الأيسر حصله كفاه في حاجته للمجموع لامتزاجه واتحاده وصلوح المطلوب لكل من الجزأين ، ولا تاتحاده لا يمكنه أن يميل إلى فعل بالشهوتين معاً لأنه واحد بالحقيقة ، ولو فرض أنه يميل بكل منهما دفعة لا على التعاقب تحلّل تركيبه واضمحل فلا يكون شيئاً ، ولكن إذا عرض له الفعل تحرّكت الشهوة المركبة فأعان اليمين الملك وجنوده وأعan اليسرى الشيطان وجنوده :

فإن مال الإنسان الجامع لهما إلى اليمين أعانه الله بمدده من الألطاف وقويت الملائكة على الشياطين فقتلوا الشيطان المرابط على ثغر ذلك الفعل الخاص وهكذا ، وكلما مال إلى اليمين قتل الشيطان الخاص بذلك الفعل حتى تقتل تلك الشياطين وتذل النفس الأمارة فتكون لوامة إذا قتل أكثر شياطينها ، وإذا قتل الجميع كانت مطمئنة فهي حينئذ أخت العقل تحب الطاعة كالعقل وتبغض المعصية وتأمر بالخير وتكره الشر . وهو تأويل قوله تعالى : ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكُوَةَ فَإِخْرَجْنَاكُمْ فِي الْدِينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(١) ، الآية .

وإن مال الإنسان الجامع لهما إلى اليسار خلاه الله تعالى وتركه ، وهو مدد النفس الأمارة بالخذلان ، وقويت الشياطين على

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١ .

الملائكة وطردوا الملك المرابط على ثغر ذلك الفعل الخاص ولحق بمركزه يعبد الله ، وهكذا كلما مال إلى الشمال طرد الملك الخاص بذلك الفعل من جنود الملك المسدّد ، فيلحق بمركزه حتى تطرد تلك الملائكة ويطبع على القلب وتغطيه المعاشي فيدخل في قوله تعالى : « كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ »^(١) ، فهذا جواب ما سألت عنه من أن الموجود ما هو بأنه هو المركب من الوجود والماهية ، وما لم تسأل عنه من جهة تركيبه وما يترب على ذلك من بيان المنزلة بين المنزليتين في القدر بحيث لا يكون على من عرفه غطاء ولا كدر ، والحمد لله رب العالمين .

هل الوجود اشتراك لفظي أم معنى؟

قال أيده الله : ثم ما الحق في كيفية اشتراك الوجود حيث إنهم اختلفوا فيه ، فهم بين قائل باشتراكه معنىًّا بين جميع الأشياء حتى الواجب ، وقائل به بين الممكناًت فقط ، ونافي للشركة المعنوية رأساً ، بادعاء أن المعنى في قولنا زيد موجود مثلاً غيره في قولنا عمرو موجود .

بيان الاشتراك اللفظي والمعنوي

أقول : إن اللفظ قد بيّنا في كثير من رسائلنا أنه يدل على

(١) سورة المطففين ، الآية : ١٤ .

المعنى بماذا وهيئته ، وأن الدلالة اللفظية الوضعية هي تلك ، وهذه المناسبة إنما تكون بعد تصور المعنى وحصول هيئته في الذهن فإذا حصلت ألف الواضع حروفاً من مادة مخصوصة توافق صفات تلك الحروف من الهمس والجهر والشدّة والرخاوة والقلقلة والإطباقي والاستعلاء وغير ذلك صفات المعنى الذاتية ، ويؤلفها على هيئة مخصوصة توافق هيئة المعنى العرضية فيضمنه على معنى ثم يتصور المعنى ويرى اللفظ الأول صالحًا له بذلك النحو أو يطلب حروفاً مناسبة ، فتوافق حروف الاسم الأول ويؤلفها على طبق هيئة المعنى الثاني فتوافق هيئة الأول وهكذا ، فإن كانت بين المعنيين صفة جامعة ذاتية كالعين الجارية والعين الباصرة أو صفة عرضية كالقُرء للحيض والطهر كان الاشتراك معنوياً ، وإن لم يكن بينهما صفة جامعة بها المناسبة لا ذاتية ، ولا عرضية ، وإنما اشتركا في الْهَسْنَة خاصّة والهستية لا تتخصّص بالكون في الأعيان ، فإن تخصّصت ووضع اللفظ بيازائها كان معنوياً .

ولا تخصّص بالعلّية أو المعلولية وما أشبه ذلك ، وكان الوضع بيازاء ذلك التخصيص فكذلك كان معنوياً ، وإن اشتركا في الْهَسْنَة المطلق لا لجهة جامعة كان لفظياً إذا كانت الهستية متساوية في المشتركات وإلا فلا يطلق على المختلفين في الهستية الاشتراك اللفظي ، فإن كان ذلك المعنى لا يحتاج إلى معرفته

لذاته كذات الواجب ، لأن الاحتياج جهة الإمكان من جهة المحتاج والمحتاج إليه لاستلزم الربط والاقتران ، فإذا انتفت الحاجة هجرت جهة تسميتها وإن كان يحتاج إلى معرفته بصفات أفعاله أطلق الوجود على جهة المعرفة وهي نوع من الاشتراك اللفظي ، لأن المفهوم والمقصود من إطلاق الوجود عليه ما تصدق به الهمسية المشاركة لغيره ، فيكون المقصود من التسمية وإطلاق الوجود جهة معرفته وهي مشاركة لغيرها في الهمس ، وهذا المعنى غير ما اصطلح عليه الأكثر من كون المعنوي إطلاق لفظ على كثيرين بوضع اللفظي على كثيرين كلّ واحد بوضع جديد .

أقسام الوجود باعتبار اللفظ

إذا عرفت هذا فاعلم أن ما يصدق عليه التقسيم اللفظي للوجود ثلاثة :

١ - الوجود الحق

الأول : الوجود الحق سبحانه وهو الذي لا يحتاج الخلق إلى معرفة ذاته ، لأن جهة الحاجة فقر إلى ما تحتاج إليه ، وهو إضافة وربط بين المحتاج والمحتاج إليه وليس بين ذات الواجب من حيث هي وبين ذات المخلوق ربط أو إضافة بحال ما ، وإنما

الربط بين الخلق وبين فعله وإبداعه ، فكما لا تسع الحاجة ذاته لغناهه عمما سواه كذلك لا تسع الحاجة الخلق إلى معرفة ذاته بالكتلة لاستلزمها الحاجة بالإدراك والإضافة والاقتران والربط والشبه وغير ذلك ، فهذه الجهة يجب أن تهجر تسميتها .

٢ - الوجود المطلق

الثاني : الوجود المطلق وهو فعل الله ومشيته وهذا الذي يحتاج إليه الخلق فيحتاجون إلى تسميته ، وهذا هو الذي تطلق عليه تسمية الوجود اللفظي وهو جهة معرفة الله سبحانه ، فيكون جانبه الأيسر مشاركاً لغيره في مطلق الهمستية فتعرف جهة الوجوب التي هي جانبه الأيمن بمعرفته أي بجانبه الأيسر .

٣ - الوجود المقيد

الثالث : الوجود المقيد وأفراد مختلفه أي تنزاته وأفراد مظاهره ، وللعارف أن يطلق على جميعها الوجود بالاشتراك المعنوي بطريق خاص ، وأما باعتبارها في أنفسها من اختلافها وتباينها في الحقائق فلا يطلق عليها إلا الاشتراك اللفظي ، أما قولك : زيد موجود وعمرو موجود ، وما أشبه ذلك مما هو في كون واحد لاشتراكهما في العلية والمعلولية المتساوين في القرب والبعد .

فإن اعتبرت الوجود لهما من حيث هو قبل اعتبار المشخصات فهو وجود واحد ، فإذا نسبته إليهما كان باعتبار ظاهرهما كلاً وهما جزآن وباعتبار الباطن هو كلي هما جزئياً باعتبار أو مظاهره باعتبار .

وإن اعتبرته مع مشخصاتهما فيطلق الوجود عليهما بالاشراك المعنوي ، لأن الوجود فيهما واحد والمشخصات هي موجودة بتبعد الوجود فهي داخلة فيه من حيث التبع فيطلق عليهما المعنوي .

وإن قلنا : إن المشخصات ما شمت رائحة الوجود ، وإنما الوجود هو المشخص بفتح الخاء فأظهر .

وإن قلنا : إن المشخصات موجودة بالذات كما زعمه بعضهم فلا محذور من إطلاق الاشتراك المعنوي ، إذ يكفي فيه أدنى مشاركة ، وهنا المشاركة في الأغلب حاصلة ، فمن نفى الاشتراك هنا فقد أخطأ الصواب .

٦ - رسالة في جواب سائل عن ثلاثة مسائل :

١ - كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول

٢ - كيفية علمه تعالى بالجزئيات

٣ - كيفية العراج

١ - كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول

شيخنا الأعظم وملاذنا الأفخم أadam الله علوك وحرس مجده ، إني أتيت من سفر بعيد ، لأن أكون لجنابك من أقل العبيد ، ولكن تلاطم العوائق وتراكم العلائق عاونني عن الاستسعاد بخدمتك والاستفادة من نتائج قريحتك ، وألتمنس من جنابك وأستدعي من خدام بابك الاستكشاف عن كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول وكيفية علمه تعالى بالجزئيات ، وعن كيفية المعراج وما هو الحق فيها عندك ، فإن أقاويل العلماء فيها مختلفة والإشكالات الواردة على كلّ قول منها متکثرة ، مولانا أنا ضيفك ولكلّ ضيف قری فاجعل قرای تحقيق هذه المسائل وكتابتها بخطك الشريف في هذه الورقة ، وأحسن إن الله يحب المحسنين ، والسلام عليكم .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين

الأحسائي : إنه قد وردت علي هذه المسائل في غاية اشتغال البال بكثرة الأعراض والأمراض في أغلب الأحوال ، ولم أقدر على الاعتذار ، فكتبت الجواب على جهة الاقتصر لأنه حاصل الحضور إذ لا يسقط^(١) الميسور بالمعسور وإليه ترجع الأمور .

قال سلمه الله : وأريد من خدام بابك^(٢) الاستكشاف عن كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول .

بيان كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول

أقول : أعلم أن صدور الموجودات إنما كان من فعل الله تعالى لا منه عزّ وجلّ ، فينبغي أن يراد بالمبدأ الأول هو فعل الله تعالى وهو مشيّته وإرادته ، فإيجادهم صدوره عن^(٣) فعل الله والصادر هو وجوداتهم ، وحاصل^(٤) الوجود الذي منه كانت الأشياء أنه العنصر الأولي ، وهو أول فائض من فعل الله تعالى وهو الحقيقة المحمدية ، وذلك لأن الله سبحانه كان ولا شيء وهو الآن على ما كان ولم يكن ، ثم سواه تعالى ، ثم أحدث الفعل بنفسه أي نفس الفعل لا من شيء وهو المشيّة وهو الإمكان

(١) في نسخة : الاقتصر إذ لا يسقط .

(٢) في نسخة أخرى : من جنابك .

(٣) في نسخة : من .

(٤) في نسخة : أصل .

الراجح ، فامكن بإمكانه الإمكان المطلق الذي هو العمق الأكبر فانبسطت مشيته على طبق الإمكان بما فيه من جميع الجزئيات على جهة الكلية الإضافية ، مثلاً أمكن بمشيته إمكان زيد الكلي ، يعني أن إمكان زيد قبل أن يكون يصلح أن يخلق^(١) أونبياً أو شيطاناً أو ملكاً أو أرضاً أو سماءً أو جبلأً^(٢) ، وهكذا إلى غير النهاية ، هذا في إمكان زيد قبل أن يخلق ، وبعد أن يخلق إمكانه لم يفارقه فيما يمكن فيه كلّ ما يمكن فيه قبل أن يخلق بتغييره إلى ما شاء ، وهكذا إمكان غيره فإمكان الواحد الجزئي كلي لا يتناهى ، وهذه الإمكانات هي خزائن جميع الممكناط وهي متعلق^(٣) المشية الإمكانية ومحلها .

ثم أحدث بمشيته الكونية النور الأول الذي به تنورت الأنوار وهو الحقيقة المحمدية ، وهو أول موجود فتعلق هذا النور بأرض الجرز ، أي^(٤) القابليات فصار منها العقل الكلي عقل الكل ثم تنزل بالروح الكلية ثم بالنفس الكلية التي هي اللوح المحفوظ ، ثم بالطبيعة الكلية فالعقل هو النور الأبيض والروح نور أصفر والنفس نور أخضر والطبيعة نور أحمر ، فهذه الأربعة الأنوار هي

(١) في نسخة : يخلق منه عمراً .

(٢) في نسخة : أو جبلأً أو شجراً أو حيواناً .

(٣) في نسخة أخرى : وهذه الإمكانات الجزئية هي وجميع الممكناط متعلق .

(٤) في نسخة : أي أرض .

العرش وصار^(١) العرش خزانة جميع الأكون ، فالمعانى في العقل والرقائق في الروح والصور الجوهرية في النفس والطبائع كلها في الطبيعة ، ثم جوهر الهباء ، ثم عالم المثال ، ثم جسم الكل ، ثم العرش ، ثم الكرسي ، ثم فلك الشمس ، ثم فلك الزحل ، ثم^(٢) فلك القمر ، ثم فلك المشتري ، ثم^(٣) فلك العطارد ، ثم فلك المريخ ، ثم^(٤) فلك الزهرة والشمس تستمد من صفة ذات العقل وتفيض على زحل ، وهو مدبر^(٥) العقول الجزئية من هيئة صفة العقل ، وتفيض على القمر وهو مربى النفوس الحيوانية الحساسة وتستمد من ذات النفس والروح ، وتفيض على المشتري مربى العلوم^(٦) ومن صفة النفس ، وتفيض على عطارد مربى الأفكار وتستمد من ذات الطبيعة فتفيض^(٧) على المريخ ، وهو مربى الأوهام ومن صفة الطبيعة ، فتفيض على الزهرة مربى الخيالات فضمن سبحانه الأفلاك حقائق أجزاء الموجودات ، فإذا

(١) في نسخة : هي العرش وهذا .

(٢) في نسخة : فلك زحل و .

(٣) في نسخة : و .

(٤) في نسخة : وفلك .

(٥) في نسخة : مدرك .

(٦) في نسخة : العلوم الجزئية .

(٧) في نسخة : وتفيض .

أراد سبحانه إيجاد زيد مثلاً أمر كلمته^(١) التامة وهو فعله ومشيته ، فقبض عشرة : قبضة بوجه^(٢) زيد منه أي بالرأس المختص بزيد من مشيته ، لأن كلّ شيء له رأس مختص به ، فقبض قبضة من محدد الجهات^(٣) فخلق منها قلبه في أربعة أدوار ومن الكرسي قبضة خلق منها نفسه في أربعة أدوار ، ومن زحل قبضة خلق منها عقله كذلك ، ومن المشتري قبضة خلق منها علمه كذلك ، ومن المريخ قبضة خلق منها وهمه كذلك ، ومن الشمس قبضة خلق منها وجوده الثاني كذلك ، ومن الزهرة قبضة خلق منها خياله ، ومن عطارد قبضة خلق منها فكره^(٤) ، ومن القمر قبضة خلق منها روحه الحساسة^(٥) ، ومن العناصر قبضة خلق منها جسده كلّ قبضة في أربعة أدوار ، فهذه أربعون رتبة هي مراتب الوجود كمیقات موسى فأدار الأفلاك الثمانية المقدرة والأطلس^(٦) المسخر لها ، فألقى^(٧) كل منها قبضة على مشاكلها

(١) في نسخة : بكلمته .

(٢) في نسخة : يوجد .

(٣) في نسخة : فقبض من محدد الجهات قبضة .

(٤) في نسخة : فكره كذلك .

(٥) في نسخة : الحساسة كذلك .

(٦) في نسخة : الثمانية والفالك الأطلس .

(٧) في نسخة : فأبقى .

من قبضة العناصر فاستجنت^(١) تلك القوى الروحانية كلّ في مشاكله من طبائع العناصر في طبيعته ، فجرت النطف الغيبية في المطاعم والمشارب فاستجنت ، فيما تولدت من المطاعم من النطفة التي هي نطفة أب زيد فألقاها في رحم أم زيد ، ونطفة الرجل حارة يابسة ونطفة المرأة باردة رطبة ، فإذا أراد الله تعالى إيجاد زيد كان من نطفة أبيه جزء ومن نطفة أمه جزان ، فأمر^(٢) الملك الخلاق فقبض قبضة من تراب الأرض من الموضع الذي يدفن فيه زيد فإذا مات فماه^(٣) في النطفتين ، والتراب بارد يابس ، فيبوسته تلائم نطفة الرجل وبرودته تلائم نطفة المرأة ، ومقدار هذا التراب من النطفتين الأمشاج مختلف^(٤) فقد يكون بقدر نطفة الرجل ، فإذا كان هذا المخلوق ترابه ونطفاته صافية كاننبيأً أو ولياً أو مؤمناً صالحًا تقىً لكثره ترابه ، وقد يكون التراب بقدر نصف نطفة الرجل أو ثلثها أو ربعها أو أقل إلى ربع الربع تقربياً ، وكلّ ما قل ضعيف^(٥) عقله وفهمه ودينه ، وكلّ ما كثر^(٦)

(١) في نسخة : فاستجن .

(٢) في نسخة : بأمر .

(٣) في نسخة : فماهها .

(٤) في نسخة : مختلفة .

(٥) في نسخة : ما قل التراب ضعف .

(٦) في نسخة : كثر التراب .

قوى عقله وفهمه ودينه ، وذلك على حسب مقتضى قوابلهم ﴿وَمَا رَبُّكَ يُظْلِمُ لِلْعَيْدِ﴾^(١) ، فتبقى^(٢) النطفتان والتراب المصلح لهما ، والأفلاك المذكورة تدور عليه ، وكلّ منها بأشعتها تربى^(٣) القبضة التي من شعاعها والملائكة الخلاقة بإذن الله سبحانه قائمة بفعله تعالى في ذواتها وفي صنعها^(٤) قيام صدور ، فهو عزّ وجلّ هو الخالق على الحقيقة وهم بأمره يعملون ويترجمون تلك الإمدادات التي من أشعة تلك الأفلاك من جنس ما يحتاج إليه المولود من لحم ودم وعظم ومخ وعصب وشعر وعروق وجلد على حسب^(٥) ما يأمرهم^(٦) تعالى ، فالإمكانات كانت بمشيته الإمكانية والأكونان كانت بمشيته الكونية والمشيّة الكونية هي الإمكانية^(٧) ، ولكن يسميها^(٨) باعتبار متعلقاتها فإن تعلقت بالإمكانات الكلية فهي إمكانية ، وبالأكونان أي الوجودات هي الكونية ، وبالأعيان

(١) سورة فصلت ، الآية : ٤٦ .

(٢) في نسخة : تبقى .

(٣) في نسخة : تدور عليه بأشعتها كلّ منها مربى .

(٤) في نسخة : في ذاتها وفي صفتها .

(٥) في نسخة : وعروق على حسب .

(٦) في نسخة : يأمرهم الله .

(٧) في نسخة : هي المشيّة الإمكانية .

(٨) في نسخة : تسميتها .

أي الذوات هي الإرادة ، وبالحدود والهندسة^(١) من الطول والعرض والأجل والبقاء والفناء والرزق وغيرها هي القدر ، وبإتمام الصنع هي القضاء ، وبإظهار المصنوع وتبين^(٢) أسبابه وشرح عللها هو الإمضاء ، وأصل المصنوع هو الحقيقة المحمدية صلى الله عليه وآله خلق منها محمداً وأهل بيته عليهم السلام ولم يبق منها شيئاً لغيرهم ، فبقوا يعبدون الله سبحانه ألف دهر كل دهر مئة ألف سنة أو ثمانون ألف سنة ، ثم خلق من شعاع أنوارهم حقائق الأنبياء عليهم السلام وبقوا^(٣) ألف دهر ، ثم خلق المؤمنين من شعاع أنوار الأنبياء عليهم السلام^(٤) ، وهذا

(١) في نسخة : بالحدود الهندسية .

(٢) في نسخة : وتبين .

(٣) في نسخة : بقوا .

(٤) كما في الحديث الشريف ، ولفظه كما في الاختصاص بإسناده عن محمد بن سنان قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال : (إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوحدانية ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهم السلام فمكثوا ألف دهر ، ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء ، وفرض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية ، فهم أبوابه ونوابه وحجابه يحللون ما شاء ويحرّمون ما شاء ، ولا يفعلون إلا ما شاء ، ﴿عِبَادٌ مُّكَرَّمُونَ﴾ ﴿٢٦﴾ لا يَسْقُونَهُ بِالْغَوَّلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَسْمَلُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ [الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧] وهذه الديانة التي من تقدّمها غرق في بحر الإفراط ، ومن نقصهم من هذه المراتب التي رتبهم الله فيها زهق في بحر التفريط ولم يعرف =

إلى الشري لم يخلق^(١) تعالى الأسفل من طينة الأعلى قط ، بل من شعاع نور الأعلى وهكذا .

بيان أن خلق الأشياء لا من شيء

واعلم أنه سبحانه خلق الأشياء لا من شيء فأول المخلوقات اخترعه لا من شيء ، اخترع مادته وهو الوجود الموصوفي وخلق منه صورته أي من انفعاله وهي الماهية وهي الوجود الصفي ، فكل الأشياء تنتهي إلى مصنوعه الأول ، أي الحقيقة المحمدية وهي محل فعله كالقيام الذي أحدثه زيد ، فإنه محل حركة تقوم^(٢) ، إذا قلت قائم فإن قائم صفة زيد صفة فعل لا صفة ذات والحركة الإيجادية بها تكون القيام ، فهو محل الحركة في قوله قائم وقائم اسم فاعل وهو منسوب إلى زيد من جهة فعل للقيام^(٣) فهي صفة تدل عليه لا أنها تبين حقيقة^(٤) ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام :^(٥) (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له)^(٦) .

= آن محمد حقهم فيما يجب على المؤمن من معرفتهم) الكافي : ١ / ٤٤١
ح ٥ ، ويحار الأنوار : ٢٥ / ٣٣٩ - ٢١ ح ٤٤ ، ومجمع التورين للمرندي :
٢٤ ، وموسوعة أحاديث أهل البيت : ٢ / ١٩٥ ح ١٦٥ .

(١) في نسخة : لم يخلق الله .

(٢) في نسخة : فإنه محل حركته تقوم به .

(٣) في نسخة : القيام .

(٤) في نسخة : لا أنه يتبيّن حقيقته .

(٥) في نسخة : .

(٦) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في =

.....

خطبته : (وإن قلت : مِمَّ هُو ؟ فقد بابن الأشياء كلها ؟ فهو هو ، وإن قلت : فهو هو ، فالهاء والواو كلامه صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له ، وإن قلت : له حد فالحد لغيره ، وإن قلت : الهواء نسبه فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك ، والإدراك عن الاستبطاط ، ودام الملك في الملك ، وانتهى المخلوق إلى مثله وألجهاء الطلب إلى شكله ، وهجم به الفحص إلى العجز ، والبيان على فقد ، والجهد على اليأس ، والبلاغ على القطع ، والسبيل مسدود ، والطلب مردود ، دليله آياته ، وجوده إثباته) .

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مفترض من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . . .) .

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته وجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تزييه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمدانة . له حقيقة الربوبية إذ لا مربوب ومعنى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل البينونة لا بينونة له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس برب من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبد من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء كائن لا بينونة غائب عنها . . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) . رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، وجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ . ورواية ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

بيان انتهاء الأشياء إلى الحقيقة المحمدية

فالأشياء^(١) تنتهي إلى الحقيقة المحمدية كأنها الأشعة إلى جرم الشمس ، والحقيقة^(٢) تنتهي إلى فعل الله تعالى ، وفعله ينتهي إلى نفسه أي نفس الفعل ، ولا ينتهي شيء من خلق الله^(٣) إلى ذاته تعالى ، وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (انتهى المخلوق إلى مثله وألجهاء الطلب إلى شكله السبيل مسدود والطلب مردود)^(٤) انتهى ، فهذا بعض الإشارة إلى كيفية الصنع وشرح هذا حتى يبلغ إلى العيان^(٥) يطول به الزمان .

بيان كيفية علمه تعالى بالجزئيات

قال سلمه الله تعالى : وكيفية علمه تعالى^(٦) بالجزئيات .

أقول : أعلم أن الله سبحانه كان وحده ولا شيء معه ، ولا معلوم سواه ، وهو قول الصادق عليه السلام كما رواه^(٧) في

(١) في نسخة : تكشف له في الأشياء .

(٢) في نسخة : حقيقته .

(٣) في نسخة : الله تعالى .

(٤) كما تقدم قريراً .

(٥) في نسخة : حتى يبلغ معلوم سؤاله إلى البيان .

(٦) في نسخة : وعن كيفية علمه الذاتي .

(٧) في نسخة : ولا شيء معه كما رواه .

الكافي^(١) والصدوق^(٢) في التوحيد قال عليه السلام : (لم يزل ربنا عز وجل العلم ذاته ، ولا معلوم والسمع ذاته ، ولا مسموع والبصر ذاته ، ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلماً أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور)^(٣) انتهى .

(١) هو لمحمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسليلي البغدادي أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) هو الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه المشتهر بالصدوق .

ولد بداعي الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه بقم المقدسة بعد سنة ٣٠٥ هـ .
توفي بالري سنة ٣٨١ هـ ودفن فيها قرب السيد عبد العظيم الحسني .

(٣) الكافي : ١ / ١٠٧ باب صفات الذات ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

ولفظه في الكافي : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لم يزل الله عز وجل ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلماً أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور ، قال : قلت : فلم يزل الله متحركاً ؟ قال : فقال : تعالى الله عن ذلك إن الحركة صفة محدثة بالفعل ، قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟ قال : فقال : إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلماً .

وكلامه عليه السلام في جواب سؤالك كله من شرح هذا الحديث الشريف ، وهو^(١) كلام الصادق عليه السلام ، وما بعد كلام الصادق إلا كلام الكاذب ، كما قال الله تعالى : ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾^(٢) .

اعلم أن الله سبحانه كان في الأزل وحده وهو الأزل ولا شيء غيره ، وكان عالماً ولا معلوم غيره ، لأنه لو كان معه معلوم في الأزل كان قديماً فلا يعلم في الأزل إلا ذاته خاصة ، ولا يلزم منها أني أقول إنه جاهل ، لأن الجاهل هو الذي يوجد شيء وهو لا يعلمه ، وأما إذا لم يكن شيء وقلت هو لا يعلم شيئاً لا يلزم منه أنه جاهل ، وكل ما سواه إنما وجد في الإمكان ، فإذا وجد شيء علمه فهو يعلم كل شيء في مكان ذلك الشيء ووقته ، فلا يجوز أن تقول إنه سبحانه عالم بها في الأزل لأنه يلزم منه أنها معه ، ولكن يجب أن تقول : هو عالم بها في الأزل بها في الحدوث ، فهذه^(٣) العبارة صحيحة ، والعبارة الأولى^(٤) باطلة ، فهذا معنى قول الصادق عليه السلام : (فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم) .

(١) في نسخة : جواب سؤالك وهو .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٢ .

(٣) في نسخة : وهذه .

(٤) في نسخة : الأولى .

ومثاله إذا كنت وحدك ولم يكن أحد معك يتكلم فأنت سميع ولا مسموع حيث لا كلام فكيف تسمع لا شيء^(١) ، فلما تكلم الذي معك سمعت كلامه يعني وقع السمع منك على المسموع وقبل أن يكلم أحداً^(٢) ، أنت لا تسمع شيئاً ولست بأصم بل أنت سميع ، فافهم المثال تفهم معنى الحديث .

بقي أشياء منها :

اعلم أن العلم مطابق للمعلوم واقع على المعلوم ومقترن^(٣) بالمعلوم وهذه الصفات ثابتة في العلم لا تختلف عنه^(٤) ، فعلم الله القديم هو ذات الله تعالى بلا مغایرة ، فلو أن شخصاً قال لك : إن الله بعلمه^(٥) القديم الذي ذاته يعلم زيداً هذا الشخص المعلوم بما تقول له ؟

إن قلت : يعلم زيداً بعلمه القديم ؟ فما معنى هذا الكلام إذا كان العلم مطابقاً للمعلوم وواعقاً عليه ومقترناً به ، يلزمك أن ذات الله تعالى واقعة عليه ومطابقة له ومقترنة به وهذا كفر .

وإن قلت : لا يعلم زيداً بعلمه القديم .

(١) في نسخة : تسمع ولا شيء .

(٢) في نسخة : يتكلم أحد .

(٣) في نسخة : تقرن .

(٤) في نسخة : في العلم الحادث لا تختلف عنه .

(٥) في نسخة : بعلم .

قيل لك : هذا كافر^(١) .

فإذا قلت^(٢) : الله سبحانه في الأزل عالم بزید في الحدوث
كان كلامك صحيحاً فما معنى صحته هناك ؟

وبيان هذا أن قول الصادق عليه السلام : (وقع العلم منه على المعلوم) فهذا الاقتران والواقع ليس هو نفس العلم الذاتي بل هو تعلق حادث بحدوث المعلوم ، مثاله ما تقدم لك من^(٣) المثال ، فإن تعلق بهذا سمعك^(٤) بالكلام ليس هو نفس سمعك الذي به سميع ، بل إنما حصل لك عند كلام الشخص ، وكذلك صورتك التي في المرأة هي^(٥) ظل صورتك التي فيك ، فإذا وجدت المرأة انطبعت الصورة فيها ولم تحدث لك تغير^(٦) في ذلك كالشمس لا يظهر نورها إذا قابلها كيف يظهر فيه النور ، فالتعلق والمطابقة والواقع إنما حصل لسمعك حين وجد الكلام لا قبله ، وليس هذا تعلق سمعك الذي هو ذاتك وصورتك في المرأة إنما حصل لها الواقع والمطابقة عند وجود القابل ، وكذلك فالله سبحانه كان عالماً في الأزل ولا معلوم معه ، فلما وجد المعلوم تعلق به

(١) في نسخة : كفر .

(٢) في نسخة : قلت إن .

(٣) في نسخة : في .

(٤) في نسخة : تعلق سمعك .

(٥) في نسخة : صورتك في المرأة هو .

(٦) في نسخة : تغير .

العلم ، وهذا التعلق حادث عند حدوث المعلوم لا قبله ، لأن تعلق العلم بغير شيء يتعلق به محال فلم يحصل^(١) لذاته سبحانه تعلق بشيء ، فإذا وجد ما يتعلق بشيء فإذا وجد ما يتعلق به حصل التعلق ، ولو كان هذا التعلق قديماً لكان حاصلاً قبل وجود المتعلق به ، ولا يصح تعلق بلا متعلق فثبت أنه عالم ولا^(٢) معلوم ، يعني في الأزل والتعلق الحاصل عند وجود الحادث فهو علمه تعالى بذلك الحادث ، وكونه لم يحصل قبل المتعلق لا يلزم منه القول بأنه جاهل به ، فإني لو قلت لك : انظر إلى كفي أي شيء فيه ؟ فقلت : لم أر شيئاً لا يلزم أنك لم تر شيئاً ، لأن كفي ليس فيه شيء ، ولو كان فيه شيء ولم تره صح أنك أعمى ، كذلك قول الصادق عليه السلام : (كان عالماً ولا معلوم) ، يعني في رتبة ذاته المقدسة هو^(٣) عالم ولكن ليس شيء ليكون عالماً به ، وإنما كانت الأشياء هنا فكل شيء كان تعلق العلم به^(٤) مع كونه .

وأما قوله عليه السلام : (كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها) ، فهو مثل قولي : إنك تعلم بصورتك قبل أن تقابل المرأة التي هي^(٥) كون صورتك كعلمتك بها بعد المقابلة ، وهذا

(١) في نسخة : فلم يحدث .

(٢) في نسخة : بلا .

(٣) في نسخة : وهو .

(٤) في نسخة : تعلق به .

(٥) في نسخة : هو .

ظاهر ، فإنه تعالى بعد أن كونها تعلق العلم بها ولم يكونها إلا بفعله ، فحدودها^(١) هيئات ظلية ، كما أنك تكون الكتابة بحركة يدك وحدود الكتابة وصفات الحروف هيئات حركة يدك كذلك فعله ، وفعله صدر عن علمه فلم يكن شيء يخالف علمه ، لأن كل شيء^(٢) صنعه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾^(٣) ، وأما كلام القوم الذي يختلفون هم^(٤) يعلم الجزئيات الزمانية أم لا يعلمها أم يعلمها بعلم كلي ، فإنهم لا يعلمون ما يقولون : «إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا أَظَنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ»^(٥) ، وذلك لزعمهم أنه تعالى ليس له علم هو ذاته ، ولا يقولون : بأن له علماً هو ذاته وبه علم ذاته وعلماً مخلوقاً هو كتابة والمعلومات في هذا ، كما قال : [(وذلك لزعمهم أنه تعالى ليس له علم إلا هو ذاته بأن له علماً هو ذاته وبه علم ذاته وعلم مخلوقاته في كتابه) ، والمعلومات في هذا الكتاب كما قال]^(٦) تعالى : «قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونُ الْأُولَى ﴿٥٦﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٧﴾»^(٧) والمراد

(١) في نسخة : إلا أن يفعل حدودها فحدودها .

(٢) في نسخة : كل شيء من .

(٣) سورة الملك : ١٤ .

(٤) في نسخة : هل .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١١٦ .

(٦) زيادة من نسخة أخرى .

(٧) سورة طه ، الآيات : ٥١ ، ٥٢ .

بهذا الكتاب اللوح المحفوظ وسمّاه علمه وقال تعالى : ﴿قَدْ عِلْمَنَا مَا نَفَعُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾^(١) أي محفوظ أو^(٢) حافظ ، فلما زعموا ألا علم إلا القديم وأن العلم لا بد^(٣) أن يكون مطابقاً للمعلوم ارتكبوا بجهلهم أنه تكون صورة^(٤) ذاته قياساً على علمهم ولهذا ضلوا^(٥) ، قال الصادق عليه السلام كما رواه الشيخ في المصباح في الدعاء بعد نافلة الوضوء بعد العشاء قال : (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيئة يا سيدى ، فشبھوك واتخذوا بعض آياتك أرباباً يا إلهي ، فمن ثم لم يعرفوك)^(٦) الدعاء .

فلما قاسوا علمه تعالى بعلمهم فجعلوا صوراً في ذاته^(٧) .

قالوا : إذا تصور زيداً في الدار ثم خرج عنها إن تغيرت^(٨) صورة علمه تغير علمه ، وإن لم يتغير لم يعلم بخروجه فيكون

(١) سورة ق ، الآية : ٤ .

(٢) في نسخة : أي .

(٣) في نسخة : لا بد و .

(٤) في نسخة : لجهلهم أن تكون صورة علم .

(٥) في نسخة : ضلوا وأضلوا .

(٦) مصباح المتهجد : ١١٥ ، وبحار الأنوار : ٨٤ / ١١٠ ، وفلاح السائل : ٢٦١ .

(٧) في نسخة : صورة ذاته .

(٨) في نسخة : تغير .

يعلم ذلك بوجه إجمالي ولو سكنا عن قياسهم نقلنا لهم^(١) ، أنا أعلم زيداً في الدار وأعلم أنه يخرج بعد ذلك فإذا خرج لم يكن خروجه مغايراً لعلمي بل هو مطابق .

والواجب أن لا يقيسوا علمه تعالى بعلمهم ، بل يقولون : هو فوق ما تدركه عقولنا فهو يعلم الجزئيات الزمانية ، وإن كان يلزم على قياس عقولنا ونقصها عن مقام الأزل محذور ولكن قدرته وعلمه لا يقدران بعقولنا ، وكيف لا يعلمها على جهة التفصيل وهو يخلقها على جهة التفصيل ؟ !

فإن قيل : إنما يعلمها بالعلم الأزلبي الذي هو ذاته لا العلم^(٢) الحادث الذي هو التعلق .

قلنا : سلمنا ورضينا ، ولكنه يعلمها في الأزل أو يعلمها في الحدوث في أماكنها .

فإن قلت : في الأزل .

قلت لك : هي في الأزل معه .

فإن قلت : لا بل هي في الحدوث .

قلت لك : فإذاً هو في الأزل يعلمها في الحدوث في أماكنها وأوقاتها وهذا هو قوله^(٣) ، وأنا أريد أن لا تقول : يعلمها في

(١) في نسخة : بالوجه الإجمالي ولو سكتنا عن قياسهم لقد رأه .

(٢) في نسخة : هو ذاته لا يعلم .

(٣) في نسخة : وهذا قوله .

الأزل بل قل : هو عالم في الأزل بها في الحدوث ، وهذا هو الحق والإشكال^(١) فيه ، ولا شبهة تعتريه^(٢) إلا في شيء واحد وهو معرفة تعلق العلم بها ، فإن الأزل لا يتعلق بالحدث تعلقاً أزلياً بل تعلقاً حادثاً لأنه في الأزل وحده ، ولو كانت الأشياء معه في الأزل تعلق العلم بها تعلقاً أزلياً لكنها ليست في الأزل وهو في الأزل لم يحصل له هذا التعلق ، وإنما حصل عند^(٣) حدوثها ، وهو معنى قولنا السابق تبعاً لقول سيدنا وإمامنا جعفر بن محمد عليه السلام ، فافهم وتدبر .

وفي هذا البحث في هذه المسألة أسرار دقيقة وأبحاث عميقة قد غرق فيها الحكماء والعارفون ولم ينجُ من الغرق إلا من ركب سفينة النجاة التي هي طريقة محمد وآلـه صلـى الله علـيه وآلـه .

بيان كيفية المراج

قال أيده الله : وعن كيفية المراج ، وما هو الحق عندك فإن أقاويل العلماء فيها مختلفة والإشكالات الواردة على كلّ فعل منها متکثرة^(٤) .

(١) في نسخة : ولا إشكال .

(٢) في نسخة : يعتريه .

(٣) في نسخة : عن .

(٤) في نسخة : الواردة في كلّ منها كثيرة .

أقول : أعلم أن الناس اقتصر^(١) على كلام بعض ولم يأخذوا علمهم من أهل العلم عليهم السلام وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا نفاد لها) ^(٢) الحديث .

أعلم أني ^(٣) أقول : قال فلان ، وقال فلان ، فإذا عرفت أن استنادي ^(٤) في جميع أفعالي ^(٥) إلى من لا يجهل ولا يسهو ولا يغش ، فإذا سمعته من كلامي منافياً لكلام القوم فانظر فيه ولا

(١) في نسخة : اقتصرت بعضهم .

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (نحن على الأعراف نعرف أنصارنا بسمائهم ونحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ونحن الأعراف يُعرفنا الله تعالى يوم القيمة على الصراط فلا يدخل الجنة إلا من عرفناه وعرفناه ولا يدخل النار إلا من أنكرناه وأنكرناه ، إن الله تعالى لو شاء لعرف العباد نفسه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسبيله والوجه الذي يؤتى منه فمن عدل عن ولاتنا أو فضل علينا غيرنا فإنهم عن الصراط لناكبون ، فلا سواء من اعتمد الناس به ولا سواء حيث ذهب الناس إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر ربها لا نفاد لها ولا انقطاع) أصول الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، وختصر البصائر : ١٩٦ ، وبحار الأنوار : ٢٤ / ٢٤٩ ح ٤ ، والبصائر : ٥١٧ ح ٨ .

(٣) في نسخة : أني لا .

(٤) في نسخة : عرفت إسنادي .

(٥) في نسخة : أقوالي .

تستعجل و^(١) تبادر بالرد فتكون مثل أهل قول : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ . وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾^(٢) .

اعلم أن العروج على ظاهره بجسده^(٣) الشريف وعليه ثيابه فخرق السماوات السبع والكرسي والعرش والحجب حتى وصل إلى مقام ﴿ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ ، يعني^(٤) اجتمع مع الفعل^(٥) الأول يوم^(٦) خلقه الله تعالى بل^(٧) خلق الأشياء ، ثم تجاوزه^(٨) إلى مقام ﴿ أَوْ أَدْنَى ﴾^(٩) (أو) بمعنى بل أي بل أدنى ، والمراد به أنه وصل في عروجه إلى أن انبسطت عليه المشية التي هي أول التعين^(١٠) الأول ، فكان^(١١) محلًا لها كما كانت الحديدية المحممة في النار^(١٢) محلًا لفعل النار ، وظهر عليها كمال

(١) في نسخة : ولا .

(٢) سورة يونس ، الآية : ٣٩ .

(٣) في نسخة : العروج بجسده .

(٤) في نسخة : حتى .

(٥) في نسخة : العقل .

(٦) في نسخة : يعني .

(٧) في نسخة : قبل .

(٨) في نسخة : ثم جاوزه ووصل .

(٩) سورة النجم ، الآية : ٩ .

(١٠) في نسخة : هي التعين .

(١١) في نسخة : فكان هو .

(١٢) في نسخة : بالنار .

تأثيرها ، فهي مساوية^(١) للنار في الإحراق لأنّ الحديدة إذا أحرقت فهو حرق النار في الحقيقة^(٢) ، وإلى هذا المقام أشار الحجة عليه السلام في دعاء شهر رجب في قوله : (فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانًا لتوحيديك وآياتك^(٣) التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتفقها بيديك)^(٤) الدعاء .

في فلسفة كون المعراج بجسد النبي الشريف صلى الله عليه وآلـهـ
فلا إشكال في المعراج^(٥) بجسده الشريف ، كيف وقد نطق به
القرآن وتواتر به النقل^(٦) ، وإنما الإشكال من الجهل بمعرفة جسد

(١) في نسخة : مساوقة .

(٢) في نسخة : لأنّ الحديدة إذا أحرقت بالنار فالمحرق في الحقيقة هو النار لا الحديدة ، وإنما ظهر تأثير النار فيها .

(٣) في نسخة : (آياتك ومقاماتك وعلاماتاتك) .

(٤) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانًا لتوحيديك وآياتك ، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها ورتفقها بيديك ، بدؤها منك وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، وحفظة ورواد ، فبهم عليهم السلام ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلّا أنت) مصباح الكفumi : ٢ / ٧٢، ومصباح المتهدج للطوسي : ٨٠٣، وإقبال الأعمال لابن طاوس : ٣ / ٢١٤.

(٥) في نسخة : معراج صلى الله عليه وآلـهـ

(٦) في نسخة : تواتر النقل .

النبي صلى الله عليه وآلـه ، وفي معرفة الأفاعيل الإلهية ومن
الخرق^(١) والالتام في الأفلاك فنقول :

اعلم أن الله سبحانه خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة
محمد صلى الله عليه وآلـه ، لأنـه تعالى خلق قلوب الأنبياء عليهم
السلام من طينتهم والفضل هو الشعاع ، وخلق من فاضل طينة
الأنبياء قلوب المؤمنين ، فنسبة خلق قلوب المؤمنين من فاضل
طينة الأنبياء عليهم السلام وخلق قلوب الأنبياء من فاضل طينتهم
عليهم السلام ، والفضل هو الشعاع فنسبة قلوب الأنبياء إلى
طينتهم كنسبة الشعاع إلى المنير وهو واحد من سبعين ، ونسبة
قلوب المؤمنين إلى طينة الأنبياء كذلك واحد من سبعين ، فنسبة
قلبك في النورية والإدراك واللطافة إلى طينة محمد وآلـه صلـى الله
عليـه وآلـه ، كنسبة شعاع الشعاع إلى المنير وهو واحد من أربعة
آلاف وتسـع مـئة ، فانظـر إلى نسبة قلبـك وعقلـك في نورانية^(٢) إلى
 أجسامـهم عليهم السلام ، وقلـبك الذي هو عقلـك مع ضـعـفـه
نـسبـته^(٣) ، كـيف يـنظر إلى ما فوق السـماـوات وإلى ما تحت
الأـرضـين وإلى ما في الدـنيـا والـآخـرـة ، ولا يـلزم من نـفوـذه فيـ

(١) في نسخة : وفي معرفة الخرق .

(٢) في نسخة : نورانية .

(٣) في نسخة : مع ضـعـفـه بـالـنـسـبـةـ إلى أجـسـامـهـمـ .

السماءات يلزم منه خرق^(١) ولا التئام ، فكيف الجسم الذي هو ألطف من عقلك وأنور^(٢) بأربعة آلاف رتبة وتسع مئة رتبة إذا صعد في^(٣) السماءات ولا يلزم منه خرق و^(٤) التئام ؟ !

فإن قلت : كيف يكون كذلك وأبصار الناس تراه صلى الله عليه وآلله والعقول لا تراها الأبصار وترأه الأبصار ؟ .

قلت : لأن الله سبحانه ألبسهم قالباً كثيفاً بشرياً لينتفع بهم الناس ، لكن إذا قيست^(٥) هذه البشرة^(٦) التي ألبسهم الله تعالى إياها لينتفع بهم الناس إلى نورانيتهم كانت بنسبة^(٧) ذرة واحدة إلى جميع العالم وأقل ، فلا يكون مانعة لقلتها ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وآلله يقف في الشمس بثيابه ولا يكون له ظل فتعقل ذا كيف لا يكون له ظل بكل ثيابه ، ولو وضع ثوب واحد منها في الشمس ولم يكن^(٨) على جسده الشريف كان له ظل كغيره ؟ !

(١) في نسخة : في السماءات خرق .

(٢) في نسخة : أنور منه .

(٣) في نسخة : إلى .

(٤) في نسخة : ولا .

(٥) في نسخة : قست .

(٦) في نسخة : البشرية .

(٧) في نسخة : نسبة .

(٨) في نسخة : لم يكون .

وأيضاً هذا^(١) جبرئيل عليه السلام له ست مئة جناح كلّ جناح أوسع^(٢) مما بين المغرب والشرق وينزل بكلّه في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وإذا شاء مرّ من ثقب الإبرة وملاً السماوات والأرض ، لأن المجردات النورانية لا يكون فيها تراخم^(٣) ، ولا تضائق ، وتخرق^(٤) الأشياء كالملائكة تنزل من السماوات وتصعد ولا يلزم منها خرق ولا التثام ، هذا وجه من الجواب .

معنى آخر لفلسفة العروج الجنسي

ومعنى ثان : هو أن الصورة البشرية عند إرادة الصعود لها احتمالان :

الأول : أن الصاعد^(٥) كلما صعد ألقى منه في^(٦) كل مرتبة ما منها فيها ، مثلاً إذا أراد تجاوز كرة الهواء ألقى ما في جسله من الهواء فيها ، إذا أراد تجاوز النار ألقى ما فيه منها فيها ، وإذا رجع نازلاً أخذه الجسد^(٧) من كرة النار ، وإذا وصل إلى الهواء أخذ ما له من الهواء .

(١) في نسخة : هذه .

(٢) في نسخة : جبرئيل عليه السلام له ست مئة جناح أوسع .

(٣) في نسخة أخرى : تراخم .

(٤) في نسخة : ولا تخرق .

(٥) في نسخة : صاعد .

(٦) في نسخة : منه كل .

(٧) في نسخة : أخذ جسله الشريف ما له .

فإن قلت : على هذا إنما عرج بروحه^(١) .

قلت : ليس هذا عروجاً بالروح لأننا ما نريد^(٢) بإلقاء أجزاء الهواء ذوات الأجزاء بل عوارض الأجزاء لا ذواتها ، ولو ألقى ذواتها بطل بنية جسده وانحل تركيبه .

والثاني : مثل ما ذكرنا أولاً أن صورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للمادة والجسم الأصلي في اللطافة والكتافة ، ألا ترى أن المعصوم يكون^(٣) من المشرق إلى المغرب في خطوة^(٤) واحدة ، وأن علياً يحضر جميع الأموات^(٥) فلو مات سبعون ألفاً في لحظة واحدة حضرهم بجسمه^(٦) .

وروي أن الكاظم عليه السلام ما بين أن وضع رجله في

(١) في نسخة : على هذا يلزم أنه إنما عرج روحه .

(٢) في نسخة : لا نريد .

(٣) في نسخة : يجول .

(٤) في نسخة : المغرب خطوة .

(٥) قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (يا علي إن محبيك يفرحون في ثلاثة مواطن : عند خروج أنفسهم وأنت هناك تشهدهم ، وعند المساءلة في القبور وأنت هناك تلقنهم ، وعند العرض على الله وأنت هناك تعرفهم) بحار الأنوار : ٦ / ٢٠٠ ح ٥٦ .

وعن الفضل بن يسار عن أبي جعفر الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام أنهما قالا : (حرام على روح أن تفارق جسدها حتى ترى الخمسة : محمداً وعلياً وفاطمة وحسناً وحسيناً) كشف الغمة : ٢ / ٤٠ مناقب أمير المؤمنين ح ٧ .

(٦) في نسخة : بجسمه الشريف .

الركاب إلى أن ركب على الدابة^(١) قرأ التوراة والإنجيل والزبور والقرآن في أقل من دقيقة . وأمثال هذا كثير^(٢) ، كما هو مروي عنهم عليهم السلام .

والسبب^(٣) في هذا ونحوه أن الأجسام اللطيفة إذا خفت من^(٤) الذنوب والغفلة عن الله تعالى كانت بحكم الأرواح لا تزاحم فيها ولا تضائق ، فكما يجوز أن يصعد الروح والملائكة إلى السموات بلا خرق ولا التئام ، وهي^(٥) كثيفة بالنسبة إلى جسد النبي صلى الله عليه وآله كنسبة الواحد إلى أربعة آلاف وتسعمئة ، فلا يلزم من صعوده صلى الله عليه وآله ذلك بالطريق الأولى ، وهذا يعني آخر أيضاً من الجواب .

معنى ثالث لفلسفة العروج الجسدي

وهنا^(٦) ثالث : وهو إنما لم يجوزوا^(٧) الخرق والالتئام بزعمهم لما نظروا أن العالم كله على وضع واحد^(٨) واحتل ذلك

(١) في نسخة : ركب الدابة .

(٢) في نسخة : كثير كثير .

(٣) في نسخة : النسبة .

(٤) في نسخة : عن .

(٥) في نسخة : وهي مع أنه .

(٦) في نسخة : وفيها .

(٧) في نسخة : وهو أنا لم نجوز .

(٨) في نسخة : وإذا .

الوضع بطل النظام ، فإذا خرق حصل حال مرور^(١) فُرجة بحبس^(٢) الأجزاء المتأخرة وتجاوز الأجزاء السابقة ، فإذا وقفت المتأخرة وقفت جميع الفلك وبطل النظام على أنه^(٣) لا فرجه فيه ، ولا يمكن التخلل في أجزائه ولا تلزلزها^(٤) ، والالتئام إنما يكون بانبساط الأجزاء إلى الفرجة ولا يكون الانبساط إلا مع التخلل والترفق^(٥) .

واعلم أن هذه التقارب جارية على مقتضى^(٦) أفاعيل العباد ، وأما على مقتضى الأفاعيل^(٧) الإلهية فلا يتوقف على هذه بعد ما علم ، وثبت بالأدلة القاطعة أنه تعالى سبب من لا سبب له وسبب كل ذي سبب وسبب الأسباب من غير سبب ، وهذا المعراج من معجز خارق للعادة ، وذلك لأن قدرة الله عز وجل لا تقدر على مقتضى عقول الخلق بل إلا فوق^(٨) ذلك بما لا يتناهى .
وإذا أراد^(٩) بيان ذلك بمقتضى الأسباب .

(١) في نسخة : مروره .

(٢) في نسخة : يحبس .

(٣) في نسخة : النظام لأنه .

(٤) في نسخة : ولا يلتزموها .

(٥) في نسخة : الوقف .

(٦) في نسخة : مصدق .

(٧) في نسخة : أفاعيل .

(٨) في نسخة : بل فوق .

(٩) في نسخة : أردنا .

قلنا : قد ثبت بالأدلة اللفظية^(١) أنه صلى الله عليه وآلـه علة الإيجاد مطلقاً ، أي العلل الأربع الفاعلية لأنـه محل مشيـة الله تعالى .

والماـدية لأنـ الأشيـاء كلـها موـادـها من أـشـعة نـورـه وأنـوارـ أـهـلـ بيـتهـ عليهمـ السلامـ .

والصـوريـة كلـها هـيـاتـ أـعـمالـهمـ كماـ^(٢) كماـ فيـ المـنـافـقـينـ الكـافـرـينـ .

والغـائيـة لأنـ الخـلقـ لهمـ خـلـقـواـ^(٣) ، فإذاـ ثـبـتـ أنـهـ هوـ العـلـةـ كانـ عـلـةـ لـلـأـفـلاـكـ ، وـمـاـ يـتـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ الـأـفـاعـيلـ فـيـ عـلـةـ لـأـجـسـامـهـ^(٤) وـنـفـسـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـلـةـ لـنـفـوـسـهـاـ وـعـقـلـهـ عـلـةـ لـعـقـولـهـ ، فإذاـ أمرـ^(٥) بـالـفـلـكـ كـانـتـ أـجـزـائـهـ الـتـيـ بـقـدـرـ جـسـمـهـ الشـرـيفـ حـالـ مـرـورـهـ ، فـثـبـتـ^(٦) فـيـ بـقـاءـ جـسـمـهـ بـصـورـتـهـ وـتـأـثـيرـهـ كـمـاـ فـنـيـ نـورـ السـرـاجـ فـيـ ظـهـورـهـ وـفـيـ إـنـارـتـهـ^(٧) نـورـ الشـمـسـ بـحـيـثـ^(٨) لـاـ يـكـونـ

(١) في نسخة : القطعية .

(٢) في نسخة : هـيـاتـ أـعـمالـهـمـ كـمـاـ فيـ المـؤـمـنـينـ الـمـوـحـدـينـ وـعـكـوسـ هـيـاتـ أـعـمالـهـمـ .

(٣) في نسخة : الـخـلـقـ خـلـقـواـ لـهـمـ .

(٤) في نسخة : لـلـأـفـلاـكـ وـكـلـ ماـ يـرـتـبـ عـلـيـهـ مـنـ الـأـفـاعـيلـ كـجـسـمـهـ الشـرـيفـ عـلـةـ لـأـجـسـامـهـ .

(٥) في نسخة : مرـ .

(٦) في نسخة : ثـبـتـ .

(٧) في نسخة : إـنـارـتـهـ فـيـ إـنـارـةـ .

(٨) في نسخة : بـحـسـبـ .

السراج^(١) لا في إنارته ولا في تسخينه^(٢) في نور الشمس أثر ، فإذا ذهبت الشمس عاد النور في ظهوره^(٣) وفي إنارته وفي تأثيره ، وكانت قبل ذهابها هي المنيرة والمؤثرة بما هو أقوى من تأثير السراج ، كذلك جسد^(٤) الشريف كلما حاذى في صعوده شيئاً من الفلك غاب ذلك الشيء في ظهوره وفي تأثيره ، وكان الظاهر والمؤثر في العالم مكان ذلك الجزء^(٥) هو الجسد الشريف بأقوى من تأثير ذلك الجزء^(٦) في العالم ، فإذا تجاوز عنه عاد على حاله من^(٧) غير خرق ولا التئام ، بل هو صلى الله عليه وآله جاء^(٨) بهذه الحالة سواء كان صعوده على خط مستقيم أم مع سير الفلك ، فإن كان على خط مستقيم كان ما اعترضه من الأجزاء التي يكون اصطفافها^(٩) بالنسبة إلى خط سير المستقيم مورداً ،

- (١) في نسخة : للسراج .
- (٢) في نسخة : أشعته .
- (٣) في نسخة : ظهوره .
- (٤) في نسخة : جسله .
- (٥) في نسخة : الجزء و .
- (٦) في نسخة : الجزء و .
- (٧) في نسخة : عاد من .
- (٨) في نسخة : صاعد .
- (٩) في نسخة : يكون هو اصطفى ما فيها .

فيقوم بتأثيراتها ظاهراً وباطناً ويتأثرها^(١) الوضعي ، وإن^(٢) كان مع سيرها قام بذلك في مقتضى حركتي^(٣) التوالي وخلاف التوالي في التقدير والتسخير ، وذلك مما أشرنا إليه من أن جسده علة الأجساد وجسمه علة الأجسام وشعبه علة الأشباح^(٤) وطبيعته علة الطبائع ونفسه علة النفوس وروحه علة الأرواح وعقله علة العقول والمرجل ، والمراد بهذا [أنه] كان في عروجه صلى الله عليه وآلـهـ محيطاً بجميع أجزاء العالم من^(٥) ملکـهـاـ وـمـلـکـوـتـهـاـ وجبروتـهـاـ ، فوقـ لـيـلـةـ عـرـوـجـهـ^(٦) عـلـىـ كـلـ شـيـءـ عـنـدـ أـوـلـ^(٧) بدـئـهـ وـآخـرـهـ ، وـماـ بـيـنـهـمـاـ فـيـ جـرـيـتـيـنـ فـيـ جـرـيـةـ أحـاطـ بـكـلـ ماـ أـشـرـنـاـ إـلـيـهـ فـيـ الدـنـيـاـ فـيـ جـرـيـةـ صـعـودـهـ حـتـىـ وـصـلـ إـلـىـ أـصـلـ الـبـدـءـ لـكـلـ شـيـءـ فـيـ وـقـتـ كـوـنـهـ وـمـكـانـهـ^(٨) ، وـفـيـ جـرـيـةـ نـزـولـهـ وـقـفـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ فـيـ مـنـتـهـاـهـ^(٩) فـيـ الـآخـرـةـ ، وـذـلـكـ كـإـحـاطـةـ الـمـنـيـرـ بـأـشـعـةـ ، وـيـحـتـمـلـ

(١) في نسخة : باطناً بتأثير .

(٢) في نسخة : فإن .

(٣) في نسخة : حركة .

(٤) في نسخة : علة الأجسام ومثاله علة الأمثال وما دته علة المواد .

(٥) في نسخة : في .

(٦) في نسخة : جبروتـهاـ فـرـقـهاـ لـيـلـةـ العـرـوـجـ .

(٧) في نسخة : أول توقف ليلة عروجه .

(٨) في نسخة : إمكانه .

(٩) في نسخة : كل شيء في وقتها .

على العكس قوى الأنبياء عليهم السلام كلاً في رتبة^(١) يوم خلق
ويوم بعث ويوم يموت ويوم يعود ، وهو تأويل مفهوم^(٢) المخالففة
من قوله تعالى : «مَا أَشْهَدُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ
أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَخَذِّذَ الْمُضِلِّينَ عَضْدًا»^(٣) ، فإنه تعالى اتخذ
الهادين محمداً وآلـه صلـى الله عـلـيـه وآلـه أـعـضـادـاً لـخـلـقـه وـأـشـهـدـهـمـ
خلـقـ أـنـفـسـهـمـ وـخـلـقـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ وـذـكـ لـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ
وـآلـهـ فـيـ عـرـوجـهـ بـمـحـسـوـسـهـ وـمـعـقـولـهـ ، فـافـهـمـ رـاشـدـاًـ .

الرد على المانعين من العروج الجسدي

وأما شبهة المانعين والمشكلين^(٤) في عروجه صلى الله عليه واله بجسمه لئلا يلزم الخرق والالتحام فواهية ، لأنّا نقول لهم : من أين^(٥) عرفتم أجرام السماوات ومعاير^(٦) الأفلاك ، فهل صعدتم إليها لتعلموا ما هي فتحكمون عليها ؟ هل عاينتم بأبصاركم ولمستم^(٧) بأيديكم أم أنتم تتبعون الظن وتخرسون^(٨) ؟

(١) في نسخة : كإحاطة المنير بأشعته كل في رتبة .

(٢) في نسخة : وهو قول عز من قائل في مفهوم .

(٣) سورة الكهف ، الآية : ٥١

(٤) في نسخة : المانعين المستشكلين .

(٥) في نسخة : أني .

(٦) في نسخة : مقادير .

(٧) في نسخة : ولا مستم .

(٨) في نسخة : الظن أو أنتم تخرصون .

هل عندكم من سلطان بهذا ألم تقولون على الله ما لا يعلمون؟
 إن الذي أخبر لعروجه هو الخالق ويعلم من خلقه ما يجوز
 ويمتنع^(١) «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ»^(٢) ، والذي صعد بنفسه ورأى
 ببصره صلى الله عليه وآلـه وهو الصادق الأمين ، فعلى هذا فيمن
 تردون وفيمن تشكون^(٣) ؟

على أن الدليل الفوادي دليل الحكمة مع النقل الصادق دالـ
 على جواز الخرق والالتئام ، وأنا أشير لك بذلك الدليل في
 الكلام القليل وهو قوله : «سَرِّيْهُمْ إِيْتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي
 أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»^(٤) .

وقول الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كنهاـ
 الربوبية ، فما فقد في العبودية ، وُجد في الربوبية وما خفي في
 الربوبية أُصيـب في العبودية)^(٥) الحديث .

وقول الرضا عليه السلام : (قد علم أولو الألباب أن

(١) في نسخة : يمنع .

(٢) سورة الملك ، الآية : ١٤ .

(٣) في نسخة : فعلـى هذا من تردون وفيمن يستكون .

(٤) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٥) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، والأصول

الأصلـلة للفيض الكاشاني : ١٩٣ ، وتفسير الصافي : ٤ / ٣٦٥ ح ٥٣ ،
 وتفسير الأصفى : ٢ / ١١٢١ تفسير سورة السجدة .

[الاستدلال على] ما هنالك لا يعلم إلا بما ها هنا^(١) انتهى .
 وما حصل عليه الاتفاق من أن الإنسان هو العالم الصغير وفيه
 جميع ما في العالم الكبير^(٢) قال علي عليه السلام :
 أَتَحْسَبُ^(٣) أَنَّكَ جُرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ^(٤)
 فإذا ثبتت هذه الأدلة دلتكم على ما قلنا ، فالحياة فيك هي مثل
 القمر وفكرك فلك عطارد ، وخيالك فلك الزهرة ، وجوابك الثاني
 فلك الشمس ووهنك فلك المشتري ، وعقلك فلك زحل ، ونفسك
 فلك الكوكب ، وقلبك الذي هو عقلك الفلك الأطلس فأية واحدة
 من هذه مما فيك هي جسم لا تقبل الخرق ولا الالتئام^(٥) بل أي
 شيء منها يدل على ما توهموه من كون الأفلاك كالصخر^(٦)

(١) توحيد الصدق : ٤٣٨ ، ونور البراهين : ٢ / ٤٧٩ ، وإلزام الناصب
 للحائري : ١ / ٥٧ ، وبحار الأنوار : ١٠ / ٣١٦ ، وعيون أخبار الرضا عليه
 السلام : ١ / ١٥٦ .

(٢) في نسخة : الكبير .

(٣) في نسخة : وتزعم .

(٤) انظر الوفي : ٢ / ٣١٩ ، وتفسير الصافي : ١ / ٩٢ ح ٢ .

(٥) في نسخة أخرى : فالحياة فيك مثل فلك القمر وفلق العطارد مثل خيالك ،
 وفلق زهرة وهمك ، وفلق الشمس وجودك ، وفلق المشتري علمك ، وفلق
 زحل تعقلك ، وفلق المكوك نفسك ، وفلق الأطلس قلبك هو عقلك فأنت
 واحدة فما فيك هي جسم لا تقبل الخرق والالتئام :

(٦) في نسخة : كالصخرة .

الصلب ، وإنما فيها ما يدل^(١) على أن السماوات كالبخار ، وذلك مثل قوله تعالى : « ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ »^(٢) .

وسائل محمد بن مسلم محمد بن علي الباقي عليه السلام عن^(٣) قوله تعالى : « وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي »^(٤) ، قال عليه السلام : (إن الروح مجانس الريح)^(٥)^(٦) الحديث .

ومتعلق تلك القوى منك مثل مخ^(٧) الدماغ والبخار اللطيف الذي في تجاويف القلب الصنوبرى وحكمة الإيجاد في

(١) في نسخة : تدل .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ١١ .

(٣) في نسخة : من .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٢٩ .

(٥) في نسخة : (الريح والريح مجانس الهوى) .

(٦) توحيد الصدوق : ١٧١ باب معنى قوله عز وجل : « وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » ح ٣ ، ومعاني الأخبار : ١٧ ح ١٢ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٢ ح ٣ ، وتفسير الصافي : ٣ / ١٠٨ ، ومجمع البحرين للطريحي : ٢ / ٢٣٧ .

ولفظه في التوحيد : عن محمد بن مسلم قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : « وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » [الحجر : ٢٩] كيف هذا النفح ؟ فقال : (إن الروح متحرك كالريح ، وإنما سمى روحًا لأنه اشتقت اسمه من الريح وإنما أخرجه على لفظ الروح ، لأن الروح مجانس للريح وإنما أضافه إلى نفسه ، لأنه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى بيته من البيوت ، فقال : بيته ، وقال لرسول من الرسل : خليلي ، وأشباه ذلك ، وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر) .

(٧) في نسخة : منخر .

المخلوقات ، فإن^(١) ما فوق الأرض هو الماء ويقبل الخرق الالئام بغير تلزز^(٢) أجزاء منه ولا تخلل شيء منها ولا حصول فرجة فيه ، بل بالتموج من غير حصول خلل فيما يترتب عليه وفوقه الهواء بالطريق الأولى ، وفوق النار بهذه المثابة مع شدة اللطافة ومقتضى الحكمة في الصنع والأدلة السابقة أن ما فوق النار من سماء^(٣) الدنيا وما فوقه هذه البتة ، لشهادة ما أودع الله فيك وأدلك من الاستدلال^(٤) بقوله تعالى : «سَرِّيْهُمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ»^(٥) ، وليس مقتضى الوضع بمانع من الخرق والالئام ، ونحن أجد^(٦) في أنفسنا إذا زادت الحرارة على شخص منها أسرع نبضه ومع الرطوبة يسرع بقوة وبالبرودة مع اليبوسة يبطئ بضعف ، ومع الرطوبة يبطئ بقوة ، وإذا حصل في الإنسان شدة كان نبضه يقف في بعض النبضات حتى يترك نبضه^(٧) ، فإن فهمت فهو مثل حصول الخرق مما لا يحصل بأمثال هذه فساد

(١) في نسخة : بأن .

(٢) في نسخة : تلزلز .

(٣) في نسخة : فوق النار سماء .

(٤) في نسخة : البتة هكذا الشهادة ما أودع الله تعالى فيك ومن أدلك الاستدلال .

(٥) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٦) في نسخة : نجد .

(٧) في نسخة : يترك ما اقتضته .

الجسد ، كذلك لا يحصل لذلك فساد النظام وفساد الأفلاك^(١) .

على أنا قلنا : إن الذي أتانا بالدين من رب العالمين وهو الصادق الأمين وآله الطاهرين^(٢) هو الذي رأى وبasher^(٣) وهو القائم المطلع على أسرار الحكمة وهو المخبر بذلك^(٤) ، فإن قوله حقاً وإلا لزمه إما أنه لم يعرف أو أنه يقول كرم الله حسبنا به التشيري عن النعائص^(٥) والرذائل ، فيجب على المسلمين منهم أن^(٦) يقولوا : آمنا به كلّ من عند ربنا سمعنا وأطعنا وقبلنا وصدقنا^(٧) ، فإنّ هو مع ذلك وإلا فحسبهم الإيمان بما جاء من عند الله ومن عند^(٨) رسول الله صلى الله عليه وآلـه وحسب الجاحدين المنكرين النار .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

وكتب العبد المسكين أـحمد بن زين الدين الأحسائي ، ليلة

(١) في نسخة : فـما لا يحصل أمثل هذه فساد في الجسد كذلك لا يحصل بذلك فـساد في النظام وفساد في الأفلاك .

(٢) في نسخة : الطـاهرون .

(٣) في نسخة : هو الذي زادنا شرفاً .

(٤) في نسخة : وهو للخير بذلك .

(٥) في نسخة : يقول كرم الله جنابـه الشـريف عن كلـ النـعائص .

(٦) في نسخة : أنه .

(٧) في نسخة : أطـعنا وصدقـنا .

(٨) في نسخة : وعنـد .

الخميس ليلة الخامس من شهر ربيع المولود صلى الله عليه وآلـه ،
سنة اثنين^(١) وثلاثين ومئتين وألف من الهجرة النبوية على
مهاجرها وآلـه أفضل الصلاة وأزكى السلام حامداً مستغفراً مصلياً
مسلمـاً ، تمت .

(١) في نسخة : اثنتين .

٧ - رسالة في جواب بعض الإخوان
في الرؤيا وأقسامها

رسالة في جواب بعض الإخوان في الرؤيا وأقسامها

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين
الـطـاهـرـين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أـحمد بن زـين الدـين الأـحسـائـي أنه قد أـرسـل إـلـيـه بـعـض الإـخـوـان فـي الرـؤـيـا بـعـض الـمـسـائـل طـلبـ من مـحـبـه جـوابـها عـلـى جـهـةـ الـحـقـيقـةـ ، وـكـانـ الـخـاطـرـ مـمـتـلـئـاـ بـالـمـلـالـ مـتـوـزـعـاـ بـالـأـشـغالـ ، فـكـتـبـتـ ما يـحـضـرـنـي إـذـ لـاـ يـسـقطـ المـيـسـورـ بـالـمـعـسـورـ وـلـهـ عـاقـبـةـ الـأـمـورـ .

قال سـلـمـهـ اللـهـ تـعـالـىـ : منها : أنـ منـ العـبـادـ منـ كـانـ ماـ يـرـاهـ فـيـ النـومـ ليـلاـ أوـ نـهـارـاـ يـكـونـ رـؤـيـاـ صـادـقـةـ مـطـابـقـةـ سـرـيعـاـ بـدـونـ تـعـبـيرـ أوـ تـكـونـ كـذـلـكـ بـأـدـنـىـ تـعـبـيرـ ، وـمـنـ العـبـادـ مـنـ لـاـ يـظـهـرـ صـدـقـ رـؤـيـاـهـ وـلـوـ ظـهـرـ كـانـ مـخـالـفـاـ كـثـيرـ التـغـيـرـ .

أـقـولـ : إنـ الرـؤـيـاـ قدـ وـرـدـ فـيـهاـ (إـنـ مـاـ يـرـاهـ الشـخـصـ فـيـ السـمـاءـ فـهـوـ حـقـ وـمـاـ يـرـاهـ فـيـ الـأـرـضـ فـهـوـ أـضـغـاثـ أـحـلـامـ) ^(١) .

(١) أـمـالـيـ الصـدـوقـ : ٤٩٢ حـ ٢٠٩ - ٢٣٣ ، وـرـوـضـةـ الـوـاعـظـينـ : ٥٨ حـ ٣٢ ، وـتـفـسـيرـ نـورـ الثـقـلـينـ : ٤٢٩ حـ ٨٤ .

وورد (أنها تكون في بعض الليالي صادقة وبعضها كاذبة) .

وورد (أن الرؤيا أول الليل كاذبة وآخر الليل صادقة) ^(١) .

بيان فلسفة تفسير الرؤيا

وربما فسر الأول بأن السماء الظاهرة محروسة بالشہب عن الشياطين قال تعالى : «إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمَعَ فَأَتَبَعَهُ شَهَابٌ مُّبِينٌ» ^(٢) ، وهو يدل على أن ما يراه النائم في ذلك السماء سماء هورقليا ^(٣) حق ، لأن الشياطين لا تصل هناك فلا تتصور

(١) الكافي : ٨ / ٩١ ح ٦٢ ، ومستدرك الوسائل : ١ / ٦٨ ح ١١٨٥ .

ولفظه في الكافي : عدة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن أبيه ، عن النضر بن سويد ، عن درست بن أبي منصور ، عن أبي بصير قال : قلت : لأبي عبد الله عليه السلام : جعلت فداك الرؤيا الصادقة والكافحة مخرجهما من موضع واحد ؟ قال : (صدقت ، أما الكاذبة المختلفة فإن الرجل يراها في أول ليلة في سلطان المردة الفسقة ، وإنما هي شيء يخيل إلى الرجل وهي كاذبة مخالفة لا خير فيها ، وأما الصادقة إذا رأها بعد الثلاثين من الليل مع حلول الملائكة ، وذلك قبل السحر ، فهي صادقة لا تختلف إن شاء الله ، إلا أن يكون جنباً أو ينام على غير ظهور ولم يذكر الله عز وجل حقيقة ذكره ، فإنها تختلف وتبطئ على صاحبها) .

(٢) سورة الحجر ، الآية : ١٨ .

(٣) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم بربخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظلي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقليا) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بـ (جاجبلقا) وجابرسا الشرقي والغربي) انتهى .

فيها بصور الباطل ، وإنما تسكنها الملائكة فتتصور فيها بصور ما وُكّلت به من الأشياء المنتقشة في الخيال ، فإذا رأى الشخص شيئاً فهو حق مطابق للواقع ، وإن كان ما يراه في الأرض فهو من تصوّر الشياطين وهي لا تتصرّف إلا بما قيضت له من صور الباطل ، وذلك لا يطابق الواقع .

وفسر الثاني بأن أحوال الليالي تختلف في الشهر ، وفي الأسبوع عند قرانات الكواكب واختلاف الآفاق واختلاف أعمال الرائي ، فتكون في الشهر الليلة الأولى من كل شهر متشابهة وكذلك كل ليلة ، وفي الأسبوع مثلاً ليلة كل سبت من كل أسبوع متشابهة كل ليلة يحصل فيها قران كواكب مخصوصة لها حكم خاص ، فإذا وجد ذلك القران بعينه بغير زيادة من الكواكب السيارة أو غيرها ، ولا نقصان كذلك ولا تغيير ولا تبديل كذلك ، وكان ما كان من ذلك الشخص من الأعمال مثل ما كان في تلك

= وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : (وقوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحدو حذو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائر الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقليا يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى .

وقيل عالم هورقليا هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

الليلة الأولى يكون حكمها حكم الليلة الأولى وهكذا ، وكذلك اتفاق أوضاع الآفاق من الغيم والصحو والريح والمطر وكثرة الأبخرة وقلتها وغير ذلك في ليالتين يوجب تساوي حكمهما وكذلك اتفاق عمله في ليالتين .

وهذا كله حكم مقتضى تلك الأسباب إذا لم يعرض لها موانع تبطل ذلك المقتضى أو بعضه أو صفتة أو مدّته أو مكانه ، وكما تجري أحكام تلك المقتضيات في الأجسام تجري في الخيال والنفس وما ينطبع فيهما على نحو يطول شرحه ويأتي بعض الإشارة إلى بعض ذلك .

وفسر الثالث بأنّ أول الليل كان البدن ممثلاً بأبخرة الطعام فإذا تصعدت إلى الدماغ تلوي بها فتحدث فيه أشكال من الأبخرة على هيئة بعض الأعيان والصفات فيراها الشخص في خياله فيتوهم أنها صور انطبعت من المعاني الخارجة عنه ، فإذا استيقظ أخبر بها وليس شيئاً لأنها في خياله من الأبخرة ، وإنما تكون هذه الأبخرة في الخيال على هيئة بعض الأعيان لأنّ جميع ذرات الوجود من ذات وصفة وأثر يجري كلّ أسفل منه في كونه بمقتضى طبيعته من الوجود على هيكل الأعلى لأن كلّ أثر يشبه صفة مؤثره كما قرّر في محله .

وأمّا آخر الليل فلا إن البدن حال قد خفت عنه الرطوبات من المطعم والمشرب وصفي الدماغ فلا ينطبع فيه إلّا ما كان متحققاً

خارجاً عنه ، فإذا رأى الشخص شيئاً في السماء ولم يحصل له مانع مما أشرنا من خصوص الأوقات والقرانات والأفعال والأبشرة أو في الأرض ، وحصل له مقتضى الحق من خصوص الأوقات والقرانات والأعمال والخفة من فضولات الطعام والشراب ، أو كانت رؤياه في الليالي المقتضية لظهور الآثار المسعدة من ذاتها لأدوار أو ضائع الأفلاك أو بالقرانات أو الأعمال الصالحة مع عدم الموانع المشار إليها كان ذلك حقاً .

فإن تمت الأسباب المقتضية بلا مانع فإن كانت موجبات وقوع الرؤيا بعينها بلا مهلة لأنّ الرائي رأها خارجة بعينها من باب القضاء ، وإن تمت المقتضيات الغيبية كذلك خاصة بدون الشهادة خرج تأويلاً بلا مهلة ، وإن كان في بعض تلك الأسباب ضعف ونقص من جهة القابلية التي هي مرآة الشخص التي هي خياله وحصل لها تعبير وقعت لذلك ، لأنّ التعبير يفتح على مرآة خيال الرائي باب القدر الذي تنزل منه تلك الأسباب ، فإذا عبر المعبر انطبع به في خيال الرائي صورها هنالك على هيئة التعبير ، فيكون الطيف المرئي في المنام متلبساً بهيئة التعبير فيقوى به ما كان ضعيفاً من تلك المقتضيات .

ولهذا تراه إذا عبر له المعبر التفت خياله إلى ما رأى في المنام فتصور فيه صورة التعبير وانصرف ما في قلبه من معنى رؤياه إلى المعنى الذي يظهر له من المعبر ، وإن كان كذلك فتتغير الرؤيا بهيئة أخرى غير الأولى فيجري الحكم والمطابقة على الثانية .

وإن رأى الشخص في منامه شيئاً وهو متلبس بخلاف ما أشرنا إليه من شرائط الصدق ومقتضياته كان ما رأه مُخالفًا للواقع فيكون كذباً .

بيان عدم الفرق بين رؤيا الصالح والطالع

قال سلمه الله تعالى : ومنها أن من الصالحين من كان بعض رؤياه صادقاً ومنه كاذباً ، ومن الطالحين أيضاً كذلك بعضه كان صادقاً ومنه كان كاذباً ما العلة فيها ؟ واستدعاي أن يبيّن الشيخ أصل الرؤيا ومنشأها وحقيقة ومن أي عالم ظهرت ؟

أقول : لما كان كل شخص له وجهتان : وجه من جهة وجوده وهو العقل وشأنه الصدق والحق ، لأن العقل لا ينطق عن الهوى وليس للشيطان فيه نصيب ، ووجه من جهة ماهيته وهي النفس الأمارة بالسوء وشأنها الكذب والباطل ، لأنها لا تلتفت إلا إلى هوى الماهية وهي وقومها يسجدون للشمس من دون الله طلعها كأنه رؤوس الشياطين كان الرجل الصالح إذا كان الوارد عليه في المنام من جهة العقل أي التفاته إلى ذلك الشيء وذكره كانت رؤياه صادقة ، لأن الشيطان لا يتصور بصور الحق والنور وإنما احترق وإن كان بعض رؤياه من جهة التفات العقل وبعضها من جهة التفات النفس ، كان ما كان من جهة العقل والتفاته صدقاً وما كان من جهة النفس والتفاتها كذباً ، وهذا حكم يشمل

الصالح والطالع ، ولو أنّ رجلاً لا يكون له التفات من جهة النفس أبداً كانت رؤياه صادقة أبداً كما في المعصومين عليهم السلام ولو كان رجلاً لا يكون له التفات من جهة العقل أبداً لم تصدق رؤياه أبداً ، وابن هنا على ما فضّلنا سابقاً .

أصل الرؤيا ومنشئها

وأمّا أصل الرؤيا فاعلم أنّ الروح المدبرة للبدن إذا لحقها ميلاً باستعمال آلاتها في تدبير الغذاء بتصفيته ودفع غرائبه وزنه وتقديره اجتمعت في القلب فاستراحت فضعف الارتباط بها ورق حجابها فتذكّر عالمها الأعلى ، إلا أنها قد علقت بها ثاء الثقيل ولحقها صفات من الأعمال الحميدة والذميمة ، فإذا التفت إلى العالم الأعلى شاهدت ما هنالك مما تفور به فوارهُ القدر فتنشق في مرآتها صوراً ما يظهر من هنالك وتكون صحة ذلك الانتقاش وبطلانه وكماله ونقشه على حسب استقامة المرأة وعدمها في الكم والكيف والوضع ، وذلك على حسب ما اتصف به من الصفات المستفادة من الأعمال ، فإن كانت حميدة استقامت وكملت وصلح الانتقاش فكان ما تعاين هو الواقع ، وإن كانت ذميمهً فعلى العكس ، وإن كانت ممزوجة كان ما فيها ممزوجاً فافهم الإشارة لهذا أصل الرؤيا .

ثم اعلم أنّ لذلك واسطة فإنّ كان هو الشيطان المقيض للرؤيا

المسمي بالرُّهَا وذلك باستقلاله كانت الرؤيا باطلة ﴿إِنَّمَا أَنْتَ جَوَى
مِنَ الشَّيْطَنِ لِيَحْرُكَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾ (١).

وإن كان الواسطة الملك الموكّل به باستقلاله كانت الرؤيا
صحيحة .

وإن كان من بينهما كانت ممزوجة .

ثم إننا قلنا : إن الخيال إذا قابل بمرآته هي ذاته بباب
القدر انتقش فيه صورٌ ما يُفُورُ مِنْ فَوَارَةِ القدر فَيَنْتَبِهُ من نومه ويقع
ما رأى صورته قبل الواقع ، وربما يكون بعد الإخبار به ، لأن
الإخبار مما يتحقق الانتقاد المقتضي للواقع ، وربما يكون
بمعونة التعبير لهذا منشئها ، ولما حَرَثَ حَكْمَةُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِأَنَّ
الْمَرَايَا تَنْتَزَعُ صُورَ ما قَابَلَهَا مِنْ ذَاتٍ أَوْ صَفَةٍ لَوْنٍ أَوْ مَقْدَارٍ أَوْ بُعْدٍ
أَوْ وَقْتٍ أَوْ جَهَةً أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَذَلِكَ لِأَمْرِ حَكِيمٍ مِنْ صَنْعِهِ
سُبْحَانَهُ ، وَجَبَ أَنْ تَنْتَقشَ فِي الْخَيَالِ صُورَةً كُلَّ مَا قَابَلَهَا فِي
الشَّخْصِ مَا فِي خَيَالِهِ فِي صَاحِبِ الشَّبَحِ ، لَأَنَّ مَا فِي الْخَيَالِ
طَرِيقُ الْمُتَخَيَّلِ إِلَى ذَلِكَ الشَّيْءِ وَصَحَّتْهُ وَفَسَادُهُ وَكَمَالُهُ وَنَقْصُهُ مِنَ
الْأَحْوَالِ الْمُذَكُورَةِ سَابِقًا ، فَرَاجِعٌ فَهَذِهِ حَقْيَقَةُ الرُّؤْيَا .

بيان مكان عالم الرؤيا

وأَمَا عَالْمُهَا فَهُوَ عَالْمُ الْبَرْزَخِ وَالْمِثَالُ الَّذِي هُوَ وَرَاءُ
الْأَجْسَامِ ، فَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً كَانَ قَدْ شَاهَدَ أَشْبَاحَ مَا يَنْزَلُ مِنْ
عَالْمِ الْغَيْبِ إِلَى الشَّهَادَةِ فِي عَالْمِ الْبَرْزَخِ مِنْ هُورْقَلِيَا^(١) ، وَإِنْ
كَانَتْ بَاطِلَةً كَانَ قَدْ شَاهَدَ أَظِلَّةً مَا يَعْرُضُ لَهُ فِي خَيَالِهِ مِنْ أَوْضَاعِ
الْأَبْخَرَةِ وَأَوْهَامِ النَّفْسِ الَّتِي تَتَقدَّرُ بِأَشْبَاحِ الشَّيَاطِينِ فِي أَرْضِ
الْعَادَاتِ وَالْطَّبَعِ مِنْ جَابِلَقَا وَجَابِرْسَا^(٢) ، فَهَذَا عَالْمُهَا ، فَافْهُمْ .

(١) قال المصنف في الجزء الأول من شرح العرشية : (وجسم برزخي : وهو جسم مقداري له طول وعرض وعمق بلا مادة هو الجسم المثالي الظللي الشبحي ، وهو الذي يسمونه التعليمي ، وهو الذي يسمون عالمه العلوي بـ (هورقلية) ، يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي بـ (جابلقا وجابرسا الشرقية والغربية) انتهى .
وقال في الجزء الثاني من شرح العرشية : (قوله : (بل وجودها) ، يعني القوة الخيالية (في عالم آخر) ، وهو عالم البرزخ بين المجردات والأجسام المادية (يحدو حدو هذا العالم) ، يعني على هيئة تركيبه من الأبعاد والألوان والروائح والأصوات وسائل الكيفيات (في كونه مشتملاً على أفلاك) ، وتسمى تلك الأفلاك هورقلية يعني ملكاً آخر أي : عالم ملك غير عالم ملك الماديات العنصرية) انتهى .

وقيل : عالم هورقلية هو عالم الأفلاك المثالي أو سماواته ، وقيل : هو ما يقابل عالم المثال ، انظر المبدأ والمعاد للشيرازي : ٥٢٢ .

(٢) قال أمير المؤمنين في حديث طويل فيه تعداد خلق الله تعالى : (. . . ثُمَّ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُفْرِقَهُمْ فَرْقَتَيْنِ ، فَجَعَلَ فَرْقَةً عِنْدَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ مِنْ وَرَاءِ الْبَحْرِ ، وَكَوَّنَ لَهُمْ مَدِينَةً أَنْشَأَهَا تُسَمِّي جَابِرْسَا طَوْلَهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ فَرْسَخٍ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ فَرْسَخٍ ، وَكَوَّنَ عَلَيْهَا سُورًا مِنْ حَدِيدٍ يَقْطَعُ الْأَرْضَ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ أَسْكَنَهُمْ فِيهَا . =

علاج لأصحاب الوسوسه والشك في العقيدة

قال سلمه الله تعالى : ومنها أنه قد يكون الرجل عبداً زاهداً صالحأ طالباً للعلوم حسن الحال ، فيسمع من العالم أن من الفريضة تعلم أصول الدين بالأدلة اليقينية بحيث يتيقن في كل

وأسكن الفرقة الأخرى خلف مغرب الشمس من وراء البحر وكون لهم مدينة أنها تسمى جابلقا طولها اثنا عشر ألف فرسخ في اثنى عشر ألف فرسخ ، وكون لهم سوراً من حديد يقطع الأرض إلى السماء . وأسكن الفرقة الأخرى فيها لا يعلم أهل جابرسا بموضع أهل جابلقا ، ولا يعلم أهل جابلقا بموضع أهل جابرسا ، ولا يعلم بهم أوساط الأرضين من الجن والنسناس . فكانت الشمس تطلع على أهل أوساط الأرضين من الجن والنسناس فيتتفعون بحرها ويستضيئون بنورها ، ثم تغرب في عين حمئة فلا يعلم بها أهل جابلقا إذا غربت ، ولا يعلم بها أهل جابرسا إذا طلت لأنها تطلع من دون جابرسا وتغرب من دون جابلقا .

فقيل : يا أمير المؤمنين فكيف يبصرون ويحيون وكيف يأكلون ويسربون وليس تطلع الشمس عليهم ؟ .

فقال عليه السلام : (إنهم يستضيئون بنور الله فهم في أشد ضوء من نور الشمس ، ولا يرون أن الله خلق شمساً ، ولا قمراً ولا نجوماً ، ولا كواكب ، ولا يعرفون شيئاً غيره) .

فقيل : يا أمير المؤمنين فأين إيليس عنهم ؟

قال : (لا يعرفون إيليس ، ولا سمعوا بذكره لا يعرفون إلا الله وحده لا شريك له ، لم يكتسب أحد منهم قط خطيئة ولم يقترف إثماً ، لا يسقمون ، ولا يهرمون ، ولا يموتون إلى يوم القيمة يعبدون الله لا يفترون ، الليل والنهر عندهم سواء) بحار الأنوار : ٥٤ / ٣٢٢ ، وقصص الأنبياء : ٣٩ .

العقائد ولا يشك ، فيتعلم هذا العبد أدلة العقائد لحصول اليقين فيها ابتعاء مرضات الله فيتسلط عليه الشيطان والنفس فيشك كأنه ويوسوسان في صدره فيكثر تشكيكه في الاعتقادات ، وفي أول الحال لم يكن له شك فزاد في هذه الحال تفگرہ في تحصيل الأدلة اليقينية لحصول اليقين ، وكلما زاد تفگرہ زاد تشكيكه ، ويبتلئ بالبلاء العظيم وما يعلم كيف مفرّه ومخلصه منه وهو يخاف أن يموت بلا إيمان ، ويستدعي من الشيخ أن يبيّن طريق مخرجه ومخلصه من هذا البلاء العظيم ؟

أقول : اليقين نور قائم يشرق على قلب الشخص فتحصل به السكينة والطمأنينة والراحة ، وهو يحصل من مشاهدة الأمور المطابقة للواقع مطابقةً للواقع موافقة للاعتقاد ، ويقابله الشك ، ولما كانت الحكمة قد جرت بإيجاد الأشياء على ما هي عليه وكان ذلك لا يكون إلا إذا جرى على اختيارها فيتوافق قدرُ الله مع اختيارها ، وإلا لكان الأشياء على بعض ما هي عليه وبعض ما ليس هي عليه ، ولا يكون الشيء لذاته على غير ما هو عليه وإنما لم يكن هو إياته ، والاختيار يستلزم أن يؤخذ من الحق ضيغث ومن الباطل ضيغث فيمزجان ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيى من حيّ عن بيّنة ، ولو خلص الحق لم يخف على ذي حججٍ^(١) ، ولكن

(١) في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال : (خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس فقال : أيها الناس إنما بدء وقوع الفتنة أهواء تتبع ، وأحكام تبتدع ، =

في التكليف في كثير من المواقع إلقاء وهو لا يحسن في التكليف ، وفي أغلب مراتب اليقين يقوم احتمال الشك ، لأنّ النفس غير مستقرة النظر بل لا يزال الريب والاحتمال والتجميز والفرض يجري عليها ، فإذا مال الشخص معه حصل الريب فإذا استقرّ عليه شك وإذا شكّ زال اليقين ، لأنّ الشكّ إذا ورد على نفس اليقين انقلب شكًا ، قال صلى الله عليه وآله : (لا ترتابوا فتشكّوا ، ولا تشکوا فتکفروا) ^(١) .

= يخالف فيها كتاب الله ، يتولى فيها رجال رجالة ، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى ، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضفت ومن هذا ضفت ، فيمزجان فيعيان معاً ، فهناك استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من الله الحسنة) نهج البلاغة ، الخطبة : ٥٠ ، ومحاسن البرقي : ١ / ٢٠٨ ح ٧٤ - ١١٤ ، والكافي : ١ / ٥٤ ح ١ ، وج ٨ / ٥٩ ح ٢١ ، وكتاب سليم : ٢٦١ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٢٩٠ ح ٨ .
 (١) أصول الكافي : ١ / ٤٥ ح ٦ ، وتحف العقول : ١٥٠ ، ومستدرك الوسائل : ١١ / ١٧٧ ح ١٢٦٨٢ ، وأمالی المفيد : ٢٠٦ / ٣٨ .

ولفظه في الكافي : قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له خطب به على المنبر : (أيها الناس ! إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ، إن العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله ، بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم ، والحسنة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه ، منها على هذا الجاهل المتحير في جهله ، وكلاهما حائر باير ، لا ترتابوا فتشكّوا ، ولا تشکوا فتکفروا ، ولا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا ، ولا تدهنوا في الحق فتخسروا ، وإن من الحق أن تفقهوا ، ومن الفقه أن لا تغتروا ، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه ، وأغشكم لنفسه أعصاكم لربه ، ومن يطع الله يأمن ويستبشر ، ومن يعص الله يخرب ويندم) .

فإذا نظرت في دليل مسألة وثبت لك به الحق فلا تمل مع احتمال المنافي ، لأنه من إلقاء الشيطان لِيُشَكَّ المتيقن فإن الالتفات إلى خلاف الحق إن استوحش منه القلب فهو محض الإيمان ، لأن القلب لما أنس بالحق استوحش من الباطل وإن لم يستوحش منه القلب فهو الريب ، فإذا استقر الريب والتفت بعد استقرار الريب وحصل له ميلٌ ما شئ ، فإذا استقر الشك والتفت وحصل له ميلٌ ما كفر ، فإذا ثبت لك حكم بالدليل فثبت عليه ولا تلتفت ، قال الله تعالى : «**فَأَسِرِ بِأَهْلِكَ يُقْطِعُ مِنَ الْأَيَّلِ**» ، وهو آخر الليل القريب من الصبح ، لأن الإسراء يتذر عليك بأهلك في النهار إذ لا أهل لك في النهار ، فلا يُمكِنك أن تقف على يقين لا تمل نفسك فيه إلا في اليقين المقارب للضرورة ، ثم قال تعالى : «**وَاتَّبِعْ أَذْبَرَهُمْ**»^(١) أي كن سائقاً لهم تحثّهم على السير .

والمعنى في هذه الإشارة أنك إذا ظهر لك معنى فلا تلتفت فيه إلى الاحتمالات بل اشتغل بطلب معنى آخر حتى لا تلتفت في الأول إلى خلافه ولو بالفرض والتصور والاحتمال ، ولا تفرض القول به من غيرك منك فينجر بك الأمر إلى الريب وهو قوله تعالى : «**وَلَا يَلْنَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ شَوَّرُونَ**»^(٢) وذلك

(١) سورة الحجر ، الآية : ٦٥.

(٢) سورة الحجر ، الآية : ٦٥.

في التأويل خطابٌ من الله سبحانه للعقل وأهله من العلم والخيال والفكر والحياة ﴿إِلَّا أَمْرَأَنَّكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾^(١) ، وهي النفس الأمارة بالسوء فإنها تلتفت إلى قومها .

وأنت إذا عرفت أن المراد منك أنك تطلب المعرفة بشروطها وهي النّظر والتفكير في خلق الله وما أودع من الأسرار والحكم وفي آثار القدرة ، وتفكر في الموت وهجومه بغتةً وأنه يراد منك الاستعداد للرحيل ، وتجعل ذلك همك ليكون مانعاً لك من ذلك الالتفات المنهي عنه والطريق القريب المسافة إلى الله هو هذا ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنَّ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدْ أَقْرَبَ أَجْلَهُمْ﴾^(٢) ، فبينَ بأنَّ النظر في الملائكة مع الاستعداد للموت قبل نزوله هو طريق الإيمان النافع ، فإذا اشتغل الشخص بالعمل والنظر في عيوب نفسه والاستعداد للموت حصل له اليقين بالمعارف بلا ميل ولا شك ، لأنَّ النفس بسبب الاستعداد لا تلتفت ، كما هو شأن كلَّ من اهتمَّ بأمر فإنه لا يلتفت إلى ما سواه ، فهذه النبذة اليسيرة فيها المخلص من ذلك البلاء العظيم .

وأمّا مَنْ سرَّحَ نظرَهُ في الفكر من دون الاشتغال بالعمل

(١) سورة هود ، الآية : ٨١.

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥ .

وإخلاص العبادة فإن الشيطان يتوحد به ويأتيه في فكره من عن يمينه ليشغله عن جميع الخيرات بما يلقي عليه من الشبهات ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ إِنَّمَا سَمِيعُ عَلَيْهِ ﴾^(١) .

اللهم حُلْ بيننا وبينه بحولك وقوتك فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وصلى الله على محمد وآلـه الطيبين الـطـاهـرـين .

وفرغ منها مؤلفها عصر الأربعاء التاسع عشر من صفر السنة الرابعة والعشرين بعد المئة والألف في يزد المحروسة عن الأسواء .

والحمد لله أولاً وآخرأ وظاهراً وباطناً .

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٢٠٠ .

٨ - رسالة في جواب الشيخ
محمد بن عبد علي
ابن عبد الجبار القطيفي

رسالة في جواب الشيخ

محمد بن عبد علي ابن عبد الجبار القطيفي

عن عشر مسائل منها تفسير قوله تعالى : ﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .

أما بعد^(٢) : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد أرسل إلى الشيخ الممجد الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي بن عبد الجبار القطيفي ، أصلاح الله أحواله وبلغه آماله في مبدئه وما له بمحمد وآلـه أرسل إلى بمسائل^(٣) ي يريد جوابها وكشف حجابها على استعجال منه ولا إمهال ، فكتبت له ما جاء على البال من وارد الحال ، ولم أبسط الكلام اتكالاً على فهمه لأنـه سلمـه الله يكفيـه^(٤) الإشارة ويستغنى في التنبيه على أدنى عبارة^(٥) فنقلـت كلامـه متـناً ، وجعلـت ذلك له كالـشرح ، فكان من

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦١ . (٤) في نسخة : تكفيـه .

(٢) في نسخة : وبعد . (٥) في نسخة : إشارة .

(٣) في نسخة : مسائل .

كلامه أن قال : (أفيضوا علينا من الماء فيضاً فإننا عطاشى ، وأنتم ورود يا أهل الشهود) .

أقول : أراد بالماء العلم الذوقى ، وفيه إشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾^(١) ، قوله عليه السلام : (من شرب منه لم يظماً أبداً)^(٢) ، قوله : وأنتم ورود ، يفيد معنيين ، أحدهما : وأنتم واردون ، والثاني : وأنتم مورودون ، الخ .

قال سلمه الله : وهنا بعض الأحاديث بينوا^(٣) لنا معناها تأويلاً باطنًا عن المفضل في تفسير قوله تعالى : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةِ سَرَابِيلٍ﴾^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (الحبة فاطمة والسبعين السنابل سبعة من ولدتها سابعهم قائمهم) .

قلت : الحسن ؟

قال : (الحسن من الله إمام مفترض الطاعة ولكن ليس من السنابل السبعة أولهم الحسين وأخرهم القائم عليهم السلام) .

قلت : فقوله تعالى : ﴿فِي كُلِّ سُبْلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ ؟ .

(١) سورة الأنبياء عليهم السلام : ٣٠ .

(٢) تفسير فرات الكوفي : ٤٩٩ ح ٣٦٧ ، وغاية المرام للبحرياني : ٧ / ٤٤ ح ٨ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ٢ / ١٢ .

(٣) في نسخة : أبينوا .

(٤) سورة البقرة ، الآية : ٢٦١ .

قال عليه السلام : (يولد للرجل منهم في الكوفة مئة من صلبه ، وليس ذاك^(١) إلا هؤلاء السبعة)^(٢) .

أقول : أعلم أن الحب مأخوذه من الحب بضم الحاء وهو في لغة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم حقيقة فيه وفي تفسير القمي^(٣) : (الحب ما أحبه والنوى ما نأى عن الحق)^(٤) ، وقال أيضاً في قوله أيضاً : «إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبَّ وَالنَّوْءَ»^(٥) ، قال : (أن يفلق العلم من الأئمة ، والنوى ما يَعْدُ عنه)^(٦) .

وروي عن الصادق عليه السلام ما معناه في قوله تعالى : «فَالِقُ الْحَبَّ وَالنَّوْءَ» قال : (الحب هو المحب لنا ، وهم شيعتنا)^(٧) الخ ..

(١) في نسخة : (ذلك) .

(٢) تفسير العياشي : ١ / ٤٨٠ ح ١٤٧ ، وتفسير نور الثقلين : ١ / ٢٨٢ ح ١١٦ ، وإلزام الناصب للحائري : ١ / ٥٠ .

(٣) هو الشیخ أبو الحسن علي بن إبراهیم بن هاشم القمي شیخ الكلینی ، كان في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، ويقی إلى سنة ٣٠٧ هـ ، وهو صاحب التفسیر ، انظر ترجمته في كتاب الذریعة رقم ١٣١٦ .

(٤) تفسیر القمي لعلی ابن إبراهیم : ١ / ٢١١ ، وتفسير العياشي : ١ / ٣٧٠ ح ١٩٤ ، وتفسير نور الثقلین : ١ / ٧٤٩ ح ٦٤ .

(٥) سورة الأنعام ، الآية : ٩٥ .

(٦) تفسیر القمي : ١ / ٢١١ ، وتفسير نور الثقلین : ١ / ٧٤٩ ح ١٩٤ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٢٤ / ١٠٨ ح ١٨ .

(٧) عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لِمَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ عَلَيْهِ =

فالحبة فاطمة ، لأن الحب المحب والممحوب ، فالحبة فاطمة ، لأن الله فطمها وفطم محبها من النار ، فهي حبيبة الله وحبيبة حبيب الله ، ولا ريب أن الحبة تنبت السنابل والسنابل يجوز أن تكون في^(١) سنبل ثوبه أي جره من خلفه وأمامه فاستعمل لمن أعقب من نسله من خلفه وأمامه ، أي من مات قبله أو بقي بعده وأن تكون^(٢) من المعروف لاشتماله على الحب أي

السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة فقبض بيمنيه قبضة بلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، وأخذ من كل سماء تربة ، وبعض قبضة أخرى من الأرض السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى ، فأمر الله عز وجل كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمنيه والقبضة الأخرى بشماله فخلق الطين فلقتين ، فدرا من الأرض ذروأ ومن السماوات ذروأ ، فقال للذى بيمنيه : منك الرسل والأنبياء والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ومن أريد كرامته فوجب لهم ما قال كما قال . وقال للذى بشماله : منك العجارون والمشركون والكافرون والطواوغيت ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال ، ثم إن الطيتين خلطتا جميعاً وذلك قول الله عز وجل : « إِنَّ اللَّهَ فَالِّي الْحَيُّ وَالْمَوْتَ » ، فالحبة طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته ، والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير ، وإنما سمي النوى من أجل أنه نأى عن كل خير وتبعده منه ، وقال الله عز وجل : « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيَّ » فالحي المؤمن الذي تخرج طينته من طينة الكافر والميت الذي يخرج من الحي هو الكافر الذي يخرج من طينة المؤمن فالحي المؤمن والميت الكافر) . والحديث طويل انظر تفسير نور الثقلين :

١ / ٧٤٨ ح ١٩٣ ، والكافي : ٢ / ٥ / ح ٧ .

(١) في نسخة : من .

(٢) في نسخة : يكون .

المحب ، فلما كان الملحوظ هو الوجهين معاً لم يسمّ الحسن بن علي عليهما السلام سنبلاة لأنه عليه السلام لم يكن له من عقبه في الرجعة مئة من البالغين في المحبة والولادة حتى ينالوا^(١) ست مراتب من الإيمان ، وهذا من الإخبار بالغيب وما ورد من أنه يكون للرجل في آخر الرجعات ألف ذكر فلا ينافي ذلك لأن المئة المشار إليها^(٢) هم البالغون ، قوله عليه السلام : (أولهم الحسين عليه السلام)^(٣) يعني أول السنابل الحسين ، والثانية على بن الحسين ، والثالثة محمد بن علي ، والرابعة جعفر بن محمد ، والخامسة موسى بن جعفر ، وأما علي بن موسى وعلي الهادي فقد دخلا في حكم علي بن الحسين عليه السلام ، لأن ذلك حكم ظاهر وهو منوط بالصفة الظاهرة ، والاسم هو تلك الصفة الظاهرة ، وكذلك محمد الجواد عليه السلام دخل في حكم محمد الباقر عليه السلام ، وال السادسة الحسن بن علي العسكري ، والسابعة القائم عليه السلام ، وهو وإن سمي محمداً لم يدخل في حكم الباقر عليه السلام لأنه لا يشمل^(٤) ظاهره على كلّ حال بل اسمه أحمد أيضاً .

(١) في نسخة : نالوا .

(٢) في نسخة : إليهم .

(٣) تفسير العياشي : ١ / ١٤٧ ح ٤٨٠ .

(٤) في نسخة : لا يشتمل .

وعلى معنى أن الحب هو العلم يكون المراد بالسنبل هو الدين^(١) يكون منهم العلماء ، وهو هنا على أسلوب ما مرّ ، فافهم .

في بيان أنواع الملائكة

قال سلمه الله تعالى : وحديث في المجالس : أن الصادق عليه السلام مرّ ببعض أصحابه على الشط ، فخرجت موجة وعانت الإمام عليه السلام فلم يبتلّ فانزعج الرجل ، فقال الإمام عليه السلام له : (إن هذا ملك الماء خرج وعانقني)^(٢) .

أقول : اعلم أن الملائكة عند أهل المشاهدة كلّ جنس منهم من جنس ما وكلّ به وبذلك الملك قوام تلك الجهة التي وكلّ بها والموكل بذلك الشيء الذي^(٣) له صفات وكل^(٤) ملائكة موكل بتلك الملائكة يردون ويصدرون عن أمره وهم منه كالنور من المنير ، فملائكة المعقولات عقول والموكل بها عقل الكل ، وملائكة الصور صور والموكل^(٥) نفس الكل يعني اللوح المحفوظ ، وهو ملك كما في قول الصادق عليه السلام لسفيان

(١) في نسخة : الدين .

(٢) لم نجده عليه فيما توفر لدينا من مصادر .

(٣) في نسخة : التي .

(٤) في نسخة : وكل بها .

(٥) في نسخة : الموكل بها .

الثوري وملائكة الطباع طبائع ، والموكل بها ملك من الطبيعة أعوانه في ذلك جبرئيل عليه السلام ، وملائكة المواد مواد والموكل بها ملك المادة على نحو ما ذكر ، وملائكة الاشكال أشكال والموكل بها^(١) ملك شكل الكل ، وملائكة الأجسام أجسام والموكل بها^(٢) ملك رأسه تحت العرش ورجله في أسفل التخوم ، وملائكة الأعراض كذلك من جنسها وما ورد تصریحاً وتلویحاً باختلاف المراد^(٣) في العبارات عن الستة الأيام التي خلق فيها الأرضون والسماءوات وما فيهن وما بينهن ، فإذا رأيت العبارات والروايات مختلفة فضع كل شيء في مكانه ، وقالوا إن الملائكة خلقت من أشعة الوجود ، فلو أتيت إلى موجود متشخص وحللت منه تلك الأشعة اضمحل ، مثلاً الصخرة إذا طرحت منها الثقل الذي يهبط بها بأمر الله إلى السفل لم يهبط^(٤) ، وإذا طرحت منها الصلابة التي تصدم بها كما شاء^(٥) الله لم تصدم وإذا طرحت منها العرض الذي جعلها بإذن الله مرئية لم تر وهذا فوكل الله بها ملكاً يهبط بها وملكأ يجعلها تصدم وملكأ يجعلها

(١) في نسخة : به .

(٢) في نسخة : به .

(٣) في نسخة : المرادات .

(٤) في نسخة : لم تهبط .

(٥) في نسخة : يشاء .

ترى ، وتلك أشعة وجودها فإذا زالت هذه الثلاثة ولحقت بمرائزها اضمحلت من تلك الجهات وهكذا حتى تفني ، ففي الماء الملك الموكل بالمادة والموكل بالصورة النوعية والموكل بالبلة والموكل بالميعان والموكل بالثقل وهكذا ، فلو عانق الإمام عليه السلام بالبلة (الملك الموكل بالبلة أصابه البلل)^(١) ، ألا تراه يتوضأ ويغتسل ، فافهم ما ألقى عليك^(٢) مما لا يسمح به أحد في الدفاتر ، ولو شئت أبنت المراد على ما تتصوره العوام أن من الملائكة كلها ذوات إحساس وشعور لأنهم حيوانات لأظهرت ذلك ، ولكنه يحتاج إلى تطويل الكلام بوضع مقدمات وإيراد روایات وإقامة دلالات ، وذلك يخرج عن المقام ، لأن هذا المعنى الذي يقولونه العوام هو الحق في هذا المقام ، لأنهم حفظوا عبارات عن أهل الحق عليهم السلام طابت ما فطروا عليه فوعوا ظاهرها الذي هو أثر باطنها^(٣) كما عرفوا الأرواح في الجملة ، ولم يعرفوا حقيقتها ، ولو وصفتها لهم بعبارة البحث لم يفهموها أبداً والأرواح بهذا المعنى حرفاً بحرف ، ونحن إنما قلنا^(٤) ذلك جرياً على البحث بطريقة أهل الظاهر ليقرب إلى فهم

(١) لم نجده عليه فيما توفر لدينا من مصادر .

(٢) في نسخة : إليك .

(٣) في نسخة : ولم يعرفوا باطنها .

(٤) في نسخة : ذكرنا .

من لم يعاين ، ومن عاين يعلم أننا إنما جعلنا ذلك لذلك لا أنا كما يظن من لم يعاين^(١) ، نقول بأن الملائكة قوى لا غير نعم هو^(٢) قوى حساسة دراكه لما هي له تستفيد جميع الحيوانات منها الإحساس والشعور والأحوال كلها فافهم .

ومرادنا من هذا الكلام هو معنى ما تفهمه العوام والسلام على من أنصف من نفسه ولم ينكر ما لم يعلم فيقرأ عليه كتاب الله : ﴿بَلْ كَذَّبُوا إِيمَانَهُمْ لَمَّا رَأَوْهُمْ بِعِلْمٍ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٣) فافهم^(٤) .

في بيان علة أنوار فاطمة عليها السلام وأثرها

قال سلمه الله : وحديث في العلل عن أبان بن تغلب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : لِمَ سميت الزهراء عليها السلام زهراء ؟

قال : (لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرশهم فيدخل بياض النور إلى حجراتهم بالمدينة فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة

(١) في نسخة : لم يعاين أنا .

(٢) في نسخة : هي .

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣٩ .

(٤) في نسخة : فافهم والله يحفظك ويحفظ لك .

عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها ، فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة ، فإذا اتصف النهار وترتب للصلوة زهر وجهها بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم ، فيأتون النبي صلى الله عليه وآلـه ويسـألونـه عـما رأـوه ، فـيرـسلـهـم إـلـى مـنـزـلـ فـاطـمـةـ فيـرـونـهاـ قـائـمـةـ فـيـ مـحـرـابـهاـ وـقـدـ زـهـرـ نـورـ وجـهـهاـ^(١) فيـعـلـمـونـ أـنـ الـذـيـ رـأـوهـ كـانـ مـنـ نـورـ وجـهـهاـ ، فإذا كان آخر النهار وغـربـتـ الشـمـسـ أحـمـرـ وجـهـ فـاطـمـةـ عـلـيـهاـ السـلـامـ فأـشـرـقـ^(٢) بـالـحـمـرـةـ فـرـحاـ وـشـكـراـ اللـهـ عـزـ وـجـلـ ، فـكـانـتـ تـدـخـلـ حـمـرـةـ وجـهـهاـ حـجـرـاتـ الـقـوـمـ فـتـحـمـرـ حـيـطـاـنـهـمـ فـيـعـجـبـوـنـ مـنـ ذـلـكـ ، وـيـأـتـوـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـيـسـأـلـوـنـهـ عـنـ ذـلـكـ فـيـرـسـلـهـمـ إـلـىـ مـنـزـلـ فـاطـمـةـ فيـرـونـهاـ جـالـسـةـ تـسـبـحـ اللـهـ وـتـمـجـدـهـ وـنـورـ وجـهـهاـ يـزـهـرـ بـالـحـمـرـةـ ، فـيـعـلـمـونـ أـنـ الـذـيـ رـأـوهـ كـانـ مـنـ نـورـ وجـهـ فـاطـمـةـ ، فـلـمـ يـزـلـ ذـلـكـ النـورـ فيـ وجـهـهاـ حـتـىـ وـلـدـ الـحـسـينـ عـلـيـهـ السـلـامـ ، فـهـوـ يـتـقـلـبـ فـيـ وجـهـهـاـ إـلـىـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ^(٣) أـهـلـ الـبـيـتـ إـمـامـاـ بـعـدـ إـمـامـ)^(٤) الـحـدـيـثـ .

(١) في نسخة : (وجهها بالصفرة) .

(٢) في نسخة : (فأشرق وجهها) .

(٣) في نسخة : (القيامة في الأئمة منا) .

(٤) علل الشرائع : ١ / ١٨٠ ح ٢ ، ومجمع التورين للمرندي : ٢١ ، وبحار الأنوار : ٤٣ / ١١ ح ٢ .

أقول : قوله عليه السلام : (لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام) إشارة إلى أن الأنوار^(١) العرشية ، النور الأبيض الذي منه البياض ومنه ضوء النهار وهو النور العقلي المحمدي ، والنور الأصفر الذي اصفرت منه الصفرة وهو النور الروحي البراقى ، والنور الأحمر الذي احمرت منه الحمرة وهو النور الطبيعي لجبرئيل^(٢) ، ظهرت فيها لعلي عليه السلام ، لأن تلك مصادر التكميل والأرزاق والحياة وهي منوطة بالولي المطلق ، فهي تزهر لعلي عليه السلام ، ولما كانت الزهاء عليها السلام وعاءً لأولي الأمر بعد على عليه السلام الذين بهم تناثر تلك الأنوار الثلاثة لتلك الجهات الثلاث في العالم ظهرت فيها ، فلما ولد الحسين عليه السلام وانقسمت^(٣) ولم يبق فيها من تلك الأنوار إلا ما كان لها ، وكان بعض تلك في الحسين عليه السلام غيباً لبيه^(٤) وشهادة مما ظهر فيه خفيت تلك الآثار لما انقسمت وتجسدت كانت ذاتية فجمدت ومتفرقة فاجتمعت وكانت خفية بظهور أشعتها فانجلت فخفيت خفاء النور في المنير فافهم . ولما كانت الشمس ينبع آثار تلك الجهات^(٥) لأنها تكسى كل يوم كسوة من مجتمع تلك الأنوار

(١) في نسخة : الأنوار الثلاثة :

(٢) في نسخة : الجبرئيلي .

(٣) في نسخة : وانقسم .

(٤) في نسخة : لبنيه .

(٥) في نسخة : الجهات الثلاث .

كما هو معروف عند أهله كانت تظهر على ترتيب مراتب ذلك الوجود الشامل عند صلاة الغداة بنور أبيض وهو الفجر ، فينطبع منعكس ذلك الفرع في باب مرآة ذلك الأصل الذي عندها عليها السلام وهو وجهها بمعونة ما ظهر فيه من آثار اليقين^(١) عند استقبال الصحو المعبر عنه بالنهار ، فيدخل بياض النور إلى حجراتهم نور الأصل والفرع والباطن والظاهر ، وإذا زالت الشمس وزوالها في الحلقة الغربية ، قال النبي صلى الله عليه وآله : (إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها ، فإذا دخلت فيها زالت الشمس ، فيسبح كل شيء دون العرش بحمد ربى عز وجل)^(٢) وهي الساعة التي يصلى عليّ فيها ربى جل جلاله^(٣) الحديث .

والمراد بالحلقة دائرة نصف النهار ، فإنها تنصف العالم من القطب الأعلى إلى القطب الأسفل ف تكون^(٤) دائرتين غربية وشرقية فخروجها من الشرقية دخولها في الغربية وهو معلوم ، فإذا بلغت حد مبدأ وجودها من الحلقة الشرقية ركدت ساجدة بين يدي الله تعالى تحت العرش ، فإذا أذن لها بالزوال قلبها ملك النور ظهراً لبطن فخشوع لعظمة الله كل شيء ونادت الملائكة بالتسبيح

(١) في نسخة : اليقين والثبات .

(٢) مفتاح الفلاح : ١٣٩ ، وعلل الشرائع : ٢ / ٣٣٧ باب خمس صلوات في خمسة مواقيت ، ومن لا يحضره الفقيه : ١ / ٢١٢ ح ٦٤٣ ، ووسائل الشيعة : ٤ / ١٤ ح ٤٣٩١ .

(٣) في نسخة : فيتكون .

والتحمید والتهلیل ، وھی صلوات الله علیها مترتبة للصلوة
فیلحقها إذ ذاک من معاناة تلك المعاینات وخوف مقام جبار
السماءات صفة الوجه ، فینطبع ما انعکس من شعاع الشمس
بالمدد البراقی علی ترتیب الوجود في باب مرآة ذلك الأصل الذي
عندھا علیها السلام وهو وجھھا بمعونة ما ظهر من آثار الفناء في
ذلك البقاء عند تجلی الحی القیوم ، فتدخل الصفة حجرات
الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم من نور الأصل والفرع والفرق
والجمع ، فإذا كان آخر النهار وغرت الشمس ، وھی علیها
السلام جالسة متھیئة للصلوة انطبع منعکس ذلك الفرع الذي جرى
علی ترتیب الوجود حينئذ في باب مرآة ذلك الأصل الذي عندھا
کما مرّ وهو وجھھا بمعونة ما ظهر فيه من آثار العزيمة علی القيام
بخدمة الملك العلام من باعث نار^(١) الشوق الطبيعي ، فتدخل
حمرة وجھھا حجرات القوم فتحمر حیطانهم ، فلما ولد الحسين
علیه السلام خفي الأثر وظهرت العین ، وقد يظهر الأثر کما وقع
أحياناً أو دائمًا بنحو آخر والحمد لله رب العالمين .

سبب وجود جنة عرضھا السماءات والأرض

قال سلمه الله^(٢) : وإذا كان كلّ رجل له جنة عرضھا
السماءات والأرض فما يصنع الرجل بجنة هذه عرضھا ، الخ ؟

(١) في نسخة : نور .

(٢) في نسخة : قال .

أقول : اعلم^(١) أن الجنة على ما يظهر أرضها محدب الكرسي وسقفها عرش الرحمن ، والكرسي الذي^(٢) فلك الثوابت هي فيه على قسمين : قسم منها مغموم في ثخنه ثبت^(٣) مركب كتركيب الفص في الخاتم .

وقسم منها معلق بسلاسل كالقناديل ، وهي في المقدار على ستة أقسام تقربياً كما قيل ، فأعظمها يماس سطح كرية محدب الفلك الأعظم ، ومقرره وما سوى الأعظم مما يماس المحدب والمقرع فهو المعلق بسلاسل ، فافهم .

وأصغر^(٤) من النجوم المعروفة المدركة السها ، وقد ذكروا أنه بقدر الأرض خمس عشرة مرة ، فانظر نسبته إلى محدب الفلك الأعظم ، فكيف لا يكون للرجل جنة عرضها السماوات والأرض ؟ !

وأما قولكم بما يصنع^(٥) فاعلم أن الأجسام غداً بعد ذهاب أغراضها وكتافاتها تكون بحكم الأرواح لا يحجبها شيء ، فالمكان القريب والبعيد عندها على حد سواء انظر إلى ما في خيالك فإن فيه القطيف والبحرين والأحساء والعجم والعراق وغيرها والدنيا

(١) في نسخة : اعلم رعاك الله .

(٢) في نسخة : الذي هو .

(٣) في نسخة : مثبت .

(٤) في نسخة : أصغره .

(٥) في نسخة : يصنع بها .

والآخرة مع ما عندك من العلوم ، وأنت تطلب الزيادة ، وأنا كذلك عندي مثل ذلك وأطلب الزيادة وكذلك جميع الخلق ولا تزاحم بيننا ولا استكبار^(١) عندنا ، بل كلّ منا مستقل بما عنده فما تصنع بما عندك من هذه الأمور الكثيرة حتى كنت تطلب الزيادة أبداً ، انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً بل الأمر أعظم ، ألا تسمع إلى ما روي ما معناه : إن المؤمن إذا أدى زكاته كانت له غداً كأسبق جواد في الدنيا فيقال له : اركب واركض في أرض الجنة سنة فما بلغ جوادك فهو لك وأنه ليقطع في طرفة عين بقدر الدنيا سبع مرات .

فتتفطن إلى هذا ومثله فإنه أعظم من ذلك وكلّ هذا لا يكون موضع منه أقرب من موضع عند جسد المؤمن لأنّه بحكم الروح في الإحاطة والإدراكات ، وروحه بحكم الجسد في إدراك المشاهدات الحسية ، أما سمعت أن الدنيا خطوة مؤمن ، وكم جرى لأهل العصمة عليهم السلام من هذا الباب مما لا يحصيه هذا الخطاب ونظيره في عالم الحس جسد الأكسير فإنه مثل لذلك وهو الكبريت [الأحمر وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : (إن المؤمن أعز من الكبريت الأحمر)^(٢)] [٤٥٦] وهو عند أهله معلوم والحمد لله .

(١) في نسخة : استكثار .

(٢) الكافي : ٢ / ٢٤٢ ح ١ باب في قلة عدد المؤمنين ، ودرر الأخبار : ٧١ ح ٧ ، وشرح الأسماء الحسني : ١ / ١ .

(٣) زيادة من نسخة أخرى .

قال سلمه الله تعالى^(١) : وفي العلل أيضاً نهي من^(٢) مخالطة الأكراد معللاً^(٣) بأنهم (حي من الجن كشف الله عنهم الغطاء)^(٤) ، ما تأويله وما باطنـه ؟

في ذكر من تزوج أبناء آدم عليه السلام

أقول : اعلم أن الله سبحانه لما أراد أن يبدأ بالنسل ما ترون ، وأن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرم عز وجل من الأخوات على الإخوة ، أنزل على شيث عليه السلام حوراء بعد العصر في يوم خميس من الجنة بفتح الجيم ، اسمها نزلة فأمر الله آدم أن يزوجها من شيث عليه السلام فزوجها منه ، ثم أنزل الله بعد العصر من الغد حوراء من الجنة بكسر الجيم ، وهي ابنة الجان واسمها منزلة فأمر الله آدم أن يزوجها من يافت أخ شيث ولد بعد شيث فزوجها منه ، فولد لشيث غلام ، وولد ليافت ابن آدم جارية فأمر الله آدم حين أدركـا أن يزوج ابنته يافت من ابن شيث .

واعلم أن الحوراء التي زوجها من يافت من حور الجن كما

(١) في نسخة : قال : .

(٢) في نسخة : عن .

(٣) في نسخة : ومعلل .

(٤) علل الشرائع : ٢ / ٥٢٧ ح ١ ، والحدائق الناضرة : ١٨ / ٤١ .

في رواية بريد العجلی عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال :
 (وتزوج الآخر ابنة الجن) ^(١) انتهى .

وروى عن الحسین بن علی علیهما السلام أنه قال : (وآخر
 لعبد الله امرأة من الجن) ^(٢) والمراد به يافت .

وفيها : (وما كان من حسن وجمال فمن ولد الحوراء وما
 كان من قبيح ^(٣) بذيء فمن ولد الجنية) ^(٤) .

وفي رواية العجلی : (فما كان في الناس من جمال كثير أو
 حسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان منهم من سوء خلق فهو من
 ابنة الجن) ^(٥) انتهى .

ثم إن الله إذا أراد أن يخلق شخصاً جمع كلّ صورة بينه وبين

(١) من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٣ ح ٤٣٣٨ ، ووسائل الشيعة : ٢٠ / ٣٦٤ ح ٢٥٨٣٩ ، وبحار الأنوار : ٦٠ / ٩٧ ح ٥٩ .

(٢) مستدرک الوسائل : ١٤ / ٣٦٣ ح ١٦٩٩٣ ، وجامع أحاديث الشيعة : ٢٠ / ٣٩٣ ح ١٢٧٤ .

(٣) في نسخة : (قبح) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) علل الشرائع : ١ / ١٠٣ ح ٩٢ باب علة حسن الخلق وسوء الخلق ، ومن لا يحضره الفقيه : ٣ / ٣ ح ٣٨٢ - ٤٣٣٨ .

ولفظه في العلل : عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله عزّ وجلّ أنزل حوراء من الجنة إلى آدم فزوجها أحد ابنيه وتزوج الآخر إلى الجن فولدتنا جميعاً ، مما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجن وأنكر أن يكون زوج بنيه من بناته) .

آدم فخلقه على صورة أحدهم يعني أنه قد جعل فيه عروقاً ثلاثة وستين عرقاً ، وتتصل تلك العروق بصلب الرجل وترائب المرأة ، وتجري في تلك العروق طبائع أسلاف ذلك^(١) وتلك المرأة إلى آدم ، فإن سبقت نطفة الرجل فأي^(٢) عرق منه تحرك^(٣) النطفة خرج النسل بشبهه وإن سبقت نطفة المرأة فأيما عرق منها تحرك بتلك النطفة خرج النسل بشبهه ، وذلك الشبه هو المشار إليه في الصورة ويشتمل شبه الصورة على بعض طبائع المشبه ، وإنما قلنا على بعض ولم نقل على الكل ، لأن ذلك الشبه لا يكون شاملأً من كلّ وجه بحيث لا يتميزان^(٤) لو حضر^(٥) بل يكون بينهما كمال التمايز .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ ءَايَنِيهِ، خَلُقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْيَلَفُ أَسْنَيْكُمْ وَأَلْوَنَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَيْنِ لِلْعَالَمِينَ ﴾^(٦) .

ثم لما كان بتقدير الله سبحانه أن خلق الإنسان من أربعة عشر شيئاً ستة من الله سبحانه وهي حواسه الخمس والروح ، وأربعة من أبيه وهي المخ والعصب والعظم والعروق ، وأربعة من أمه

(١) في نسخة : ذلك الرجل .

(٢) في نسخة : فأيما .

(٣) في نسخة : تحرك بتلك .

(٤) في نسخة : لا يتميزا .

(٥) في نسخة : حضرا .

(٦) سورة الروم ، الآية : ٢٢ .

وهي اللحم والدم والجلد والشعر ، كان الأصل من الأب والفرع من الأم ، وهذا معروف .

ولما كان الجمال وضده وحسن الخلق وضده والطبائع التي يتصف بضدتها^(١) فروعها على الحقيقة ونسبت إلى الأم ، ولذا قال في الروايتين السابقتين فما كان من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء وما كان من قبح وسوء خلق فهو من ابنة الجن ، ولما كانت الأكراد غلت عليهم شهوة النساء وسبقت في أصل تخلقهم من يافت ومن ابنة الجن لأنها غير طريقة الإنسان ، فإن حوا لم تأت إلى آدم لغيبة طبيعة الإنسان عليها بعكس ابنة الجن فتسبق شهوتها لقربها من الحيوانات بالنسبة إلى الإنسان فيغلب طبعها ، وكذلك عند تخلقهم من يافت بن نوح عليه السلام وغلب التنزيل بينهم وبين أولاد سام الذين هم العرب الذين تغلب عليهم الإنسانية سبقت^(٢) شهوة الأم في أبيهم فخرج بشبه^(٣) أحواله^(٤) الجن وكشف الغطاء عنهم بما فيهم من الإنسانية ، فالشبه شبه صورة والصورة تهتف بالطبيعة لا أنهم جن خالصون وإلا لحرم منا كحتهم ، وما تقدم في الكلام المأخذ من رواية زراراة من أن إنزال الحوراء والجنية بعد

(١) في نسخة : بها .

(٢) في نسخة : فسبقت .

(٣) في نسخة : يشبه .

(٤) في نسخة : أحواله .

العصر فهو إشارة إلى أنه مقام الخلافة في شیث ، وإلى أن ذلك هو الضم الذي يكون منه النسل كما يشيرون إليه أهل العرفان ، فإن الضم هو العصر والعصر يخرج به آخر من المعصور ، كما أشار إليه ابن عربي^(١) في الفتوحات المكية ، فافهم .

في ذكر عدد العوالم

قال^(٢) : والحديث الذي قلتم لنا أن الله خلق عشرين عالماً أنتم آخرهم في أي كتاب هو وكيف هو ؟

أقول : اعلم أن الأحاديث في هذا الباب كثيرة وهي مختلفة فمنها ما في رواية عبد الله الدهقان عن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : (إن الله خلف هذا النطاق زير جد خضراء منه^(٣) أخضرت السماء) .

قلت : وما النطاق ؟

(١) هو أبو بكر محبي الدين محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي من ولد عبد الله بن حاتم الطائي الأندلسي .

ولد بمرسية بالأندلس يوم الاثنين السابع عشر من شهر رمضان المعظم سنة ستين وخمس مئة هجرية (٥٦٠ هـ) (٢٨ / ٧ / ١١٦٥ م) .

مات في ٢٢ ربيع الثانية سنة ٦٣٨ هـ (٢٦ / ١١ / ١٢٤٠ م) .

انظر ترجمته في الدر الثمين : ٣٧ ، وفوات الوفيات : ٢ / ٣٢٥ .

(٢) في نسخة أخرى : قال سلمه الله .

(٣) في نسخة : (منها) .

قال : (الحجاب والله عز وجل وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً) ^(١).

وعن عجلان بن صالح قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قبة آدم فقلت له : هذه قبة آدم عليه السلام ؟

فقال : (نعم والله والله عز وجل قبب ^(٢) كثير ، أما أن لخلف مغربكم هذا تسعه وتسعين مغرباً أرضاً بيضاء مملوقة خلقاً يستضيفون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين ، لا يدرؤن أخلق الله عز وجل آدم عليه السلام أم لم يخلقه ، يبرؤون من فلان وفلان) .

قيل له : كيف هذا وكيف يبرؤون من فلان وفلان وهم لا يدرؤن أن الله خلق آدم ، أم لم يخلقه ؟

فقال للسائل عن ذلك : (أتعرف إبليس ؟) .

فقال : لا إلا بالخبر .

قال : (إذا أمرت بلعنه والبراءة منه) .

قال : نعم فقال : (فكذلك أمر هؤلاء) ^(٣) انتهى .

(١) بصائر الدرجات : ٥١٢ ح ٧، وبحار الأنوار : ٣٠ / ١٩٧ ح ٦٢، ودرر الأخبار : ٤١٤ ح ٢، ومشارق أنوار اليقين : ٦١.

(٢) في بعض المصادر : (قباب) .

(٣) مختصر البصائر : ١٢، وبحار الأنوار : ٢٧ / ٤٥ ح ٥، وبصائر الدرجات : ٤٩٣ ح ٨، وفي ج ٥٧ / ٣٣٥ ح ٢٢، والكافي : ٨ / ٢٣١ ح ٣٠١ ذكر صدر الحديث بتفاوت .

ولفظه في مختصر البصائر : عن عجلان بن صالح قال : سألت أبا عبد الله =

وعن أبي جعفر عليه السلام : (إن وراء شمسكم هذه أربعين
عين شمس ما بين عين شمس إلى عين شمس أربعون عالماً ، فيها
خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق آدم أم لم يخلقه ، وأن من وراء
قمركم هذا أربعين قرصاً بين القرص إلى القرص أربعون عالماً
(١) فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله عزّ وجلّ خلق آدم أم لم يخلق
قد ألهموا كما ألهمت النخلة لعنٌت (رسوله خل) الأول
والثاني في كل الأوقات ، وقد وكل بهم ملائكة متى لم تمس رسوله
(رسوله خل) عذبوا) (٢) انتهى .

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله اثنى عشر ألف
عالماً ، كل عالم منهم أكثر من سبع سماوات وسبعين أرضين ما

عليه السلام عن قبة آدم عليه السلام فقلت له : هذه قبة آدم ؟ فقال : (نعم
والله ، والله تعالى قباب كثيرة ، أما إن لخلف مغربكم هذا تسعه وثلاثين مغرباً ،
أرضاً بيضاء مملوقة خلقاً يستضيفون بنورها ، لم يعصوا الله طرفة عين ، لا
يدرون أخلق الله تعالى آدم عليه السلام أم لم يخلقه ، يبرؤون من فلان وفلان .
قيل له : كيف هذا ؟ وكيف يبرؤون من فلان وفلان وهم لا يدرون أن الله خلق
آدم عليه السلام أم لم يخلقه ؟ ! فقال للسائل عن ذلك : أكنت تعرف إبليس ؟
قال : لا ، إلا بالخبر ، فقال : إذا أمرت بلعنه والبراء منه ؟ قال : نعم ،
(فقال :) فكذلك أمر هؤلاء .

(١) في نسخة : لم يخلقه .

(٢) بحار الأنوار : ٤٥ / ٢٧ ح ٦ ، وختصر البصائر : ١٢ ، وبصائر الدرجات :

يرى كلّ عالم منهم أنَّ الله عالماً غيرهم ، وأنا الحجة عليهم)^(١)
انتهى .

وعن ابن عباس في تفسير قوله : « رَبُّ الْعَالَمِينَ » ، قال :
(إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلقَ ثلَاثَ مائَةَ عالمٍ وبعْضُه نصفُ عَشَرَ عالمٍ
كُلَّ عالمٍ منهم يزيدُونَ ثلَاثِينَ عالماً مثْلَ آدمَ وَمَا ولَدَ آدمَ وَذَلِكَ
معنِيُّ قوله : « الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »)^(٢) (٣) انتهى .

واعلم أنَّ روایاتَ هَذَا المقامِ مُخْتَلِفةً)^(٤) جَدَّاً وَهِيَ مُتَفَقَّةٌ

ولفظه في المختصر : عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ مَنْ وَرَأَ شَمْسَكَمْ
هَذِهِ أَرْبَعِينَ عَيْنَ شَمْسٍ ، مَا بَيْنَ عَيْنَ شَمْسٍ إِلَى عَيْنَ شَمْسٍ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فِيهَا
خَلْقٌ كَثِيرٌ مَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ أَمْ لَمْ يَخْلُقْهُ . وَإِنَّ مَنْ وَرَأَ قَمَرَكَمْ
هَذِهِ أَرْبَعِينَ قَرْصًا (مِنَ الْقَمَرِ) ، مَا بَيْنَ الْقَرْصِ إِلَى الْقَرْصِ أَرْبَعِينَ عَامًا ، فِيهَا
خَلْقٌ كَثِيرٌ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامَ أَمْ لَمْ يَخْلُقْهُ ، قَدْ أَلْهَمَوْا
كَمَا أَلْهَمَ النَّحْلَةَ بِلَعْنِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي فِي كُلِّ الْأَوْقَاتِ ، وَقَدْ وَكَلْ بِهِمْ مَلَائِكَةٌ
مَتَى لَمْ يَلْعَنُوا عَذَابًا) .

(١) الخصال للصدوق : ٦٣٩ ح ١٤ ، والمحضر للحلبي : ٨٧ ح ٢٢٦ .

(٢) سورة الفاتحة : ٢ .

(٣) مشارق أنوار اليقين للبرسي : ٦٢ ، وتفسير القمي : ٢ / ٤٠٩ .
ولفظه في القمي : عن ابن عباس في قوله : « رَبُّ الْعَالَمِينَ » قال : (إِنَّ اللهَ عزَّ
وَجَلَّ خَلَقَ ثلَاثَ مائَةَ عالمٍ وبِعْضِهِ عَشَرَ عالماً خَلَفَ قَافَ وَخَلَفَ الْبَحَارَ السَّبْعَةَ
لَمْ يَعْصُوا اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ قَطْ وَلَمْ يَعْرُفُوا آدَمَ وَلَا وَلَدَهُ ، كُلَّ عالمٍ مِنْهُمْ يَزِيدُ عَلَى
ثلَاثَ مائَةَ وَثَلَاثَةَ عَشَرَ مِثْلَ آدَمَ وَمَا ولَدَ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : « إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ
الْعَالَمِينَ » [النَّكْوَرِ : ٢٩] .

(٤) في نسخة : مُخْتَلِفةُ الظَّاهِرِ .

المراد ، فالتي فيها سبعة أو سبعون ألف عالم أو أكثر كما روي (إن الله خلق^(١) ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، أنتم في آخر العوالم وأخر الآدميين ، لم يخلق منهم شيء من التراب إلا هذا العالم)^(٢) .

وفي بعضها : (إن الله ألف قنديل معلق بالعرش فسموا واتكم هذه وأرضكم في قنديل واحد)^(٣) الحديث .

فالمراد بها فروع جهات الغيب والشهادة ، فالسبعة كما ذكرناه مراراً أكمل الأعداد لتركيبه من أول فرد وهو الثلاثة وأول زوج وهو الأربعة ، فقد يعبر بها لكمال المعدود لا لخصوصية^(٤)

(١) في نسخة : (إن الله) .

(٢) الخصال للصدق : ٦٥٢ ح ٥٤ ، وبحار الأنوار : ٨ / ٣٧٥ ح ٢ باب ما يكون بعد دخول أهل الجنة ، وتوحيد الصدق : ٢٧٧ ح ٣٨ باب ٢ . ولفظه في التوحيد : عن جابر بن يزيد قال : سألت أبي جعفر عليه السلام عن قوله عز وجل : «أَنْفَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُنَّ فِي لَبَّيْنِ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» [ق : ١٥] قال : (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وسكن أهل الجنة وأهل النار النار جدد الله عالماً غير هذا العالم ، وجدد خلقاً من غير فحولة ولا إثاث ، يعبدونه ويوحدونه ، وخلق لهم أرضاً غير هذه الأرض تحملهم ، وسماء غير هذه السماء تظلهم ، لعلك ترى أن الله إنما خلق هذا العالم الواحد وتري أن الله لم يخلق بشراً غيركم ، بل والله لقد خلق الله ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين) .

(٣) لم نجد في ما تتوفر لدينا من مصادر .

(٤) في نسخة : خصوصية .

العدد ، وقد يراد بها العدد إذا كان في الأصول وكذلك ذكر الاثني عشر لكونه في الفروع ، وكذلك ذكر الأربعين في مقام مراتب الوجود المراتب العشر في الأدوار الأربع وذكر التسعة والثلاثين هو ذلك الأربعون^(١) العالم .

وبالجملة : إن هذه العوالم مقامات الوجود في تنزاته وذكراها^(٢) في العبارة في كل حديث باعتبار ما يقتضيه^(٣) الحال فمرة يلاحظ مراتب الوجود فيقول أربعون ومرة يلاحظ العوالم الثلاثة : الملك والملوك والجبروت في مقارنات الكلمات الأربع أو الفصول الأربع أو الأركان الأربع للعرش أو الملائكة الأربع^(٤) أو في الخلق والرزق والحياة والموت أو مقارنات^(٥) مع العساكر الثلاثة التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام (إن الله^(٦) في كل يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة)^(٧) انتهى .

(١) في نسخة : الأربعون بدون هذا .

(٢) في نسخة : ذكره .

(٣) في نسخة : يقتضيه .

(٤) في نسخة : الأربعة .

(٥) في نسخة : مقارنات من هذه .

(٦) في نسخة أخرى : (في أن) .

(٧) روضة الوعاظين للفتال النيسابوري : ٤٩ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٨٧ / ٢٤٣ ، وتفسير مجمع البيان : ٩ / ٣٣٨ .

أو غير ذلك ، فيقول اثني عشر عالماً وقد يلاحظ الأجناس
فيقول اثني عشر عالماً . فافهم الإشارة تجد الصواب .

وبمثل هذا التوجيه ينكشف عنك الريب ولا تلتفت إلى قول
من يقول إن هذا خرافات ، وإنما هي على المعنى المعروف بين
العوام أو إلى من يردها ويطرح الروايات ، ويقول ليس إلا هذا
العالم واقتدي بقول الشاعر :

**فَمَنْ كَانَ ذَا فَهُمْ يُشَاهِدُ مَا قُلْنَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَهُمْ فَيَأْخُذُهُ عَنَّا
فَمَا ثُمَّ إِلَّا مَا تَلَوَنَا عَلَيْكُمْ وَمِنَا إِلَيْكُمْ مَا وَهَبَنَاكُمْ مِنَّا**^(١)

وقولك : وأين هي هذه الأحاديث وأمثالها كثيرة توجد في
كتب عديدة كقصائد الصفار^(٢) ،

ولفظه في روضة الوعاظين والبحار : قال ابن عباس : (إن مما خلق الله لوحًا
محفوظًا من درة بيضاء حافظه ياقوتة حمراء كتابه نور وقلمه نور وعرضه ما بين
السماء والأرض ينظر الله فيه كل يوم ثلاثة مئة وستين نظرة ففي كل نظرة منها
يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله : « كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي
شَأنٍ » [الرحمن : ٢٩] ، ويقال : شأن الله سبحانه إنه يخرج في كل يوم وليلة
ثلاثة عساكر : عسيراً من الأصلاب إلى الأرحام ، وعسراً من الأرحام إلى
الدنيا ، وعسراً من الدنيا إلى القبور ثم يرتحلون إلى الله جمياً) .

(١) في نسخة أخرى :

فَمَا ثُمَّ إِلَّا مَا ذَكَرْنَاهُ فَأَعْتَمَدْ عَلَيْهِ وَكُنْ فِي الْحَالِ فِيهِ كَمَا كُنَّا

(٢) هو محمد بن الحسن الصفار ابن فروخ الصفار أبو جعفر الأعرج مولى عيسى بن
موسى بن طلحة بن عبد الله بن السائب بن مالك بن عامر الأشعري ، عالم جليل
له مؤلفات كثيرة منها : كتاب فضل القرآن ، والمثالب ، والمزار ، =

وبصائر سعد الأشعري^(١) ، وكتاب الحسن بن سليمان الحلبي^(٢) ،
ورووضة الكافي^(٣) وغيرها من الكتب فلتطلب منها .

في ذكر فائدة نزول جبرائيل

قال سلمه الله : ما فائدة^(٤) نزول جبرائيل على الرسول صلى الله عليه وآلـه ، مع أنه لا تراه الناس فيكون النبي يحيل على غائب [وقوله صلى الله عليه وآلـه : (أتاني جبرائيل)^(٥) لا يدفع شبهة

= والمناقب ، والرد على الغلاة ، والملاحم ، والجهاد ، والصلوة ، والنکاح ،
وغير ذلك . توفي سنة ٢٩٠ هـ .

(١) هو الشیخ سعد بن عبد الله بن أبي خلف الأشعري القمي ، المعاصر للإمام الحسن العسكري عليه السلام .

(٢) هو الشیخ عز الدين أبو محمد الحسن بن سليمان بن محمد بن خالد الحلبي ، المولد ، العاملی المحتد ، من تلامذة الشهید الأول المستشهد سنة ٧٨٦ هـ ، كان حیاً سنة ٨٠٢ هـ . انظر روضات الجنات : ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وأمل الآمل : ٢ / ٦٦ .

(٣) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلی البغدادی أبو جعفر الأعور .

كان زمـن وكـلـاء الإمام المـهـدـي عـجل الله تـعـالـى فـرـجـه ، اـنتـهـت إـلـيـه رـئـاسـة فـقـهـاء الإـمامـيـة فـي أـيـام المـقـتـدر .

توفي فـي بـغـدـاد فـي شـهـر شـعـبـان سـنـة ٣٢٩ هـ وـقـيل ٣٢٨ هـ .

(٤) في نسخة : وما .

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ٣٧ ح ٦٤ ، ومستدرک الوسائل : ٥ / ٤٢٣ ح ٤٢٥ .

المعاند قوله : (إنه يقول على الله []) ^(١) ، إلخ .

أقول : أعلم هداك الله تعالى أن الفائدة في نزول جبرئيل عليه السلام في مختصر القول شيطان والمانع من رؤيته لكل الناس ^(٢) شيطان ، أما أول الأولين فلما كان ما في الشهادة طبق ما في الغيب والمسيبات كالأسباب ، وقد علم أن العقل محاط بالمعاني والصدر محاط بصور ^(٣) المعلومات الذاتية ، وأن العقل عبارة عن المعاني والصدر عبارة عن الصور ، فقد يلحظ العقل معنى منه أو صورة من تلك الصور بها وتلك اللحظة شعور خاص منه ولحظة من لحظاته يتميز ذلك المعنى به من بين المعاني وكذلك الصورة فهي تخصيص من عام سواء كان ذلك المعنى في العقل بالفعل أو بالقوة ، فيقال : في بالي وفي خاطري ، ويقال : لما بالقوة إذا كان حينئذ بالفعل ، ورد على خاطري ، وأمثال ذلك ، فلا يمكن لشخص ^(٤) أن يعبر ^(٥) عن معنى من المعاني التي عنده إلا بتخصيص خاص غير ما به هو هو ، وذلك التخصيص والالتفات وارد منه إليه ^(٦) كانت الفائدة في

(١) زيادة من نسخة أخرى .

(٢) في نسخة : إنسان .

(٣) في نسخة : بالصور .

(٤) في نسخة : شخص .

(٥) في نسخة : يعبره .

(٦) في نسخة : عليه فعقل رسول الله صلى الله عليه وآله عقل الكل وجبرئيل وارد منه إليه .

نَزَولُ جَبْرِيلَ كَالْفَائِدَةِ فِي نَزَولٍ^(١) ذَلِكَ الْوَارِدُ مِنَ الْعُقْلِ عَلَيْهِ إِذْ
الظَّاهِرُ مِنَ الْبَاطِنِ وَالْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ لِيُظَهِّرَ لِلْخَلْقِ أَنَّهُ عَبْدٌ مَأْمُورٌ لَا
يُسْبِقُ اللَّهَ بِالْقَوْلِ وَهُوَ^(٢) بِأَمْرِهِ يَعْمَلُ .

وَأَمَّا الْأُولُى مِنَ الْمَانِعِينَ فَبَأْنَ^(٣) الْمَلْكُ لَا يُطِيقُ النَّاسَ رَؤْيَتَهُ ،
أَمَّا أُولَآءِ فَلَأَنَّ اللَّهَ حَكَمَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ إِذَا نَزَلَ الْمَلْكُ قَضَى عَلَيْهِمْ
لَا يَدْرِكُونَهُ إِلَّا أَنْ يَغِيرَ حَقَائِقَهُمْ وَيَجْعَلَهُمْ مِمَّنْ يُطِيقُ ذَلِكَ
فَيَكُونُونَ أَنْبِياءً أَوْ يَحْتَضِرُهُمُ الْمَوْتُ فَتَنْصُرُ فَنُوْسُهُمْ عَنِ الدُّنْيَا
فَيَقْتَضِي عَلَيْهِمْ ، لَأَنَّ مَنْ انْغَمَسَ فِي رِذَائِلِ أَشْرَاكِ الدُّنْيَا وَالنَّفْسِ
وَالشَّهْوَاتِ لَا يُشَاهِدُ الْمَلْكُوتَ ، وَأَمَّا ثَانِيَّا فَلَأَنَّ الْمَلْكَ إِنَّ^(٤) ظَهَرَ
بِصُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَ عَلَيْهَا لَمْ تَحْتَمِلْ رَؤْيَتَهُ عَقُولُهُمْ وَزَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ
مَا قَصَّ اللَّهُ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَآلِهِ جَبْرِيلَ فِي الْأَفْقَ الْأَعْلَى ، وَقَدْ مَلَأَ السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ وَرَاءَهُ نَزْلَةٌ
أُخْرَى عِنْدَ سُدْرَةِ الْمُنْتَهِيِّ وَلَهُ سَتُّ مِئَةُ أَلْفٍ جَنَاحٍ ، فَلَذَا قَالَ فِي
مَقَامِ الثَّنَاءِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا
كَطَفَ»^(٥) حَتَّى أَنَّهُ لَمْ يُرِهِ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خَلَقَ^(٦) اللَّهُ عَلَيْهَا مِنْ

(١) فِي نَسْخَةٍ : كَالنَّزْلَةِ فِي .

(٢) فِي نَسْخَةٍ : هُمْ .

(٣) فِي نَسْخَةٍ : أَنْ .

(٤) فِي نَسْخَةٍ : إِذْ .

(٥) سُورَةُ النَّجْمِ ، الآيَةُ : ١٧ .

(٦) فِي نَسْخَةٍ : خَلْقَهُ .

الأنبياء إلّا محمد صلى الله عليه وآلّه ، لأنّ غيره لم يطق رؤيته
فكيف عامة الناس ؟ !

وأما الثاني فلأنه لو ظهر للناس فإنما يظهر على صورة بني آدم
فإذا كثر ترددده وأنسوا به أنكروه أن يكون من الملائكة .

وقالوا : إنما يعلمه بشر^(١) فلا فضل له علينا ، لأنّه إذا جعل
رجالاً لبس عليهم ما يلبسون ، وأما نزوله في صورة دحية
الكلبي^(٢) قليل من كثير بحيث لم يأنسوا به فيمل أو ينكر ، وإذا
نزل بصورة دحية لم يفقد دحية عن موضعه وجبرائيل عند رسول الله
صلى الله عليه وآلّه على صورته ، فهذا أولاً .

وثانياً هو الفائدة في نزوله ولم يره الناس إلّا في مواضع
اقتضاء المصلحة ذلك على صورتهم .

الدليل العقلي على نبوة النبي والولي

قال : وما الدليل على النبي صلى الله عليه وآلّه والولي من
العقل لا من جهة المعجزة ؟

أقول : الدليل على ذلك معروف وهو مذكور في كتب العلماء
والحكماء والروايات وملخص البينة عليه على سبيل الاختصار
والاقتصر أن الله لما خلق ابن آدم ابتداء رحمة به وجده محتاجاً

(١) في نسخة : نعلم بشرأ .

(٢) في نسخة : فهو .

فأغناه وسائلًا فأعطاه ، وخلقه كما علمه فطلب الاستعداد منهم لفيضه وتكميله إياهم لينالوا منه ما طلبوا وذلك لا يكون إلا بطاعته ، ولا تكون إلا بما يريد ولا يعلم أحد ما يريد إلا بتعليمه ، ولا يمكن ذلك في حقهم^(١) إلا بالواسطة وهم الواسطة ، ثم يحافظ عن الواسطة فالأول النبي صلی الله علیه وآلہ والثانی الولي علیه السلام .

ووجه آخر أن الله خلق الإنسان كما علمه وهو في علمه أنه يقتضي الكمال ، ولا يتم إلا بكونه جامعاً مملكاً ، وما يكون كذلك يكون كثير الشؤون لا تفي حيلة أحدهم ولا وقته بجميع شؤونه ، وهو معنى قولهم : إن الله خلق الإنسان مدني الطبع لا يحسن معيشته إذا^(٢) انفرد وحده ليكون شؤون كلّ تامة بمعونة غيره ، ويلزم ذلك المجتمع^(٣) معاملة ويلزمهها سنة ، ويلزم كذلك بيان^(٤) ومعدل لحفظ النظام ، وذلك هو النبي صلی الله علیه وآلہ ، ولما كان ذلك النبي غير مخلد مع كثرة أحكام السنة ووقتها^(٥) وجب لذلك خليفة يقوم مقامه بمنزلته ويتصف بصفاته وهو الخليفة .

(١) في نسخة : حقهم وهم هم .

(٢) في نسخة : لو .

(٣) في نسخة : إلا اجتماع .

(٤) في نسخة : شأن .

(٥) في نسخة : ودقتها .

قال سلمه الله : وما معنى أن الإمام يخرج منه مثل عبد الله حتى يقول فيه : ابني عبد الله يحب ألا يعبد الله ، كيف يدخلهم الشيطان ساعة الجماع حتى يقع منهم شركة شيطان كما نطقت به الرواية في مشاركة الشيطان ؟ !

أقول : أعلم^(١) أن مادة الوجود في نفسها خالية عن الحكم عليها ولها من حيث هي ، وإنما الأحكام تلحق الصورة فالحكم العام يلحق للصورة النوعية والخاص للشخصية ألا ترى أن القلم إذا أصاب مداداً فإنما يلحقه حكم ذلك من غير الحكم بالحسن والسيء ، مثلاً : فإذا كتبت بذلك المداد الذي في القلم اسمي ذاتين مختلفين^(٢) في الخير والشر كان اسم الذات المقدسة حسناً واسم الأخرى سيئاً ، وكذلك حروف الهجاء ، وإلى هذا المعنى أشار الرضا عليه السلام لعمran الصابي في مفاد هذا المعنى قال : (فَلَمْ يَجْعَلْ لِلْحُرُوفِ فِي إِبْدَاعِهِ لَهَا مَعْنَى غَيْرَ أَنفُسَهَا يَتَنَاهِي ، وَلَا وَجْهًا) إلى أن قال : (وَالْحُرُوفُ لَا تَدْلِي عَلَى غَيْرِ نَفْسِهَا) .

قال المأمون : وكيف لا تدل على غير نفسها ؟

قال الرضا عليه السلام : (لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع

(١) في نسخة : أعلم هداك .

(٢) في نسخة : مختلفتين .

منها شيئاً بغير معنى أبداً فإذا ألف منها أحرف^(١) أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم تكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً^(٢) الحديث .

فإن^(٣) المعنى لم يكن شيئاً قبل الحروف كما أشرنا إليه فالمادة لا تجري عليها الأحكام من حيث هي وإنما تجري عليها بالصورة ، ألا ترى أن الفقهاء حكموا بأنه إذا نزا حيوان محرّم على محلّ كان حكم النسل منهما في التحليل والتحرير لاسم الذي هو خاصة الحقيقة وظاهرها ، وتلك الحقيقة تحققت وتميزت بالصورة ، فيكون^(٤) عبد الله من نطفة الإمام عليه السلام يجري على أحد وجهين كلّ منهما مراد .

أحدهما : أن تلك النطفة التي هي مادة عبد الله التي اقتضت صورته الذاتية له الشخصية لم تمسّ شيئاً من جسد الإمام عليه السلام ، وإنما مسه المطعم الطيب ، وتلك القوى سافلة في الغيب لها بذلك المطعم تعلق الرجوع بين المفترقين والجامع السابق للاقتراف هو الوجود ، وتحقق الضدية بعد الافتراق بمعونة تعفين

(١) في نسخة : (أحرف) .

(٢) توحيد الصدوق : ٤٣٧ باب ٦٥ ذكر مجلس الرضا علي بن موسى عليه السلام مع أهل الأديان ح ١ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٥٥ ، وبحار الأنوار : ١٠ / ٣١٥ .

(٣) في نسخة : فأبان أن .

(٤) في نسخة : ف تكون .

الرحم نظيره شجرة العنبر التي بالشيطان في أصلها ، فهي طيبة للأكل حيث لم يمسّ أكلها بول الرجس النجس ، فإذا غلت ظهر فيها رائحة البول بمعونة الحرارة ، فحرمت ونجست حتى يذهب ثلثاها ، وهو نصيب الشيطان ، فإن قيل فهل عبد الله كذلك ؟

قلنا : لو ذهب منه نصيب الشيطان ظهر لكنه ينقلب عن تلك الحقيقة .

قال الله تعالى : ﴿لَا يَرَأُلُّ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ﴾^(١) .

وأيضاً هذه أرض كربلاء قد يدخلها المؤمن بها فيدخل أرضاً من أراضي^(٢) الجنة ويدخلها غير المؤمن بها فلا يدخل ما دخل المؤمن ولا يرى ما رأى ، ويتخذ^(٣) فيها مواضع الغائط ويؤخذ منها التربة للسجود والتسبيح فيجب احترامها ، فافهم . ولهذا أمثلة كثيرة .

وثانيهما : النطفة التي تكون منها لا يلزم أن تكون بجرائمها ، بل كثيراً ما يحصل بالرائحة وهي تكيف الهواء بتلك النطفة ، لأن الرائحة من آثار ذي الريح وتلك الرائحة هي الوجود الذي أشرنا إليه سابقاً الخالي عن الحكم عليه وله ، فافهم .

(١) سورة التوبة ، الآية : ١١٠ .

(٢) في نسخة : أرضي .

(٣) في نسخة : تتخذ .

معنى حديث آل محمد عليهم السلام الصعب المستصعب

قال سلمه الله : وما معنى قول الصادق عليه السلام وهو في رواية فلا يحضرني : (إنني سألت الله أن يجعل هذا الأمر وهو الخلافة في ابني هذا ، وهو إسماعيل ، فأبى الله ذلك ولم يجعلها فيه) ^(١) كيف يسأل ذلك ؟ وهو يعرف الإمام عليه السلام الذي بعده ، وأن هذا لا يطيق ذلك ، ويعلم ما سبق في علم الله وباقى الكلام ظاهر ، ول يكن الجواب مسؤولاً حسب المكتنة .

أقول : وهذا المعنى مروي في الكافي وغيره ، اعلم أن هذا مما أشاروا عليهم السلام إليه من أن حديثهم : (صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أونبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان) ^(٢) ، وإنما كانت هذه الطوائف الثلاث تحتمله من تلك الفرق الثلاث لأنهم عليهم السلام يتكلمون بلسانهم ويجري كلامهم على مذاق أولئك الطوائف ، فيفهمون ^(٣) بذكائهم لأنه من ذكاء

(١) بصائر الدرجات : ٤٩٢ ح ١١ ، وبحار الأنوار : ٢٣ / ٧٢ ح ١٤ ، ولفظه فيما : (سألت وطلبت وقضيت إليه أن يجعل هذا الأمر إلى إسماعيل فأبى الله إلا أن يجعله لأبي الحسن موسى عليه السلام) .

(٢) مختصر البصائر : ٢٨٨ ح ٣٦٧ ، وبصائر الدرجات : ٢٢ ح ١٠ ، والبحار : ٢ / ٢ ح ١٩٢ ح ٣٤ والعوالم : ٣ / ٥٠٦ ح ٢٨ .

(٣) في نسخة : فيفهمونه .

ساداتهم ويعرفون كثيراً من مراداتهم كما أشار إليه الصادق عليه السلام ، على ما في بصائر الدرجات في تفسير قول أبيه الباقي عليه السلام : (إن حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكوان ثقيل مقنع) ^(١) الحديث .

قال عليه السلام في قوله عليه السلام : (ذكوان) ذكاء المؤمن .

أقسام المؤمن الممتحن

وأولئك الطوائف الثلاث هم المؤمنون حقاً إلا أن المؤمن الممتحن على قسمين :

قسم من أولي الأفئدة وقسم من أرباب القلوب ، فمن كان من أولي الأفئدة فاحتماله لكلامهم عليهم السلام احتمال عزم وثبات لأنهم ولهم ومعهم ، وأما من كان من أرباب القلوب فقد يتحمل كلامهم من باب العزيمة كأولي الأفئدة ، وقد يتحمله من باب التسليم وبشر المختفين ولا يكون حينئذ من أولي العزم بل قد يبقى إذ ذاك عنه كما جرى على أبيينا آدم عليه السلام فيأخذ العهد النوراني عليه من جهة صاحب الزمان عجل الله فرجه في عالم الذر ، حيث احتمل من باب التسليم ولم يتحمل من باب العزم ، فقال الله تعالى : «**وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ إِذَا آدَمَ مِنْ قَبْلُ**

(١) بصائر الدرجات : ٤١ ح ٣ ، والبحار : ٢ / ١٩١ ح ٢٧ .

فَنَسِيَ^(١) ، يعني في عالم الذر حيث أراه الأئمة المعصومين ، وأخذ عليه العهد لهم ، والقائم عليه السلام بينهم قائم ، كالكوكب الدرى يصلّى ، فقال الله تعالى : « وَلَمْ يَجْدَ لَهُ عَزْمًا^(٢) » فقال الصادق عليه السلام في ذلك ما معناه : (لم يقرّ ولم يجحد)^(٣) .

(١) سورة طه ، الآية : ١١٥ .

(٢) سورة طه ، الآية : ١١٥ .

(٣) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حَيْثُ خَلَقَ الْخَلْقَ خَلَقَ مَاءً عَذْبَاءً ، وَمَاءً مَالْحَاءَ أَجَاجَاءَ فَامْتَزَجَ الْمَاءُ اَنَّ ، وَأَخْذَ طَيْنًا مِنْ أَدِيمِ الْأَرْضِ فَعَرَكَ شَدِيدًا . فَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ وَهُمْ كَالذَّرِ يَدْبَوْنَ : إِلَى الْجَنَّةِ بِسَلَامٍ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي ، ثُمَّ قَالَ : « أَسْتَرِيْتُكُمْ قَالُوا بَلْ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ » [الأعراف : ١٧٢] . ثُمَّ أَخْذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيَّنَ ، فَقَالَ : « أَسْتَرِيْتُكُمْ » وَأَنَّ هَذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُهُ ، وَأَنَّ هَذَا عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ? « قَالُوا بَلْ » ، فَثَبَّتَ لَهُمُ الْنَّبُوَّةَ . وَأَخْذَ الْمِيثَاقَ عَلَى أُولَى الْعَزْمِ أَنْتِي رَبُّكُمْ ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُهُ ، وَعَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَأَوْصِيَّاهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ مِنْ بَعْدِهِ وَلَاهُ أَمْرِي ، وَخَرَازُ عَلْمِي ، وَأَنَّ الْمَهْدِيَّ أَنْتَصِرَ بِهِ لِدِينِي ، وَأَظْهِرَ بِهِ دُولَتِي ، وَأَنْتَقِمَ بِهِ مِنْ أَعْدَائِي ، وَأَعْبُدَ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا . قَالُوا : أَقْرَرْنَا يَا رَبَّ وَشَهَدْنَا ، وَلَمْ يَجْحُدْ آدَمُ وَلَمْ يَقْرَرْ ، فَثَبَّتَ الْعَزِيمَةَ لِهُولَاءِ الْخَسْمَةِ فِي الْمَهْدِيَّ وَلَمْ يَكُنْ لَآدَمَ عَزْمٌ عَلَى الإِقْرَارِ بِهِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزْ وَجْلٌ : « وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَيْنَا آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ^(٤) » [طه : ١١٥] قال : إنما هو : فَتَرَكَ ثُمَّ أَمْرَ نَارًا فَأَجْجَتْ فَقَالَ لِأَصْحَابِ الشَّمَاءِ : ادْخُلُوهَا فَهَا بُوْهَا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ : ادْخُلُوهَا فَدَخَلُوهَا فَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بِرْدًا وَسَلَامًا ، فَقَالَ أَصْحَابُ الشَّمَاءِ : يَارَبِّ أَقْلَنَا ، فَقَالَ : قَدْ أَقْلَتُكُمْ أَذْهَبُوا فَادْخُلُوهَا ، فَهَا بُوْهَا ، ثُمَّ ثَبَّتَ الطَّاعَةَ وَالْوَلَايَةَ وَالْمُعْصِيَةَ) انظر أصول الكافي : ٨ / ٢

وأما أولئك فهم الذين قال الله تعالى في شأنهم ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَاب﴾^(١).

والى هذا المعنى أشار الصادق عليه السلام كما في باب العقل من الكافي وكذلك الملائكة المقربون على قسمين ، وقد أشرنا إلى ذلك في أجوبة مسائل الشيخ عبد علي^(٢) التوبلي^(٣) فإذا ثبت هذا مضافاً إلى معنى قول أحدهما عليهما السلام : (إنني أتكلم بالكلمة وأريد بها أحد سبعين وجهها لي من كل منها المخرج)^(٤) الحديث .

ومضافاً إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّ السَّاعَةَ إِنِّي أَكَادُ أُخْفِيَهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾^(٥) .

= ح ١ ، ومحضر البصائر للحلبي : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤.

(١) سورة الزمر ، الآية : ٩.

(٢) هو الشيخ عبد علي بن محمد بن أحمد الخطيب التوبلي الجد حفصي البحرياني ، من تلامذة الشيخ حسين عصفور .

انظر تراجم الرجال للسيد أحمد الحسيني : ١ / ٣٠٧ .

(٣) في نسخة أخرى : عبد علي ابن الشيخ علي التوبلي الأولي .

(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إنني لأتكلم على سبعين وجهها في كلها المخرج) بصائر الدرجات : ٣٤٨ - ٣ ، والاختصاص : ٢٨٧ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ٣ / ٣٧٣ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٨ ح ٥٢ .

(٥) سورة طه ، الآية : ١٥ .

حالات الإمام المعصوم عليه السلام

فاعلم أن الإمام الولي عليه السلام له حالتان حالة ولاية وربوبية ، وهو حالة المعاني والأبواب ، وحالة إمامية وخلافة وهو حالة^(١) البشرية والعبودية ، ففي الحالة الأولى لا يسأل عما يفعل لأنه بالغ الحجة ، يفعل الله به ما يشاء ، فلما كان من تمام الحجة وقطع المعاذير في نصب الإمام اللاحق أن لا يكون الإمام السابق متهمًا في نصب من بعده ، ولا يكون ذلك حتى يقول لو كان الأمر إلى لأحببت أن تكون في غير هذا المقصود ، لأنه من باب تعليق المحال على المحال ومن باب الحقيقة ، لأنه لو كان الأمر إلى حادث فغير لذاته لم يكن عنه شيء^(٢) إلا باطلًا ، لأن الحادث من حيث نفسه لا يكون عنه حق وإنما الحق من الحق ، فإن موسى عليه السلام لما كان اختياره من قومه من جهة نفسه لم يقع على الصواب ، لأن الاختيار إنما يقع على الصواب إذا كان من العالم المطلق والعالم المطلق بالشيء إنما هو خالقه لا غير ، وأما سواه فلا إلا أن يكون به وما لا يكون للشيء إلا بغيره ليس له من أمر ذلك شيء وإنما الشيء لذلك الغير .

تمت^(٣).

(١) في نسخة : الحالة .

(٢) في نسخة : شيء ولو كان شيء لم يكن .

(٣) في نسخة : غير تامة .

٩ - رسالة في جواب الشیخ

محمد ابن الشیخ عبد علی القطیفی

عن عشر مسائل منها تأویل السبعة الأبحر

رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي

وبه ثقتي : الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين .

وبعد : فيقول العبد المسكين ، أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد ورد علي من الجناب المسدد الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي كتاب فيه مسائل استنجز جوابها وكشف حجابها فوافق ذلك توزع بال وكثرة اشتغال ، وقيل وقال ، فكتبت ما حضر لساعة ورود الخط عجالة ساعة وبدار طاعة وفيه :

تأويل السبعة الأبحر

قال سلمه الله : وما تأويل السبعة الأبحر ؟

أقول : قال الكاظم عليه السلام لما سأله يحيى بن أكثم عن ذلك قال : (هي عين الكبريت ، وعين اليمين^(١) ، وعين

(١) في التحف : (وعين النمر) .

أبرهوت ، وعين الطبرية ، وجمة^(١) ماسيدان^(٢) وجمة ناجروان) وفي نسخة : (بلغوران^(٣) وعين أفريقية)^(٤) (٥) الحديث .

وذلك نسبة الوجود مع أنه في نفسه واحد انقسم باعتبار قربه من المفيف وبعده ، وباعتبار قابلاته على أقسام سبعة إشارة إلى كماله في انقسامه إلى العدد الكامل ، وهذه الخمسة العيون والجمتان مختلفات ، فطيب^(٦) بارد كعين اليمين وخبيث منتزن أسود حار كعين أبرهوت ومحتلط بين الحار والبارد ، فإذا أخذ كان الجميع بارداً كعين الطبرية ، وبين الجاري كالعيون والراكد كالجمتين ، وفي المركبات الجسمية كعين الكبريت وغيرها ، وكل ذلك إشارة إلى أقسام الوجود وانقسامه يعني أن الوجود المقيد ثقيلة وخفيفة ولطيفة لو كان مداداً للكلمات وحصر فضائلها لنفت قبل أن تنفذ الكلمات عليهم السلام ، وكيف لا ، وإنما تحد أنفسها وتشير إلى نظائرها فكل قسم إنما يحصر ما فيه ويبقى

(١) الجمة بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، ويستشفى بها .

(٢) في البحار : وجمة ما سيدان تدعى لسان ، وجمة أفريقية تدعى بسيلان . وفي التحف : ماسبندان .

(٣) في المناقب والبحار : (عين باحوران) ، وفي الاحتجاج : (عين ماجروان) . رواه سابقاً المصنف بلفظ : (وجمة إفريقية) .

(٤) الاحتجاج : ٢٥٩ / ٢ ، ومناقب آل أبي طالب : ٣ / ٥٠٤ ، والبحار : ٥٠ / ١٦٦ ، وتحف العقول : ٤٧٩ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٢١٦ ح ٩٢ .

(٥) في نسخة أخرى : فطيب أبيض .

ما في الوجود المطلق الذي جمِيع الوجود المقيد فيه كلمة من ذلك البرق ، انتهى .

رفع التنافي بين تسديد الملك
لآل محمد وبين أنهم يزدادون علمًا

وأما قولكم : ما الجمع بين أن لهم عليهم السلام ملكاً
يسددهم^(١) وبين أنهم يزدادون^(٢) في كل جمعة^(٣) ؟

إنما يعلم أن هذا الملك روح القدس وهو العقل الأول وهو عقلهم عليهم السلام ، ولا ريب أن كل شخص إنما يسده عقله ، وإنما يكون مع الإمام الناطق دون الصامت إلا أنه مع الصامت بالوساطة والمقابلة فيظهر في الناطق كالصورة في المرأة ، وفي الصامت كالمرأة مع صورتها^(٤) في مرآة أخرى فافهم .

وحيث كان الفيض دائم المدد ، لأن المفاض عليه في حقيقته

(١) قال الإمام العسكري عليه السلام : (هذا روح القدس الموكل بالأئمة عليهم السلام يوفقهم ويسدهم ويزددهم بالعلم) الأنوار النعمانية : ٢ / ١٨ .

(٢) في نسخة أخرى : أن أنهم يزدادون .

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام : (ما من ليلة الجمعة إلا وافق رسول الله العرش ووافق الأئمة : ووافت معهم ، فما أرجع إلا بعلم مستفاد ، ولو لا ذلك لنفدي ما عندي) الكافي : ١ / ٢٥٤ باب أنهم يزدادون في ليلة الجمعة ٣ وما بعده . وفي رواية : (لو لا أنا زداد لأنفدنَا) الكافي : ١ / ٢٥٤ باب الإزيداد ح ١ - ٢ .

(٤) في نسخة أخرى : مع الصورة لها .

أن وجوده وشيئيته بالفيض وتحقّقها به وقيامها به قيام صدور لا قيام عروض فهو أبداً كأول حركة البروز ، فلذا قالوا : كانوا يزادون في كل ليلة جمعة ، ويراد بليلة الجمعة الليلة المباركة يعني ظلمة الكثرة في نفس^(١) الكل المعتبر عنها باللوح المحفوظ وبالصور^(٢) ، والزيادة دوام المدد كما قلنا هذا معنى مراد ، والثاني الزيادة في علمهم عليهم السلام كالزيادة للنخلة في ثمرها كل سنة فإنها لا تزاد^(٣) إلا بما في قوتها ، كذلك لا يزadون إلا بما في قوتهم إلى فعلهم عليهم السلام وإن كان في علمهم كله بالفعل لكنه في نفس الأمر بالقوة^(٤) ، وأما في نفس الأمر بالنسبة إلى المعلوم فإن من شروط قابلية المعلوم للعلم الوقت والمحل وسائل الأسباب ، وإذا تمت الأسباب كان من المحتمم وإلا جرى فيه البداء ، فافهم .

ما ينزل على آل محمد في ليالي القدر؟

وأما مسألة الإبرام والقضاء والأمر في الليالي الثلاث ليلة تسعة عشرة وإحدى وعشرين وثلاث وعشرين^(٥) من شهر رمضان .

(١) في نسخة أخرى : نقش .

(٢) في نسخة أخرى : بالصورة .

(٣) في نسخة أخرى : لا يزاد .

(٤) في نسخة أخرى : كله بالقوة لكن في بعض بالحقيقة .

(٥) في نسخة أخرى : تسعة عشرة وإحدى عشرة وثلاثة عشرة .

فاعلم أن المعلوم ليس بشيء قبل المشيّة وبها يكون شيئاً وفيه البداء قبل أن يراد ، وفي الإرادة يكون عينه وفيه البداء حتى يقدر ، وفي التقدير وضع الحدود من التشكّلات المعنوية من بقاء وفناً وأجل وغيرها وفيه البداء حتى يقضي ، وفي القضاء تمامه في نفسه وفيه البداء حتى يمضي بشرح عللته ووضع حدوده وأسبابه الدالة عليه وبه فلا بدأ^(١) حينئذ ، فيقدر^(٢) في ليلة تسع عشرة ويقضي^(٣) ، في ليلة إحدى وعشرين ويبرم في ليلة ثلاث وعشرين ، ويؤمر الإمام عليه السلام بذلك فيما تنزل عليه به الملائكة والروح في ليلة القدر .

في أن كل ما ثبت للنبي ثبت لآل محمد عليهم السلام
وأما ما سألت عنه من أمر الأئمة عليهم السلام وأنهم يثبت لهم ما يثبت للنبي صلى الله عليه وآله .

فاعلم أن كل ما ثبت^(٤) للنبي صلى الله عليه وآله ثبت لهم إلا أشياء استثنىت خاصة بالحرف الذي فضلهم به وما شاركوه^(٥) ، أنهم يرون من أمامهم ومن خلفهم سواء مثله ، وقد دلت الروايات

(١) في نسخة أخرى : فلا بد .

(٢) في نسخة أخرى : فيقضي .

(٣) في نسخة أخرى : يمضي .

(٤) في نسخة أخرى : يثبت .

(٥) في نسخة أخرى : شاركوه فيه .

على ذلك صريحاً وتعريفاً وعميناً وهي مذكورة في محالها فاطلبها لا يسعني^(١) الآن نسخها ومن الأدلة غير ذلك وهي^(٢) مما ت يريد أنه ورد عنهم عليهم السلام : (إن الله خلق أبدانهم من عليةن وخلق أرواحهم من فوق ذلك وخلق قلوب شيعتهم من فاضل طيّبتهم)^(٣) ، الحديث .

فإذا كان قلبك الذي لا فرق عنده^(٤) بين نظره وراء ، ولا

(١) في نسخة أخرى : إذا لا يسعني .

(٢) في نسخة أخرى : هو .

(٣) في الكافي بسنده عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : (إن الله خلقنا من نور عظمته ، ثم صور خلقنا من طينة مخزونه مكونة من تحت العرش ، فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيب وخلق أرواح شيعتنا من طيّبتنا ، وأبدانهم من طينة مخزونه مكونة أسفل من ذلك الطينة ، ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء ، ولذلك صرنا نحن وهم الناس وصار سائر الناس همجاً للنار وإلى النار) الكافي : ١ / ٣٨٩ ح ٢ ، والمحضر للحلي : ٢٨٣ ح ٣٧٦ ، وبصائر الدرجات : ٤٠ ح ١٠ ، وشرح الأسماء الحسنى : ٢٠٧ / ١ ، وعلل الشرائع : ١٧٧ / ٩٧ باب ح ١٥ . وروي في الكافي حديث آخر فيه : عن أبي يحيى الواسطي ، عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله خلقنا من عليةن وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليةن وخلق أجسادهم من دون ذلك ، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا) .

الكافى : ١ / ٣٨٩ ح ١ باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم السلام .

(٤) في نسخة أخرى : عنك .

أمام ، ولا فوق ، ولا تحت ، ولا قرب له ، ولا بعد هو^(١) من فاضل أجسادهم كالنور من المنير فانظر يكفيك فيما تطلب ، وأما غيرهم من الأنبياء والأوصياء فليسوا كذلك بل إذا شاؤوا ودعوا بالاسم الذي هو عندهم رأوا وإلا فلا .

وأما توثيق العلماء لبعض الرجال وتصححهم لبعض الروايات ، فهذا شأن من لم ير في الطريق يضع له عصا ليهتدى بها في الطريق والبصیر لا يحتاج إلى ذلك بل يعرف كلامهم عليهم السلام ويعرف مرادهم ، لأنه يتكلم على لسانهم ويخاطبونه بلسانه ويعرف هداتهم ولكن ليس كل من ادعاه صادقاً^(٢) ، وإنما كما قال الشاعر :

وَكُلُّ يَدْعَى وَصَلَا بِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تَقْرُ لَهُم بِذَائِكَأ^(٣)
وعلامة من أقرت له ليلي بالوصل أنك لا تراها تخالفه في كلمة فإذا رأيت من يدعى ذلك يستدل على مسألة مثلاً بألف حديث ووجد حديث يخالفه مما يعتبر لا يمكن توجيهه له فدعوه غير صادقة ، لأن كلامهم عليهم السلام ليس فيه اختلاف ، وإنما

(١) في نسخة أخرى : وهو .

(٢) في نسخة أخرى : صادق .

(٣) انظر شرح الأسماء الحسنی : ١ / ١١٦ .

الاختلاف فيمن اختلف من قوله تعالى : ﴿وَلَا يَرَأُونَ مُخْلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَّجِمَ رَبُّكَ﴾^(١).

ألا ترى كيف استثنى الشيعة من الاختلاف حيث رحمهم وخلقهم للرحمة كما في رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام .
وقولك : إن حصل لي ترجيح روایة فقهية من هذه الطريق^(٢) ، هل يجوز لي ألم لا ، وكذا في أصل المسألة ؟

أقول : إن كان ما عندك من الترجيح الباطني قاطعاً لحججة المعترض إن فهم يعني أنه وجداني إما بدليل الحكمة أو^(٣) بدليل الموعضة الحسنة ، فيجوز لك الترجيح للرواية بل يجوز التأسيس لأصل المسألة ، لأن هذا نص عن الكتاب والسنّة ، وعلامته أن لا تجد^(٤) ما يخالف ذلك في الكتاب والسنّة ، ولو وجد فإنما تكون مخالفته إما من باب عموم أو خصوص أو إطلاق أو تقييد أو غير ذلك وعرفت وجه المخالفة ووضعته موضعه الذي لا يخالف له أيضاً ويكون لذلك الدليل الباطني مستند من الكتاب والسنّة وثيق من ظاهر أو باطن أو باطن باطن أو ظاهر ظاهر أو

(١) سورة هود ، الآيات : ١١٨ ، ١١٩.

(٢) في نسخة أخرى : الطريقة .

(٣) في نسخة أخرى : وبدليل .

(٤) في نسخة أخرى : لا يوجد .

تأويل أو باطن تأويل فيكون^(١) كالأصل المقرر^(٢) المقطوع به ، وذلك الترجيح جزئي من ذلك الكلي وإلا فلا يجوز بحال .

علة أن عدد المعصومين أربعة عشر

وأما قولك : ما ووجه كون أهل العاصمة عليهم السلام أربعة عشر ؟

فأعلم أن السبعة أكمل الأعداد لاشتمالها على أول فرد وهو ثلاثة وأول زوج بعده ، فالسبعة عند أهل الحساب عدد كامل ، فإذا نسب إلى الغيب والشهادة في الحقائق كان الحقائق كأربعة عشر وإلى العلويات والسفليات أربعة عشر وإلى الركعة الأولى والثانية في الفاتحة كانت أربع عشرة آية والحرروف النورانية المصدر بها أوائل سور أربعة عشر حرفاً وعكسها الحروف الظلمانية ، أربعة عشر حرفاً وغيرها من الأشياء التي جرى فيها هذا العدد لكماله والسر في ذلك أن العالم بأسره لما كان في كتم العدم محتاجاً إليه سبحانه في إيجاده ، وليس عليه تعالي أن يوجد إلا كرماً وجوداً فلما وصف نفسه بالجود^(٣) وهبهم ما سأله ، وكان الخلق كلهم شيئاً واحداً كما أن فعله واحد كما أنه تعالي

(١) في نسخة أخرى : ويكون .

(٢) في نسخة أخرى : المقدار .

(٣) في نسخة أخرى : بالجواد .

واحد ، وكان عدد اسمه جواد أربعة عشر وعدد اسمه وهاب أربعة عشر وخلقهم بيده ويد عدده أربعة عشر وكان أهل البيت عليهم السلام يداً له يعني نعمة وقدرة كان عددهم أربعة عشر ، أَلَا ترى إلى منازل القمر إن ظهرت أربعة عشر وإن هبطت أربعة عشر .

وقولكم : هل الجهل المقابل للعقل هو الجهل البسيط أو المركب ، الخ ؟

فأعلم أن الجهل المقابل للعقل هو الجهل المركب البسيط^(١) ، لأن البسيط لم يعط وهذا الخبيث أعطى فلِمْ يقبل قيل له : فأدبر فأدبر ثم قيل له : أقبل فأدبر .

وأما قولك : وإن كان المركب فلِمْ يسبقه مرتبة إلّا مرتبة من سبق الكل تريده بذلك^(٢) من أين جاءه التركيب ؟

فأعلم : أن هذا الكلام كلام من لم يحضر ما هنالك أن هذا الجهل إنما وجد^(٣) بوجوده ضده العام وجوداً عرضية^(٤) ، وهو عقل الكل وقبل عقل الكل عالم الأمر وهو الوجود المطلق وعالم فأحببت أن أعرف وهو على أربعة أحوال وهي المشار إليها في آخر شرح الأبيات لابن فارس وهي النقطة يعني الرحمة والنفس

(١) في نسخة أخرى : لا البسيط .

(٢) في نسخة أخرى : بذلك أنه .

(٣) في نسخة أخرى : يوجد .

(٤) في نسخة أخرى : عرضياً .

الرحماني بفتح الفاء والسحاب المزجي والسحاب المترافق يعني الكاف المستديرة على نفسها ، وأما العقل فإنه وإن كان بسيطاً في نفسه وعند من دونه ولكنه عند من فوقه مركب من النار^(١) ، وإن شئت قلت من الوجود المطلق والماهية ، وإن شئت قلت من اللفظ والمعنى ، وإن شئت من السحاب والأرض الميتة إلى غير ذلك وهذا الجهل ظله وضده حرفًا بحرف على معنى طمس عن كل ذي شفتين فالجهل مركب من مقتضى وجوده وماهيته^(٢) الذاتية له فهو ظلمة بعضها فوق بعض والتقابل تقابل التضاد^(٣) ومعاندة بعد تحقق الجهل .

وأما تفسير هذه الأبيات الأعجمية العربية فقوله :

سَرَّ الْذِكْرُ ظَلَاماً تَظَهَرُ الْأَشْيَاء كَمَا هِي

يعني بالذكر أصل المشية لك وهو النور الذي خلقت منه كما قال عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)^(٤) .

(١) في نسخة أخرى : النار والدهن .

(٢) في نسخة أخرى : وجوده العرضي ومقتضى ماهية .

(٣) في نسخة أخرى : تضاد .

(٤) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) .

قال ابن عباس : كيف ينظر بنور الله ؟

قال عليه السلام : (لأننا خلقنا من نور الله وخلق شبيتنا من شعاع نورنا ، فهم أصفياء أبرار أطهار متوصمون نورهم يضيء على من سواهم كالبدر في الليلة الظلماء) بحار الأنوار : ٢٥ / ٢٠ ح ٣٢ ، وعيون أخبار الرضا : ٢ / ٢٠٠ =

وقوله : ظلاماً يعني سرح نظر فؤادك الذي هو محل معرفتك في الكثرة التي هي الظلام والليل تظهر الأشياء كما هي يعني لا كثرة فيها ، كما قال الشاعر :

كُلَّ شَيْءٍ فِيهِ مَعْنَى كُلَّ شَيْءٍ فَتَفَطَّنَ وَاصْرَفَ الدُّهْنَ إِلَيَّ
كَثْرَةً لَا تَتَنَاهَى عَدَدًا قَدْ طَوَّتْهَا وَحْدَةُ الْوَاحِدِ طَيْ
قوله :

لَيْسَ فِي الْكَوْنِ وُجُودٌ مُعَرَّبٌ إِلَّا لِمَا هِيَ
يعني ليس في الكون وجود حقيقي احترازاً عن الوجودات
العرضية فإنها ليست لما هي له ، وأما الوجود الحقيقي فهو لما
هو له وجد مثل قولهم فيما خلقت لأجله ، وكقوله تعالى : ﴿ بَلْ
أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ ﴾^(١).

وقوله :

هر وجود در چه چیزی قد بدا إلا فنا هي
يعني كل كمال فيما هو قد بدا إلا فنا تلك الأشياء بكل كمال
غير كمال الحق وهم وخيال .

= باب ٤٦ ح ١ ، ومدينة المعاجز : ١٥ / ٧ ح ٢٢٤٣ ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٣١ ح ١.

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٧١

وقوله :

لَيْسَ مَعْشُوقٌ كَلِيلٌ قَرَّتِ الْأَشْيَاءُ كَمَا هِيَ
 يعني ليس معشوق على الحقيقة بكمال^(١) حقي إلا هو تعالى
 قد قرت بذلك الأشياء وأقرت كلها له تعالى كما هي كذلك .

وقوله :

هِيَ قَدْ حَازَتْ وَفَاقَتْ غَيْرَ أَنِي وَالْتَّنَاهِي
 ومعناه أنها قد حازت حظها منه وفازت بمطلوبها منه وفاقت
 سواها به غير أنها مقرونة بالحدوث .

وقوله :

فَاطُوْ قِرْطَاسَ الْبَرَائَا عَنْ وُجُودِ لَا يُبَاهِي
 يعني بالقريطاس الرق الذي قام به الكتابة ، والمراد به وجود
 البرايا أي اطو وجودهم وكونهم في الأعيان والمعاني عن وجود
 ما له أصل يباهي غيره .

وقوله :

لَيْسَ بَعْدَ الْبَحْرِ مَذْ غَيْرَ فَيْضٍ لَا تَنَاهِي
 يعني ليس بعد الوجوب حق حقي^(٢) غير فيض منه لا تناهي
 فيه يعني دائماً .

(١) في نسخة أخرى : لجمال .

(٢) في نسخة أخرى : خفي .

قوله^(١) :

لَيْسَ بَعْدَ الْهَفْتِ نَارٌ غَيْرَ نُورٍ لَا يُبَاهِي
 يعني ليس بعد السبع النيران نار أي ليس بعد نار الوجوب نار
 ومظهر ذلك ليس بعد النيران السبع نار ولو كان بعد الوجوب
 ووجوب لكان النيران أربع عشرة غير نور من تلك النار الموقدة
 من الشجرة المباركة وهو لا يباهيها .

وقوله :

لَا تَعُدُّهُ شُوْمٌ كَلًا فَحَبِّبِي فِي سَمَاءٌ
 بل اجعل ذلك الممحو هو الإثبات وذلك الفناء هو البقاء
 فحببي^(٢) في سمائه يعني أنه باق غير مفقود والأشياء بالوجود^(٣) ،
 موجودة .

قوله :

بَعْدَ هَذَا النَّوْمَ قَيْضٌ أَبْرَزَ الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ
 يعني يحصل لك بعد أن تلقى نفسك كالنائم إذا ألقى جسده
 وسرحت روحه^(٤) ، وعاينت الملائكة ثم قال : أبرز الأشياء كما

(١) في نسخة أخرى : قوله .

(٢) في نسخة أخرى : فحببيه .

(٣) في نسخة أخرى : بالموجودة .

(٤) في نسخة أخرى : أبرز روحه .

هي يعني أعرف الأشياء على ما هي عليه أو أن ذلك الفيض أظهر
الأشياء على ما هي عليه لا بالقدم بل بالعدم .

قوله :

هَذِهِ عَشْرُ خِصَالٍ مَا بَقِيَ شَيْئاً يُضَاهِي
والمراد بعشر الكاملة هي المعانى المذكورة في هذه الأبيات
العشرة المستملة على جميع أحوال السالكين من البدايات إلى
النهايات .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين
تم في اليوم^(١) ، السابع من شهر شوال سنة ١٢٠٨ ثمان
ومئتين وألف .

والحمد لله رب العالمين .

(١) في نسخة أخرى : باليوم .

١٠ - رسالة في جواب الشيخ

محمد بن الشيخ علي بن
عبد الجبار القطيفي

عن عشر مسائل منها :

رسالة في جواب الشيخ

محمد بن الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي^(١)

شرح حديث : (العلم نقطة كثراها الجاهلون)

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد الأمين وآلـه
الطيبين الطاهرين .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : قد أرسل إلى الشيخ الممجد الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي بن عبد الجبار أ منه^(٢) الله من الخطأ والخلل وسده في القول والعمل أرسل إلى بمسائل عرضت له في حال بلبال وتشوش أحوال ، ولكن لما أعتنی بها في مثل ذلك الحال وجب على إذ ذاك إجابة السؤال إسعافاً لطلبه وإجابة لمسألته فنسخت صورة سؤاله على مجرى عادتني معه ، ومع أمثاله والله المستعان وعليه التكلان .

(١) في بعض النسخ : الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي بن عبد الجبار .

(٢) في نسخة أخرى : آمنه .

قال أيده الله تعالى : ونلتمنس من جناب مولانا أن يمن بجواب هذه المسائل سريعاً وهي : ما معنى العلم نقطة كثراها الجاهلون ، ما الوجوه المحتملة فيه على حسب المقامات ، وما هذه النقطة التي تجمع^(١) ، الشتات ، وما هذا العلم ؟

أقول : صورة الحديث على ما رواه في المجلى (العلم نقطة كثراها الجهال)^(٢) .

وبالجملة : فإن التفاوت في الجملة سهل بعد دخول الألف واللام المفيدة للعموم .

وأما كون العلم نقطة فلأنه لا اختلاف فيه ، ولا في مسائله في الحقيقة ، وإنما الاختلاف في مراتبه بحسب تفاوت مراتب المعلوم ، ولهذا كانت آيات الكتاب وأخبار السنة مختلفة وهي في الحقيقة متفقة ، إلا أن معنى هذا الحديث في كذا ومعنى الآخر في كذا ، كما ورد عنهم عليهم السلام : (أنهم لا يعلمون الغيب)^(٣)

(١) في نسخة أخرى : تجمع .

(٢) عوالى الالالى : ٤ / ٤ ح ١٢٩ ، وأعيان الشيعة : ٢ / ٥٩٢ ، وشرح إحقاق الحق : ٣٢ / ٥١ .

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام : (يا عجبأ لأقوام يزعمون أننا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فهربت متى فما علمت في أي بيوت الدار هي ؟) .

قال سدير : فلما أن قام عن مجلسه صار في منزله وأعلمت دخلت أنا وأبو بصير وميسر وقلنا له : جعلنا الله فداك سمعناك أنت تقول كذا وكذا في أمر =

حتى تبرأوا ممن يزعم ذلك فيهم ، وورد (أنهم يعلمون كل شيء مما كان وما يكون)^(١) فعلى تكثير العلم عند الجهال قال بعضهم : لا يعلمون الغيب ومن ادعاه فيهم فهو غال كافر .

وقال بعضهم : هم يعلمون الغيب وتلك الأخبار محمولة على التقية .

وهذان القولان من تكثير العلم .

وأما على أنه نقطة فحيث إن دعوى علم الغيب قد لا يحتمله من يسمعه إذ ليس كل ما يعلم يقال ، ولا كل ما يقال آن وقته ، ولا كل ما آن وقته حضر أهله وأنهم يتكلمون بالكلمة ويريدون منها أحد سبعين وجهاً^(٢) .

= خادمتك ، ونحن نزعم أنك تعلم علماً كثيراً ، ولا ننسبك إلى علم الغيب .
بصائر الدرجات : ٢٣٠ ح ٥

(١) قال أبو عبد الله عليه السلام : (والله إني لأعلم ما في السماوات والأرض ؛ وما كان وما يكون إلى أن تقوم الساعة ، ثم قال : أعلم من كتاب الله انظر إليه هكذا . ثم بسط كفيه) بصائر الدرجات : ١٢٧ ح ٢ باب علمهم بما في السماوات والأرض .

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : (ما يخفى على الإمام شيء) الخرایج والجرایح : ٢٧٩ .

وعن الإمام العسكري عليه السلام : (إن الله أعطى حجته معرفة كل شيء) أعلام الورى : ٣٥٧ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال : (إني لأتكلم على سبعين وجهاً في كلها =

معنى علم آل محمد عليهم السلام للغيب وعدمه

فإذا قلنا : إنهم لا يعلمون الغيب فالمراد بالغيب الذي لا يعلمونه هو غيب الهوية ورتبة الأزلية لامتناع ذلك على مقام الإمكان ، وإنما أريد هذا المعنى دون غيره مع إطلاق اللفظ من غير بيان دفعاً لظنون الغالبين وإزالة لتزويق المبطلين ولو بين هذا الإطلاق وقيد لما انطفأت نائرة الجهال ولكنه بين لأهل التبيين وعرف لتأسيس اليقين .

وإذا قلنا : إنهم يعلمون الغيب فالمراد أنهم يعلمون كل ما سوى مرتبة الوجوب مما حواه الإمكان من ذرات الوجود فلا منافاة .

وكذلك الكلام في الحقيقة والمجاز في اليد فإن يد الله حقيقة وإذا قلنا ليس له جارحة في كذلك وكذلك في رحمة الله وعيشه فالقول بأنه^(١) ، مجاز ، ولا يصح الحقيقة تكثيراً^(٢) للعلم والأصل في ذلك ما قلنا : إن العلم شيء واحد بسيط ، باعتبار أنه ليس على أنحاء مختلفة الكينونة لاستلزم اختلاف الكينونة اختلاف الذات البسيطة هذا خلف^(٣) .

= المخرج) بصائر الدرجات : ٣٤٨ ح ٥ - ٣ ، والاختصاص : ٢٨٧ ، ومناقب آل أبي طالب عليهم السلام : ٣٧٣ / ٣ ، وبحار الأنوار : ١٩٨ ح ٥٢ .

(١) في نسخة أخرى : بأن ذلك .

(٢) في نسخة أخرى : تكثير .

(٣) في نسخة أخرى : خلاف .

بيان ذلك : أن العلم صورة المعلوم والعلم ذات العالم وكينونته التي هي كونه على ما هو عليه فلا اختلاف في الذات البسيطة ، واختلاف المظاهر لاختلف المراتب والقابليات لا يوجب اختلاف الذات الظاهرة ، بخلاف ما لو اختلف المظاهر مع اتحاد الرتبة والجهة ، فإنها تدل على اختلاف الذات وجميع علوم الخلق إن جرت على كينونة واحدة بأن يكون الاختلاف إنما هو بالمراتب تكون نقطة وإن اختلفت في أنفسها وجبت^(١) .

اختلاف الذات وهو ممتنع ، لأن أحداً لا يشك أنه إذا حكم شخص بحرارة النار وشخص ببرودتها لا باعتبار آخر بل باعتبار الذي حكم به الآخر بالحرارة أن ذلك لا يصح أن يحكم بكون كل واحد من الحكمين علماً وأن ذلك إنما صدر عن الجهل فتسمية كل منها^(٢) ، تكثير العلم ومنه اختلاف العلماء في المسائل الشرعية إذ لو اقتصر في الحكم من كل منها على المعاينة لما وقع الاختلاف ولكن لمّا كان أمر المعاينة متعرساً أو متعدراً مع كثرة العلماء مع عموم البلوى من المكلفين وانتشار المكلفين في أقطار الأرض حيث لا يصح التعليل^(٣) ، كان الاقتصر على الظن في الحكم لسد الرمق ، كأكل الميتة في

(١) في نسخة أخرى : أوجبت .

(٢) في نسخة أخرى : منها علماً .

(٣) في نسخة أخرى : التعطيل .

المخصصة حتى يأتي الفرج من الله ، وليس المعاينة ما يدعى به بعض الناس من أن العمل بالخبر أو بالأية هو اليقين ، لأن ذلك إنما يحصل بما يثبت من الكتاب الذي قد أجمع على تأويله بلا خلاف من الفرق المحققة ومن الأخبار التي لا اختلاف فيها بلا خلاف ، ومن القياس الذي تعرف العقول عدله ، ولا تحتمل غيره .

وأما حصول اليقين بمجرد الترجيح في مواضع الاحتمال لغير أصحاب المعاينة فدونه خرط القتاد وكفى بمدّعيه بدون ذلك جهلاً وطريق^(١) ذلك الحكم في الآفاق وفي الأنفس ، فإذا رأيت^(٢) الطريق المخلوق الذي خلقه الله آية^(٣) لذلك الحكم ولغيره أو له خاصة فقد عاينت وحصل لك اليقين ، وإن كان في مواضع الخلاف والاحتمال إلا أنك إذا رأيت ذلك ذهب عنك الاختلاف وبطل لديك الاحتمال ولكن كما قال الشاعر : ضاع الكلام ، ولا^(٤) كلام ، ولا سكوت معجب .

ومعنى كون العلم نقطة أنه صفة الذات أو صفة الصفة وهذا في الحقيقة لا يخالف الواقع والقولان المختلفان إن كان تنافيهما في مادة واحدة كان أحدهما من العلم دون الآخر .

(١) في نسخة أخرى : طريق المعاينة في ذلك أن ترى طريق .

(٢) في نسخة أخرى : رأيت ذلك .

(٣) في نسخة أخرى : آياته .

(٤) في نسخة أخرى : فلا .

فإن قلت : إن كلاًّ منهما يسمى علمًا في الظاهر ، فكيف تنفي
تسميته بذلك ؟

قلت : إن الحديث ليس وارداً على ما ظهر ، وعلى ما تسميه
العامة علمًا بل على الحقيقة ، لأن المراد بالعلم الحقيقي المطابق
للواقع .

قال أيده الله تعالى : وورد (إن السنة ثلاثة وستون يوماً^(١)
هلالية فلما خلقت السماوات والأرض في ستة أيام اختزلت
منها فالسنة ثلاثة وستون يوماً) ما معناه^(٢) .

أقول : اعلم أن الله سبحانه وتعالى خلق اسماء بالحروف غير
متصوّت^(٣) ، وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه

(١) في الرسائل : يحجزها ، وفي الفقيه : فحجزها ، وفي الروضة والخصال : طرحت .

(٢) رسائل المرتضى : ٢ / ٢٩ ، والحدائق الناضرة : ١٣ / ٢٧٤ ، والخصال : ٦٠٢ ح ٧ ، ومن لا يحضره الفقيه : ٢ / ٢٧٠ ح ٢٠٤٢ ، وروضة الوعاظين : ٣٩٣ .

ولفظه في الخصال : عن الحسين بن علي بن يقطين عن بكر بن علي بن عبد العزيز عن أبيه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السنة كم يوماً هي ؟
قال : (ثلاثة وستون يوماً ، منها ستة أيام خلق الله عزوجل فيها الدنيا ،
فطرحت من أصل السنة فصارت السنة ثلاثة وستة وأربعين يوماً ،
يستحب أن يطوف الرجل في مقامه بمكة عدد أيام السنة ثلاثة وستة وستين
 أسبوعاً ، فإن لم يقدر على ذلك طاف ثلاثة وستين شوطاً) .

(٣) في نسخة أخرى : مصوت .

غير موصوف وباللون غير مصبوغ إلى آخر الكلام كما في رواية إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبد الله^(١) عليه السلام إلى أن قال : (فجعلها كلمة تامة على أربعة أركان ليس منها واحد^(٢) قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة لفافة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر هو الله تبارك وتعالى ، وسخر سبحانه لكل اسم من هذه الأسماء أربعة أركان فذلك اثني عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثة اسماءً فعلاً منسوباً إليها ، فهو الرحمن الرحيم الملك القدس الخالق الباري المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخير السميع البصير الحكيم العزيز العجبار المتكبر^(٣) إلخ .

(١) في نسخة أخرى : الصادق .

(٢) في نسخة أخرى : (واحداً) .

(٣) الكافي : ١ / ١١٢ ح ، والتوحيد : ١٩١ / ح ٣ ، وبحار الأنوار : ٤ /

١٦٦ ح ٨.

وتمامه كما في التوحيد : عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله تبارك وتعالى خلق اسماء بالحروف وهو عز وجل بالحروف غير منعوت وباللفظ غير منطق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار ، وبعد عنه الحدود محجوب عنه حسنه كل متوهם مستر غير مستور ، فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة أسماء لفافة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت ، فالظاهر هو الله تبارك وتعالى وسخر سبحانه لكل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثني عشر ركناً ، =

وإذا كانت الأسماء الثلاثة لكل واحد أربعة أركان وخلق لكل ركن ثلاثة اسمًا كان مجموع الأسماء التي على أركان الثلاثة الأسماء ثلاث مئة وستين اسمًا ، وتلك الأركان الأربع لكل اسم من الثلاثة على أحد الوجوه فظاهرها الطبائع الأربع ظهر على الأركان الفصول الأربع فأول كل من أركان الثلاثة الأسماء مظاهرها الحمل والأسد والقوس ، ومظاهر ثانيها الثور والسنبلة والجدي ، ومظاهر ثالثها الجوزاء والميزان والدلو ، ومظاهر رابعها السرطان والعقرب والحوت ، وكل ركن عليه ثلاثة وستون مظاهرها أيام الشهر الثلاثون فيكون مجموع السنة ثلاثة مئة وستون يوماً فاستجنت طبائع الأسماء وأسرارها في الأيام ، ثم لما كان الخلق لا يخرج إلى عالم الكون إلا مشروحاً مبيناً مرتبًا مسبباته^(١)

ثم خلق لكل ركن منها ثلاثة اسمًا فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدس الخالق البارئ المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخبير السميع البصير الحكيم العزيز الجبار المتكبر العلي العظيم المقتدر القادر السلام المؤمن المهيمن البارئ المنشئ البديع الرفيع الجليل الكريم الرزاق المحبي المميت الباущ الوارث ، بهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنة حتى تم ثلاثة مئة وستين اسمًا فهي نسبة لهذه الأسماء الثلاثة ، وهذه الأسماء الثلاثة أركان وحجب للاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة ، وذلك قوله عز وجل : « قَلْ آدُّعُوا اللَّهَ أَوْ آدُّعُوا الرَّحْمَنَ أَيَاً مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى » [الإسراء : ١١٠] .

(١) في نسخة أخرى : مسبباتاً .

على أسبابه للدلالة على الوحدانية كان خلق السماوات والأرض في ستة أيام ، لكن لما كانت أيام الكلي يجب أن تكون كلية وأيام الجزئي يجب أن تكون جزئية تحقيقاً للسببية كانت الأيام الستة التي خلقت فيها السماوات والأرض كلية ، فالأول يوم الأحد وهو العقل الأول بمنزلة النطفة للإنسان ، والثاني يوم الإثنين وهو النفس الكلية بمنزلة العلقة للإنسان ، والثالث يوم الثلاثاء وهو الطبيعة الكلية بمنزلة المضخة ، والرابع يوم الأربعاء وهو هيولى الكل بمنزلة العظام ، والخامس يوم الخميس بمنزلة اكتساع العظام لحماً وهو شكل الكل ، والسادس يوم الجمعة وهو جسم الكل بمنزلة إنشاء الخلق الآخر الذي هو نفخ الروح في الجسد وحيث كان لكل يوم اسم من الثلاثمائة والستين^(١) اسمًا اختصت الأيام^(٢) الكلية بالأسماء الكلية وهي البديع الباعث الباطن الآخر الظاهر الحكيم ، وحيث كانت هذه الستة الأسماء مهيمنة^(٣) على باقي الأسماء كانت الأيام الستة قد تقوم بها الأيام كلها وأيام السنة إنما يعدها القمر ، لأنه صاحب العدد والحساب والتفصيل وقد استقرت فيه قوى الأسماء الثلاثمائة والستين ، فإذا جرى في المنازل التي لو سار فيها كل منزلة باسم لم تنقص السنة ، ولكن

(١) في نسخة أخرى : الثلاثمائة والستين .

(٢) في نسخة أخرى : بالأيام .

(٣) في نسخة أخرى : المهيمنة .

القمر جرى بما حق فيه من جميع الأسماء قطع أزيد مما يخص اسمًا واحدًا والفلك لم يتقدر على جميع الأسماء لأن السنة الكلية لا تحويها المنازل الجزئية .

نعم ، توجد بكلها^(١) ، في كلها فيقطع الفلك في ثلاثة مئة وأربعة وخمسين يوماً لقوة سيره لما فيه من الزيادة المذكورة ، فاختزلت هذه الستة الأيام من السنة القمرية ، هذا^(٢) وجه باطن في جواب المسألة .

ووجه آخر : أن الأسماء الكلية ظهرت في أيام كلية بالنسبة وهي الأربعة الأيام التي خلقت فيها الأرض وأقواتها ، وهي فصل الربيع وفصل الصيف وفصل الخريف وفصل الشتاء ، واليومان اللذان خلقت فيها^(٣) السماوات وهو يوم المادة ويوم الصورة ، فاختزلت من الأيام الثلاثمائة والستين يوماً ، على نحو ما قلناه في الوجه السابق ، وهذا كله على مجرى القمر لما استجن فيه من قوى الأسماء ، كما تقدم .

هل يحس المؤمن بالنار في دخولها أم في خروجها؟

قال سلمه الله تعالى : وما معنى أن المؤمن إنما يحس بألم النار إذا خرج منها أما فيها فلا ؟

(١) في نسخة أخرى : كلها .

(٢) في نسخة أخرى : وهذا .

(٣) في نسخة أخرى : فيهما .

أقول : والأصل في ذلك أنه حالة الدخول وحالة الكون فيها الغالب عليه طبيعتها فهو وإن كان يتالم بنسبة ما فيه من الوجود إلا أن أغلبية ميل الطبيعة ينسيه حينئذ تألمه لشغله^(١) الطبيعة بما يجانسها ، وأما حالة الخروج فسببها أغلبية خيرات الوجود على طبيعة الإعدام التي هي طبيعة النار ، فيكون إذ ذاك حياً^(٢) فيتألم لقوة إحساسه كالمؤمن إذا زنى ، فإنه حال الدخول في الزنى وحال الزنى لا يحس بألم المعصية التي هي النار لخروج روح الإيمان منه المعبر عنه بأغلبية الطبيعة وإدبارها ، فإذا أفلع وتاب ذاق ألم المعصية لحياته بعود روح الإيمان التي هي الحياة وخروجها هو الموت ، ولهذا لا يحس بالنار أهل النار في الدنيا مع قوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ جَهَنَّمَ لَمُحِيطٌ بِالْكَفَرِينَ﴾^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿يَصُلُّونَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَافِلٍ﴾^(٤) ، فلا يحس بألم النار إلا من كان حياً ، قال تعالى : ﴿لَيَسْتَدِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾^(٥) ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَلَأَحْيِنَّهُ﴾^(٦) .

(١) في نسخة أخرى : لغفل .

(٢) في نسخة أخرى : حباً .

(٣) سورة التوبة ، الآية : ٤٩ .

(٤) سورة الإنفطار ، الآيات : ١٥ ، ١٦ .

(٥) سورة يس ، الآية : ٧٠ .

(٦) سورة الأنعام ، الآية : ١٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿أَنَّتِ يُمْسِحُ مَنِ فِي الْقُبُورِ﴾^(١) ، فافهم الإشارة .

بيان معنى الإحباط

قال سلمه الله تعالى : وما الجمع بين^(٢) النصوص والآيات الدال بعضها على الإحباط وبعضها على الجزاء بكل^(٣) حسنة كانت أم قبيحة ؟ .

أقول : اعلم أيدك الله تعالى أن الآيات والروايات الدالة على الإحباط فإنما هي في الأعمال المجتثة ، لأن الأعمال الصالحة إنما تكون ثابتة إذا كان أصلها ثابتاً أي متصلة بالوجود المتصل بالموجد سبحانه وتلك لا يتطرق إليها الإحباط ، لأن الإحباط إنما هو موازنة الحسنات بالسيئات ، وقد ثبت أن الحسنات وجودات والسيئات أعدام ، فلا يصح الموازنة بين الشيء وبين اللاشيء ، وأما الحسنات المجتثة وهي التي ما أوقعت على الوجه المأمور به ، بل أوقعت رباء مثلاً ، أو كانت مشروطة بشرط من الأعمال والمعتقدات أو غير ذلك ، فتكون تلك الحسنة لا أصل لها لأنها مجتثة لعدم اتصالها حقيقة بالوجود ، فهي صنم لا روح

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٢ .

(٢) في نسخة أخرى : من .

(٣) في نسخة أخرى : بكل الأعمال .

فيه فهي في الحقيقة عدم ، وتصح أن^(١) توزن بالسيئة العدم لأنها في الحقيقة من جنسها ، وفي مرتبتها ، ولهذا قال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوهُمْ كَسَبُّ بِقِيَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً﴾^(٢) .

ووجه آخر : وهو أن الموازنة تقتضي المعادلة بين الموزونين إما في الوزن الصنجي أو الطبيعي أو القيمي أو الوصفي أو الرتبي أو غير ذلك من اعتبارات الموازنة ، وليس بين الحسنة الثابتة وبين السيئة معادلة بنحو من اعتبارات الموازنة ، لا في الصنجي المعبر عنه بالكم هنا ، فإن السيئة بمثلها والحسنة بعشر ، فلا تصح الموازنة ، وأما الطبيعي فطبيعة الحسنة الحرارة والرطوبة أو البرودة والبرودة ، وطبيعة السيئة الحرارة واليبوسة أو البرودة واليبوسة فلا تصح موازنة علة الكون بعلة الفساد ، وإنما قلت : إن طبيعة الحسنة الحرارة والرطوبة والبرودة ، وعلة السيئة الحرارة واليبوسة والبرودة لما قلت : من علة الكون والفساد ، لأن الحسنات حياة المحسنين والسيئات ، كما مرّ عدم .

ولا يقال : إن الغضب لله طبعه الحرارة واليبوسة مع أنه طاعة وكذلك الصبر وإن الفراغة^(٣) والرضا برودة ويبوسة مع أنه طاعة .

(١) في نسخة أخرى : أو .

(٢) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

(٣) في نسخة أخرى : القناعة .

لأننا نقول : إن الروحالأمري الذي تستمد منه^(١) الأعمال التي كانت قبل ذلك طبيعتها بخلاف الكون هو مادة الحياة والكون في كل شيء وهو الماء الذي قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا ﴾^(٢) ، فحيث كانت تلك الأعمال مستمدة من تلك الروح انقلبت ما في طبائعها من علل الفساد إلى علل الكون وهذه إشارة ، وبيانها معروف عند أهل البيان ، وكذلك قيمة^(٣) الحسنات وألوانها ومراتبها لا توزن بها قيمة السيئات وألوانها ومراتبها إلى غير ذلك ، وقد بسطنا الكلام بما لا مزيد عليه في رسالتنا في أجوية الشيخ عبد الله بن محمد بن غدير تغمده الله بغفرانه^(٤) ورضوانه والآيات التي تدل على عدم الإحباط محكمة ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ ۗ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ ۗ ﴾^(٥) ، وغير ذلك^(٦) .

والنصوص والرواية والعقلاء^(٧) جارية على الاستشهاد بها في ذلك ، والآيات والروايات التي تدل على الإحباط متتشابهة تأويلها

(١) في نسخة أخرى : عنه .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٣٠ .

(٣) في نسخة أخرى : قيم .

(٤) في نسخة أخرى : برحمته .

(٥) سورة الزلزلة ، الآيات : ٧ ، ٨ .

(٦) سورة البقرة ، الآية : ٢٨٦ .

(٧) في نسخة أخرى : العقل .

في الأخبار الجامدة بين هذه وبين تلك والتدبر شاهد به ، وهو أن الإحباط إنما يكون في الحسنات المجتثة الباطلة فإنها تكون ظاهراً في صورة الحسنة وإن كانت في الباطن سيئة ، بل أسوأ من السيئة فإذا قابلتها السيئة بطلت صورتها ، فرجعت إلى أصلها السيء ، ولذا ورد أنه إذا دخل في العبادة بنية صادقة لا يضره ما طرأ عليه من العجب ، فهذا وأمثالها هو الجمع بين الآيات والروايات فلا إحباط وإلا لزم الظلم^(١) ، كما أشرنا إليه سابقاً لعدم إمكان الموازنة ، فافهم .

في تخفيف الذنوب وزوالها

قال أيده الله تعالى : وفي النصوص أن الذنوب إنما تخفف بالتصفية في كلّ بحسبه حتى أن منهم من لا يطهره إلا النار هذا في أهل الإيمان ، وفي روايات : أن كثيراً من الناس يسقط عنهم العقاب بالواسطة منهم^(٢) ، أو من خواصهم ، فهل الشفاعة مختصة ببعض دون آخر ما المرجح وما برهانه مع أن غير المخلد إنما يخرج من النار بإيمانه لا بالشفاعة إذ لا أثر لها ، ولو قلنا إن الإيمان منهم فهم^(٣) المشفعون والشفاعة من الدنيا حاصلة وهو

(١) في نسخة أخرى : الظلمة .

(٢) في نسخة أخرى : عنهم .

(٣) في نسخة أخرى : فهو .

وإن كان حقاً إلا أنه لا إسقاط حينئذ وباقى البيان موكول لفهم^(١) سيدنا ، انتهى .

أقول : لا يخفى أن الذنوب إنما تخفف بالتصفية إلا أن من التصفية أهواه البرزخ وأهواه المحسنة ودخول النار والشفاعة أما غير الشفاعة فظاهر .

في الشفاعة واحتصاصها

وأما الشفاعة : فاعلم أن أصل قابلية الأشياء للوجود الذي هو الخير المحسن إنما هو بواسطة الشفاعة وإلى ذلك الإشارة بقول علي عليه السلام : (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتنا)^(٢) ، فهم الوسائل بين الخالق والخلائق في كل شيء ، وهم^(٣) الأبواب للجواد الوهاب ، فافهم .

(١) في نسخة أخرى : إلى فهم .

(٢) في بصائر الدرجات عن الأصيغ بن نباتة قال : كنت عند أمير المؤمنين عليه السلام جالساً فجاءه رجل ، فقال له يا أمير المؤمنين : « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًاً بِسِيَّمَهُمْ » [الأعراف : ٤٦] فقال له عليه السلام : (على الأعراف نحن نعرف أنصارنا بسيماهم ، ونحن الأعراف الذي لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا ، ونحن الأعراف نوقف يوم القيمة بين الجنة والنار ، فلا يدخل الجنة إلا من عرَّفَنا وعرفناه ، ولا يدخل النار إلا من أنكرنا وأنكرناه ، وذلك بأن الله تبارك وتعالى لو شاء عرَّفَ الناس نفسه حتى يعْرَفُوا حَدَّه ، ويأتوه من بابه ولكن جعلنا أبوابه وصراطه وسيله وبابه (والوجه) الذي يؤتى منه) بصائر الدرجات : ٥١٧ ح ٦ ، وأصول الكافي : ١ / ١٨٤ ح ٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٣٨ .

(٣) في نسخة أخرى : هو .

فالتصفية في الحقيقة إنما هي كسر المصفى وصياغته على الفطرة المستلزمة لفعل الخير وذلك إذا اعوججت الطبيعة وخالفت الفطرة التي هي صفة فعل الله^(١) بسبب عارض غريب لما بين ذلك العارض الغريب وبين الطبيعة التي هي خلاف كينونة الحق سبحانه من المناسبة لأن الغريب غير الفطرة ، فكونه خلاف كونها والطبيعة كونها خلاف كون الفطرة فتوافقا على مخالفة الفطرة ، والتصفية كسر تلك الصورة المخالفة الشيطانية ، وصياغة هيولاها الثانية على صورة الفطرة لتطابق الفطرة ، فتقتضى مقتضاهما والمصفى هو الواسطة وهو الشافع ، وبيان ذلك أن الأشياء على ثلاثة أقسام :

قسم صبغته تزيد على وجوده الأول ويكون فيها فضل وقسم
صبغته بقدر وجوده .

وقسم صبغته أقل من وجوده فالقسم الأول كالسراج ، فإن فيه من النور ما يزيد على وجوده فلذا كان ظاهراً في نفسه ومظهراً لغيره ، أما كونه ظاهراً في نفسه فيحصل بصبغة تساوي وجوده كالقسم الثاني ، وأما أنه مظهر لغيره فلأنه مكمل لما كان صبغته أقل من وجوده كالقسم الثالث ، وهي الأشياء الغاسقة التي تحتاج في كونها ظاهرة في نفسها إلى الضياء من غيرها^(٢) ، كالجمادات

(١) في نسخة أخرى : صفة فعله .

(٢) في نسخة أخرى : من غير .

الغاسقة فإنها لا تستبين في الظلمة وإذا كانت الصبغة بقدر الوجود استبيان ذلك شيء مطلقاً كالقسم الثاني مثل الجمرة فإنها تظهر في الظلمة والزيادة التي في القسم الأول كالسراج من الصبغة بحيث تكون تلك الزيادة مظيرة لغيرها من الموجودات الغاسقة مكملة لما نقص من صبغتها عن وجودها والشافع من القسم الأول وهو الذي صبغته تزيد على وجوده والطبيعة الموجبة^(١) ، كما قلنا إنما اعوجت لقلة ما فيها من الصبغة ، فإذا قابلها الشافع كمل ما نقص فيها ووصلها بفضل لطيفته وألحقها بأوائل جواهر عللها ومعنى كسره لها صوغه لها على هيكل الفطرة الذي هو هيكل الصبغة ، ومعنى الصبغة هي الإيجاد الثاني ، ومعنى الوجود الإيجاد الأول فالكل في الحقيقة وجود ، وإلى ذلك المعنى الذي أشرنا إليه من أن التصفية من الشفاعة قول الحجۃ عليه السلام في دعائه لشيعته : (إِنْ خَفَّتْ مُوازِينُهُمْ فَثَقَلَهَا بِفَاضِلْ حَسَنَاتِنَا)^(٢) ، الخ ، فخفة الميزان من المعصية لأنها عدم لا وجود والعدم لا شيء .

قال تعالى : « حَقَّ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً »^(٣) وتشقيله بفاضل حسناتهم عليهم السلام تصفية وكسر للخفة وصوغها ثقيلة بذلك الفاضل لأنه وجود ، وإنما قالوا عليهم السلام بفاضل

(١) في نسخة أخرى : المعوجة .

(٢) بحار الأنوار : ٥٣ / ٣٠٣ حكاية : ٥٤ .

(٣) سورة النور ، الآية : ٣٩ .

حسناتنا لأنهم عليهم السلام يعملون من الصالحات أزيد مما به النجاة والخروج عن ربقة التقصير وبتلك الزيادة سموا سابقين وكانوا مقربين ، والحسنات هي الصبغة ، والوجود الثاني^(١) هذا في الباطن الذوقي .

وأما في الظاهر أيضاً فليس ثمّ منافاة بين الأدلة ، لأن التصفية لأناس كانت ذنوبهم تقابلها محن الدنيا وشدائد الموت والمحاسبة والقبر والبرزخ وأهوال القيامة والشفاعة لقوم ذنوبهم لا تقابلها تلك المحن ، وربما تكون الشفاعة بعد دخول النار لأنها من التصفية ، فلا تختص الشفاعة بأناس دون آخرين ، إلا أن لها شرطاً وهو أن يجري عليه الرضا بوجه من الوجوه .

قال الله تعالى : ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَى﴾^(٢) ، لأن الشفاعة لا يحسن لغير من ارضى دينه ، وكذلك التصفية لا تجري إلا بهذا الشرط وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى : ﴿وَلِيَمْحَصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣) ، فكانت التصفية والامتحان تمحيصاً للذين آمنوا ومحقاً للكافرين ، فظهر مما أشرنا أن الشفاعة لا تختص ولكنها غاية التصفية والتمحص ، وبذلك يظهر المرجع ويظهر البرهان .

(١) في نسخة أخرى : الثاني بيان هذا .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٤١ .

وقوله سلمه الله تعالى : مع أن غير المخلد إنما يخرج من النار بإيمانه لا بالشفاعة إذ لا أثر لها ، الخ ، يظهر جوابه مما قلنا ، لأن ذلك إنما يخرج من النار بعد التصفية بمعنى أنه لا يبقى عليه ذنب يعاقب به فيخرج لعدم الموجب لعقابه مع بقاء الموجب لشوابه وهو الإيمان ، فإن خرج بعد فناء جميع ذنوبه فذلك من التصفية وقد سمعتها وأنها من الشفاعة ، وإن بقي من ذنوبه شيء فلا يخرج إلا بالشفاعة .

وقوله : والشفاعة من الدنيا حاصلة ، هو ما ذكرناه سابقاً .

وقوله : إلا أنه لا إسقاط حينئذ ، الخ ، مرّ بيانه بأن الشفاعة إسقاط سواء جرت على سبيل التصفية أو على ظاهر الشفاعة أو على صورة الإيمان لما قلنا : من أن فاضل الصبغة تكسر صورة الطبيعة المخالفة للفطرة بمحو الموهوم ، وتصوغها على هيكل صورة المعلوم ، فراجع .

زمان البلوغ

قال سلمه الله تعالى : وما أول الميزان^(١) الذي يجب فيه معرفة الله ، هل هو متى حصلت للمكلف قوة التمييز وإن لم يبلغ البلوغ الشرعي ، إذ معرفته وشكره واجب عقلًا ، فلا يتوقف على

(١) في نسخة أخرى : الزمان .

توقيت شرعي وإلا لزم خلاف المفروض ، أو أوله البلوغ الشرعي وإن كان وجوبه عقلياً ، بَيْنَا لَنَا حقيقة الحال .

أقول : أما في الظاهر فإن أول ما يجب من^(١) المعرفة من الزمان هو عند البلوغ وما سبق على ذلك فلا يعتمد على أثره ، ولهذا قال الفقهاء : إن المميز لو أسلم دون أبيه لا يعتبر إسلامه فلا يصح عتقه في الرقبة المؤمنة .

نعم ، يفرق بينه وبين أبيه لثلا يستزلاه عن عزيمته ، وهذا معنى عدم الاعتماد على أثره فإذا كان أثره غير معتمد لا يجب^(٢) قبل البلوغ وإلا لكان أثره معتمداً ويترب عليه أحكام الإسلام .
نعم مسألة المثال المذكور فيها خلاف هل يعتبر إسلام الصبي المميز فيجري عليه الأحكام أم لا ؟

والذي يظهر لي أن ما يتعلق بالآخرة من الأحكام يجري^(٣) على إسلام الصبي المميز في ثوابه وعقابه وما يتعلق بالدنيا مما يترب عليه أحوال المعاملات وغيرها لا تجري عليه ، نعم يلزم من باب التمرير بما يتأدى به الواجب ولو بعد حين .

وأما في الباطن فأول ما يجب فيه المعرفة من الزمان ما أدرك فيه الصبي أن له صانعاً هو صانع كل شيء ، فيجب عليه ما

(١) في نسخة أخرى : تجب فيه .

(٢) في نسخة أخرى : لا تجب .

(٣) في نسخة أخرى : تجري .

يحتمله في كل وقت من مراتب المعرفة من غير توقيت شرعي ، لأن النور الذي يقع في قلبه لا يكون دفعه فيكون وجوب المعرفة دفعه بل يقع في قلبه بالتدريج ، فيتم عند البلوغ ، ويقوى إلى ثمانية عشرة سنة ، ويشتد عند ثلاثين سنة أو ثلاثة وثلاثين ، ويكمل عند الأربعين ، وعند كل مقام يجب فيه ما يخصه من المعرفة باعتبار النور الواقع في قلبه من العقل المطبوع وباعتبار القول^(١) الظاهر في قلبه من العقل المسموع .

وأما أنه وجوبه عقلي فذلك باعتبار الدليل وإنما شرعي بل العقل شرع باطن والشرع عقل ظاهر فيلزم من هذا وجوب التوقيت ، أما في الظاهر فعند البلوغ الظاهر ، وأما في الباطن فعند البلوغ الباطن فإذا بلغ حدًا وجوب عليه ما فيه من المعرفة سواء كان ذلك البلوغ مطبوعاً أم مسماوماً ، فافهم .

مسألة القاصد في صلاة المسافر

قال أيده الله تعالى : وهل القاصد لأربعة فراسخ ولم يرجع إلى يومه هل هو بال الخيار أم يجب عليه الإتمام إلا أن يرجع ليومه ما اختياركم وما محمل روایات عرفة ؟

أقول : القاصد إلى أربعة فراسخ ولم يرد الرجوع ليومه يجب عليه الإتمام في الصوم والصلاة ، ولا معنى للتخيير كما يذهب

(١) في نسخة أخرى : النور .

إليه^(١) الشيخ الطوسي^(٢) ، ولا يقصر^(٣) في الصلاة دون الصوم كما يذهب إليه^(٤) الشيخ المفيد^(٥) ، ولا أن شرط القصر أن يعزّم على الرجوع قبل عشرة أيام كما يذهب إليه ابن أبي عقيل ، بل الذي نختاره وجوب الإتمام على من قصد الأربعـة إلا أن ينوي الرجوع ليومه والأخبار صريحة باعتبار ثمانية فراسخ في القصر^(٦) ، وأن الأقل منها يجب فيه الإتمام ومن تتبع الأخبار وجد فيها هذا الحكم ليس عليه غبار .

وأما ما يدل على أن القصر يكون (في بريد) ، فهي قابلة للتأويل مخصصة بمثل صحيحـة معاوية بن عمار وموثقة محمد بن

(١) انظر المذهب البارع للحلـي : ١ / ٤٩١ .

(٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي ، من تلاميذـ الشيخ المفيد . ولد في شهر رمضان سنة ٣٨٥ هـ .

توفي في سنة ٤٦٠ هـ وقيل سنة ٤٥٨ .

(٣) في نسخة أخرى : لا للقصر .

(٤) انظر المقنعة للمفيد : ٣٥٠ باب ٢٢ حكم المسافر في الصيام .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان الحارثي العكـري البغدادـي . ولد في الحادي عشر من ذي القعـدة سنة ٣٣٦ هـ بسوـقة ابن البـصـري من عـكـراء .

توفي رحـمه الله لـيلة الجمعة لـثلاث ليـال خـلـون من شهر رمضان سـنة ثـلـاث عشرـة وأربعـة (٤١٣) بـبغـداد ، وصلـى عـلـيه تلمـيـذه السـيد المرتضـى .

(٦) انظر الخـصال : ٦٠٤ ح ٩ ، وعلـلـ الشـرـائـعـ : ١ / ٢٦٦ بـاب ١٨٢ ح ٩ . وعيـونـ أـخـبـارـ الرـضاـ عـلـيهـ السـلامـ : ١ / ١١٧ ح ١ .

مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام بعد أن سأله عن التقصير فقال : (في بريد) ، فاستغرب محمد بن مسلم هذا الحكم لشهرة كون القصر إنما هو في الثمانية لا أقل ، فلما قال له في بريد قال محمد ابن مسلم : في بريد ، فقال عليه السلام : (إذا ذهب بريداً ورجل بريداً فقد شغل يومه) ^(١) .

فبين عليه السلام أن البريد إنما يكون مسافة للقصر إذا ذهب ورجل في يومه ، بحيث يشغل بالذهب والإياب يومه ، وهو حجة المشهور ، وعملهم يعتمد الرواية المذكورة ، وهي مستند حكمهم بالتقييد .

وأما أخبار عرفة فهي محمولة على التقىة .

ولا يقال : إن هذه الروايات تدل على خلاف مقتضى التقىة ، لأن الجمهور منهم من يرى القصر في ثلاثة أيام ومنهم في يوم وليلة ومنهم في راحة ، وأما أخبار عرفة فإنها تدل على حصول القصر في بريد ، ولم يقل به أحد من الجمهور .

لأننا نقول : إن التقىة كما هو الأصح لا تنحصر في أقوالهم الموجودة ، بل يجوز أن تحصل التقىة بمجرد حصول الخلاف بين هذه الفرق ، فإن إلقاء الخلاف بينهم مطلوب لأهل العصمة عليهم

(١) وسائل الشيعة : ٥ / ٤٩٦ ح ٩ ، ومستدرك الوسائل : ١٣ / ١٩٥
ح ١٥٠٨٠ ، وتنكرة الفقهاء للحلبي : ٤ / ٣٧٣

السلام لتسليم شيعتهم كما تدل عليه رواية عبيد بن زراة على أنه ربما يكون به قائل من الجمهور فيما مضى أو فيما يأتي ، لأن أقوالهم ليس^(١) ممحضه لأنها دائرة مدار الرأي والاستحسان والقياس والمماراة والمباهاة كما تشعر به النصوص وهنا محمل لتلك الأخبار أيضاً وهو أن مكة شرفها الله تعالى^(٢) من الموضع الأربعه التي يستحب فيها الإتمام للمسافر ، وورد أيضاً استحباب نية الإقامة لمن أراد إتمام الصلاة هناك يومين أو أكثر تشبيهاً بناوي الإقامة عشرأ ليصللي تماماً لسر الله في البقعة ولصورة نية التمام وهكذا^(٣) يصللي تماماً ما دام في مكة ، فإذا خرج إلى عرفة صلى قصراً ، لأنه مسافر لم يقطع سفره بالقواعد المذكورة للسفر فلعل تلك الأخبار جرت على هؤلاء فإنهم أهل^(٤) مكة في الجملة لنية الإقامة اليومين والثلاثة ، ومرد ذلك إلى التقية كما قلنا وإذا قام الاحتمال بطل الاستدلال ، والمشهور أعرضوا عن هذه الأخبار^(٥) التي لها تعلق بما نختاره ، من أراد ذلك طلبها .

(١) في نسخة أخرى : ليست .

(٢) في نسخة أخرى : مكة شرفها من .

(٣) في نسخة أخرى : هذا .

(٤) في نسخة أخرى : من أهل .

(٥) في نسخة أخرى : ... عن هذه الأخبار ووضعوها في زاوية الطرح والهجران علمأ منهم باختصاص القصر في الثمانية الفراسخ ، وقد ذكرنا جواب هذه المسألة في المسائل التي كتبنا للشيخ عبد الله بن غديره وذكرنا الأخبار التي .

طلاق الغائب لزوجته

**قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا حَدَ الزَّمَانِ الَّذِي يَجُوزُ مَعَهُ تَطْليقُ
الغائب زوجته ؟**

أقول : أعلم أن الغائب عن زوجته مدة يظن فيها انتقالها من الطهر الذي واقعها فيه إلى طهر آخر ، ويكتفى في ذلك الظن المستند إلى الأمارة العادية فإنه يعرف عادتها ولو باستواء شهرين في الابتداء وهذا أمر أغلبي ، وأما عدم حصول الظن له لعدم تلك الأمارة كأن تكون مبتدئة أو مضطربة لم يستقر لها عادة وقتية فهو قليل الوقع بالنسبة إلى الأولى .

نعم ، لو كان ذلك وجب عليه تحصيل الظن وهو قد يحصل بما يكون عليه أكثر النساء ، بل بما لا يكون نادراً جداً كأن تحيسن في كل سنة مرة أو في كل تسعة أشهر مرة ، ولهذا ورد التحديد بالشهر كما هو في غالبية النساء^(١) .

وورد في ثلاثة أشهر كما في صحيحه جميل^(٢) ، لوجود ذلك في المسترآبات من النساء^(٣) .

وورد خمسة أو ستة أشهر كما في بعض النساء^(٤) .

(١) انظر الكافي : ٦ / ٧٩ ح ١ وما بعده ، وشرائع الإسلام للمحقق الحلبي : ٣ / ٥٨١ ، ومختلف الشيعة للعلامة الحلبي : ١ / ٣٥٧ .

(٢) في نسخة أخرى : جمل .

(٣) انظر من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٥٠٣ ح ٤٧٦٦ .

(٤) انظر من لا يحضره الفقيه : ٣ / ٥٠٣ ح ٤٧٦٧ .

وبالجملة : فالحدّ الذي يجوز معه تطليق الغائب زوجته على الأصح هو ما يحصل فيه^(١) بانتقالها من طهر المواقعة إلى طهر آخر ، وأما تحديده بما في إحدى الروايات نظراً إلى صحة سندتها أو^(٢) بعض المرجحات فليس بشيء بعد معرفة ما ذكرنا من مراد الشارع عليه السلام في هذه المسألة وغيرها في ذوات العدد بما لا يخفى عن^(٣) من يعرف المراد من الإيراد ، ولا يقتصر على العبارة فإن المخاطب بها يعرف مراد المخاطب بنحو غير محصور في اللفظ الظاهر الصريح ، فافهم .

زواج المفقود زوجها

قال سُلْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَمَا مَدْرَارُ مَا يَنْتَظِرُ بِزَوْجِهِ الْمَفْقُودِ حَتَّى
تَنْزُوْجَ أَفْتُونَا مَثَابِينَ مَأْجُورِينَ ؟

أقول : إن كان المفقود في مكان محصور أي محيط به بلدان عمران يصل إليها المسافرون ، ويصل منها إلى بلد المفقود ولم يصل خبر عنه ، فلا ينتظر بها أكثر مما يحصل به ذلك وإن كان غير محصور ، وليس له ما يسدّ خلتها من مال أو ولد ينفق عليها ورفعت أمرها إلى الحاكم ، ولم تصبر أجلها أربع سنين وأرسل

(١) في نسخة أخرى : فيه الظن .

(٢) في نسخة أخرى : سندتها وبعض .

(٣) في نسخة أخرى : على .

إلى كل صقع من يبحث عن خبره وبعد المدة يأمرها أن تعتد عدة الوفاة ، وهذا معروف لديهم .

علة جعل البنات لله تعالى

قال أيده الله تعالى : ما العلة في جعل الكافر الملائكة إناثاً وأثبتو الله بناتاً لا ذكوراً ؟

أقول : اعلم أن المشائين والرواقين من الحكماء قالوا : إن الملائكة قوى وجودية كالطبائع في العقاقير ، لا أنها ذوات متشخصة بنفسها مجردة منزهة عن الحلول بما وكلت به بل هي قوى ، ومعنى أنها موكلة بكندا أنها خلقت فيه فقال الكافرون : إن هذه القوى من خالق الأشياء والقوة أنسى فهي بنت مصيراً منهم إلى تأنيث لفظ القوة وكونها بنات وأنه - تعالى عما يقولون علوأ كبيراً - يلد ، لأن هذه الأشياء المخلوقة لا تكون إلا من شيء على زعمهم لما رأوا توالدهم وزروعهم من البذر ، فحكموا على تلك القوى بأنها^(١) مولودة ، أي متولدة من الفاعل فتعالى عما يقولون « سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ »^(٢) « لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ٨٩ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَقْطَرُنَ مِنْهُ وَتَنَسَّقُ الْأَرْضُ وَتَخَرُّ

(١) في نسخة أخرى : بأنها بنات .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠

لِجَبَّالٍ هَذَا^(١) ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ .
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
الظَّاهِرِينَ .

وَكَتَبَ مَؤْلِفُهُ الْعَبْدُ الْمَسْكِينُ أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ فِي سَلْخِ
عَاشُورَاءِ سَنَةِ أَرْبَعِ عَشَرَةَ بَعْدِ الْمَئَتَيْنِ وَالْأَلْفِ مِنَ الْهِجْرَةِ حَامِدًا
مَصْلِيًّا مُسْتَغْفِرًا .

(١) سورة مریم ، الآیات : ٨٩ ، ٩٠ .

١١ - رسالة في جواب الشیخ

محمد مسعود ابن الشیخ

محمد ابن الشیخ أبي سعود

في علم الله تعالى

رسالة في جواب الشيخ محمد مسعود ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أبي سعود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين .
وبعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي :
قد وردت علي مسائل من الأنور الألمعي والفهمة الأورعي^(١)
الشاب الرضي الشيخ محمد مسعود ابن الشيخ محمد ابن الشيخ
أبي السعود ، أسعد الله طالعه في مجاري صنع نفسه وزوجه التقوى
في يومه وغده وأمسه وهي حرية بالتوجه لها بالكل ليتبصر منها
البعض ، وهي لا شك شارحة لمعالي مقامه في مطاوي كلامه ،
فأحببت أن أذكرها بصورتها ، وأجعل الجواب لها كالشرح للمتن
ليكون ذلك^(٢) منبهًا لأولي اليقظة والإرشاد وذخراً نافعاً للمعاد
والله سبحانه ولي الهدایة والسداد ، ولقد^(٣) سلكت في ذلك طريق
الاختصار والاقتصار اعتماداً على فهمه وحقيقة علمه فأقول :

(١) في نسخة : اللوذعي .

(٢) في نسخة : ليكون .

(٣) في نسخة : قد .

قال سلمه الله : فالملأمول من الجناب الشريف أن تكتب لمحبك صريح الحال ، وما هو الحق من الأقوال في مسألة علمه تعالى المتبع لوجود الأشياء وعلمه لها مع الإيجاد أو بعد الإيجاد ؟

أقول : وبالله المستعان إن هذه المسألة من المسائل التي جهلها الكل ، فالعالم فيها في الحقيقة جاهل بها كالجاهل لها .

واعلم أن لي كلاماً أوردته في رسالتني لوامع الوسائل في أجوبة جواجم المسائل للشيخ عبد العلي^(١) ابن الشيخ علي التوبلي^(٢) في المسألة الخامسة في قوله أيده الله في قول النبي صلى الله عليه وآله : (اللهم زدني فيك تحيراً)^(٣) ، فكان ذلك الكلام في تحقيق هذه المسألة لا يوجد نظيره في كتاب بل كل قول دونه سقط ، وكلّ معنى سواه غلط ، ولقد جاوزت فيه ممتد الدهر وسبحت في استخراجه برهة من السرمد ، فأحببت أن أنقله في هذه العجالة ليسبق إليه من جرت نطفته في المطر الأول

(١) في نسخة : عبد علي .

(٢) هو الشيخ عبد علي بن محمد بن أحمد الخطيب التوبلي الجد حفصي البحرياني ، من تلامذة الشيخ حسين عصفور .

انظر تراجم الرجال للسيد أحمد الحسيني : ١ / ٣٠٧ .

(٣) شرح الأسماء الحسني للسبزواري : ١ / ١٩٨ ، وتفسير القرآن الكريم لمصطفى الخميني : ١ / ١٢٢ ، وشرح منازل السائرين للكاشاني : ٣١ .

وأوصيك قبل أن تسمع أن لا تقتصر على ألفاظه أو على معانيه فتفوتك مقاصده ومبادئه ، وهو :

اعلم أن الله سبحانه علم المعلومات بعلمه الذي هو ذاته إذ لا شيء بما يمكن في ذاتها وما يمتنع في رتبة الإمكان وهو إذ ذاك عالم إذ لا معلوم^(١) وعلمه بها هو لكونه^(٢) الذات على ما هي عليه بما له لذاته بلا اختلاف ولا تكثير ، وهو الربوبية إذ لا مربوب فاقتضت ذاتها بما هي مذكورة به في كل رتبة من مراتب الوجوب والجواز من الأزل إلى الحدث إلى الأبد الذي هو ذلك الأزل بما^(٣) يمكن لها ويمتنع في الإمكان في كل رتبة بحسبها من صفة الكينونة^(٤) التي هي ربوبية تلك الاقتضاءات ، وتلك الصفة

(١) قال عليه السلام : (. . . أول الديانة به معرفته وكمال معرفته توحيده وكمال توحيده نفي الصفات عنه ، بشهادة كل صفة أنها غير الموصوف وشهادة الموصوف أنه غير الصفة وشهادتهما جمِيعاً بالتشتية الممتنع منه الأزل ، فمن وصف الله فقد حده ومن حده فقد عدَه ، ومن عدَه فقد أبطل أزله ، ومن قال : كيف ؟ فقد استوصفه ، ومن قال : فيَمْ ؟ فقد ضمنه ، ومن قال : على مَ ؟ فقد جهله ، ومن قال : أين ؟ فقد أخلا منه ، ومن قال : ما هو ؟ فقد نعته ، ومن قال : إلى مَ ؟ فقد غايَاه ، عالم إذ لا معلوم وخالق إذ لا مخلوق ، ورب إذ لا مربوب ، وكذلك يوصف ربنا وفوق ما يصفه الواصفون) . الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ١٦٦ ح ١٠٦ ، وتوحيد الصدوق : ٣٦ ح ٢ وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ١٣٦ ح ٥١ .

(٢) في نسخة : كينونة .

(٣) في نسخة : ما .

(٤) في نسخة : الكينونية .

هي نور الكينونية^(١) وظلها ، وتلك الاقتضاءات هي سؤال المعلومات ما لها من تلك الصفة فحكم لها ثانياً حين سألها بسؤالها بما سأله^(٢) في كلّ رتبة بما لها فيها ، وهذا الحكم هو تلك الصفة التي هي ظل الكينونة ، وهو الربوبية إذ مربوب وبها قام كلّ مربوب في كلّ رتبة بحسبها ، وتلك المعلومات بكلّ اعتبار لا شيء إلا أنها لا شيء في الأزل بمعنى الامتناع إلا بما هي شيء في الحدوث ، بمعنى الإمكان في الإمكان .

وأما في الإمكان فهي شيء بما شاء كما شاء يعني أنها شيء بذلك الحكم وهو ظل الكينونة فأعطتها بحكمه ومشيته ما سأله من الوجود ، وأمكن فيها ما اقتضته من الإمكان ، وإن لم تقتضه في الوجود فما لم تقتض^(٣) وجوده في الوجود تقتضي وجوده في الإمكان وهاتان الرتبتان اقتضاء ما يمكن لها من تلك الصفة المذكورة لأنه إذا شاء اقتضت ما في الوجود في الإمكان وما في الإمكان في الوجود ، لأن ذلك هو ما لها من تلك الصفة التي هي المشيّة التي بها الاقتضاء وذلك حكم الاختيار الربوبي ، فلم تقتض إلا ما شاء ، لأن مشيته هي الربوبية إذ مربوب وهي صفة الربوبية إذ لا مربوب كما مرّ ولم يشا إلا ما اقتضته من مشيته

(١) في نسخة : الكينونة .

(٢) في نسخة : سألت .

(٣) في نسخة : لم يقتض .

وتلازمهما في التحقق^(١) ، وتقدم المشية على الاقتضاء ذاتاً كمثل تلازم الفعل والانفعال في التحقق الظهوري كالكسر والانكسار وتقدم الكسر على الانكسار ذاتاً ، وإن تساوياً في التحقق الظهوري وتلك الربوبية إذ لا مردوب التي هي الكينونة كما مرّ هي علمه بمخلوقاته ، قال تعالى إشارة إلى الرتبتين : « وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءُ »^(٢) ، فما شاء من علمه يحيطون بشيء منه كما شاء ، فافهم .

وهذا العلم الذي لا يحيطون بشيء منه ، أي الكينونة هو من علمه بذاته الذي^(٣) هو ذاته (كيدك منك)^(٤) ، كما في رواية حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام .

وكما في رواية هشام بن الحكم^(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام .

(١) في نسخة : التحقق الظهوري .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ .

(٣) في نسخة : التي .

(٤) عن حمران بن أعين عن أبي جعفر عليه السلام في العلم قال : (هو كيدك منك) . انظر توحيد الصدوق : ٦٠ باب ١٠ باب العلم ح ٤ .

(٥) هو أبو محمد مولى كندة ، سكن البصرة ، وكان مشهوراً بالكلام ، كلم الناس ، وحكي عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنه رأى له كتاباً في الإمامة .

ومولده الكوفة ، ومنشأه واسط ، وتجارته بغداد . ثم انتقل إليها في آخر =

﴿وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١).

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٦٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿٦١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾﴾^(٢) وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين .

انتهى كلامنا ففهمـه راشـداً موـفقـاً .

وقـولـه سـلمـه الله : مع الإـيـجاد أو بـعـد الإـيـجاد .

فـاعـلـم أـن الله سـبـحانـه قـال فـي كـتـابـه : «إـلـا هـوـ مـعـهـمـ أـئـمـ ما كـانـوا»^(٣) وـهـذـه الـمـعـيـة مـعـيـة حـقـيـقـيـة لا حـقـيـقـيـة ولا سـرـمـدـيـة^(٤) ولا دـهـرـيـة ولا عـدـمـهـا ولا زـمـانـيـة ولا عـدـمـهـا ، وـالـعـلـم التـابـع نـفـسـ المـعـلـوم ظـاهـرـه لـظـاهـرـه وـبـاطـنـه لـبـاطـنـه فـعـلـمـه قـبـلـ الـخـلـق وـبـعـدـ الـخـلـق وـمـعـ الـخـلـق^(٥) وـلـم يـسـبـقـ لـهـ حـالـ حـالـاً فـيـكـونـ أـوـلـاً قـبـلـ أـنـ يـكـونـ

عـمـرـه وـنـزـلـ قـصـرـ وـضـاحـ . وـرـوـى هـشـامـ عـنـ أـبـي عـبـدـ اللهـ وـأـبـي الـحـسـنـ مـوـسىـ عـلـيـهـمـا السـلـامـ ، وـكـانـ ثـقـةـ فـيـ الرـوـاـيـاتـ ، حـسـنـ التـحـقـيقـ بـهـذـاـ الـأـمـرـ .

انـظـرـ رـجـالـ النـجـاشـيـ : ٤٣٤ـ رـقـمـ ١١٦٤ـ .

(١) سـورـة الرـوـمـ ، الآـيـةـ : ٢٧ـ .

(٢) سـورـة الصـافـاتـ ، الآـيـةـ : ١٨٠ـ - ١٨٢ـ .

(٣) سـورـة الـمـجـادـلـةـ ، الآـيـةـ : ٧ـ .

(٤) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ : سـرـمـدـيـةـ وـلـاـ عـدـمـهـاـ .

(٥) فـيـ نـسـخـةـ أـخـرـىـ : الـخـلـقـ وـبـعـدـ الـخـلـقـ .

آخرًا ويكون باطنًا قبل أن يكون ظاهرًا^(١) ولم يحوه شيء من خلقه ولا يخلو منه شيء ، ولا يخالفه شيء ، ولا يطابقه شيء ، ولا يضاده شيء ، ولا يناده شيء ، هو كما هو لا إله إلا هو العزيز الحكيم . نعم العلم التابع الذي هو نفس المعلوم هو حقيقة^(٢) العلم على المعلوم حين وجود المعلوم^(٣) وإلا لكان مستفاداً منه مفتقرًا إليه بل التابع إنما هو مفتقر إلى العلم الأزلية ذي الوجود أي الظهور بالمعلوم الذي هو العلم التابع ، فافهم .

اقتران ظهور النبي صلى الله عليه وآله بظهور الساعة

قال سلمه الله : وأيضاً في معنى قوله صلى الله عليه وآله : (أنا وال الساعة كهاتين) وأشار بالسبابة والوسطى .

أقول : قوله صلى الله عليه وآله : (كنت أنا وال الساعة كهاتين)^(٤) على مقصوده من المعنى والتأويل المراد منه أنه صلى

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخرًا ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطنًا) . نهج البلاغة : ١ / ١١٢ ، الخطبة : ٦٥ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٢٨٥ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٤ / ١١ ، وشرح الأسماء الحسنی : ١ / ٢٦ .

(٢) في نسخة : حقيقة وقوع .

(٣) في نسخة : المعلوم لا بعد وجوده .

(٤) بحار الأنوار : ١٦ / ٢٥٦ ، ومستدرك الوسائل : ١٢ / ٣٢٤ ح ١٤٢٠٧ .

الله عليه وآلـه لما كان هو حقيقة الوجود ووجه الحق المعبد والعقل الأول الذي تنبـعـت عنه العقول ، والسراج الوهـاج الذي ليس له أـفـولـ كـانـ ظـهـورـهـ مـقـرـونـاـ بـالـسـاعـةـ ، وإـلـيـهـ الإـشـارـةـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَ الْقَمَرُ﴾^(١) ، أما ظـاهـراـ فـلـأـنـ دـيـنـهـ آخرـ الأـدـيـانـ الـذـيـ لـيـسـ بـعـدـهـ إـلـاـ قـيـامـ السـاعـةـ ، وـلـأـنـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ مـنـ أـشـرـاطـهاـ ، فـلـذـاـ قـالـ تـعـالـىـ : ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٢) ، وـلـأـنـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ خـتـمـ النـبـوـةـ ظـهـورـهـ وـهـوـ نـذـيرـ بـيـنـ يـدـيـ عـذـابـ شـدـيدـ ، وـقـالـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ : (أـنـاـ النـذـيرـ الـعـرـيـانـ)^(٣) ، يـشـيرـ إـلـىـ المـثـلـ الـمـشـهـورـ عـنـ الـعـربـ وـإـلـىـ أـنـ عـاـيـنـ مـاـ تـوـعـدـوـنـ وـجـاءـ بـمـاـ عـلـيـهـ تـقـدـمـوـنـ إـلـىـ غـيرـ ذـلـكـ .

وـأـمـاـ تـأـوـيـلاـ فـلـأـنـ بـعـثـتـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـدـيـنـهـ وـمـكـارـمـ الـأـخـلـاقـ وـمـحـاسـنـ الـأـفـعـالـ الـتـيـ جـاءـ بـهـاـ لـيـسـتـ فـيـ الـحـقـيقـةـ مـنـ أـحـوـالـ الدـنـيـاـ فـيـ شـيـءـ ، وـإـنـمـاـ هـيـ مـنـ أـخـلـاقـ الرـوـحـانـيـةـ^(٤) ، فـالـقـيـامـ بـهـاـ وـالتـخـلـقـ بـأـخـلـاقـهـاـ يـمـيـتـ النـفـسـ وـيـكـسـرـ الشـهـوـاتـ وـيـقـوـيـ الـقـوـىـ الرـوـحـانـيـةـ ، وـلـاـ رـيبـ أـنـ مـاـ مـاتـ فـقـدـ قـامـتـ قـيـامـتـهـ فـيـجـدـ مـاـ عـمـلـ حـاضـرـاـ وـيـرـىـ الـجـبـالـ تـمـرـ مـرـ السـحـابـ وـيـشـاهـدـ النـشـرـ

(١) سورة القمر ، الآية : ١.

(٢) سورة محمد ، الآية : ١٨.

(٣) بـحـارـ الـأـنـوارـ : ٨١ / ١٢٩ حـ ٢١ ، وـمـيـزـانـ الـحـكـمـةـ : ٤ / ٢٨١٨.

(٤) فـيـ نـسـخـةـ : الرـوـحـانـيـنـ .

والحساب ، وأما باطنناً فلأنه العقل الذي قال تعالى^(١) : (أقبل فأقبل) الخ ، لأنه ظهر بتمامه فيه كما قال سبحانه : (ولا أكملتك إلا فيمن أحب)^(٢) ، وولادته صلى الله عليه وآله هي وجود العقل ونبوته بلوغه ﴿قَابَ قَوْسَيْنَ أَوْ أَدْنَى﴾^(٣) ، عندما قيل له : (أقبل فأقبل) وهي التي ينطبق عليها قوله ، مع أن الساعة لا تظهر إلا بمحو الموهوم وصحو المعلوم^(٤) وظهور العلة وفناه المعلول .

(١) في نسخة : تعالى له .

(٢) الكافي : ١ / ١٠ ح كتاب العقل والجهل ، ومحاسن البرقي : ١ / ١٩٢ ح ٦ ، وعوالم العلوم والمعارف للبحراني : ٤٩ - ٥٠ قسم العقل ، ووسائل الشيعة : ١ / ٣٩ ح ٦٢ .

ولفظه : عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْعِقْلَ اسْتَنْطَقَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبَلَ فَأَقْبَلَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَدْبَرَ فَأَدْبَرَ ، ثُمَّ قَالَ : عَزَّتِي وَجْلَالِي مَا خَلَقْتُ خَلْقًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ وَلَا أَكْمَلْتُكَ إِلَّا فِيمَنْ أَحَبَّ) .

(٣) سورة النجم ، الآية : ٩ .

(٤) قال كميل بن زياد لعلي عليه السلام : (ما الحقيقة؟ قال : ما لك والحقيقة؟ قال : أو لست صاحب سرك؟ قال : بلـ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني! قال : أو مثلك يُخَيِّب سائلاً؟ قال : الحقيقة كشف سبعات العجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحـو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستـر لغلبة السـرـ . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأزل فتلـوح على هياكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إطفـ السراج ، فقد طلع الصـبح!) شرح الأسماء الحسـنى : ١ / ١٣٣ ، وكتاب جامـ الأسرار ومنـ الأنوار للـآمـلى : ١٢٧ ، ونور البرـاهـين : ١ / ٢٢٢ .

ثم أعلم أنه لا يتوجه توجيهه محو الموهوم إلا على الجسد وما يتعلق به من التركيبات والأمزجة والجلات الجسمانية وعلى محو النفس وشئونها وما يعرشون منها^(١) من المقتضيات واللوازم والإضافات لا غير ذلك ، وصحو المعلوم إنما يتوجه هنا حمله على ظهور سلطان العقل باستيلاء تحققات الوجود الثابتة ودعاعيه القارة الباتة^(٢) كالعقل ، فإنه إذا كان كذلك قامت قيامة المرء باستيلاء سلطان العقل ، فيصبح أنه بعث أعني العقل والساعة أعني قيام قيامة ذي العقل كهاتين والعقل هو الرسول ، قال تعالى : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾^(٣) يعني عقلاً ، كما روي عنهم عليهم السلام ، ولا يصح حمل (محو الموهوم وصحو المعلوم) في هذا المقام من كلامه أعلى الله مقامه على المعنى المراد من كلام أمير المؤمنين عليه السلام^(٤) لأنه على ذلك المعنى يكون محو الإمكان بجميع مراتبه من الوجود والماهية إلى الشري ، ومعنى صحو المعلوم ظهور الحق بصفة من صفاته القدسية وكذلك الكلام في قوله ظهور العلة وفناه المعلول .

قال أيده الله تعالى : وإن أردت بفناء المعلول الفناء الحاصل

(١) في نسخة : منها .

(٢) في نسخة : الثابتة .

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ١٥ .

(٤) في نسخة : لكميل .

له في كلّ آن الذي أشار إليه تعالى في قوله : «**بَلْ هُوَ فِي لَبِسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**»^(١) ، فذلك حاصل بجميع قطان عرصه الإمكان من أول الدهر إلى آخر الدهر وثبتت الأولوية ، وإن لم يكن للدهر أول معدود ولا آخر محدود^(٢) التعاقب والتجدد والانقضاء ولكن على سبيل الحقيقة والفرض فليس هذا الفناء مختصاً بظهوره صلى الله عليه وآله .

أقول : قد بيّنا أنا لا نريد بالفناء إلا فناء دواعي الجسم والنفس الحيوانية وما يعرشون ، وهو المشار إليه بقوله تعالى : «**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّ يَعْرِشُونَ**»^(٣) ، فالجبال الأجساد ، والشجر النفوس وتطوراتها وأغصانها ، والخطرات أوراقها ، ومما يعرشون ، ما انعطف منها على ما له من الجسد بحكم المشاكلة والمماثلة وليس هذا الفناء حاصلاً في كلّ حال بل حال استيلاء سلطان العقل كما قلنا آنفاً وبباقي كلامه ظاهر ، إلا أنا نحب أن ننبه بعض^(٤) ألفاظه فنقول : أما قوله في الاستشهاد بالأية إلى قوله : من أول الدهر إلى آخره ظاهر محكم .

(١) سورة ق ، الآية : ١٥ ..

(٢) في نسخة : محدود لعدم .

(٣) سورة النحل ، الآية : ٦٨ .

(٤) في نسخة : على .

وأما قوله : (ثبوت الأولوية) ، فاعلم أن ثبوت الأولوية إنما هو بملحظة استناد الممكن إلى الغير ، وإنما فإنه في رتبته ليس له أولية في مقامه بمعنى أنه منذ وجد ما فقد نفسه ، وعلى هذا الكلام المحقق المقطوع به من القواعد المقررة بالحكمة اللدنية أن كلّ ما كان له أول فله آخر ، وكلّ ما سبقه العدم يلحقه العدم ، وهاتان الضابطتان لا مرية فيها .

وقد أجمع المسلمون على أن الجنة وأهلها أبداً باقون بلا فناء ولا يلحقهم العدم ولا تبطل لذات الجنة ونعيمها ولا تفني ، فوجب أن لا أول لها وإنما لأنها آخر وإنما لبطل حكم القاعدة وبطلت ، وقد دل الدليل القاطع البات الذي لا شك فيه على صحة الضابطة المشار إليها ، فوجب ثبوت حكمها في^(١) الجنة وأهلها للنقل والعقل والإجماع الضروري على عدم انقطاع آخرها .

نعم ، لها أول هو خالقها ومحدثها وهو قبل كلّ شيء بلا خلاف ، ولها آخر هو خالقها ووارثها وهو بعد كلّ شيء بلا خلاف ولا يلزم من قولنا أنه^(٢) لا نهاية لها إلا يكون وراءها شيء إذ ما لا ينتهي لا يصح أن يكون بعده شيء لأنه سبحانه وراء ما لا ينتهي بما لا ينتهي ، هذه مراتب الأعداد لا تنتهي ولا يقول أحد من

(١) في نسخة : في أول .

(٢) في نسخة : أنها .

ال المسلمين إن سبحانه لا يحيط بها وغير ذلك فإن معلوماته^(١) لا تناهى ، وأحاط بها وخزائنه لا تناهى وأحاط بها وكرمه لا ينتاهى ، وأحاط به وذاته لا تناهى وعلمهها ، قال الشاعر :

وَأَحْطَتْ خُبْرًا جُمْلَةً وَمُفْصِلًا بِجَمِيعِ ذَاتِكَ يَا جَمِيعَ صِفَاتِهِ
أَمْ جَلَّ قَدْرُكَ أَنْ يُحَاطَ بِكُنْهِهِ فَأَحْطَتْهُ أَلَا يُحَاطُ بِذَاتِهِ
حَاشَاكَ مِنْ غَايِي وَحَاشَا أَنْ تَكُنْ بِكَ جَاهِلًا وَيَلَاهُ مِنْ حَيْرَاتِهِ
وأيضاً قوله : (وإن لم يكن للدهر ، الخ) ، نعم للدهر أول
معدود بحاجته^(٢) في بقائه إلى المدد فيما يزال^(٣) ولاستناده إلى
الموجد انفعاله^(٤) وله آخر محدود ، لأن سبحانه يرثه وكل شيء
له مبدأ فله متنه ، ومتهاه مبتدئه ، قوله : لعدم التعاقب ، ليس
هو الأمر الواقع بل التعاقب يتحقق فيه سواء جردناه عن ساكنيه أو
لا ، لأنه ظرف عالم الجنورت وعالم الملوك وهمما العقول
جنورت والآنفوس ملوك والأرواح في حال جنورت ، قال صلى
الله عليه وآله : (أول ما خلق الله روحه)^(٥)^(٦) ، والمراد به

(١) في نسخة : معلوماته .

(٢) في نسخة : لحاجته .

(٣) في نسخة : لا يزال .

(٤) في نسخة : الفعال .

(٥) شرح الأسماء الحسنى : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ٣٣ / ٥٨ ح ٣٩٨ وج : ١٥ / ٢٤ ، ومشارق أنوار اليقين : ٤٢ .

(٦) في نسخة أخرى : وإطلاق يراد منه النفس .

العقل أو ما في حكمه من الروح ، وفي حال ملكت قال صلى الله عليه وآلـه : (أول ما خلق الله العقل)^(١) ويكون الروح ثانياً ، وكذلك قول علي بن الحسين عليهما السلام في دعائـه لحملة العرش قال عليه السلام : (والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك)^(٢) فال الأول هو الروح والثاني هو العقل ، لأنـه عليه السلام في مقام ترقـ، فقدم الروح في الذكر والتعاقـب في ساكـنيه أنـ الجبروت قبل الملـكـوت^(٣) في إفراد كلـ منهما تعاقـب في الوجود وفي الشهود ، ومراتـبه التي هي أشهر الـدـهـر وأيـامـهـ وكذلك أـمـكـنـتهاـ التيـ هيـ الأـذـرـعـ والأـشـبـارـ لـذـلـكـ المـسـيـارـ ، فـالـتـعـاـقـبـ فيـ الـدـهـرـ فيـ سـاعـاتـهـ وأـشـهـرـهـ وـسـنـيـهـ وـفـيـ سـاكـنـيـهـ كـمـاـ قـلـنـاـ ،ـ وـكـذـلـكـ التـجـددـ فـيـ مـتـحـقـقـ ،ـ وـالـانـقـضـاءـ^(٤)ـ أـيـضاـ وـقـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ بـلـ هـمـ فـيـ لـبـنـ مـنـ خـلـقـ جـدـيدـ »ـ^(٥)ـ جـارـ فـيـ مـرـاتـبـ جـمـيعـ الـوـجـودـ فـلـاحـظـ .ـ

وقـوـلـهـ :ـ لـيـسـ هـذـاـ فـنـاءـ مـخـتـصـاـ بـظـهـورـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ ،ـ قدـ مـرـ الـجـوابـ بـأـنـ الـمـرـادـ بـالـفـنـاءـ فـنـاءـ الـأـجـسـامـ وـالـنـفـوسـ وـمـاـ بـيـنـهـمـاـ

(١) مـحـاسـنـ الـبرـقـيـ :ـ ١ / ١٩٦ـ ،ـ الـكـافـيـ :ـ ١ / ٢١ـ حـ ١٤ـ .ـ

(٢) الصـحـيفـةـ السـجـادـيـةـ :ـ ٤٠ـ ،ـ دـعـاءـ رـقـمـ ١٢ـ فـيـ الصـلـاـةـ عـلـىـ حـمـلـةـ الـعـرـشـ ،ـ وـبـحـارـ الـأـنـوارـ :ـ ٥٦ـ / ٢١٨ـ حـ ٨٥ـ .ـ

(٣) فـيـ نـسـخـةـ :ـ الـمـلـكـوـتـ بـلـ .ـ

(٤) فـيـ نـسـخـةـ :ـ الـاقـضـاءـ .ـ

(٥) سـوـرـةـ قـ ،ـ الـآـيـةـ :ـ ١٥ـ .ـ

خاصة وبقاء العقول والوجود في هذا المقام لا في مقام قول علي عليه السلام لكميل كما مرّ .

في بيان تخمير وتدوير طينة آدم عليه السلام

قال سلمه الله : وأيضاً في الحديث : (خمرت طينة آدم عليه السلام [بيدي]^(١) أربعين يوماً)^(٢) ، فالتخمير عبارة عن الاستعداد وجعل بعضهم الأيام عبارة عن التطورات الوجودية ، وما عرفت أن الوجود أربعون مرتبة ، فالمأمول من جنابك أن تكتب لي ما المراد من ذلك وما هذه المراتب ؟

أقول : اعلم أن الأدوار أربعة ، لأن الله سبحانه خلق الحرارة من الحركة الكونية التي هي أثر قدرة الله تعالى وعلة العلل في الأشياء المتحركة ، ثم خلق البرودة من السكون الكوني الذي هو أثر قدرة الله تعالى وعلة العلل في الأشياء الساكنة ، فهذا أول زوجين في تكون الملك قال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ نَذَكَرُونَ﴾^(٣) .

(١) زيادة من المصادر المذكورة .

(٢) عوالي الالبي : ٤ / ٩٨ ح ١٣٨ ، وشرح الأسماء الحسني للسبزواري : ١ / ٨١ ، وعوارف المعارف للسهروردي على هامش إحياء العلوم ، باب ٢٦ خاصة الأربعينية ، والنجم الثاقب للنوري ، باب ١٢ أثر المداومة على الأربعين يوماً .

(٣) سورة الذاريات ، الآية : ٤٩ .

ثم تحرك الحار على البارد بسر ما أودع الله فيه من الحركات المذكورة وهو تحريكه لها بها فمزجها فامتزجها^(١) فتولد عن الحرارة اليبوسة ، وعن البرودة الرطوبة فصارت أربع طبائع مختلفات مفردات في الأعلى جسم روحاني وهو أول مزاج بسيط ، ثم صعدت الحرارة مع الرطوبة فخلق الله منها طبيعة الحياة والأفلاك العلويات وهبطت البرودة مع اليبوسة إلى أسفل ، فخلق الله منها طبيعة الموت والأفلاك السفليات فافتقرت^(٢) هذه السفليات^(٣) إلى أرواحها واستاقت إلى حياتها واستهنت يعني مالت العلويات وانعطفت إلى^(٤) أزواجها من السفليات ، فإن الحرارة ذكر وزوجه البرودة ، والرطوبة ذكر وزوجه اليبوسة ، فأدار^(٥) الله سبحانه الفلك حين سأله^(٦) بالإجابة دورة ثانية فامتزجت الحرارة بالبرودة فتناكحا ، والرطوبة باليبوسة فتناكحا فتولدت العناصر الأربع ، وهذا مزاج مركب في الأزدواج^(٧) مرتين ، وركب

(١) في نسخة : فامتزجا .

(٢) في نسخة : فأفقرت .

(٣) في نسخة : السفليات وافتقرت .

(٤) في نسخة : على .

(٥) في نسخة : فأراد .

(٦) في نسخة : سأله .

(٧) في نسخة أخرى : الأزواج .

بالبرزخية^(١) المعدن ، ثم أدار^(٢) الله سبحانه الفلك الأعلى على القوابل السائلة من أسفل بالإجابة دورة ثلاثة لجليل الحاجة كرماً وجوداً فتولدت النبات وتولد الحيوان البهيم للبرزخية ، ثم أدار^(٣) الله سبحانه الفلك الأعلى بالإجابة في هذه الأدوار الثلاثة لعظيم حاجتها بجزيل عطائه على هذه الواقفة بباب السؤال من أسفل دورة رابعة فتولد الإنسان الناطق ، وهو ثمرتها ومالكها ولأجله خلق ما خلق ، فتحققت الأدوار الأربع وتمامها بالدور الرابع ، فإذا عرفت ذلك فاعلم أن الظاهر طبق الباطن والغيب طبق الشهادة ، وإذا جهلت حكم أحدهما فاطلبه في الآخر .

واعلم أن الإنسان الذي هو نسخة اللوح المحفوظ وأنموذج العالم الأكبر خلق من عشر قبضات من العالم الأكبر :

الأولى من العرش فخلق منها قلبه ، والثانية من الكرسي فخلق منها صدره الذي يعبر عنه في العالم الأكبر^(٤) باللوح المحفوظ وأسكن العرش في الكرسي ، قال تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرُ وَلَكِنْ تَعْمَلُ الْقُلُوبُ أَلَّا فِي الصُّدُورِ﴾^(٥) ، والثالثة

(١) في نسخة : للبرزخية .

(٢) في نسخة : أراد .

(٣) في نسخة : أراد .

(٤) في نسخة : الكبير .

(٥) سورة الحج ، الآية : ٤٦ .

من فلك زحل وخلق منها عقله ، والرابعة من فلك المشتري وخلق منها علمه ، والخامسة من فلك المريخ وخلق منها وهمه ، والسادسة من فلك الشمس وخلق منها وجوده الثاني ، والسبعين من فلك الزهرة وخلق منها خياله ، والثامنة من فلك العطارد وخلق منها فكره ، والتاسعة من فلك القمر وخلق منها حياته ، والعشرة من الأرض^(١) وخلق منها جسده ، وكل قبضة من هذه القبضات العشر أدارها أربع مرات كما وصفت لك فهذه أربعون وهي مراتب الوجود .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾^(٢) ، ورابع كل قبضة من هذه العشر هو تمامها فصارت العشر كل واحدة في ثلاثة وتمّ^(٣) في الرابعة كما بينا ، قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَّنَّهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾^(٤) ، يعني تَمَّ الميقات بالعشر ، والليالي العشر في الظاهر هي عشر ذي الحجة ، وفي الباطن هي المذكورة في سورة الفجر لحسين بن علي عليه السلام والتسعه من ذرية الحسين عليهم السلام .

وشرح هذا الكلام في هذا المقام مما يطول ، فالتخمير عبارة

(١) في نسخة : الأرض الدنيا .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٥١ .

(٣) في نسخة أخرى : تم .

(٤) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢ .

عن التكوير والتدوير ، وأما الاستعداد فهو بالتخمير استعداد للتخمير لا بنفسه ، ومن قال : بأن الأربعين اليوم عبارة عن التطورات الوجودية فكلامه متوجه ، ولكن على ما نحو ما أشرت إليه ، فافهم .

في بيان اتحاد النفس بالبدن

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً إن النفس بعد خروجها من هذا البدن وما كان منها صافياً زكيأً وحصل لها الاتصال بأبيها وأمها هل تتحد^(١) به بحيث يستهلك وجودها ولا يكون لها شعور أو لا تتحد أو تتحد مع بقاء الاثنين وشعورها بذاتها ؟

أقول : أعلم أن النفس لها مراتب أربع مختلفة في الحقيقة ، وإن اتفقت في الاسم : نفس نامية نباتية ونفس حيوانية حسية ونفس ناطقة قدسية ونفس ملوكية إلهية ، كما روي عن علي عليه السلام^(٢) ، فاما النامية النباتية فهي مركبة من العناصر الأربع

(١) في نسخة : يتحد .

(٢) روي عنه أن أعرابياً سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن النفس .

فقال عليه السلام : (عن أي الأنفس تسأل ؟)

فقال : يا مولاي هل النفس أنفس عديدة ؟

فقال عليه السلام : (نعم نفس نامية نباتية ، ونفس حيوانية حسية ، ونفس ناطقة قدسية ، ونفس إلهية ملوكية) .

(فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئَت عود ممازجة لا عود

فقال : يا مولاي ما النباتية ؟ =

قال عليه السلام : (قوة أصلها الطبائع الأربع ، بدء إيجادها عند مسقط النطفة ، مقرها الكبد ، مادتها من لطائف الأغذية ، فعلها التمو والزيادة ، وسبب فراقها اختلاف المتأولات فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئَت عود ممازجة لا عود مجاورة) .

فقال : يا مولاي وما النفس الحيوانية ؟

قال عليه السلام : (قوة فلكية ، وحرارة غريزية ، أصلها الأفلاك ، بدء إيجادها عند الولادة الجسمانية ، فعلها الحياة ، والحركة والظلم ، والغشم والغلبة ، واكتساب الأموال ، والشهوات الدنيوية ، مقرها القلب ، سبب فراقها اختلاف المتأولات ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئَت عود ممازجة لا عود مجاورة فتنعدم صورتها ويبطل فعلها وجودها ويضمحل تركيبها) .

فقال : يا مولاي وما النفس الناطقة القدسية ؟

قال : (قوة لاهوتية ، بدء إيجادها عند الولادة الدينية ، مقرها العلوم الحقيقة الدينية ، موادها التأييدات العقلية ، فعلها المعارف الربانية ، فراقها عند تحلل الآلات الجسمانية ، فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئَت عود مجاورة لا عود ممازجة) .

فقال : يا مولاي وما النفس اللاهوتية الملكوتية ؟

قال : (قوة لاهوتية وجوهرة بسيطة حية بالذات ، أصلها العقل ، منه بُدئَت ، وعنه وَعَت ، وإليه دلت وأشارت ، وعودتها إليه إذا كملت وشابهته ، ومنها بُدئَت الموجودات ، وإليها تعود بالكمال ، فهي ذات الله العليا ، وشجرة طوبى ، وسدرة المنتهاء ، وجنة المأوى ، من عرفها لم يشق ، ومن جهلها ضل سعيه وغوى) .

فقال السائل : يا مولاي وما العقل ؟

قال عليه السلام : العقل جوهر دراًك ، محيط بالأشياء من جميع جهاتها ، =

مجاورة) فيتتحد ما فيها من النار بالنار ومن الهواء بالهواء ومن الماء بالماء ومن التراب بالتراب ، ولا يكون لها شعور لتفككها وللحوق كلّ ركن منها بعنصره .

وأما الحيوانية الحسية فهي من نفوس الأفلاك وأرواح الكواكب تجمعت من قوى شعلات تلك الأشعة بواسطة تلك الحركات اليومية فسرت في تلك الأشعة الواقعة من العالم^(١) السفلي وتألفت بالتدبر الإلهي ، وتمثلها كالقوى المعدنية التي يؤلفها الحكيم من الحديد وأمثاله للساعة المعروفة ، فتحرك وتدور على حسب التقدير ، وإنما كانت حركات^(٢) النفس اختيارية ، لأن قواها من أثر صفة الحكيم المقدر لها وهو سبحانه مختار فيكون أثر صفتة كذلك .

وأما هذه فقوها ليست من أثر صفة صانعها المقدر لها فلهذا كانت قسرية^(٣) ظاهراً ، وهذه النفس الحيوانية إذا فارقت البدن خرجت في مثالها وانتقلت إلى دار أخرى ، قال صلى الله عليه

= عارف بالشيء قبل كونه فهو علة الموجودات ونهاية المطالب) شرح الأسماء الحسنى للسبزواري : ٢ / ٤٦ ، والتعليق على الفوائد الرضوية للقمي :

. ١١١ ، وشرح الأربعين للقمي : ٢٨٥ .

(١) في نسخة : العالم العلوى على العالم .

(٢) في نسخة : حركات تلك .

(٣) في نسخة : قشرية .

وآله : (وإنما تنتقلون من دار إلى دار)^(١) ، ولا تزال كما قال ابن سينا^(٢) في أبياته :

وَغَدَتْ تُغَرِّدُ فَوْقَ دَوْحِ شَاهِقٍ وَالْعِلْمُ يَرْفَعُ كُلَّ مَنْ لَمْ يُرْفَعِ
ولم يكن لها اتصال بأبيها الذي هو الهيولي ، وأمها التي هي
الصورة حقيقى ، لأن وصولها إلى تلك الديار مجتمعة من خمسة
أشخاص في قرية وهم مختلفون في الهيئات والملابس والأمكنة ،
فال الأول قائم ، وعليه قميص أبيض استنار ببياضه تلك الديار وهو

(١) بحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩ ح ٨٧ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٦ . ٧٠

وروي بلفظ : (ما خلقتم للفناء بل خلقتم للبقاء وإنما تنتقلون من دار إلى دار)
الاعتقادات للصدوق : ٤٧ ، والكافي ٦ / ٧٠ ، وفي لفظ آخر : (خلقتم
للأبد وإنما تنتقلون من دار إلى دار) علل الشرائع : ١ / ١١ .

(٢) هو الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي ، ثم البخاري ،
ويلقب بالشيخ الرئيس (أبو علي) فيلسوف ، طبيب ، شاعر ، مشارك في أنواع
من العلوم .

ولد بخرميشن من قرى بخارا في صفر (٣٧٠ هـ - ٩٨٠ م) ، وتوفي بهمدان في
رمضان سنة ٤٢٨ هـ - ١٠٣٧ م) .

وفي الكامل لابن الأثير : مات بأصفهان في شعبان .
من تصانيفه الكثيرة : القانون في الطب ، تقاسيم الحكمة ، لسان العرب في
اللغة ، الموجز الكبير في المنطق ، وديوان شعر .

انظر معجم المؤلفين لعمر كحاله : ٤ / ١٩ ، الكامل في التاريخ لابن الأثير :
٩ / ١٥٧ .

أعلاهم مكانة ومكاناً ، والثاني قاعد وعليه قباء أصفر فاقع تسر^(١) الناظرين وهو دون الأول ، والثالث مضطجع وعليه جبة خضراء تهش إليها النفوس من شدة خضرتها ، قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام : ﴿وَاهْشُ إِلَيْهَا عَلَىٰ غَنَمٍ﴾^(٢) ، وهو دون الثاني والرابع مستتر ما بينهم وعليه شعار أحمر يغشى أبصار الناظرين ، وهو دون الثالث والخامس نازل عنهم قد جمع أطمار ملابسهم في باطنها واكتسى بها في غيبه وأظهر العري .

وأما القرية فقد جمعتهم كلّ في مقامه لم يختلف منهم شخص عن أحکامه ، وهذه النفس هي مجموع هذه الأشخاص وقريتهم فإذا وصلت إلى تلك الديار لم تخالطهم ما دام حكم الفرق باقياً وهو منذ قبضها الملك الموكل بها إلى نفخة الصور^(٣) ، وهو قول

(١) في نسخة : يسر .

(٢) سورة طه ، الآية : ١٨ .

(٣) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟

قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفع فيه ؟ فقال : أما النفحة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منها ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور ، قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله =

الصادق عليه السلام في تأويل قوله تعالى : «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجْدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ»^(١) قال عليه السلام : (تبقى الأرواح ساهرة لا تنام)^(٢) ، فإذا فارقت أعني عند نفخ الصور وذلك بعد الرجعات وبعد الأربعين اليوم الهرج والمرج بقيت قريتها في عالم المثال وهو معنى الاتصال بالأم ، واتصل المكتسي باطنه بالهيولى وهو معنى الاتصال بالأب ، واتصل المستتر صاحب الشعار

في موت أهل الأرض ، قال : فينفع فيه نفخة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذو روح إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل...) والحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين للحويزي : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(١) سورة النازعات ، الآياتان : ١٣ ، ١٤ .

(٢) عن الحسن بن راشد قال : حدثني محمد بن عبد الله بن الحسين قال : (دخلت مع أبي على أبي عبد الله عليه السلام ، فجرى بينهما حديث ، فقال أبي لأبي عبد الله عليه السلام : ما تقول في الكرة؟ قال : أقول فيها ما قال الله تعالى ، وذلك أن تفسيرها صار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يأتي هذا الحرف بخمس وعشرين ليلة ، قول الله تعالى : «تَلَكَ إِذَا كَرَّةً خَائِرَةً» [النازعات : ١٢] إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا ذحولهم . فقال له أبي : يقول الله تعالى : «فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَجْدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ»^(٣) [النازعات : ١٣ ، ١٤] أي شيء أراد بهذا؟ فقال : إذا انتقم منهم وماتت الأبدان بقيت الأرواح ساهرة لا تنام ولا تموت) مختصر البصائر : ٢٨ ، والرجعة : ٥٩ ح ٣٨ ، والبحار : ٥٣ / ٤٤ ح ١٧ ، والإيقاظ من الهجعة : ٩٣ ح ٢٧٩ ، والبرهان :

. ٤ / ٤٢٥ ح ١ .

الأحمر بالطبيعة ولا حس محسوس ولا أنس مأنوس ، واتصل المضطجع صاحب الجبة الخضراء بالنفس الكلية فانمحق فيها انمحاق المتخيل^(١) ، واتصل القاعد صاحب القباء الأصفر الفاقع بالبراق فرق في تلك الرقائق فلا عين ولا أثر ولا علم ولا خبر ، واتصل القائم صاحب القميص النوراني الأبيض في العقل الأولي^(٢) فلا شهود ولا وجود وهو قول علي عليه السلام^(٣) في النفس الحيوانية الحساسة^(٤) (فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة) ، فلا تتصل الاتصال التام بحيث تتحدد إلا بين النفختين مدة أربع مئة سنة^(٥) ولا يكون شعور بحال من الأحوال ، وكذلك يكون لها اتصال وفناً محض في انتقالها

(١) في نسخة : المتخيل في المحسوس .

(٢) في نسخة : الأول .

(٣) في نسخة : للأعرابي .

(٤) في نسخة : الحسية .

(٥) عن ثوير بن أبي فاختة ، عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : سئل عن النفختين كم بينهما ؟

قال : (ما شاء الله ، فقيل له : فأخبرني يا بن رسول الله كيف ينفح فيه ؟ فقال : أما النفحة الأولى فإن الله يأمر إسرافيل فيهبط إلى الدنيا ومعه صور ، وللصور رأس واحد وطرفان ، وبين طرف كل رأس منها ما بين السماء والأرض ، قال : فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصور قالوا : قد أذن الله في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء ، قال : فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة ، فإذا رأوا أهل الأرض قالوا : أذن الله =

في^(١) حكم البدن إلى المثال يعني حالة الدخول في النوم ، فإنه لا يشعر وكذلك حالة الانتباه من النوم إلى اليقظة ، وكذلك حالة خروجها منه إلى^(٢) الموت وعند دخولها في البدن عند ونفخت فيه من روحي وكذلك حالة^(٣) الخروج من القبور ، فإنها في هذه الموضع تتحد ولا يكون لها شعور ويستهلك وجودها في وجود^(٤) ، والمراد بالفناء في هذه الموضع الغيبة عن^(٥) شهودها وجودها عند ظهور معبودها وهو المراد في الأخبار المعتبر عنه بأنها تخر بين يدي الله ساجدة ، وأما ما سوى ذلك فهي على حال الشعور والتميز ، وأما النفس الناطقة القدسية والملكونية الإلهية ، فلا تزالان مت الشخصتين^(٦) فعودهما عود مجاورة لا عود مجازة ، فافهم .

في موت أهل الأرض ، قال : فينفع فيه نفحة فيخرج الصوت من الطرف الذي يلي الأرض فلا يبقى في الأرض ذور حي إلا صعق ومات ، ويخرج الصوت من إسرافيل ، قال : فيقول الله لإسرافيل : يا إسرافيل مت ، فيموت إسرافيل . . .) وال الحديث طويل ، انظر تفسير القمي : ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٣ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٦ / ٣٢٥ ح ٢ ، وتفسير نور الثقلين للحويني : ٤ / ٥٠٢ ح ١٦ .

(١) في نسخة : من .

(٢) في نسخة : عند .

(٣) في نسخة : حال .

(٤) في نسخة : وجوده .

(٥) في نسخة أخرى : من .

(٦) في نسخة : مت الشخصتين .

في بيان حقيقة البرزخ

قال سلمه الله : وهل البرزخ الذي تأويه بعد خروجها من الدنيا هو عين ما هبّت عنه أم لا ؟

أقول : إن البرزخ الذي خرجت به من البدن هو الذي هبّت به إلى هذا البدن وكان فوق محدد الجهات مكانه ، وإن كان معك في حياتك فهو معك في مماتك ، فلما علقت به ثاء^(١) الثقيل هبّت إلى الأرض بها ، فلما فارقت ثاء الثقيل الذي هو البدن خفت وطارت به ، وكذا الجسم ، وتطير بالأرواح فأوت^(٢) به في رتبته وهو القرية المشار إليه^(٣) سابقاً .

لا يقال : إن بعض الروايات يدل على أنها^(٤) إنما يوضع في قالب كقالبه في الدنيا ، بحيث لو رأيته لقلت : فلان ، فكيف يقال إنه يخرج به ؟ !

لأننا نقول : إن المراد بوضعه في قالب ، الخ . استخلاص الحكم فيه وهو الوضع المذكور في الأخبار لأنه في الدنيا وإن كان معه لأنه هو هذه الصورة المشاهدة إلا أن حسيمة الجسم غلبة

(١) في نسخة : تاء .

(٢) في نسخة : فأدت .

(٣) في نسخة : إليها .

(٤) في نسخة : أنه .

الحس على مشاهدة المثال ، فلما فارقت البدن خلص الحكم للمثال فقال عليه السلام : (وضع في قالب كقالبه)^(١) ، لأن صورته هي حقيقة مثاله والمشبه نفس المشبه به في القرآن ، وفي الحديث المنقول عن أهل العصمة عليهم السلام بلفظه كما ذكره العلماء الواصلون وقد حرق في محله .

حال النفوس الفاسدة في البرزخ

قال سلمه الله : وأيضاً هل النفوس القاصرة عن درجة الكمال بمراتب تفسد أم تبقى كغيرها كما هو صريح قوله عليه السلام : (إنما خلقتكم للبقاء وخلقتم للأبد ، وإنما تنقلون^(٢) من دار إلى دار)^(٣) .

(١) الكافي : ٣ / ٢٤٥ ح ٤٧٤١ ، وتهذيب الأحكام : ١ / ٤٦٦ ح ١٥٢٦ ، وتفسير مجتمع البيان : ١ / ٤٣٤ مورد الآية ١٥٤ من سورة البقرة . ولفظه في الكافي : عن يونس بن ظبيان قال : كنت عند أبي عبدالله عليه السلام فقال : (ما يقول الناس في أرواح المؤمنين ؟ فقلت : يقولون : تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش فقال أبو عبد الله عليه السلام : سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير ، يا يونس إذا كان ذلك أئاه محمد صلى الله عليه وآله وعلى وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والملائكة المقربون عليهم السلام ، فإذا قبضه الله عز وجل صير تلك الروح في قالب كقالبه في الدنيا فياكلون ويسربون ، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كانت في الدنيا) .

(٢) في نسخة : (ينتقلون) .

(٣) بحار الأنوار : ٦ / ٢٤٩ ح ٨٧ ، وشرح أصول الكافي للمازندراني : ٦ /

أقول : إنَّ النُّفُوسُ الْقَاسِرَةُ عَنْ دَرْجَةِ الْكَمَالِ تَبْقَى فِي الْقَبْرِ لِقَرْبِهَا مِنَ النُّفُوسِ النَّبَاتِيَّةِ أَوِ الْبَهِيمِيَّةِ فَلَا يَكُونُ لَهَا بُرْزَخٌ تَامٌ مُتَحَقِّقٌ بِمَعْنَى تَامِ الْيَقْظَةِ ، وَالْمَرَادُ بِالْقَبْرِ قَبْرُ الطَّبِيعَةِ كَمَا أَشَارَ إِلَيْهِ سَبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ حِيثُ يَقُولُ : « وَمَا أَنْتَ بِمُسْعِيْعٍ مَّنْ فِي الْقُبُورِ »^(١) ، وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّمَا خَلَقْتُمُ الْبَقَاءَ) يَرَادُ بِهِ وَجْهَانُ :

أَحَدُهُمَا : خَلَقْتُمُ أَيْهَا الْكَامِلُونَ لِأَنَّ غَيْرَهُمْ لَا ذَكْرٌ لَهُ فِي أَكْثَرِ أَحْكَامِ الْبُرْزَخِ ، بَلْ يَلْهُى عَنْهُ ، كَمَا رُوِيَ عَنْهُمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ^(٢) .

وَثَانِيهِمَا : عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ وَلَا تَكُونُ النُّفُوسُ الْقَاسِرَةُ فَنِيتُ فَنَاءَ يَنْافِي الْبَقَاءَ ، لِأَنَّ هَذَا لَيْسُ فِي الْحَقِيقَةِ فَنَاءً ، وَإِنَّمَا هُوَ تَفْكِكُ لِلتَّخَلُّصِ مِنَ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ ، وَتَكْلِيسُ لِتَنْعُمِ ، وَيَتَمَكَّنُ الْمَدِيرُ الْحَكِيمُ لِلأَسْبَابِ مِنْ حِيثُ هِيَ أَسْبَابٌ وَكَسْرٌ لِيَصُوْغُهُ الصِّيَغَةُ الَّتِي لَا تَحْتَمِلُ الْفَسَادَ ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بَقَاءً ، وَلِهَذَا

ورُوِيَ بِلِفْظِ : (مَا خَلَقْتُمُ لِلْفَنَاءِ بَلْ خَلَقْتُمُ لِلْبَقَاءِ وَإِنَّمَا تَنْقُلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ) = الاعتقادات للصدوق : ٤٧، والكاففي ٦ / ٧٠، وفي لفظ آخر : (خَلَقْتُمُ لِلْأَبْدِ وَإِنَّمَا تَنْقُلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ) عَلَلُ الشَّرَائِعِ : ١ / ١١.

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٢.

(٢) عن أبي بكر الحضرمي ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لَا يُسَأَلُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا مَنْ مَحْضَ الْإِيمَانَ مَحْضًا أَوْ مَحْضَ الْكُفْرِ مَحْضًا ، وَلَا يَنْالُ الرِّجْعَةَ إِلَّا مَنْ مَحْضَ الْإِيمَانَ مَحْضًا أَوْ مَحْضَ الْكُفْرِ مَحْضًا) .

قلت له : فسائل الناس ؟

فقال عليه السلام : (يلهى عنه) بحار الأنوار : ٦ / ٢٣٥ ح ٥٢ ، والرجعة : ٤٨ ح ٢١ ، والإيقاظ من الهجعة : ٢٧٥ ح ٨٥ .

حيث أنكرت الكفار هذا الحكم قالوا : ﴿أَئِذَا مِنْنَا وَكُنَّا نَرَبِّاً ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾^(١) ، رد الله عليهم بأنه ما فني كما زعموا وإنما هو محفوظ عندنا ، قال تعالى : ﴿قَدْ عِلِّمْنَا مَا تَنْصُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾^(٢) .

وقوله عليه السلام : (وإنما تنقلون من دار إلى دار) ، أما معناه فقد خلقوا من ألف ألف عالم إلى فضاء الدنيا ونقلوا من هذه الدار إلى دار البلاء والفناء والتصفية والكسر وينقلون^(٣) منها إلى أرض الطبيعة والبيوت المستديرة ، ثم إلى الحشر والنشر ، ثم إلى الجنة على تصاعد درجاتها أو إلى النار على تسافل دركاتها ، وهكذا ولا غاية للسير ولا انقطاع للطريق ولا أجل للنعميم ولا للعذاب^(٤) الأليم وهذا معنى النقل من دار إلى دار .

شرح معنى : له معنى الربوبية إذ لا مربوب

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً اكتب لمحبك^(٥) معنى قول الإمام عليه السلام : (له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا

(١) سورة ق ، الآية : ٣.

(٢) سورة ق ، الآية : ٤.

(٣) في نسخة : ينقلون .

(٤) في نسخة : العذاب .

(٥) في نسخة : لمحبك في .

مخلوق وتأویل السمع ولا مسموع وليس من ذ خلق استحق معنی
الخالق)^(١) .

أقول : إنه سبحانه وتعالى كان واحداً معنی بكلّ مفهوم وعلى
كلّ عبارة وكان كلّ شيء باقتضاء كينونته^(٢) لما هو سبحانه عليه
من معناه وكون ذلك الشيء على أنحاء كثيرة منها^(٣) موجوداً
ومعلوماً ومخلوقاً ومسمواً إلى غير ذلك من ذاته وصفاته وشأنه
وما يصح عليه ويترتب ، وهي جهات تسمية نفسه لنا بأسماء
التفهيم وصفات التعليم ، فسمى نفسه لنا تفهمياً ووصف نفسه لنا
تعليناً ، فالأسماء أسماؤنا والصفات صفاتنا ومعناها له يعني
يستحقها بما هو عليه له ومعنى الربوية^(٤) إذ لا مربوب معنی فرد
ساذج يقتضي الوجوب ، وحيث إن لأسمائه التي جعلها^(٥) لنا
وسيلة إلى معرفة^(٦) جهات ومقتضيات وتجليات تقتضي الإضافة

(١) توحيد الصدوق : ٣٨ ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ٢ / ٢ ح ١٣٧ / ٥١
وتحف العقول : ٦٥ ، وأمالی المفید : ٤ ح ٢٥٦ ، وأمالی الطوسي : ٢٣ /
٢٧ ، وبخار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٧ .

(٢) في نسخة : كينونته .

(٣) في نسخة : منها كونه .

(٤) في نسخة أخرى : الربوية على ما يدل عليه اللفظ والمفهوم يقتضي المربوب
وما اقتضى ذلك لزمه الاقتران ويلزم الاقتران العدول ومعنى الربوية .

(٥) في نسخة : جعله الله .

(٦) في نسخة : معرفته .

والاقتران ، وهو بلسان الشرع وقوع العلم على المعلوم والسمع على المسموع وهكذا^(١) ، وهو العلم الحادث والسمع الحادث الخ ، وهذا مظاهر معناه كان ذلك المعنى الذي هذا ظاهره له ولا يخرج عنه إلى غيره كما قال علي عليه السلام في دعائه في سؤاله ربّه سبحانه بذلك الاسم قال عليه السلام : (فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك)^(٢) ، وهذه التجليلات لنا يعني أن الحق للحق والرسم للرسم فله^(٣) الربوبية إذ لا مربوب ولنا إذ مربوب ، لأن إذ مربوب تحديد وتفريق وهو معنى محدث وصف به المحدث ، وإذا لا مربوب أحدى المعنى وصف به القديم ليبيّن من شبهنا ونبيّن من شبهه ، كما قال الرضا عليه

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .

ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (لم يزل الله جلّ وعزّ ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور) قال : قلت : فلم يزل الله متكلماً ؟ قال : (إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عزّ وجلّ ولا متكلّم) .

(٢) مصباح المتهجد : ٨١٥ ح ٨٧٧ ، وإقبال الأعمال : ٣ / ٣ . ٢٧٧

(٣) في نسخة : فله معنى .

السلام في خطبته : (حدُّ الخلق إِبَانَة^(١) لِهِ مِنْ شَبَهَنَا^(٢) وَإِبَانَة
لِهِ^(٣) مِنْ شَبَهَهُ^(٤)) .

وقال عليه السلام : (كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره
تحديد لما سواه)^(٥) .

وقوله : (ليس منذ خلق استحق معنى الخالقية)^(٦) الخ .

(١) في نسخة : (آياته) .

(٢) في نسخة : (شبهها) .

(٣) في نسخة : (وأياته لها) .

(٤) الكافي : ١ / ١٣٥ ح ١ باب جوامع التوحيد ، وتوحيد الصدوق : ٤٢ ح ٣
باب ٢ التوحيد ونفي التشبيه ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦٩ ح ١٥ .

ولفظه في التوحيد : (.. وسبحان الذي ليس له أول مبتدأ ولا غاية ممتهن ولا آخر يفني ، سبحانه هو كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعمته حد الأشياء كلها ، عند خلقه إياها إبانته لها من شبهه ، وإبانته له من شبهها فلم يحلل فيها فقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن ولم يخل من منها فيقال له : أين ، لكنه سبحانه أحاط بها علمه وأنقذها صنعه وأحصاها حفظه ، لم يعزب عنه خفيات غيوب الهوى ولا غوامض مكنون ظلم الدجى ولا ما في السماوات العلي والأرضين السفلى ..) .

(٥) توحيد الصدوق : ٣٦ باب التوحيد ونفي التشبيه ، والاحتجاج : ٢ / ١٧٦ ،
والبحار : ٤ / ٢٢٨ .

والحديث طويل وفيه : (.. وأسماؤه تعبير وأفعاله تفهم وذاته حقيقة ، وكنهه
تفرق بينه وبين خلقه ، وغيوره تحديد لما سواه ، فقد جهل الله من استوصفه
وقد تعداه من اشتمله وقد أخطأه من اكتنفه ..) .

(٦) نهج البلاغة : ١ / ١٢ رقم ١٨٦ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٩ ، وتوحيد
الصدوق : ٣٩ ح ٢ باب التوحيد ونفي التشبيه ورواوه عن أمير المؤمنين =

يريد به ما قلنا : من أن معنى **الخالقية والعلم والسمع وسائر الصفات** هو كينونته^(١) على ما هو عليه ، فيما لم يزل وفيما لا يزال ، وذلك غير مقرن عند^(٢) ولا قد ولا إذ ولا متى ولا حيث ولا شيء من آلات الإمكان ، فإنها إنما استحقت الشيئية في نفسها بما اقتضته صفة الكينونة كما مرّ فاستحق معنى **الخالقية** لذاته الكائنة على ما هو عليه ، وذلك قبل أن يخلق شيئاً وهو على ما هو عليه في عز جلاله ، فافهم .

قال سلمه الله تعالى : فكيف يصح ذلك مع أن هذه الصفات

عليه السلام ضمن خطبة له ، وعيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٣٧ / ٢ = ورواه عن الإمام الرضا عليه السلام ، وتحف العقول : ٦٦ ورواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وانظر بحار الأنوار : ٥٤ / ٤٤ ح ١٦ . ولفظه في التوحيد عن علي عليه السلام : (... له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ، ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق ، وتأويل السمع ولا مسموع ، ليس منذ خلق استحق معنى الخالق ، ولا بإحداثه البرايا استفاد معنى البارئية ، كيف ولا تغييه مذولاً تدنيه قد ولا تحجبه لعل ولا توقيه متى ، ولا تشمله حين ولا تقارنه مع ، إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد فعالها ، منعتها منذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنبتها لولا التكملة ...) .

ولفظه في الاحتجاج وشرح المشاعر : (... وتشير الآلات إلى نظائرها) .

(١) في نسخة : كينونية .

(٢) في نسخة : بمذن .

أمور نسبية مرتبتها بعد مرتبة الذات ، والرب يقتضي مربوياً ،
والإله يقتضي مألوهاً ، وكان الله ولا شيء معه ؟

أقول : قد بيّنا أن الأمور النسبية إنما هي مظاهر هذه الصفات
لا أنفسها ، ولهذا قال عليه السلام : (له معنى الربوبية إذ لا
مربوب) ، ولو أراد ما يقتضي النسبة والاقتران لم يقل : له معنى
الربوبية ، بل قال : له الربوبية والأمور النسبية صفات لتلك
الصفات الذاتية والأمور النسبية صفة حادثة ، وهي وقوع العلم
على المعلوم .

وأما قوله : (وكان الله ولا شيء معه)^(١) وهو معنى الحديث
المشهور فمؤيد لما قلنا وليس هذه الأمور النسبية معه ، وإنما
هي مع الخلق منذ وجدت حتى تفني ، فالله أبداً وحده قبل خلق
الخلق وبعد خلقهم «وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»^(٢) .

(١) روي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليهما السلام : (يا جابر كان الله ولا شيء غيره ولا معلوم ولا مجهول ، فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمدًا وخلقنا معه من نور عظمته ، فأوقفنا أظللة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر ، يفصل نورنا من نور ربنا كشاع الشمس من الشمس نسبح الله ونقدسه ونحمده ونبعده حق عبادته ، ثم بدا الله تعالى أن يخلق المكان وكتب على المكان لا إله إلا الله محمد رسول الله علي أمير المؤمنين ووصيه به أيديته ونصرته ، ثم خلق الله العرش فكتب على سرادقات العرش مثل ذلك) حلية الأبرار للبحرياني : ١ / ١٣ ح ٢ ، وبحار الأنوار للمجلسي : ٣ / ٣٠٧ ح ٤٤ ، وغاية المرام : ١ / ٤٠ .

(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٧ .

وأما أقوال الحكماء وجعلهم الصفات الذاتية ذا^(١) نسب وإضافات فهي عن الحق والصواب بمعزل ، لأنهم إنما وصفوا بقولهم صفات الخلق ، وأخبروا عن أمثالهم من^(٢) المحدثات ، ففهموا في بادي الرأي معاني هذه الصفات بمدلول الألفاظ واللغات ، وهمّوا بما لم ينالوا بأن يبلغوا المعرفة الحقة من غير طريقها ويتناولوها ، وقد نأوا عنها وأنّى لهم التناوش من مكان بعيد ، وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل أنهم كانوا في شك مرير ، إن الحق لا ينال إلا من أهله ولا يعرف اللغة إلا بتعریف ترجمتها فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . وفقنا الله وإياكم لما يحب ويرضى .

بركة ظهور وبعثة النبي وأثرها على اعتدال النشأتين

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً أن تكتب لي معنى قوله صلى الله عليه وآله : (إن الزمان كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض)^(٣) ، لأنني رأيت لبعض العلماء كلاماً في معنى هذا الحديث ، ولكنه فيه بعض البعد ، ولا أدرى أي شيء يرى جنابك فيه ؟

(١) في نسخة : ذات .

(٢) في نسخة : عن .

(٣) الخصال : ٤٨٧ ، وتحف العقول : ٣٢ ، وبحار الأنوار : ٢١ / ٣٨١ ،

أقول : معنى هذا الحديث على ظاهر القول ومختصره بين ، وهو أنه صلى الله عليه وآلـهـ أخـبـرـ عنـ حـالـ نـبـوـتـهـ وـظـهـورـ الإـسـلـامـ بـدـعـوـتـهـ وـبـنـاءـ الإـيمـانـ عـلـىـ حـكـمـ كـلـمـتـهـ ، وـأـنـ تـحـقـقـهاـ لـاـ يـكـونـ إـلـاـ فـيـ الزـمـانـ الـمـعـتـدـلـ الـمـسـتـقـيمـ وـحـرـكـةـ أـفـلـاكـهـ كـهـيـةـ يـوـمـ خـلـقـ اللـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ ، لـأـنـهـ أـوـلـ ماـ خـلـقـهـ^(١) اللـهـ تـعـالـىـ^(٢) عـلـىـ تـامـ الـاسـتـقـامـةـ إـذـ لـيـسـ لـهـ إـذـ ذـاـكـ قـاسـرـ ، وـإـنـماـ يـتـحـرـكـ بـالـوـضـعـيـةـ وـهـيـ مـسـتـوـيـةـ مـسـتـقـيمـةـ فـيـ اـسـتـدـارـتـهـ ، وـذـلـكـ لـاعـتـدـالـ الـمـوـجـبـاتـ الـمـسـتـلـزـمـ لـذـلـكـ الـمـسـتـلـزـمـ لـصـلـاحـ الـمـعـادـ وـالـمـعـاـشـ ، فـأـخـبـرـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ عـنـ بـرـكـةـ ظـهـورـهـ وـبـعـثـتـهـ وـاستـلـزـامـهـ الـاعـتـدـالـ فـيـ النـشـائـنـ الـمـسـتـلـزـمـ لـحـسـنـ هـيـةـ اـسـتـدـارـةـ الـزـمـانـ باـسـتـدـارـةـ الـزـمـانـ عـلـىـ هـيـئـتـهـ الـتـيـ خـلـقـهـ اللـهـ عـلـيـهـ ، وـقـوـلـ الـخـفـيـ فـيـ اـسـتـدـارـةـ الـزـمـانـ كـهـيـةـ يـوـمـ خـلـقـ اللـهـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ بـسـبـبـ اـنـتـشـارـ دـعـوـتـهـ وـظـهـورـ نـبـوـتـهـ .

إنـ الـأـفـلـاكـ تـتـحـرـكـ نـفـوسـهـاـ وـتـدـورـ عـلـىـ قـطـبـ كـمـالـهـ لـفـقـرـهـاـ

= ولفظه في الخصال : قال صلوات الله عليه : (أيها الناس إن الزمان قد استدار فهو اليوم كهيئته يوم خلق السماوات والأرضين ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السماوات والأرض) .

(١) في نسخة : خلق .

(٢) انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ٢٠٣ ، وبحار الأنوار : ٣٣ / ٥٨ ح ٣٩٨ ، وج : ١٥ / ٢٤ ، ومشارق أنوار اليقين : ٤٢ .

إليه ودوم استمدادها منه لأنه هو الواسطة بينها وبين الله فهو مجاز الله سبحانه وإليها ونسبها^(١) إليه تعالى ، وهو الإنسان الكامل صلى الله عليه وآلـه وحسن سيرتها وهيئتها بفيضه وإمداده وفيضه وإحيائه للأرض الجرز ، إنما هو يهديه وإظهار^(٢) استمداده من ربه ، لأنـه صلى الله عليه وآلـه رسول الله صلى الله عليه وآلـه إلى الخلق في كلـ كون^(٣) يبلغ الخلق عن الله كلـ ذرة تحتاج^(٤) إليها الخلق من الدرة إلى الدرة ، من التكوين والإيجاد والسؤال والقبول والصيغ الأول الذي هو صبغ المعرفة في أفندة الخلق ، والصيغ الثاني وهو الصيغ الجبروتي في قلوبهم بإشراق اليقين ، والملكتي في صدورهم ويتحقق^(٥) العلوم ، والصيغ الثالث الملكي الذي هو ظاهر تنبـيه الجنان بفتح الجـيم وتعليم العمل للأركان والقول للسان ويبلغ^(٦) عن الله كلـ ما يتعلق بمعاشرهم وجميع شؤونـهم وكلـ ما وصفوا به وانتسبوا إليه ، وبالتبليغ والقيام بأعبـائه والعمل بأمرـه والانزجار عند نهـيه يحصل تمام الإمداد

(١) في نسخة : سبـيلها .

(٢) في نسخة : إظهـار آثار .

(٣) في نسخة : كور .

(٤) في نسخة : يحتاج .

(٥) في نسخة : بتحققـ .

(٦) في نسخة : تبـليغ .

لالأفلاك وللخلق فيتسق النظام على أكمل ما يحصل به التمام ، فأخبر صلى الله عليه وآله عما يلزم من بركة نبوته وظهور كلمته وحسن سيرته بأن الزمان قد استدار كهيئته ، وذلك أنه حيث خلقه واستدار لتكامل الإنسان الناقص وعصى بنو آدم في الأمم الماضية اختلفت حركة الفلك فاختلف النظام واختلف الأنام ، فأوجب اختلاف الأنام اختلاف الحركة كما روی عنهم عليهم السلام ما معناه : (أنه إذا استد ظلم العباد أسرع الفلك في حركته وقصرت عمرهم^(١) وضاق معاشهم^(٢) ، وذلك موجب للظلم وعدم العدل والجهل والعصيان وذلك موجب لسرعة الحركة ، وهكذا ، فلما ظهر صلى الله عليه وآله أنارت الظلمات بنوره وأشرقت الأرض والسماء بسفوره واستقامت الحركات من الزمان وأهله ببركة ظهوره صلى الله عليه وآله .

ومعنى آخر أن الله سبحانه لما خلق العقل الأول قال له :

(١) في نسخة : (أعمارهم) .

(٢) في الكافي عن أبي إسحاق الجرجاني ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً أجالاً ومدة من ليال وأيام وستين شهور ، فان عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم وليلاتهم وستينهم وشهورهم ، وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته فقصرت لياليهم وأيامهم وستينهم وشهورهم وقد وفي لهم عز وجل بعد الليالي والشهور) .

الكافي : ٨ / ٣٥٠ ح ٤٠٠ ، وبحار الأنوار : ٥٥ / ٩٨ ح ٢١ .

(أدب فأدبر)^(١) ، يعني اهبط إلى إيجاد الوجودات^(٢) ، وهو قوله صلى الله عليه وآله : (ظهرت^(٣) الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم)^(٤) ، فخلق السماوات والأرض في ستة أيام يوم العقل ويوم النفس ويوم الطبيعة ويوم الهيولى ويوم المثال ويوم الجسم وهو من محدد الجهات إلى الشرى وهي أي الستة الأيام^(٥) مراتب الوجود الإجمالي الأولى وجعل فلك الشمس باب الوجود الثاني ، فأدار فوقها وتحتها^(٦) الأفلاك ، فكانت^(٧) تستمد من

(١) في الكافي بياسناده عن الصادق عليه السلام قال : (إنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعُقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقَ (خلقه) مِنَ الرُّوحَانِيَّنَ ، عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَدْبَرْ فَأَدْبَرْ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبَلْ فَأَقْبَلْ ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (خَلَقْتَكَ (خَلْقًا) عَظِيمًا وَكَرَّمْتَكَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي) . ثُمَّ قَالَ : (خَلَقَ الْجَهَلَ مِنَ الْبَحْرِ الْأَجَاجِ ظَلْمَانِيًّا ، فَقَالَ لَهُ : أَدْبَرْ فَأَدْبَرْ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَقْبَلْ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ، فَقَالَ لَهُ : اسْتَكْبَرْتَ ، فَلَعْنَهُ) مَحَاسِنُ الْبَرْقِيِّ : ١ / ١٩٦ ، وَالْكَافِيِّ : ١ / ٢١ ح ١٤ ، وَعَوْالَمُ الْعُلُومُ وَالْمَعَارِفُ : ٤٩ - ٥٠ قَسْمُ الْعُقْلِ .

(٢) في نسخة : الموجودات .

(٣) في نسخة : (ظهر) .

(٤) في الحديث (ظهرت الموجودات من باء بسم الله الرحمن الرحيم وهي اللوح) انظر الأسرار الفاطمية : ٢٣٥ ، ومشاركة أنوار اليقين : ٥٢ ، وقد رواه المصنف في نهاية شرح الزيارة الجامعة .

(٥) في نسخة : الأيام من .

(٦) في نسخة : تحتها إلى .

(٧) في نسخة : وكانت .

الوجودات الأولى فامتدت الزحل^(١) من نفس العقل والقمر من صفتة وامتدت المشتري من نفس النفس وعطارد من صفتتها وامتدت^(٢) المريخ من نفس الطبيعة والزهرة من صفتتها ، ورفعت أيدي القابليات ومدت أعناق السائلين للحاجات عندما أمرت تلك الأفلاك بالحركات ، وأفاضت تلك الكواكب ما استودعت من البركات إجابة لذلك الدعاء من مجتب الدعاء فقام النظام واتسق الأمر والتقدير وظهر سبحانه لكل شيء بما له من خزائنه التي لا تفني وفرقها أزواجاً وعوالم وجعل بعضها سبباً لايجاد آخر وآخر تماماً لقابلية آخر ، فكلّ ما تمّ شيء بما اقتضاه وصله بما يليه فتم الكون الأول من آدم^(٣) لاستقامة أهله وباعوجاجه لاعوجاجهم إلى أن انتهى الدور إلى صاحب الشريعة الغرا محمد صلى الله عليه وآله ، فاستدار الزمان غضاً طرياً ، ثم اعوج لاعوجاج أهل البدع وظهور الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولا يزال في إسراع والتباس حتى يقوم رافع البأس ، فيملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

اللهم عجل فرجه ، وأوسع منهجه ، وسهّل مخرجه ، فعند ذلك يعود الزمان كأحسن ما كان وأحسن مما كان لعظم مدده من

(١) في نسخة : فأمدت زحل .

(٢) في نسخة : أمدت .

(٣) في نسخة : آدم باستقامته .

صاحب الدولة وظهور حقائق ما كان ، ثم لا يزال يزداد حسناً حتى تظهر الجتنان المدهامتان عند مسجد الكوفة^(١) وما وراء ذلك بما شاء الله .

وهذا ما سمح على الخاطر الفاطر^(٢) مع كثرة الاشتغال وتشویش البال ، واعذر أيها الناظر فيما أمليته فإني ما تمكنت من

(١) عن عبدالكريم بن عمرو الخثعمي قال : قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (. . فإذا كان يوم الوقت المعلوم كـ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ، ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها الروحاء قريب من كوفتهم فيقتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق الله عزّ وجلّ العالمين ، فكأني أنظر إلى أصحاب عليـ أمير المؤمنين قد رجعوا إلى خلفهم القهقري مئة قدم ، وكأني أنظر إليـهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عزّ وجلّ : « في ظلـلِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْمُلْتَكَةِ وَقُضَى الْأَمْرُ » [البقرة : ٢١٠] ، رسول الله صلى الله عليه وآله أمامه بيده حرية من نور ، فإذا نظر إبليس رجع القهقري ناكصاً على عقيبه فيقولون له أصحابـه : أين تريد وقد ظفرت ؟ فيقول لهم : « إِنَّ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ » [الأنفال : ٤٨] « إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ » [المائدة : ٢٨] ، فيلحقـه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنـه طعنة بين كتفـيه فيكون هلاـكه وهلاـك جميع أشيـاعـه ، فعـند ذلك يـبعـد الله عـزـ وجلـ ولا يـشـركـ به شيئاـً ويـمـلكـ أمـيرـ المؤـمنـينـ عـلـيـ صـلـواتـ اللهـ عـلـيـ أـلـفـ ولـدـ منـ صـلـبـهـ فـيـ كـلـ سـنـةـ ذـكـرـ ، يـلدـ الرـجـلـ مـنـ شـيـعـةـ عـلـيـ صـلـواتـ اللهـ عـلـيـ أـلـفـ ولـدـ منـ صـلـبـهـ فـيـ كـلـ سـنـةـ ذـكـرـ ، وعـندـ ذـلـكـ تـظـهـرـ الجـتـانـ المـدـهـامـتـانـ عـنـدـ مـسـجـدـ الكـوـفـةـ وـمـاـ وـرـاءـ ذـلـكـ مـختـصـرـ الـبـصـائـرـ : ٢٧ـ ، الرـجـعـةـ : ٣ـ / ٣٤ـ حـ ، وـالـإـيقـاظـ مـنـ الـهـجـعةـ : ٣٦١ـ حـ ١١٣ـ ، وـتـفـسـيرـ الـبرـهـانـ : ٢ـ / ٣٤٣ـ حـ ٣ـ ، وـمـدـيـنـةـ الـمـعـاجـزـ : ١٠١ـ حـ ٧٦٤ـ ، وـبـحـارـ الـأـنـوارـ : ٥٣ـ / ٤٣ـ حـ ١٢ـ .

(٢) في نسخة : الفاتر .

التأمل في خوض هذه اللجج كما أريد ولو لا أن الله أمر في كتابه وقال : ﴿أَوْفُوا الْكِيلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ
 ﴿الْمُسْتَقِيمِ ﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءً هُنَّ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ
 مُفْسِدِينَ ﴿١﴾ ، لما كنت أمليت لما أنا فيه من التشويش ولما
 أعلم من إنكار من لم يفهم وجهل من لا يعلم ، والله خير حافظاً
 وهو أرحم الراحمين وحسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم
 النصير .

وقع الفراغ من تسويدها على يد مؤلفها ليلة العشرين من شهر
 شعبان سنة الحادية عشرة بعد المئتين والألف حامداً مستغفراً
 مصلياً .

والحمد لله رب العالمين .

(١) سورة الشعرا ، الآيات : ١٨١ - ١٨٣ .

١٢ - رسالة في جواب الشيخ

رمضان بن إبراهيم

عن مسائل استشكلها من بعض

عبارات الفوائد وغيرها

رسالة في جواب الشيخ رمضان بن إبراهيم

الحمد لله رب العالمين وصَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

أما بعد : فيقول العبد المسكين أَحْمَدُ بْنُ زَيْنِ الدِّينِ الأحسائي : إنه قد بعث إلى الأَكْرَمِ الْمُسْتَقِيمِ الْوَفِيِ الْحَلِيمِ الْكَرِيمِ ابنَ الْكَرِيمِ الشَّيْخِ رَمَضَانَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ أَيْدِهِ اللَّهُ بِمَدْدِهِ مَسَائِلَ قَدْ اسْتَشْكَلَتْ مِنْ بَعْضِ عَبَارَاتِي فِي الْفَوَادِ وَغَيْرِهَا يَرِيدُ بِيَانَهَا وَأَنَا عَلَى حَالٍ لَا يَرْجِى مِنِي مُثْلُ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَا بدَّ مِنِ الْجَوَابِ لِأَنَّهُ سَلَّمَهُ اللَّهُ نَبَّهَ عَلَى إِشْكَالَاتِ تَعْرُضِ لِأَكْثَرِ الْطَّلَبَةِ .

والجواب عنها نافع للجميع ورافع لاعتراض الشريف
والوضيع وأنا أنقل كلامه وأجيب عن كلّ مسألة بما يخصها .

قال سَلَّمَهُ اللَّهُ : قال أعلى الله مقامه في الفائدة الثانية عشرة :
قلنا هو سبحانه يعلم ما يكون وما يشاء أن يغير إلى ما شاء ، فكلّ
طور يمكن أن يكون الممكن عليه فهو يعلمه ، إلى آخر كلامه ،
وحاصله أن العلم لا يتغير بتغير المعلوم لا أدرى أن مراده هل هو
العلم الذاتي الذي هو ذاته تعالى أم العلم الحادث الذي هو نفس
المعلومات ؟ فسياق كلامه ظاهر من أوله إلى آخره يدل على إرادة

الثاني ، فعلى هذا كيف يتصور التغيير في المعلوم وعدمه في العلم الذي هو نفسه ، وليس هذا إلّا اجتماع المتنافيين وإن أراد الأول فيأباه آخر كلامه حيث شبه هذا العلم بعلم المخاطب .

فقلت : إذا علمت زيداً في مكان في وقت وعلمت أنه ينتقل إلى آخر لا يتغير علمك إذا انتقل إلى آخر كلامه ، وذلك لأنّه ظاهر في أن المراد بالعلم هو الحادث لا الذاتي .

بيان أن العلم عين المعلوم هو العلم الحادث

أقول : إذا كان الحق عندنا أن العلم عين المعلوم كان مرادنا بالذاتي هو سبحانه وكيف يكون الله تعالى عين المعلومات ، وإنما نريد به الحادث ، وهو قسمان : حادث إمكانى وحادث كونى ، وكلاهما علم إشراقي ينسب إلى الله تعالى بجهة إحداثه له ، وتقومه بأمره تقوم صدور ، وتقوم تحقق كما ينسب إليك قائم وتصف نفسك به ، وهو صادر بفعلك وليس هو إياك ولا من ذاتك ، ولكنه متقوم بأمرك الفعلى تقوم صدور بأمرك المفعولي أي القيام تقوم تحقق ، فإذا سمعت أنه تعالى عالم بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها^(١) ، فالمراد به الأول الإمكانى يعني أن

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (. . . الله الواحد الأحد الصمد الذي لم تغيرة صروف الأزمان ولم يتكلّده صنع شيء كان ، إنما قال لما شاء أن يكون كن فكان ، ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب ولا نصب ، وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء صنع ما خلق ، وكل عالم فمن بعد جهل تعلم =

إمکانها وإمکان ما ينسب إليها وما هي عليه حاضر لديه في ملکه قبل كونها ومع كونها وبعد كونها .

وإذا أردت الكوني فهو هي فمعنى أنها تتغير وأنه لا يتغير وهي هو أن تغيرها لا يخرج شيئاً منها عن ملکه فعلمـه بالمتغير قبل التغيير هو هو قبل التغيير ، وعلمـه به بعد التغيير هو هو بعد التغيير فلم يختلف عليه ذواتها ولا أحوالها إذ كلا الحالين حاضر لديه في ملکه وإذا حضر لديه في ملکه تغيرها لم يغـب عن ملکه حالـه الأول وهو عدم التغيير قبل التغيير وبالعكس ، فلم تبدل عليه الأحوال فلا يقال : إن علمـه تغير ، لأن معنى كون علمـه قد تغير أنه تجدد له حال لم يكن حاضراً في ملکه وقد الحال الأول من ملکه وهو تعالى لا يغـب عنه الماضي لأنـه تحول من حضورـه لديه إلى حضورـه لديه ، ولا يغـب عنه المستقبل لأنـه تعالى لا ينتظر ولا يفقد فليس عنده في ملکه بالنسبة إلى تسلطـه وتمـلكـه بصنعـه ماضـ ولا استقبالـ بل تحولـها وتغيرـها في أنـفسـها عندـ أنـفسـها ، وأما هو عزـ وجـلـ فليس عنده في ملـکـه منها تغيرـ ولا تبدلـ ولا

=
واـ الله لم يجهـلـ ولم يتعلـمـ ، أحـاطـ بالـأـشـيـاءـ عـلـمـاًـ قـبـلـ كـوـنـهاـ فـلـمـ يـزـدـدـ بـكـوـنـهاـ عـلـمـاًـ ، عـلـمـهـ بـهـاـ قـبـلـ أـنـ يـكـوـنـهاـ كـعـلـمـهـ بـعـدـ تـكـوـيـنـهاـ ، لـمـ يـكـوـنـهاـ لـشـدـةـ سـلـطـانـ وـلـاـ خـوـفـ مـنـ زـوـالـ وـلـاـ نـقـصـانـ وـلـاـ اـسـتـعـانـةـ عـلـىـ ضـدـ مـثـاـورـ وـلـاـ نـدـ مـكـاثـرـ وـلـاـ شـرـيكـ مـكـابـدـ ، لـكـنـ خـلـاتـقـ مـرـبـوبـونـ وـعـبـادـ دـاخـرـونـ . . .) .
توحـيدـ الصـدـوقـ : ٤٣ـ ، بـابـ التـوـحـيدـ وـنـفـيـ التـشـيـهـ حـ ٣ـ .

تحول وهي لا تتحول ولا تتبدل ، وإنما هو تعالى يحولها ويبدلها ويغيرها من ملكه إلى ملكه فكما لا تستطيع لنفسها إيجاداً كذلك لا تستطيع لنفسها بقاء ولا تحولاً ولا تبلاً ولا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ، فإذا فهمت هذا صحا لك النهار بلا غبار .

وأما الذاتي فلا نعرفه ولا نتكلّم في حقه إلّا بالتنزيه ونفي التشبيه لأنّه (هو الله لا إله إلّا هو) .

قال سلمه الله تعالى : ولما قلتكم في هذا الكلام : إن العلم انطبق ووقع على المعلوم حين انتقل علمنا أن مراده عليه السلام في أصول الكافي^(١) ، حيث قال : (لم يزل الله ربنا والعلم ذاته ولا معلوم . . إلى أن قال : فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم)^(٢) أن يكون هو العلم الحادث وهذا كيف يجتمع مع قوله عليه السلام في ابتداء الحديث (العلم ذاته

(١) هو محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي ، ويعرف بالسلسلة البغدادية أبو جعفر الأعور .

كان زمن وكلاء الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، انتهت إليه رئاسة فقهاء الإمامية في أيام المقتدر .

توفي في بغداد في شهر شعبان سنة ٣٢٩ هـ وقيل ٣٢٨ هـ .

(٢) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ١ ، وتوحيد الصدوق : ١٣٩ باب صفات الذات وصفات الأفعال ، وبحار الأنوار : ٤ / ٧١ ح ١٨ .
ولفظه في التوحيد : عن أبي بصير قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول :

ولا معلوم) فإن الذات لم تقع على المعلوم بديهية بمعنى المطابقة ، إذ هي من صفات الخلق تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

أقول : إن مراد الإمام عليه السلام ومرادنا تبعًا لمراده عليه السلام أن قوله : (لم يزل الله ربنا عز وجل والعلم ذاته ولا معلوم) أن هذا العلم هو الله سبحانه ، وأن الله والعلم والقدرة والسمع والبصر والحياة ألفاظ متراوفة تدل على معنى واحد متنزه في عز جلاله عنها وعن دلالتها ، ولكن كما قال أمير المؤمنين عليه السلام : (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) ^(١) انتهى .

= (لم يزل الله جل وعز ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور ، فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور) قال : قلت : فلم يزل الله متكلما؟

قال : (إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلم) .
 (١) ورواه المصنف في الجزء الثاني من شرح العرشية ، قال عليه السلام في خطبته : (وإن قلت : مِمْ هُو ؟ فقد بَيَنَ الْأَشْيَاءَ كُلُّهَا ؟ فَهُوَ هُو ، وإن قلت : فَهُوَ هُو ، فَالْهَاءُ وَالْوَاءُ كَلَامَهُ صَفَةُ اسْتِدْلَالٍ عَلَيْهِ لَا صَفَةٌ تَكْشِفُ لَهُ ، وإن قلت : لَهُ حَدٌ فَالْحَدُّ لِغَيْرِهِ ، وإن قلت : الْهَوَاءُ نَسْبَهُ فَالْهَوَاءُ مِنْ صَنْعِهِ رَجَعَ مِنَ الْوَصْفِ إِلَى الْوَصْفِ وَعَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ عَنِ الْإِدْرَاكِ ، وَالْإِدْرَاكُ عَنِ الْاسْتِبْطَاطِ ، وَدَامَ الْمَلْكُ فِي الْمَلْكِ ، وَانْتَهَىَ الْمَخْلُوقُ إِلَى مَثَلِهِ وَأَلْجَاهِ الْتَّلْبِيَّةِ إِلَى شَكْلِهِ ، وَهَجَمَ بِهِ الْفَحْصُ إِلَى الْعَجَزِ ، وَالْبَيَانُ عَلَى الْفَقْدِ ، وَالْجَهَدُ عَلَى الْيَأسِ ، وَالْبَلَاغُ عَلَى الْقُطْعِ ، وَالسَّبِيلُ مَسْدُودٌ ، وَالْتَّلْبِيَّةُ مَرْدُودٌ ، دَلِيلُهُ = آياته ، وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ) .

وأما قوله عليه السلام : (وقع العلم منه على المعلوم) ، فالمراد بهذا الواقع هو الإشراق الحادث بنفس حدوث المعلوم وهو معنى فعلي إيجادي وأضرب لك مثلاً ﴿وَلِلَّهِ الْمَثُلُ الْأَعَلُ﴾^(١) ، أنت أنت سميع لذاتك والسمع ذاتك ، لأنك تقول : أنا السميع أنا البصير ، فأنت لذلك سميع قبل أن يتكلم زيد ، فلما تكلم سمعت كلامه وأنت قبله سميع لا أصم ، ولكن إدراكك للكلام حدث بوجود الكلام وهو إشراق من سمعك

وهي الخطبة المعروفة بدرة التوحيد روى بعضها السيد حيدر الآملي في جامع الأسرار ومنبع الأنوار : ٢٣٤ ، وأولها : (الحمد لله حمد معترف بحمده مغترف من بحار مجده بلسان الثناء شاكر . . .).

وفيها : (السبيل مسدود والطالب مردود دليله آياته ووجوده إثباته ، ومعرفته توحيده ، وتوحيده تنزيهه من خلقه ، بأين لا بمسافة قريب لا بمدانة . له حقيقة الربوبية إذ لا مريوب ومعنى الإلهية إذ لا مألوه . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل الбинونة لا يبنونه له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس رب من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبود من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء كائن لا يبنونه غائب عنها . . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له).

رواه السبزواري والطباطبائي باختصار : (دليله آياته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه) . انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦ ، وتفسير الميزان : ٦ / ١٠٢ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ ،

(١) سورة النحل ، الآية : ٦٠ .

وفعل حدث منك ، كإشراق الشمس الذي لم يتحقق قبل وجود الكثيف ويذهب بذهابه ، إذ هو عبارة عنه ، فالتعلق هو نفس حضور المتعلق أي وجوده وهو الحضور الخاص لأنه حضر بنفس وجوده وكونه الذي هو به هو لا الحضور العام الذي هو ضد الغيبة ، وهذا هو سر قوله عليه السلام : (وقع العلم منه) ولم يقل وقع ذاته ولا علمه ، فافهم .

الكلام على قسمي العلم الحادث والقديم

قال أيده الله : وأيضاً قد قسمتم العلم على الحادث والقديم ، وقلتم الثاني : ذاته تعالى ، ولم أعلم من أين هذا التقسيم ؟ وبعد ما قسمتم لم تذكروا هذه القسمة في القدرة والحياة ، بل خصصتموها بالعلم مع جريانها فيها بل في غيرهما أيضاً .

أقول : هذا التقسيم من كلام الناطقين عنه تعالى عليهم السلام حيث جعلوا العلم ذاته وهذا هو القديم وجعلوا علمًا آخر له وهو اللوح المحفوظ ، كما قال في كتابه العزيز : ﴿قَالَ فَمَا بَالُّ قَرْوَنِ
الْأَوَّلِ﴾ ^{٥١} قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّهِ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّهِ وَلَا يَنْسَى
﴿فَجَعَلَ ذَلِكَ الْعِنْدِ هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ عِلْمُهُ وَقَالَ تَعَالَى :
﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾ ^{٥٢} ، وأمثال ذلك
في القرآن كثير ، وبينوا ذلك عليهم السلام .

(١) سورة طه ، الآيات : ٥١ ، ٥٢ . (٢) سورة ق ، الآية : ٤ .

ومنه قول علي بن الحسين عليهما السلام : (العرش والكرسي ببابان من العلم)^(١) ، وبين عليه السلام أن العرش هو العلم الباطن وفيه علل الأشياء والكيفية ومظهر البدع ، والكرسي هو العلم الظاهر ، وهذا إن شاء الله تعالى ظاهر .

وأما باقي صفات الذات كالحياة والقدرة والسمع والبصر فإنها كالعلم هي عين ذاته وله بأسمائها صفات فعلية كالعلم حرفاً

(١) في التوحيد : ٣٢١ باب العرش وصفاته (٥٠) ح ١ : عن حنان بن سدير قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي فقال : (إن للعرش صفات كثيرة مختلفة له في كل سبب وضع في القرآن صفة على حدة فقوله : «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبية : ١٢٩] يقول : الملك العظيم وقوله : «أَرْحَنْ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي» [طه : ٥] يقول : على الملك احتوى وهذا ملك الكيفية في الأشياء ثم العرش في الوصول متفرد من الكرسي لأنهما ببابان من أكبر أبواب الغيب وهو جميعاً غياباً وهما في الغيب مقرونان لأن الكرسي هو الباب الظاهر من الغيب الذي منه مطلع البدع ومنه الأشياء كلها والعرش هو الباب الباطن الذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحد والأين والمشيئة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبلء فهما في العلم ببابان مقرونان لأن ملك العرش سوى ملك الكرسي وعلمه أغرب من علم الكرسي فمن ذلك قال : «رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» [التوبية : ١٢٩] أي صفتة أعظم من صفة الكرسي وهو ما في ذلك مقرونان).

وعن المفضل بن عمر قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسي ما هما ؟ فقال : (العرش في وجهه هو جملة الخلق والكرسي وعاؤه ، وفي وجه آخر العرش هو العلم الذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه ، والكرسي هو العلم الذي لم يطلع الله عليه أحداً من أنبيائه ورسله وحججه) معاني الأخبار : ٢٩ ح ١ .

بحرف ، فالتي هي ذاته لم يسم نفسه بها بعد ولكنها وصف نفسه بالفعلية لأنها هي مبادئ البدع والتكاليف والتعريف وهي محمولة على ذاته ، فقولك : الله عالم وقدر وحي وسميع وبصير مثل قولك : زيد قائم وقاعد وأكل وشارب ، وهذه الصفات في جانب الحق تعالى وصفات زيد في حقه لم تكن محمولة عليه بالحمل الأولى المفید للاتحاد ، وإنما هي محمولة عليه بالحمل المتعارف المفید للاتحاد في المفهوم والمفهوم من ذات الحق تعالى هو المقامات التي لا تعطيل لها في كلّ مكان وهي العنوان وهي المثال وهي الوجه الذي يتوجه إليه الأولياء ، وكذلك المحمول عليه في زيد ليس هو ذات زيد ، وإنّما لم تزل ذات زيد قائمة أو تكون القضية كاذبة ، بل المحمول عليه هو جهة فاعلية زيد للقيام في زيد قائم وللقواعد في زيد قاعد ، فلما انجر الكلام الناس إلى أن سألا هم هل كان تعالى لذاته عالماً وقدراً أجابوا عليهم السلام : نعم ، وصفاته عين ذاته ، ولوّحوا لشيعتهم بالبيان وقد ذكرنا ذلك في كثير من كتبنا كشرح المشاعر وشرح العرشية وغيرها ، ولكنه مفرق وليس كلّ المسائل مجموّعة في كتاب فافهم معنى ما لوحوا به لك .

هل العلم يغایر الذات ؟

قال سلمه الله : وبيّن لنا ما قد قيل بمعايرة العلم لذاته حيث استدل عليها بدلائل أربع على طريقة قياس الخلف ، فقيل : إن

العلم غيره تعالى لأنه لو كان عينه لما أفاد حمله عليه ، ولما امتازت الصفات ، ولما افتقر إلى الإثبات وللجز اتصافه بما اقتضت به الذات والتوالي باطلة بالبديهة فالمقدمات مثلها .

أقول : هذا الكلام كله صحيح وإنما بطلانه من جهة ظنهم أن هذه الصفات محمولة هي التي قالوا : إنها عين الذات ، ومن ظن ذلك فقد أخطأ ، لأن المحمولة هي المغايرة للذات في معانيها وفي مفاهيمها ، بل وفي وجوداتها وهي المتغيرة في نفسها في مفاهيمها وفي معانيها والتي يقال فيها بالعينية غير المحمولة وليس بينهما اشتراك معنوي ولا لفظي وإنما اشتراكا في خصوص الألفاظ ، بل عند أهل العصمة عليهم السلام أن المحمولة مجاز والحقيقة هي المقول فيها بالعينية .

قال سلمه الله تعالى : وبين لنا أنه هل يجوز أن يقال في الحديث السابق : إنه بتقدير المضاف أي سبب العلم والباعث إلى إيجاده بنفسه هو ذاته ، فعلى هذا يكون المراد بالعلم في هذا الحديث العلم الحادث فيكون حينئذ للوقوع على المعلوم بمعنى المطابقة معنى محصل ، وهل يجوز أن يقال : إن التسمية بالعلم الذاتي كانت باعتبار أن بعض الصفات كالعلم والقدرة منسوبة إلى الذات فسميت بها وبعضها منسوبة إلى الفعل كالمشية فسميت به على قياس تسمية الأعراض الذاتية بالنسبة إلى الإنسان ، وهل يجوز أن يقال في معنى العينية : إن الصفات بأسرها منافية عن

الذات كما قال بعض الحكماء ، وأما حديث العينية فيرجع إلى نفي الصفات وجعل الذات نائبةً منابها في ترتيب الآثار ، فعلى هذا كان ذاته البسيط تعالى شأنه قد ذُوّت الذوات من ذات المشيئة ووصف الصفات من صفاتها .

أقول : لا حاجة إلى تقدير المضاد ، بل المراد ما ذكرنا ووقوع العلم هو مطابقته للمعلوم ، فإذا قلنا : إن العلم نفس المعلوم لم تكن المطابقة أصدق من مطابقة الشيء لنفسه ، وهو معنى مستعمل في اللغة العربية وأحاديثهم وأدعائهم عليهم السلام مشحونة به ، وليس الفرق بين الصفات العينية والصفات الفعلية أمراً اعتبارياً ليقال : إن ما نسب منها إلى الذات يسمى عينياً وما نسب إلى الفعل يسمى فعلياً ، بل الصفات العينية ذاته القدسية لها أسماء متعددة متراوفة تدل على معنى واحد بجهة واحدة غير متعدد لا في المعنى ولا في المفهوم كما توهمه من لا يعرف ، فإنها إذا كانت هي ذاته من حيث الوجود والمصداق وغيره من حيث المفهوم كان ذو الحيثيتين عين البسيط البحث ، فيكون حينئذ البسيط مختلف الحيثية ومختلف الحيثية حادث ، وليس معنى عينية الصفات نفيها أصلاً بل المراد ثبوتها وذلك الثابت هو الواحد الحق سبحانه ، ومن نفها وجعل الذات نائبةً منابها ، فإنما دعاه إلى ذلك مغايرة مفاهيمها للذات فيكون المعلومية مثلاً أثراً للعلم لا للسمع ، وإثبات العلم يوجب تعدد القدماء فينفيه

ويجعل الذات نائبة مناب العلم ، لأن المعلومية لا تصلح أن تكون أثراً للذات وإنما هي أثر للعلم ، وأنت خبير بأن الذات إذا كانت فاعلة بنفسها لا معنى للنيابة عما ليس بشيء .

بيان زمن علم الله تعالى

قال أيده الله تعالى : وهل يصح أن يقال في دعاء العدالة (كان عالماً قبل إيجاد العلم والعلة) أن المراد بالعلمين الحادثان ، فال الأول هو المطلق بقرينة التكير والثاني المقيد بقرينة تعريفه الدال على تقييده ، وإنما يحمل العلمان على الحادثن بقرينة ذكر القبيل فإنه يدل على التفاوت الموجود في الحوادث ، لأنه صفة الخلق إذ الحق بري منه لاستواه بالنسبة إلى المخلوقات طرأ على ما ذكرتم في مواضع عديدة .

أقول : قوله عليه السلام في دعاء العدالة : (كان عالماً قبل إيجاد العلم والعلة)^(١) دليل ظاهر صريح على أن العلم الأول هو

(١) ودعاء العدالة هو : (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمُ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ، وَأَنَا الْعَبْدُ الصَّعِيفُ الْمُذْنِبُ الْعَاصِي الْمُخْتَاجُ الْحَقِيرُ ، أَشَهَدُ لِمُنْعِمِي وَخَالِقِي وَرَازِقِي وَمُنْكِرِي كَمَا شَهِدَ لِذَاتِهِ وَشَهِدَتْ لَهُ الْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنْ عِبَادِهِ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ذُو النِّعَمِ وَالْأَخْسَانِ وَالْكَرَمِ وَالْإِمْتَانِ ، قَادِرٌ أَزَلِيٌّ ، عَالِمٌ أَبْدِيٌّ ، حَيٌّ أَحَدِيٌّ ، مَوْجُودٌ سَرْمَدِيٌّ ، سَمِيعٌ بَصِيرٌ مُرِيدٌ كَارِهٌ مُدْرِكٌ صَمَدِيٌّ ، يَسْتَحْقُ هَذِهِ الصِّفَاتُ وَهُوَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي عِزٍّ صِفَاتِهِ ، كَانَ قَوِيًّا قَبْلَ وُجُودِ الْقُدرَةِ =

الذاتي لأنه هو الذي قبل إيجاد العلم المطلق والمقييد الحادثين وقبل إيجاد مطلق العلة والعلم الذي وقع بالإيجاد هو الحادث ، فليس المراد بالعلمين الحادثين بل الأول هو القديم والثاني هو الحادث وقرينة التنکير أعم من الإطلاق ، وذكر القبل لا يدل على الحدوث ، إلا إذا أريد بالقبل الابتدائي ، ولكن استعمال القبل بمعنى الابتداء واللانتهاء مشهور ، خصوصاً في مثل هذا المقام ، واستواؤه بالنسبة إلى جميع الأشياء لا ينافي تفرده بالقبلية الأزلية لأنها هي عين البعدية بجهة واحدة وفي الدعاء : (يا من هو قبل كل شيء ، يا من هو بعد كل شيء) ^(١) .

الله قبل كل شيء بلا وصل ولا فصل

قال سلمه الله تعالى : وأيضاً قلت إن المشيئة بالنسبة إليه

وأقواء ، وكان علیماً قبل إيجاد العلم والعلة ، لم ينزل سلطاناً إذ لا مملكة ولا مال ، ولم ينزل سبحانه على جميع الأحوال وجوهه قبل القبل في أزال الآزال ، وبقاوه بعد البعد من غير انتقال ولا زوال ، غنى في الأول والآخر ، مستغن في الباطن والظاهر ، لا جور في قضيته ولا ميل في مشيته ، ولا ظلم في تقديره ولا مهرب من حكمته ، ولا ملجاً من سطواته ولا منجاً من نقماته ، سبقت رحمته غضبه ، ولا يفوت أحد إذا طلبه ، أزاح العلل في التكليف وسوى التوفيق بين الصعب والشريف ، مكن أداء المأمور وسهّل سبيل اجتناب المحظوظ ، لم يكلف الطاعة إلا دون الوسعي والطاقة ، سبحانه ما أبين كرمه وأعلى شأنه ، سبحانه ما أجل نيله) مفاتيح الجنان : ٨٥ .

(١) مصباح الكفعمي : ٢٤٩ ، وهو مقطع من دعاء الجوشن الكبير .

تعالى لا وصل به ولا فصل عنه ولم نفهم مرادكم فيبين لنا هذا ، وجدنا هذا الكلام منكم في بعض تعليقاتكم في جواب السائلين المتضرعين ببابكم ، وقد عرضنا الأسئلة على السيد السندي سيد محمد بكاء سلمه الله مراراً ولم نفهم المراد .

أقول : نعم ، ذكر ذلك في معرض جواب أورده الحكماء على المتكلمين ما ملخصه : قال الحكماء للمتكلمين : قولكم : إنه تعالى قبل كل شيء ، وهذا لا يصح إذ لا يخلو أن يكون سبق الأشياء بمدة أو بدون مدة ، فعلى الثاني يلزم إما حدوث الواجب أو قدم العالم ، واللازم باطلان فالملزومان مثلهما ، وعلى الأول إما أن تكون المدة متناهية أو غير متناهية ، فعلى الأول يلزم ما لزم في الشق الثاني من حدوث الواجب أو قدم العالم لأنه يكون متصلةً بالعالم ، وعلى الثاني يلزم أن العالم إلى الآن لم يوجد .

قال فخر الدين الرازي : وهذه الشبهة بقيت متصعبة على الأذهان إلى الآن فأشرت إلى جواب تلك الشبهة بأنها سهلة لا صعوبة فيها بأن هذه النسبة التي يلزم منها ما ذكره الحكماء لا تصح بين شيئين ، إلا إذا كانا في صدق واحد وليس بين الأزل والإمكان نسبة من النسب الأربع^(١) ، وليس شيء يوصف بالثبوت إلا الله سبحانه واسمه وصفته والخلق أسماؤه وصفاته ، وليس بينه

(١) النسب الأربع : التوافق والتباين والعموم والخصوص المطلق والعموم والخصوص من وجه . منه أعلى الله مقامه .

وبينهم وصل ليصح ما فرضه الحكماء ، ولأن الوصل يلزمـه الاقتران الموجب للحدوث ولا فصل ، وإنـا لـما وجد عنـه شيء ، وآية ذلك التي جعلـها سبـحانـه دليـلاً في الآفاق السراج ، فإنـ أشـعـته لم تـكـن متـصلـة بـه ، لأنـ طـرـفي المتـصـلـين مـتـمـاثـلـان وأـقـرـب جـزـءـ من الشـعـاع إلى السراج لا يـصـح أنـ يـكـون متـصـلـاً بالسراج ، لأنـه لا يـكـون منـيـراً أـبـداً ، وإنـما هو نـورـ والـجـزـءـ الـذـي يـلـيـه منـ السراج لا يـكـون نـورـاً أـبـداً ، وإنـما هو منـيـرـ فلا مـمـاثـلـةـ فلا وـصـلـ ولا فـصـلـ ، وإنـا لـما وـجـدـ الشـعـاعـ ، لأنـ الوـصـلـ وـالـفـصـلـ منـ صـفـاتـ الحـوـادـثـ لا يـقـعـ شـيـءـ مـنـهـ إـلـاـ بـيـنـ حـادـثـيـنـ لأنـهـماـ مـنـ الأـكـوـانـ الـأـرـبـعـةـ ، فـالـفـصـلـ يـلـزـمـ مـنـ الـاقـترـانـ وـالـوـصـلـ يـلـزـمـ مـنـهـ الـاجـتمـاعـ ، وـلاـ يـكـونـانـ إـلـاـ بـيـنـ حـادـثـيـنـ .

والمشيئة والإرادة إذا نسبـاـ إلى الأـزـلـ لمـ تـكـنـ بـيـنـهـ وـبـيـنـهـماـ نـسـبةـ منـ النـسـبـ الـأـرـبـعـ لـتـبـيـانـ الـظـرـفـيـنـ وـتـفـارـقـ الـعـالـمـيـنـ ، وإنـا لـحـظـتـ أنـهـماـ قـائـمـانـ بـهـ أـيـ بـذـاتـهـماـ أـيـ أـقـامـهـماـ بـذـاتـهـماـ قـيـامـ صـدـورـ وـقـيـامـ تـحـقـقـ ، فـلاـ وـصـلـ وـلاـ فـصـلـ لأنـهـ تـعـالـىـ وـحـدهـ لاـ يـقـرـبـ مـنـهـ قـرـيبـ ، يـحـصـلـ مـنـهـ الـوـصـلـ وـلاـ يـبـعـدـ مـنـهـ بـعـيدـ يـحـصـلـ مـنـهـ الـفـصـلـ ، لأنـ هـذـيـنـ الـحـالـيـنـ مـنـ أـحـكـامـ الـوـضـعـ ، فـافـهـمـ .

في بيان الفرق بين الأقدس الحق والمقدس الروح

قالـ أـيـدـهـ اللهـ تـعـالـىـ : وـبـيـنـ لـنـاـ أـنـ الـأـوـلـ هـلـ وـاسـطـةـ بـيـنـ المـقـدـسـ وـالـمـشـيـئـةـ ؟ـ فـإـنـ قـلـتـمـ بـهـ فـمـاـ مـعـنـىـ كـلـامـكـمـ لـاـ فـصـلـاًـ مـنـهـ ؟ـ

إذ الأقدس حينئذ واسطة وبين لنا ما معنى الأقدس والمقدس هل هذا مثل التقدير والمقدر الدالين على التعدد ، حيث ورد في بعض الأحاديث أن الله خلق خلقين اثنين تقديرًا ومقدراً إلى آخره أو غير ذلك بأن يكونا شيئاً واحداً معنى لا لفظاً؟ وبين لنا الحقيقة في ذلك على التفصيل ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور ، وإلى الصواب من الزور والغرور .

أقول : انتهى كلامه الأول أعلى الله مقامه .

واعلم أن المقدس والأقدس ليس هذا من كلامي ولا أستعمله لما فيه على مرادهم منه من الفساد ، ولكنني أبين ذلك لجنابك على ما يظهر لي ، اعلم أنهم يريدون بال المقدس الذات الحق تعالى والله سبحانه أعلم ، ويريدون بالأقدس الروح القدس أعني روح القدس ، فعندنا روح القدس يطلق على جبرائيل عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُّسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ﴾^(١) ويطلق على الروح من أمر الله وهو عقل الكل ، وعلى روح القدس وهو روح الكل وهما ركانان من العرش :

الأول : النور الأبيض .

والثاني : النور الأصفر .

وعندهم أن روح القدس لا يدخل تحت ﴿ كُن ﴾ لأنه هو ﴿ كُن ﴾ وليس هو مما سوى الله تعالى ، صرخ الملا صدر الدين

(١) سورة التحل ، الآية : ١٠٢ .

الشیرازی^(١) فی آخر المشاعر وفی أوله قال : إن العقل وما فوقه كلّ الأشياء من قولهم بسيط الحقيقة كلّ الأشياء ، وقد أشرنا إلى بطلان كلّ ذلك فی شرح المشاعر ، فعلی ما يظهر من كلامهم إذا كانوا يجعلون روح القدس ليست مما سوی الله تعالى ولا تدخل تحت کن ، وأنها كلّ الأشياء لأنها بسيط الحقيقة أن الأقدس هو نفس الم Shi'ah و هي واسطة بين المقدس وبين الم Shi'ah ، هذا ما يظهر لي من هذا الكلام ، لأنني ما سمعته إلّا من خطكم الآن وليس لي أنس باصطلاح الصوفية ، والله سبحانه أعلم .

وأما ما فی حديث الرضا عليه السلام من أن الله تعالى خلق التقدير والمقدار ، فالمراد بالتقدير الإبداع والمقدار المبدع ، وهو عندنا النور المحمدي صلی الله عليه وآلہ .

والحمد لله رب العالمين وصلی الله على محمد وآلہ
الظاهرين .

(١) هو محمد بن ابراهیم الشیرازی (صدر الدین) حکیم ، من أهل شیراز .
توفي سنة ١٠٥٠ هـ ١٦٤٠ م .
رحل إلى أصبهان وتعلم فيها ، وتوفي بالبصرة ، وهو متوجه إلى مكة حاجاً .
له تصانیف كثيرة منها : تفسیر بعض سور من القرآن ، شرح هداية الحکمة للأبهري ، مفاتیح الغیب ، شرح الكافی للکلینی ، والشوادر الربوبیة في المناهج السلوكیة .
انظر الفوائد الرضویة للشیخ عباس القمي : ٣٧٨ - ٣٨١ ، وهدیة العارفین للبغدادی : ٢ / ٢٧٩ .

كون الأسماء والصفات هي هو تعالى

قال سُلْطَنِهِ اللَّهُ تَعَالَى : وَفِي أَصْوَلِ الْكَافِيِ فِي جَوَابِ السَّائِلِ
بِهَذَا الْكَلَامِ هَلْ الْأَسْمَاءُ وَالصَّفَاتُ الَّتِي ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ هِيَ
هُوَ ؟

فَقَالَ مَوْلَى الْأَنَامِ فِي جَوَابِهِ : (هِيَ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ ، وَهُوَ
مُسْتَحْقَهَا) ^(١) بَيْنَ لَنَا أَنَّ الْمَرَادَ بِهَذَا الْعِلْمِ مَاذَا ؟ فَإِذَا قَلْتُمْ : إِنَّهُ

(١) في التوحيد : عن أبي هاشم الجعفري قال : كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسألته رجل فقال : أخبرني عن رب تبارك وتعالى له أسماء وصفات في كتابه فأسماؤه وصفاته هي هو ؟

فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّ لِهَذَا الْكَلَامِ وَجْهَيْنِ إِنْ كُنْتَ تَقُولُ : هِيَ هُوَ
أَيْ أَنَّهُ ذُو عَدْدٍ وَكُثْرَةٍ فَتَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : لَمْ تَزُلْ هَذِهِ
الصَّفَاتُ وَالْأَسْمَاءُ إِلَّا لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنَيَيْنِ فَإِنْ قَلْتَ : لَمْ تَزُلْ عِنْدَهُ فِي عِلْمِهِ
وَهُوَ مُسْتَحْقَهَا فَنَعَمْ ، وَإِنْ كُنْتَ تَقُولُ : لَمْ يَزُلْ تَصْوِيرَهَا وَهِجَاؤُهَا وَتَقْطِيعُ
حُرُوفُهَا فَمَعَاذُ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، بَلْ كَانَ اللَّهُ وَلَا خَلْقُهُ ثُمَّ خَلْقُهَا
وَسَيْلَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ يَتَضَرَّعُونَ بِهَا إِلَيْهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَهِيَ ذَكْرُهُ وَكَانَ اللَّهُ وَلَا ذَكْرُ
وَالْمَذْكُورُ بِالذِّكْرِ هُوَ اللَّهُ الْقَدِيمُ الَّذِي لَمْ يَزُلْ وَالْأَسْمَاءُ وَالصَّفَاتُ مَخْلُوقَاتٍ
الْمَعْانِي وَالْمَعْنَى بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِهِ الْاِخْتِلَافُ وَالْاِتَّلَافُ ، وَإِنَّمَا
يَخْتَلِفُ وَيَأْتِلِفُ الْمَتَجْزَئُ فَلَا يَقُولُ اللَّهُ مُؤْتَلِفٌ وَلَا اللَّهُ كَثِيرٌ وَلَا قَلِيلٌ وَلَكِنَّهُ
الْقَدِيمُ فِي ذَاتِهِ لَأَنَّ مَا سُوِّيَ الْوَاحِدُ مَتَجْزَئٌ وَاللَّهُ وَاحِدٌ لَا مَتَجْزَئٌ وَلَا مَوْتَاهُ
بِالْقَلْةِ وَالْكُثْرَةِ ، وَكُلُّ مَتَجْزَئٍ وَمَوْتَاهُ بِالْقَلْةِ وَالْكُثْرَةِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ دَالٌّ عَلَى خَالِقِهِ
لَهُ ، فَقُولُوكَ : إِنَّ اللَّهَ قَدِيرٌ خَبِرْتَ أَنَّهُ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ فَنَفَيْتَ بِالْكَلْمَةِ الْعَجْزِ
وَجَعَلْتَ الْعَجْزَ سَوَاهُ ، وَكَذَلِكَ قُولُوكَ : عَالَمٌ ، إِنَّمَا نَفَيْتَ بِالْكَلْمَةِ الْجَهْلِ
وَجَعَلْتَ الْجَهْلَ سَوَاهُ ، فَإِذَا أَفْنَى اللَّهُ الْأَشْيَاءَ أَفْنَى الصُّورَ وَالْهَجَاءَ وَلَا يَنْقُطُعُ =

غير المشيئة فبَيْنَ لنا أن سبب ابتداء الحديث بالمشيئة ثم الإرادة ثم القدر ثم القضاء ثم الإمضاء ، ماذا لِمَ لم يبتدئ بالعلم ثم بالترتيب المذكور ، وحينئذٍ ما معنى العلم . وإذا قلت : إنه هو المشيئة ما السبب في اختيارها عليه في الذكر على هذا التقدير ، وفي بعض الأحاديث هكذا : (علم وشاء) إلى آخر الحديث^(١)

= ولا يزال من لم يزل عالماً) قال الرجل : كيف سمي ربنا سميّاً ؟ قال : (لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سميّناه بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأبصار من لون وشخص وغير ذلك ولم نصفه بنظر لحظ العين وكذلك سميّناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأحقر من ذلك وموضع الشق منها والعقل والشهوة والسفاد والحدب على نسلها وإفهام بعضها عن بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار ، فعلمنا أن خالقها لطيف بلا كيف ، وإنما الكيفية للمخلوق المكيف ، وكذلك سمي ربنا قوياً لا بقوّة البطش المعروفة من المخلوق ولو كان قوته قوة البطش المعروفة من الخلق لوقع التشبيه ولا تحتمل الزيادة وما احتمل الزيادة احتمل التقصان وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً ، فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيف ولا نهاية ولا أقطار محروم على القلوب أن تمثله وعلى الأوهام أن تتحده وعلى الضمائر أن تكيفه جلّ عن أداة خلقه وسمات بريته وتعالى عن ذلك علوأً كبيراً) التوحيد : ١٩٣ ، وبحار الأنوار : ٥٤ / ٨٣ ح ٦٢ ، والكافي : ١ / ١١٦ / ح ٧ .

(١) في التوحيد عن معلى بن محمد قال : سئل العالم عليه السلام كيف علم الله ؟ قال : (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأبدى فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد فتعلمك كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضاءه كان الإمضاء ، فالعلم متقدم المشيئة والمشيئة =

لم نعلم ما السبب في ترك العلم في حديث وذكره في آخر ، بين لنا هذا وقلتم : إن المشيئة هي الذكر الأول^(١) فما معنى العلم

ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فللهم تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء ، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء ، فالعلم بالمعلوم قبل كونه والمشيئة في المنشأ قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح وزن وكيل وما دب ودرج من إنس وجن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس ، فللهم تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء والله يفعل ما يشاء وبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيئة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها وحدودها ، وبالتقدير قدر أو قاتها وعرف أولها وأخرها وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ، وذلك تقدير العزيز العليم).

الكافي : ١ / ١٤٨ ح ١٦ ، والتوحيد : ٣٧٠ باب (٥٤) باب البداء ح ٩ ،
وبحار الأنوار : ٥ / ١٠٢ ح ٢٧ .

(١) عن يونس بن عبد الرحمن قال : قال لي أبو الحسن الرضا عليه السلام : (يا يونس ، لا تقل بقول القدرة ، فإن القدرة لم يقولوا بقول أهل الجنة ، ولا بقول أهل النار ، ولا بقول إبليس ، فإن أهل الجنة قالوا : ﴿لَحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِهَذِئَ لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ﴾ [الأعراف : ٤٣] ، وقال أهل النار : ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَيْنَا سِقْوَتْنَا وَكَثُنَا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون : ١٠٦] ، وقال إبليس : ﴿رَبِّنَا أَغْوَيْنَا﴾ [الحجر : ٣٩] ، فقلت : والله ما أقول بقولهم ولكنني أقول : لا يكون إلا بما شاء الله ، وأراد ، وقدر ، وقضى .

وقال : فقال : يا يونس ، ليس هكذا ، لا يكون إلا ما شاء الله تعالى وأراد ، وقدر ، وقضى .

المقدم عليه في الحديث ، فتشابه علينا الأمر ، فأخرجنا منه « وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا »^(١) ، وبين لنا أن عقد القلب على المجهول في ضمن الأسماء والصفات التي وصف الله بها نفسه هل يضر بالنية أم لا ؟ إذ لا نقدر على غير ذلك ولا نعلمه بوجه من الوجوه إذا استغلنا بالصلوة وسائر العبادات هل هذا القدر كافٍ لنا أم نحتاج إلى شيء آخر فيبين ؟

أقول : هذا آخر كلامه أعلى الله مقامه ، قوله عليه السلام : (هي عنده) يعني في ملكه ، قوله : (في علمه) أي في ملكه الذي هو ذاتها أي حضورها بذواتها لديه في أمكنة حدودها وأوقات وجودها كلّ في مقامه وهو مستحقها أي مالكتها ، وهذا العلم هو ذات المعلوم كلّ في رتبته ، وإذا ذكر مع المشيئة كما في هذا الحديث حديث الكاظم عليه السلام في قوله : (علم وشاء

= يا يونس تعلم ما المشيئة ؟ قلت : لا ، قال : هي الذكر الأول ، فتعلم ما الإرادة ؟ قلت : لا ، قال : هي العزيمة على ما يشاء ، فتعلم ما القدر ؟ قلت : لا . قال : هي الهندسة ووضع الحدود من البقاء والفناء ، قال : ثمّ ؟ قال : والقضاء هو الإبرام وإقامة العين ، قال : فاستأذته أن أُقبل رأسه ، وقلت : فتحت لي شيئاً كنت عنه في غفلة) .

مختصر البصائر : ١٤٩ واللفظ منه ، والكافي : ١ / ١٥٧ ح ٤ ، والوافي : ١ / ٥٤٢ ح ٤٤٤ ، ومرآة العقول : ٢ / ١٨٤ ح ٤ . وبحار الأنوار : ٥ / ١١٦ ح ٤٩ ، وتفسير القمي : ١ / ٢٤ باختلاف يسير .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٢ .

وأراد وقدر وقضى وأمضى) ، فالعلم هو العلم الإمكانى والمشية هنا المشيئة الكونية حدث بها الكون أي الوجود يعني حصة المادة النوعية كحصة الإنسان من الحيوان والإرادة الكونية حدث بها العين أعني الماهية الأولى يعني الصورة النوعية ، وهذا هو الخلق الأول والخلق الثاني أوله التقدير أي إيجاد الحدود الحسية والمعنوية من البقاء والفناء والرزق وما أشبهها ، وفي هذا الشقاوة والسعادة والقضاء إتمام ما قدر والإمساء إظهاره مشروحاً مبيناً العلل والأسباب .

فإذا أريد بالعلم غير المشيئة فهو الإمكانى ، وإذا ابتدئ بها فهي المشيئة الكونية وإذا أريد بالعلم المشيئة وذكرت دونه ، فالمراد أن الكلام في الإيجاد والعلم لا يعرف ذلك منه بخلاف المشيئة وإذا فسرت المشيئة بالذكر الأول ، فالمراد بذكره بالكون أي بتكوينه والعلم المقدم عليها الإمكانى .

ومعنى توجه القلب وعقد يقينه على معبد مجهول مطلق أن العابد يتوجه إلى معبد يعرفه والشيء لا يعرف إلا بما هو عليه ، فإذا عرف معبده بما هو عليه فقد عرفه كمال معرفته وهو تعالى لا يدرك كنهه ولا يعرف إلا من حيث وصف نفسه ، وهو تعالى وصف نفسه بأنه لا يعرف وأمر بأن يدعى بأسمائه ، فإذا عقد قلبك على الجهل به مطلقاً فقد عرفته بما هو عليه ، وإذا دعوته بأسمائه فقد امثلت أمره ولا يقبل هو معرفته من عبده إلا هكذا

ولو توهّمه المكّلّف أو تصوّره وعَبْد ذلك المّتوهّم أو المّتصوّر فقد عَبْد الشّيّطان وعصى الرّحمن ، ولا تصح النّيّة ولا تقبل العبادة إلّا بعقد القلب على المجهول الذي لا يدعى إلّا بما وصف به نفسه .

في أن الله تعالى ذات بسيط خال من جميع الصفات وأضدادها

قال سلمه الله : ثم بيّن لنا أن الخلق لو اعتقدوا أن الله تبارك وتعالى ذات بسيط خال من جميع الصفات وأضدادها حتى العلم والجهل والقدرة والعجز وغير ذلك ، فلما خلق العلم في الأشياء صار عالماً وسمى به بمعنى أنه لو لم يخترع ولم يحدث شيئاً لم يكن عالماً ولا جاهلاً إذ هما لا يتصوران إلّا بعد الشيء الموجود ، وأما قبل الوجود فأي معنى لعلمه بالشيء ، وفي الحديث (علمه بالأشياء قبل الأشياء كعلمه بها بعدها) ، إذ لا حصول صورة ولا حضور شيء حينئذ ، إذ لو كان ثبت القول بالأعيان الثابتة وهو مذهب القائلين بوحدة الوجود ، وقد أبطلتم هذا المذهب بطرق عديدة ، وقلتم في حقّ مميت الدين : إنه ضلّ وأضلّ كثيراً من أهل اليقين ، فالحاصل لو اعتقدوا كذلك هل كان له وجه صحة أم ينبغي أن يعتقد أنه سبحانه متصف بأشرف طرف في النقيض ولم يجز خلوه عنه ، فإن قلتم بالأخير فما معنى حديث (إنه لا اسم له ولا رسم ولا وصف)^(١) ، وكذا حديث (حقيقة

(١) قال الإمام الرضا عليه السلام للجاثيلق : (واعلم أنه لا يكون صفة لغير =

التوحيد نفي الصفات عنه^(١) ، وهو المذكور في نهج البلاغة لسيد الوصيin عليه السلام ، فاكتشف الغطاء وبين المراد وثبتنا على ما هو الحق في دار الغرور ولا ترض لنا بالجهل في هذه الأمور ، فإننا وجدناكم أنكم على السائلين شقيق جدير .

أقول : من اعتقاد أن معبوده ذات بسيطة خال من جميع الصفات إلى آخر ما قال من الاعتقاد الأول ، هذا كله حق واعتقاده صحيح ، ولكن يحتاج إلى بيان على نمط الشرح المزجي : (ذات بسيط) حق هو ذات بسيط لا تركيب فيها لا في الخارج ولا في نفس الأمر ولا في الذهن ولا في الفرض والاعتبار .

موصوف ولا اسم لغير معنى ولا حد لغير محدود والصفات والأسماء كلها تدل على الكمال والوجود ، ولا تدل على الإحاطة كما تدل على الحدود التي هي التريبيع والتثليث والتسديس ، لأن الله عز وجل وتقى تدرك معرفته بالصفات والأسماء ، ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك ، وليس يحل بالله جل وتقى شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم بالضرورة التي ذكرنا ، ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته ويدرك بأسمائه ، ويستدل عليه بخلقه حتى لا يحتاج في ذلك الطالب المرتاد إلى رؤية عين ولا استماع أذن ولا لمس كف ولا إحاطة بقلب ، فلو كانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه وأسماؤه لا تدعو إليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لأسمائه وصفاته دون معناه ، فلو لا أن ذلك كذلك لكان المعبد الموحد غير الله تعالى لأن صفاته وأسماءه غيره أفهمت ؟).

توحيد الصدوق باب (٦٥) ذكر مجلس الرضا علي بن موسى عليه السلام مع أهل الأديان ح ١ .

(١) نهج البلاغة : ١ / ١٥ ، وعواoli اللاali : ١٢٦ ح ٢١٥ .

(حال من جميع الصفات وأضدادها) ، لأن الصفات التي لها أضداد ولو في الفرض هو منزه عنها بخلاف صفاته التي هي ذاته فإنه غير حال منها لأنها ذاته والشيء لا يخلو من ذاته .

(حتى العلم والجهل والقدرة والعجز وغير ذلك هذه منزه عنها ، لأن لها أضداداً ، فهي غيره وهي خلقه فلما خلق العلم في الأشياء صار عالماً وسمى به) هذا هو العلم الإشراقي الحادث ، وهذا الكلام حق ، لأن هذا العلم الإشراقي يحدث بحدوث المعلوم ويرتفع بارتفاعه لأنه نفس المعلوم .

(بمعنى أنه لو لم يخترع ولم يحدث شيئاً لم يكن عالماً) ، لأن هذا نفس المعلوم .

(ولا جاهلاً) لأنه عالم لذاته تعالى ولم يزدد عالماً بوجود الإشراقي ، ولا يلحقه نقص بفقدانه لأنه لا يفقده في ملكه .

(إذ هما لا يتصوران إلا بعد الشيء الموجود ، وأما قبل الوجود فأي معنى لعلمه بالشيء) ولا شيء ، لأن دعوى ذلك جهل وقد قال تعالى : ﴿أَتَنْسِيُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وقال : ﴿أَمْ تُنْسِيُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) ، فأخبر تعالى بأنه لا يعلم أن له شريكاً لا في السماوات ولا في الأرض فنفي العلم لعدم المعلوم .

(١) سورة يونس ، الآية : ١٨ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٣ .

وفي الحديث (علمه بالأشياء قبل الأشياء كعلمه بها بعدها) ^(١) هذا هو العلم الإشرافي الإمكانى ، لأن الإمكان قبل الممكن ومعه وبعده ، وهذا العلم كغيره نفس المعلوم وهو أيضاً موجود عنده في ملكه لم يفقده من ملكه أبداً .

(إذ لا حصول صورة ولا حضور شيء حينئذ) هذا العلم المتعلق بالمعلوم لا فرق فيه بين حصول الصورة وعدمها لأنه العلم الحادث الموجود في ملكه لا في ذاته ، فلا محظوظ في الصورة وغيرها ، لأن قوله (علمه بالأشياء) دليل على العلم الحادث ، لأن القديم هو الله تعالى وهو تعالى لا يقترن بشيء ولا يرتبط به شيء إذ لو كان حصول صورة أو حضور شيء .

(لثبت القول بالأعيان الثابتة وهو قول القائلين بوحدة الوجود) إذا أريد بالعلم الذاتي الذي هو الله تعالى ، وأما إذا أريد به الإشرافي الإمكانى الحادث فلا محظوظ .

(١) الكافي : ١ / ١٠٧ ح ٤ ، وتوحيد الصدوق : ١٤٥ ح ١٣ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٨٨ ح ٢٥ .

ولفظه في التوحيد : عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عزّ وجلّ : أكان يعلم الأشياء قبل أن خلق الأشياء وكونها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكونيتها فعلم ما خلق عند ما خلق وما كون عند ما كون ؟ فوقع عليه السلام بخطه : (لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء) .

(وقد أبطلتم هذا المذهب بطرق عديدة) وقد أبطله الله وأولياؤه عليهم السلام .

(وقلتم في حق مميت الدين أنه ضل وأضل كثيراً من أهل اليقين) بل أقول : إن حاله أسوأ من أن يوصف ، ولقد هلك وأهلك وإن يهلكون إلا أنفسهم .

(فالحاصل لو اعتقدوا كذلك هل كان له وجه صحة) نعم هذا دين الله ودينأنبيائه ورسله وأوليائه ولكن بالحدود التي وصفت لك في هذا البيان ، والله سبحانه هو المستعان .

(أم ينبغي أن يعتقد أنه سبحانه متصف بأشرف طرف النقىض ولم يجز خلوه عنه) ، هذا المعنى لا يصح على القديم تعالى لأنه لا يوصف بما له جهة تعدد أو مقابلة أو حيادية أو غير ذلك فأشرف طرف النقىض ، ولو كان النقىض لفظاً أو اعتبارياً يكون نقصاً في شأن ذاته تعالى ، لأن الاتصاف هنا ذاتي فيجب فيه اعتبار ما في الصفة في الذات ، فلو جاز وصفه بأشرف طرف النقىض كان هو في ذاته أشرف طرف النقىض ، فيكون ذلك إثباتاً للضد تعالى عن ذلك ولم يجز خلوه عنه لأنه عينه فتكون ذاته أشرف طرف النقىض وهو باطل .

(فإن قلت بالأخير فما معنى حديث أنه لا اسم له ولا رسم ولا وصف) ، نحن لا نقول بالأخير لاستلزم ما سمعت .

(وكذا حديث نفي الصفات عنه وهو المذكور في نهج البلاغة

لسيد الوصيين عليه السلام فاكتشف الغطاء عن المراد ، وثبتنا على ما هو الحق في دار الغرور ولا ترض لنا الجهل في هذه الأمور)
إلخ .

اعلم أن قول عليّ عليه السلام ، وقول الرضا عليه السلام وهو : (كمال توحيده نفي الصفات عنه) ^(١) ليس المراد منه عدم الاتصال أصلاً ، بل المراد أن هذه الصفات كالحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة هي ذاته بغير مغايرة ولا تعدد لا في الخارج ولا في نفس الأمر ولا في الذهن ولا في الوجود ولا في المفهوم ولا في الفرض والاعتبار ، وإنما هي ألفاظ متراوفة تدل على معنى بسيط وذات بحث فالله والعلم والقدرة وبباقي الصفات معناها واحد ومفهومها واحد ومصادقها واحد وجودها واحد فهي كأسد وسبع وسيد وعقرنَى ، أسماء متراوفة مسماتها الحيوان المفترس المعروف ، وليس هذه هي المحمولة عليه في قوله الله عالم ، لأن المحمولة أسماء أفعال صيغت من الفعل وأثره أسماء للفاعل كما صيغ من حركة فعل القيام وأثره الذي هو القيام اسم

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام : (وكمال توحيده نفي الصفات عنه لشهادة أن كلّ صفة غير موصوف ، وشهادة كلّ صفة موصوف بالاقتران ، وشهادة الاقتران بالحدث الممتنع من الأزل ، الممتنع من الحديث) أصول الكافي : ١ / ١٤٠ ح ٦ ، ونهج البلاغة : ١ / ١٥ ، وشرح أصول الكافي : ٢ / ٢٠١ ، والاحتجاج : ١ / ٢٩٥ - ٢٩٦ ، وعوا أبي اللالي : ١٢٦ ح ١٢٥ .

لفاعل القيام ، وهو مثال زيد الظاهر بالقيام ، وليس معنى العينية على مذهب الأئمة عليهم السلام ما ذهب إليه بعض العلماء من أنها عينه في الوجود وغيره في المفهوم ، فافهم واشرب صافياً والحمد لله رب العالمين .

سبب شقاوة الأشياء وسعادتها

قال سُلْطَنُهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَبَيْنَ لَنَا مَا السَّبَبُ فِي اخْتِلَافِ الْأَشْيَاءِ حِيثُ كَانَ بَعْضُهَا شَقِيقاً وَبَعْضُهَا سَعِيداً ، وَإِنَا قَدْ وَجَدْنَا أَكْثَرَ رَسَائِلَكُمْ وَنَظَرَنَا إِلَى تِلْكَ الرَّسَائِلِ وَلَمْ نَفْهُمْ الْمَرَادَ مِنْهَا ، وَاللَّهُ لَوْ مَنْعَمْتُمْ مِنْا حَقَّ نَفْسِ الْأَمْرِ وَلَمْ تَبَيَّنَا لَنَا مَا هُوَ الْمَكْنُونُ الْمَخْزُونُ عِنْدَكُمْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ فِي الْوَاقِعِ وَنَفْسُ الْأَمْرِ لَكُنْتُمْ قَدْ أَمْتُثُنَا ، وَفِي الْقِيَامَةِ نَقُولُ : إِنَّ الاعْتِقَادَ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْنَا هُوَ الَّذِي وَصَلَ مِنْكُمْ فَبَيْنَ أَنَّ الْحَقَّ الْحَقِيقِيَّ فِي صِيرَوْرَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مَا السَّبَبُ فِي ذَلِكَ ؟ فَإِنَّ لَمْ تَوَصُّلْ إِلَيْنَا مَا هُوَ الْحَقُّ لَكُنْتُمْ مِنَ الْبَخَلَاءِ تَعَالَى شَأْنُكُمْ عَنْ ذَلِكَ فَنَجَّنَا مِنَ النَّارِ وَإِلَّا لَهُلْكَنَا ، وَاللَّهُ إِنَّ طَالِبَوْنَ لِلْحَقِّ لَيْسُ قَصْدُنَا سَوَاهُ فَبَيْنَ لَنَا حَقُّ الْبَيَانِ الَّذِي لَيْسَ شَيْءٌ سَوَاهُ لَكُمْ ، بَلْ بَيْنَ مَا هُوَ الْحَقُّ عِنْدَكُمْ بِحَقِّ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَلَا تَأْتَيْشُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ ﴾^(١) ﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

(١) سورة يوسف ، الآية : ٨٧

قِنَتْ الْمُحْسِنَينَ^(١) . فَأَحْسَنَ إِلَيْنَا حَقَ الْإِحْسَانِ بِبَيَانِ مَرَادِكُمْ
الواقعي في هذه الأشياء كمال البيان إن شاء الله .

أقول : هذا آخر كلامه نقلته حرفاً بحرف وأريد منه كما يريد
مني والحكم غداً أمامنا ، فاعلم أنك وإن لم تشدد هذا التشديد لا
تسمع مني حرفاً إلا ما أعتقده ، ولكن كيف أنت واحتماله وقبوله
مع ما تسمع ما الناس فيه من الخبط ؟ !

والحاصل : أن الله سبحانه خلق مادة نوعية يسمونها الناس
بالوجود وهي هيولى لجميع أوليائه محمد وأهل بيته عليه وعليهم
السلام وجعلها أربع عشرة حصة وألبس كلّ حصة هيكل توحيده
على حسب إيجابته ، فبقوا يعبدون الله تعالى ليس في الكون غيرهم
ألف دهر كلّ دهر مئة ألف سنة .

ثم خلق من شعاع ذلك النور مئة وأربعة وعشرين ألف لمعة
نور وألبس كلّ لمعة صورة من صور أحوال الأولين عليهم السلام
وهوئاء هم الأنبياء والمرسلون وبعث إليهم محمداً صلى الله عليه
وآله مع أهل بيته شهداء على التبليغ فأجابوا ، وبقوا يعبدون الله
تعالى ألف دهر كلّ دهر مئة ألف سنة ، ثم خلق من شعاع أنوار
الأنبياء عليهم السلام أنوار المؤمنين ، ثم خلق من أظللة هذه
الأنوار ذوات الكافرين والمنافقين وأتباع الفريقيين من أصحاب

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٥٦ .

اليمين وأصحاب الشمال عند الكعبة ، فقام داعي الله صلى الله عليه وآله في عالم الذر قبل خلق السماوات والأرض بأربعة آلاف سنة مسندًا ظهره إلى الحجر الأسود من الركن العراقي ، فجعلهم حصصاً كل حصة غير الأخرى بأمر الله تعالى فجعل الله سبحانه بداعيه في كل حصة منها التمييز والاختيار ، وبين لكل حصة منها طريق الخير والشر وهذه مثالها لو كان عندك خشب فأخذت شيئاً منه تريد أن تعمل منه إذا شئت باباً وحصة أخرى للسرير قبل أن تعمل ذلك ، ولكن الحصة صالحة لعمل ما تريد ولغيره فكذلك أعطى كل حصة منها التمييز والفهم للخير والشر وللحسن والقبح وجعل فيها الاختيار .

ثم إن داعي الله صلى الله عليه وآله كشف للحصص بأمر الله على عليين كتاب الأبرار وقال لهم عن الله : هذه الصور صور طاعات الله وإنجابتة فمن أطاعني فيما أمره به من طاعة الله وإنجابت دعوتي إلى الله ألبسه الله صورة إنجابتة من هذه الصور التي هي صور طاعات الله وإنجابتاه .

ثم كشف عن سجينين كتاب الفجار بأمر الله ، وقال لهم عن الله : هذه الصور صور معاصي الله وعدم إنجابتة فمن عصاني فيما أمره به عن الله تعالى وأنكر دعوتي إلى الله ألبسه الله سبحانه صورة معصيته وإنكاره ، ثم أمره أن يدعوه فنطق عن الله تعالى وقال

لهم : معاشر الناس يقول الله ربكم : ﴿أَسْتَبِّنْكُمْ فَالْوَالِيَّ بَلَى﴾^(١) فقال لهم : ومحمد نبيكم^(٢) ؟ فأجاب المؤمنون بأسنتهم وقلوبهم فخلقهم الله من النور وصبغهم في الرحمة والمنافقون سكتوا عند قوله : ومحمد نبيكم ، بمعنى أنهم قالوا : بلى متوفين منتظرین لما سيكون فعلم تعالى ما في قلوبهم فأوحى إلى نبيه صلى الله عليه وأله أن أعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ، ثم تماذى بهم الإمهال والإعراض حتى وصلوا في عالم الذر إلى غدير خم فأمر داعيه صلى الله عليه وأله أن يقوم فيكمل لهم الدين ويجدد عليهم

(١) سورة الأعراف ، الآية : ١٧٢ .

(٢) عن حمران ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (إن الله - تبارك وتعالى - حيث خلق الخلق خلق ماء عذباً ، وماءً مالحاً أجاجاً فامتزج الماءان ، وأخذ طيناً من أديم الأرض فعركاً شدیداً . فقال لأصحاب اليمين وهم كالذر يدبون : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمام : إلى النار ولا أبالى ، ثم قال : ﴿أَسْتَبِّنْكُمْ فَالْوَالِيَّ بَلَى شَهَدْنَا أَنْ تَشْهُدُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا عَنِيلِينَ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . ثم أخذ الميثاق على النبيين ، فقال : ﴿أَسْتَبِّنْكُمْ﴾ وأن هذا محمد رسولي ، وأن هذا علي أمير المؤمنين ؟ ﴿فَالْوَالِيَّ بَلَى﴾ ، فثبتت لهم النبوة . وأخذ الميثاق على أولي العزم أنتي ربكم ، ومحمد رسولي ، وعلى أمير المؤمنين وأوصياؤه : من بعده ولادة أمري ، وخرزان علمي ، وأن المهدي أنتصر به لديني ، وأظهر به دولتي ، وأنتقم به من أعدائي ، وأعبد به طوعاً وكرهاً . قالوا : أقررنا يا رب وشهادنا) انظر الكافي : ٢ / ٨ ح ١ ، ومحضر البصائر : ١٥٥ ، وتفسير نور الثقلين : ٢ / ٩٥ ح ٣٤٤ ، وأمالی الصدق : ٢٣٣ ح ٤١٢ .

العهد المأخوذ عليهم ، فنطق عن الله تعالى كما أمره فقال : يقول الله لكم : يا معاشر الناس ألسن ربكم و محمد نبيكم ، وعلى إمامكم ، ووليكم ، والأئمة من ولده أئمتكم وحجج الله عليكم ؟
 فقال المؤمنون : بل بقلوبهم وألستهم ، فكتب في قلوبهم الإيمان وأيديهم بروح منه ، وقال المنافقون والكافرون : لا ،
 بمعنى أنهم قالوا : بل بالستهم .

وأما بقلوبهم فقالوا : لا ، بمعنى أنهم أضمروا ألا نطيع هذا المنادي ، فإنه إنما أراد بذلك أن يستولي علينا هو وأهل بيته فحصر الولاية والخلافة فيهم فنطق القرآن بما أضمروا حكاية عما في سرائرهم ﴿أَجَعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَجِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾^٥
 وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِّي أَمْشَوْا وَأَصْبِرُوا عَلَىَّ إِلَهٍ يَكُوْنُ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادٌ﴾^(١) وإنما شقي من شقي وضل من ضل بعد البيان ، وأبين
 هذا لك حتى يرتفع الغبار عن وجه النهار .

اعلم أن الله سبحانه قال : ﴿سَرِّيهِمْ إِيَّتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾^(٢) ، وقال الصادق عليه السلام : (العبودية جوهرة كنها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية ، وما خفي في الربوبية أصيب في

(١) سورة ص ، الآياتان : ٥ ، ٦ .

(٢) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

العبودية^(١) الحديث ، والربوبية هنا كناية عن المؤثر والمنير ، والعبودية كناية عن الأثر والنور .

وقال الرضا عليه السلام : (قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلا بما هاهنا)^(٢) انتهى ، وأنت إذا نظرت إلى الظالم يظهر لك أنه مختار لو شاء لم يظلم والتقي مختار لو شاء فسق ، فالخلق مختارون .

فَلَمْ قُلْتَ : كَيْفَ يَتَبَيَّنُ لِلْعَاقِلِ الْقَبِحُ وَرَتْكُهُ ؟

قلت : انظر إلى أهل الدنيا تجد الذي العاقل يعلم قبح الفعل ويرتكبه ، والأسباب المرجحة للقبح عند بعض الناس في الدنيا مثل حب الجاه وحب المال والحسد والعناد ، وهذه بعينها في عالم الذر ، فإن هناك جميع ما وجد في الدنيا من خير وشر حتى أنك ربما تريد تمضي إلى المسجد أو إلى السوق من طريق قريب فترى أمامك من تكره رؤيته أو اطلاعه عليك أو كلامه لك أو غير ذلك ، فترجع عن الطريق الأقرب وتسلك الأبعد ، وربما رجعت إلى بيتك وتركت عزتك كل ذلك كراهة صحبة من تكرهه ، فكذلك في عالم الذر يكون بعض الناس إذا رأى شخصاً ضداً له

(١) مصباح الشريعة : ٧ ، وتفسير نور الثقلين : ٤ / ٥٥٦ ح ٧٧ ، والأصول الأصلية للفيض الكاشاني : ١٩٣ ، وتفسير الصافي : ٢ / ١١٢١ تفسير سورة السجدة .

(٢) توحيد الصدوق : ٤٣٨ ، وعيون الأخبار : ٢ / ١٥٦ ، ونور البراهين : ٢ / ٤٧٩ .

سبقه إلى الإجابة فيترك إجابة الداعي كراهة أن يكون تابعاً له ، أو يكون سابقاً عليه أو يقال : بأن فلاناً تابع لفلان ، فمن أجاب هناك عن معرفة وبصيرة أو أنكر عن معرفة وبصيرة ، فإنه في هذه الدنيا لا يتغير عن حاله في عالم الذرّ ، إلا أن يشاء الله فإنه على كلّ شيء قدير ، وهو قوله تعالى : «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا يَهُوَ مِنْ قَبْلٍ»^(١) أي في عالم الذرّ .

وقال الصادق عليه السلام : (لا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء)^(٢) ، ومن أجاب أو أنكر من غير بصيرة ولا

(١) سورة يونس ، الآية : ٧٤ .

(٢) مختصر البصائر : ١٥١ ، والكافي : ٦٢ / ١ ، وبحار الأنوار : ٦٧ / ٩٣ ح ١٦٥٠ .

ولفظه في المختصر : عن زراة ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : (لو علم الناس كيف ابتدأ الخلق ما اختلف اثنان : إنَّ الله تعالى قبل أن يخلق الخلق قال : كن ماءً عذباً أخلاق منك جتنى وأهل طاعتي ، وكن ملحاً أحاجاً أخلاق منك ناري وأهل معصيتي ، ثمَّ أمرهما فامتزجا ، فمن ذلك صار يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن ، ثمَّ أخذ طيناً من أديم الأرض فعركاه عركاً شديداً فإذا هم كالذرّ يدّبون ، فقال لأصحاب اليمين : إلى الجنة بسلام ، وقال لأصحاب الشمال : إلى النار ولا أبالي . ثمَّ أمر ناراً فأسرعت ، فقال لأصحاب الشمال : أدخلوها فهابوها ، وقال لأصحاب اليمين : ادخلوها فدخلوها ، فقال : كوني برداً وسلاماً ، فكانت برداً وسلاماً .

قال أصحاب الشمال : ياربّ أقلنا ، قال : قد أقلتكم فادخلوها ، فذهبوا فهابوها . فَمَّ ثَبَّتَ الطَّاعَةُ وَالْمُعْصِيَةُ ، فَلَا يَسْتَطِعُ هُؤُلَاءِ أَنْ يَكُونُوا مِنْ هُؤُلَاءِ ، وَلَا هُؤُلَاءِ مِنْ هُؤُلَاءِ) .

علم فأمره موقوف على البيان إلى يوم القيمة الصغرى أو الكبرى ، ثم يجدد له التكليف فإنما أن يجيز عن علم ، وإنما أن ينكر عن علم .

واعلم وفقك الله أن شقوق هذه المسائل وما يرد عليها وما يحاب به كثيرة لا يمكن جمعها في كتاب ، والتسليم والقبول لما يرد عن الرسول وآل الرسول صلى الله عليه وعليهم مفتاح ينفتح به كلّ مغلق ، ويحل به كلّ مشكل ويعالج به كلّ معضل ، فمن رُويَ بماء هذا المنهل وإنّا فلا علاج له إلا بالمشاهدة ، لأن المشافهة تطرد العصافير بقطع الشجرة لا بالتنفير والله سبحانه ولي التدبير وإليه المصير .

وفرغ من تسويدها مؤلفها العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي .

في الليلة السابعة والعشرين من جمادى الأولى سنة (١٢٣٥) خمس وثلاثين بعد المئتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وآلها أفضل الصلاة والسلام حامداً مستغفراً مصلياً مسلماً .

١٣ - رسالة في جواب

الميرزا محمد علي بن محمد نبی خان

رسالة في جواب الميرزا محمد علي بن محمد نبي خان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين .
أما بعد ، فيقول العبد المـسـكـيـنـ أـحـمـدـ بـنـ زـيـنـ الدـيـنـ
الأحسائي الهجري : إنه قد عرض على الأكرم العارف الصـفـيـ
المـيرـزاـ مـحـمـدـ عـلـيـ اـبـنـ الـمـرـحـومـ مـحـمـدـ نـبـيـ خـانـ أـصـلـحـ اللهـ أـحـوـالـهـ
وـبـلـغـهـ آـمـالـهـ كـلـامـاـ عـرـضـ لـهـ فـيـ بـعـضـ الـمـسـائـلـ وـطـلـبـ منـيـ الـجـوابـ
فـجـعـلـتـ كـلـامـهـ مـتـنـاـ وـجـوـابـيـ لـهـ شـرـحـاـ كـمـاـ هـيـ عـادـتـيـ لـيـتـبـيـنـ
الـصـوـابـ لـدـىـ أـوـلـيـ الـأـلـبـابـ وـإـلـىـ اللهـ سـبـحـانـهـ الـمـرـجـعـ وـالـمـأـبـ .

في بيان بطلان المشابهة بين الممكن والواجب

قال سلمه الله تعالى : إن المقرر من الأحاديث ومن بيانكم أن
الذات سبحانه جل عن المشابهة بالفعل والمفاعيل وتنزه عن
الارتباط (بل تجلى لها بها) وأوجدها بنفسها وفي رتبتها
و﴿سُبْحَنَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾^(١) ، وقد قال سبحانه :

(١) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

﴿سَرِّيْهُمْ ءَايَتَنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ أَكْحَقُ﴾^(١) ، أي لا شبه له ولا ارتباط بينه وبين خلقه ولا كذا ولا ولا ، وأن صفاته الذاتية أعلى الكمالات مما لا تدركه الخلائق ، ومن معلوم الآيات أن الصورة في المرأة مثلاً يوجد لها الإنسان منا بفعله ، أي بظهوره لها بنفسها ولا ربط بينها وبين ذات الشاخص ولا مشابهة لها به في شيء من الأشياء .

أقول : إن المشابهة يلزم منها المشاركة في الذات أو الصفات أو الأفعال ويلزم من ذلك المساواة والمساواة نقص إمكاني ، لأن التفرد وعدم المساواة أكمل ، ولهذا لم يفرض عز وجل للإله المساواة لاستلزمها النقص ، وإنما فرض التفرد والعلو فإنه هو مقتضى الألوهية ، فقال عز من قائل بالحق مرشد للخلق ﴿إِذَا ذَهَبَ كُلُّ إِنْمَاءٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾^(٢) ، وتنزه عن الارتباط كأن يرتبط القديم بغيره أو يرتبط به غيره لما في الارتباط من نوع المساواة الممتنعة على الألوهية الحق ، تعالى الله عما سواه علواً كبيراً ، بل تجلى للأشياء بها مأخذ من قول أمير المؤمنين عليه السلام : (لا تحيط به الأوهام بل تجلى لها بها)^(٣)

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣ .

(٢) سورة المؤمنين ، الآية : ٩١ .

(٣) نهج البلاغة : ٢ / ١١٥ الخطبة : ١٨٥ ، وميزان الحكمة : ٣ / ١٨٩٤
ح ٢٦١٩ ، والاحتجاج : ١ / ٣٠٥ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٢٦١ ، وأعلام الدين للديلمي : ٦٧ .

يعني أنه عز وجل لا يتجلّى بذاته ، لأن ذلك يستلزم تغيير حالاته واختلافها وتجلّيه بذاته من غير أن تختلف حاله ولا تغيير مخالف لمقتضى الحكمـة ، إذ مقتضى الحكمـة أن يكون من يتجلّى بذاته تعرضه حالة لم تكن له قبل التجـلي ، ويلزمه منها التغيير الممتنع من الأزل الممتنع من الحـدث لكنه جـلت عظمته لو شاء تجلـى بذاته ولكنـ هذا لا يكون ، ومقتضى الحكمـة أن يتجلـى لها بها من غير تحـول ولا انتقال ، فلـما تجلـى سبحانه لها بها أيـ بـأنـ أوجـدهـا عـرـفـتـهـ بها ، لأنـهاـ فيـ نفسـ الـأـمـرـ هيـ وـصـفـ تـعـرـيـفـهـ لـنـفـسـهـ ، وـذـكـرـ لأنـهـ عـزـ وـجـلـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ : (كـنـتـ كـنـزـاـ مـخـفـيـاـ فـأـحـبـتـ أـنـ أـعـرـفـ فـخـلـقـتـ الـخـلـقـ لـأـعـرـفـ) ^(١) اـنـتـهـىـ .

وـإـنـماـ كـانـتـ مـعـرـفـةـ النـفـسـ عـيـنـ مـعـرـفـةـ اللهـ لـأـنـ الـمـرـادـ مـنـ النـفـسـ هوـ الـوـجـودـ الـمـعـبـرـ عـنـهـ بـنـورـ اللهـ وـبـالـقـوـادـ وـهـوـ الـأـنـمـوذـجـ الـفـهـوـانـيـ ، وـهـوـ حـجـابـ الـجـلـالـ الـذـيـ أـمـرـ عـلـيـهـ السـلـامـ كـمـيـلاـ بـكـشـفـ سـبـحـاتـهـ منـ غـيرـ إـشـارـةـ ^(٢) ، وـهـوـ السـرـ وـهـوـ الـمـعـلـومـ وـهـوـ حـجـابـ الـأـحـدـيـةـ

قال عليه السلام : (واحد لا بعد ، و دائم لا بأمد ، و قائم لا بعـد ، تـتـلاقـاهـ الأـذـهـانـ لـاـ بـمـشـاعـرـهـ وـتـشـهـدـهـ لـاـ بـمـحـاضـرـهـ ، لـمـ تـحـطـ بـهـ الـأـوـهـامـ ، بلـ تـجـلـىـ لـهـ بـهـ ، وـبـهـ اـمـتـنـعـ مـنـهـ ، وـإـلـيـهـ حـاـكـمـهـ ، لـيـسـ بـذـيـ كـبـرـ اـمـتدـتـ بـهـ الـنـهـيـاـتـ فـكـبـرـتـهـ تـجـسـيـمـاـ ، وـلـاـ بـذـيـ عـظـمـ تـنـاهـتـ بـهـ الـغـايـاتـ فـعـظـمـتـهـ تـجـسـيـداـ ، بلـ كـبـرـ شـأـنـاـ وـعـظـمـ سـلـطـانـاـ) .

(١) في الحديث القدسي انظر شرح أصول الكافي : ١ / ٢٤ ، وبحار الأنوار : ٨٧ / ١٩٩ ح ٦ ، ومشارق أنوار اليقين : ٤١.

(٢) قال كمـيلـ بـنـ زـيـادـ لـعـلـيـ عـلـيـهـ السـلـامـ : (مـاـ الـحـقـيـقـةـ ؟ـ قـالـ : مـاـ لـكـ وـالـحـقـيـقـةـ ؟ـ

وهو النور المشرق من صبح الأَزْلِ ، وحقيقة وصف معرفته أَرْدَفَهُ ما خلق مِنْ لوازم مُيُولَاتِه وأفعالِه ما افْتَضَهُ من السُّبُحَاتِ التي هي حدود ماهية ذلك الشيء ، وصورته التي هي بها إِنَيْتَهُ التي بها احتجب عنه كما قال عليه السلام : (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) انتهى . فالتي تجلّى لها بها هي الوجود والمادة والفؤاد والتي بها امتنع منها هي الماهية الصورة والظلمة .

وقوله سَلَّمَهُ اللَّهُ : (وأوجدها بنفسها) ، يعني أنه تعالى لم يوجد لها من مادّة كانت عنده خلق ما خلق منها ، وإنما اخترع الأسباب وابتدع من الأسباب المسببات لا من شيء مثل ما خلق آلات النطق والهواء ، وليس في شيء منها صوت ، فخلق بها الصوت لا من شيء ، أي لا من صوت وأول شيء أحدثه هو

= قال : أو لست صاحب سرّك ؟ قال : بلى ! ولكن يرشح عليك ما يطفح مني !
 قال : أو مثلك يُخَيِّب سائلاً ؟ قال : الحقيقة كشف سمات الجلال من غير إشارة . قال : زدني فيه بياناً . قال : محو الموهوم مع صحو المعلوم . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السرّ . قال : زدني فيه بياناً . قال : زدني فيه بياناً . قال : هتك الستر لغلبة السرّ . قال : زدني فيه بياناً . قال : جذب الأحادية بصفة التوحيد . قال : زدني فيه بياناً . قال : نور يشرق من صبح الأَزْل فتلقّح على هيأكل التوحيد آثاره . قال : زدني فيه بياناً . قال : إاطف السراج ، فقد طلع الصبح !) شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٣٣ ،
 وكتاب جامع الأسرار ومنع الأنوار للأملي : ١٢٧ ، ونور البراهين : ١ / . ٢٢٢

ال فعل خلقه لا من فعل قبله وإنما أحدهـة بنفسـه أي بنفسـ الفعل .

وبيانـ هذا : أنـ الفعلـ حركةـ إيجـادـيةـ ولاـ تـحتاجـ فيـ إيجـادـهاـ إـلـىـ حـرـكةـ إـيجـادـيةـ وـهـيـ حـرـكةـ إـيجـادـيةـ فـلـاـ تـحتاجـ إـلـىـ غـيرـهـاـ ،ـ فـأـحـدـهـاـ بـهـاـ وـهـوـ قـوـلـهـ عـلـيـهـ السـلـامـ :ـ (ـخـلـقـ اللهـ الـمـشـيـةـ بـنـفـسـهـاـ ثـمـ خـلـقـ الـخـلـقـ بـالـمـشـيـةـ)ـ^(١)ـ ،ـ وـأـوـلـ مـحـدـثـ بـالـمـشـيـةـ نـورـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـحـقـيقـتـهـ وـهـوـ تـأـكـيدـ الـفـعـلـ وـالـمـشـيـةـ هـيـ الـفـعـلـ وـهـيـ سـبـبـ ذـلـكـ التـورـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ ،ـ فـالـتـورـ خـلـقـهـ لـاـ مـنـ شـيـءـ بـفـعـلـهـ وـهـكـذـاـ كـلـ الـأـشـيـاءـ .ـ

وـقـوـلـهـ :ـ وـفـيـ رـتـبـتـهـ مـعـنـاهـ أـنـ كـلـ مـحـدـثـ فـمـنـ جـمـلـةـ شـرـائـطـ وـجـوـدـهـ الـتـيـ هـيـ مـقـوـمـاتـ صـورـتـهـ وـمـاـهـيـتـهـ الرـتـبـةـ بـأـنـ يـكـونـ فـيـ رـتـبـتـهـ مـنـ الـوـجـودـ مـنـ قـرـبـهـ مـنـ الـمـبـدـأـ وـبـعـدـهـ ،ـ وـقـدـ أـشـارـ إـلـىـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ :ـ «ـ وـمـاـ مـيـنـاـ إـلـاـ لـهـ مـقـامـ مـعـلـومـ»ـ^(٢)ـ .ـ

وـقـوـلـهـ :ـ «ـ سـبـحـنـ رـبـكـ رـبـ الـعـزـةـ عـمـاـ يـصـفـونـ»ـ^(٣)ـ يـشـيرـ بـهـ إـلـىـ

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام : (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة) . التوحيد : ح ١٩ باب (١١) صفات الذات وصفات الأفعال ، وشرح الأسماء الحسنى : ١ / ٧ ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ .

وفي رواية : (خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة) التوحيد ح ٨ باب (٥٥) المشيئة والإرادة ، وبحار الأنوار : ٤ / ١٤٥ ح ٢٠ .

(٢) سورة الصافات ، الآية : ١٦٤ .

(٣) سورة الصافات ، الآية : ١٨٠ .

أنه تعالى كما وصفه أبو الحسن الرضا عليه السلام في قوله : (كنه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه) ، ويشير إلى أنه تعالى منزه عن الرتبة وعما يترتب عليها ، فلا يكون تعالى في رتبة ولا يكون شيء مما سواه في رتبة منه تعالى بحيث تقصير بينه تعالى وبينه المسافة أو تطول بقرب أو بعد بل حاله تعالى واحدة طاعة ومعصية وجوداً وعدماً ولا يرتبط بشيء ولا يرتبط به شيء فلا فصل بينه تعالى وبين شيء من خلقه ولا وصل كذلك .

وقوله : وقد قال سبحانه : ﴿سَرِّيْهُمْ ءَايَتِنَا﴾ الآية ، يريد أنّ الذي أخبر تعالى أنه سيريه عباده في الآفاق وفي أنفسهم إنّما هو آياته الدالة عليه دلالة إثبات ومعرفة ، يُستدلّ بها على إثباته وجوده لا دلالة إدراك يكشف عن كنهه ، ولم يقل عزّ وجلّ سريهم ذاتنا ، كما زعمه الصوفية أنّ المدرك من الآفاق والأنفس هو ذات الله القديمة . ولهذا تراهم لعنهم الله يقولون إنّه مع خلقه كالبحر والأمواج ، ويقول أحدهم : أنا الله بلا أنا ، لأنّ الوجود هو المعبد الحق إذ لا موجود سواه وإنما الخلق حدود موهومنة ، ولأجل ذلك يقول شاعرهم في فيه التراب :

وَمَا النَّاسُ فِي التَّمَثَالِ إِلَّا كَثَلْجَةٌ وَأَنْتَ لَهَا الْمَاءُ الَّذِي هُوَ نَابُعُ
وَلَكِنْ بِذَوْبِ الثَّلْجِ يُرْفَعُ حُكْمُهُ وَيُوَضَّعُ حُكْمُ الْمَاءِ وَالْأَمْرُ وَاقِعٌ^(١)

(١) انظر شرح الأسماء الحسني : ١ / ١٦٤.

وقال آخر :

كُلُّ مَا فِي عَوَالِمِي مِنْ جَمَادٍ وَنَبَاتٍ وَذَاتٍ رُوحٌ مُعَارٍ
صُورٌ لِي أَرْلَثُهَا فَإِذَا مَا زِلْتُهَا لَا أَزُولُ وَهِيَ حِوارِي
أَنَا كَالثُوبِ إِنْ تَلَوْنُتُ يَوْمًا بِاحْمِرَارٍ وَتَارَةً بِاصْفَرَارٍ
وقال آخر :

أَنَا ذَلِكَ الْقُدُوسُ فِي قُدْسِ الْعَمَاءِ مُحَجَّبٌ
وَأَنَا الْعُلَى الْمُسْتَوِعُ بِقُطْبِ دَائِرَةِ الرَّحَا
أَنَا ذَلِكَ الْفَرْدُ الَّذِي فِيهِ الْكَمَالُ الْأَعْجَبُ
وَبِكُلِّ لَحْنٍ طَائِرِي فِي كُلِّ غُصْنٍ يُطَرِّبُ
إِلَى أَنْ قَالَ :

أَنَا غَافِرٌ وَالْمَذِنِبُ

وأمثال ذلك من أشعارهم لا تقاد تُحصر .

ووجه قولهم : إنهم يقولون : إنه تعالى يقول في الآية :
 « حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ » (١) .

والحق هو المعبد عز وجل وأخبر أنه يتبيّن لهم في أنفسهم
بعد تجريدها عن جميع السمات ويجدون قول الله تعالى :
 « سَرِّيهِمْ ءَايَتِنَا » .

وقوله سلمه الله : أي لا شبه له ولا ارتباط بينه وبين خلقه ،
يعني أنك إذا نظرت إلى ما في الآفاق والأنفس وجدت كلّ أثر لا

(١) سورة فصلت ، الآية : ٥٣

يقوم بمؤثره قيام عروض ، وإنما يقوم به قيام صدور وذلك كالشُّعاع من المنير والكلام من المتكلّم والصورة في المرأة من الشاخص .

وقوله : ولا كذا ولا ولا ، يعني ولا يكون بينه وبين شيء من خلقه نسبة ولا حكم وضع ولا فضل ولا وصل ولا يحدّ بتحديدها وما نسب إليه من علمه الإشرافي بها ، فهو ما أقامه بأمره الفعلي وأمره المفعولي قيام صدور وقيام تحقق ، فإذا ثبتت ثبتت عنده في ملكه وعند ملكه ، وإذا انتفت انتفت عند أنفسها ولم تنتف عنده إذ معنى ربوبيتها لها أنه هو بلا كيف على أي حدّ حدّها نفيًا وإثباتاً .

وقوله سلمه الله : وإنّ صفاته الذاتية أعلى الكمالات مما لا تدركه الخلائق ، يعني أنها نهاية الكمال وفوق الكمال بلا نهاية .

وقوله سلمه الله : ومن معلوم الآيات ، الخ ، أي مما علم من آياته في الآفاق وفي الأنفس أنّ الصورة في المرأة مثلاً يوجد لها الإنسان بأن يكون سبباً لإيجادها ، فإنه إذا أراد أن توجد بقدر الله وقضائه قابلها بدون حائل كثيف بينهما بفعله أي بظهوره لها بنفسها عن قدر الله وقضائه وهي ليست منفصلة عنه ، وإنما هي قائمة بمقابلته قيام صدور وبهيئته الالزمة له قيام تحقق ، ولا ربط بينها وبين ذات الشاخص لأنها ليست جزءاً منه ولا كانت كامنة فيه ثم برزت ، وليس منفصلة من الصورة الالزمة له كانفصاً الثمرة من الشجرة بل هي إشراق هيئة الشاخص بأن تنطبع الهيئة

مجردة عن المادة ولا مشابهة لها به من حيث الذات في شيء من الأشياء إلا في حدود الهيئة ، لأن هذه الهيئة التي ألقت صورتها وشعاعها في المرأة صفة لذات الشاخص ، فلذلك تكون في المرأة كهيئتها وأجل أنها لا تشبهها في الذات كانت على حسب المرأة ، فتكون سوداء إن كانت المرأة سوداء ، وعوجاء إن كانت عوجاء ، وطويلة إن كانت طويلة ، وبالعكس فهي على هيئة صفة المقابل . كما أن الكتابة لا تدل على سعادة الكاتب ولا على شقاوته وإنما غاية ما تدل على حركة يده لأنها إنما تنتهي إليها .

في بيان أنَّ القلب يصف ربِّه بما خلقه عليه وأودعه فيه

قال سُلْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : بِلَحَاظِنَا لَأَنَّا لَا ندْرُكُ الْفَؤُادَ مِنَ إِلَّا شَيْئاً بِسِيْطَأً مِنْقُطَعَ الإِشَارَاتِ وَشَتَّانَ بَيْنَهُمَا فِي كُلِّ النَّسْبِ ، فَأَمَّا إِذَا نَظَرَ الْأَعْلَى مِنَا رَتْبَهُ فِي الْوُجُودِ كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يَرَى الْمَشَاكِلَةَ لَكُنْ كُلُّهُ فِي رَتْبِهِ .

أقول : يعني أننا إنما نحكم بعد تمام النظر وكشف سُبُّحاتِ الجلال من غير إشارة ، بأننا قد بلغنا في التجرييد بحسب وجداً إلينا إلى شيء لا يشبهه شيء ، إنما هو بحسب إدراكتنا ولحظتنا ، وأمّا إذا كان الناظر فيما نشير إليه مِمَّنْ هُمْ أَعْلَى مِنَّا رَتْبَهُ كَالْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فإنه يرى أنَّ توحيدنا إِشْرَائِكَ وتجرييدنا تركيب ، وأيضاً أننا لا ندرك من فؤادنا بعد تجرييدنا التام إِلَّا أنه شيء بسيط

لا يقبل القسمة ولا بينه وبين غيره ربط ولا نسبة ولا إشارة حسية أو نفسية أو عقلية ، ولكن مع هذا كله أنه ليس بينه وبين المعبد عزّ وجلّ شيء مما يصلح للاستدلال به عليه ، وشتانَ بين الفؤاد المخلوق المدبّر وبين بديع السماوات والأرض عزّ وجلّ نسبة من أي نسبة كانت ، فكيف يكون دليلاً وأية لمن ليس ضدّ فيعرف بعكس شكله ولا ندّ فيعرف بمثله ؟ !

والجواب : إنَّ الفُؤاد بعد أن يجرّد عنه كُلَّ ما يتعلّق من السُّبُّحاتِ يكون آلَّا يعرف بها المعبد سُبحانه بحسب رتبة تجريده وتفاوت المراتب بحسب تفاوت مراتب المجرّدين ، وكلُّ مكلف بنسبة تحققه في الوجود ، ولا شكَّ أنَّ كُلَّ مكلف يقبل منه ما أتى به مما لا يكون مقصراً في ظلِّه ، ولهذا قيل عزّ وجلّ معرفة النملة ووصفها لمعبودها بأنَّ له تعالى زَبَانَيْنِ^(١) أي قرنين ، لأنَّها ترى أنَّه كمال في حقّها وإنَّ مَنْ لم تكونا فيه فهو ناقص ، فتصِفُ صانِعها بما فيه الكمال .

(١) مشرق الشمسين للبهائي : ٣٩٨ ، والرواشح السماوية للميرداماد : ٢٠٦ (١٣٣) ، وبحار الأنوار : ٦٦ / ٢٩٣ ، وشرح إحقاق الحق : ١٢ / ١٨٦ ، وكتاب الوفي : ١ / ٨٩ ، والحكمة المتعالية للشيرازي : ٨ / ٤٢٠ ، ولفظه فيهم : قال عليه السلام : (هل سُمِّي عالماً قادرًا إلَّا لما وَهَبَ العلم للعلماء والقدرة للقادرين ، وكلَّ ما ميزتموه بأوهامكم في أدقَّ معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود إليكم ، والباري تعالى واهب الحياة ومقدّر الموت ولعل النمل الصغار تتوقّم أنَّ الله زَبَانَيْنِ لأنَّهما كمالها وتتصوّر أنَّ عدمهما نقصان لمن لا تكونان له) .

فَرَجَعَ حاصلُ الْأَمْرِ أَنَّ فَوَادِكَ إِنَّمَا يَصِفُ رَبَّهُ بِمَا خَلَقَهُ عَلَيْهِ
وَأَوْدَعَهُ فِيهِ ، وَفَوَادِ زِيدُ الَّذِي هُوَ مِنْ نَوْعِكَ يَصِفُ رَبَّهُ بِمَا صَوَّرَهُ
عَلَيْهِ وَأَوْدَعَهُ فِيهِ وَرَبِّمَا يَكُونُ عَلَى خَلَافٍ مَا وَصَفَتْ بِفَوَادِكَ ، وَمِنْهُ
قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (لَوْ عَلِمَ أَبُو ذُرٌّ مَا فِي قَلْبِ سَلَمَانَ لِقْتَلَهُ)
الْحَدِيثُ^(١) ، وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : (يَا سَلَمَانَ لَوْ عَمِلَ عَمَلَكَ
مَقْدَادَ لِكَفَرَ ، يَا مَقْدَادُ لَوْ عَمِلَ عَمَلَكَ سَلَمَانَ لِكَفَرَ)^(٢) اَنْتَهَى .

(١) الكافي : ١ / ٤٠١ ح ٢ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٩٠ ح ٢٥ ، وبصائر الدرجات : ٤٥ ، وختصر البصائر : ١٢٤ ، والعوالم : ٣ / ٥٠٤ ح ٢٤ ، والبحار أيضاً : ٢٢ / ٣٤٣ ح ٥٣ .

ونصه في مختصر البصائر : مساعدة بن صدقة ، عن جعفر ، عن أبيه عليهمما السلام قال : (ذُكِرَتْ التَّقِيَّةُ يَوْمًا عِنْدَ عَلَيِّي بْنِ الْحَسِينِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَقَالَ : وَاللَّهِ ، لَوْ عَلِمَ أَبُو ذُرٍّ مَا فِي قَلْبِ سَلَمَانَ لِقْتَلَهُ ، وَلَقَدْ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُمَا فَمَا ظَنَّكُمْ بِسَائِرِ الْخَلْقِ؟ إِنَّ عِلْمَ الْعُلَمَاءِ صَعُبٌ مُسْتَصْعِبٌ لَا يُحْتَمِلُهُ إِلَّا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، أَوْ مَلِكٌ مَقْرَبٌ ، أَوْ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحِنَ اللَّهَ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ .
قَالَ : وَإِنَّمَا صَارَ سَلَمَانَ مِنَ الْعُلَمَاءِ لَأَنَّهُ امْرَأٌ مِنَ أَهْلِ الْبَيْتِ ، فَلَذِلِكَ نُسْبَتُهُ إِلَى
الْعُلَمَاءِ) .

وَأَوْلَى السَّيِّدِ الْمُرْتَضَى الْحَدِيثُ بِأَنَّ مَعْنَى : (لِقْتَلَهُ) أَيْ مِنْ شَدَّةِ الْحَبْتِ . انظر غرر الفوائد : ٤١٩ .

(٢) الاختصاص للمفيد : ١٦ ، وبحار الأنوار : ٢ / ٢١٤ ح ٧ ، و اختيار معرفة الرجال : ١ / ٤٧ .

ولفظه في الاختصاص : عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : يَا سَلَمَانَ لَوْ عَرَضْتَ عِلْمَكَ عَلَى الْمَقْدَادِ لِكَفَرَ ، يَا مَقْدَادَ لَوْ عَرَضْتَ صِبْرَكَ عَلَى سَلَمَانَ لِكَفَرَ) .

وفؤاد نبی من أنبياء الله عليهم السلام يصف معبوده بما صوره عليه وأودعه فيه وهو وراء فؤادك وفؤاد زید وكلّ يعرف ربہ بما رکبه عليه وقطره عليه وإن كان وحدتك ووحدة زید كثرة إذا نسبت إلى ذلك النبی ، وكذلك هو وحدته كثرة إذا نسبت إلى وحدة محمد وآلہ الطیین صلی الله علیہ وآلہ أجمعین .

والعلة في ذلك أنَّ كُلَّ فؤاد ظھورُ خالقه باسمه الخاصّ به في الرتبة التي لا يتقوم ذلك الفؤاد إلَّا فيها ، ورُتب المَعَارفِ الإمكانية متفاوتةٌ في القرب إلى المَبْدأ وقد دلت الآيات الافقية والأنفسية ، كأشعة السراج فإن كلّ جزء منها مشوب بظلمة وكلما قربَ من السراج ضعفت الظلمة وقوى النور ، وكلما بعد قويت الظلمة وضَعَفَ النور ، مع أنَّ كلَّ واحد من القريب والبعيد مشوبٌ مركب من نور وظلمة تختلف باختلاف مراتبها ، حتى أنَّ منهم من لا يبقى لخلطه حكم ، وإنما الحكم للركن الغالب فيكون تجريده أبسط من تجريد الآخر الذي بقي لخلطه حكم ، وعلى كلَّ فرض فإن العالی والدانی من صقع واحد وكلهم مشتركون في عدم مناسبة الواجب لهم ، وعدم مناسبتهم له ويصدق على كلَّ واحد منها أن يقال فيه ، وشتان ما بين الواجب والممکن .

والمشاكلة المذکورة التي يراها النبیون في تجريد من هو دونهم هي حدودُ أفندةٍ من هو دونهم ، لأنَّها وإن كانت مجردة في لحاظهم مرکبة في لحاظِ من هو فوقهم والبساطة الحقيقة الطاهرة

من كلّ من سواها لا توجّد إلّا في الأزلِ عزّ وجلّ ، وما في الإمكان لا يتجاوزُه ولا يصل إلى الأزل عزّ وجلّ إلّا هُوَ ، إذ الإمكان محل الفقر وال الحاجة والاحتياج لطلب الاستغناء وما يكون فيه شيء إلّا وهو مركب من داعي الفقر وداعي الاستغناء ، فلا بسيط بالحق إلّا الله سبحانه ف تكون البساطة باعتبار التركيب باعتبار حكمًا لا ينفك منه شيء من الممكّنات .

هل المعرفة كاشفة عن الكنه ؟

قال سلمه الله : فإنّ ذات الإنسان الشاخص أي فؤاده على هيكل التوحيد وهو الصورة الإنسانية لأنّه من فاضل أجسام الأنبياء عليهم السلام والتي في المرأة على تلك الصورة إلّا أنها عبده وخلقه ، ف بهذا الاعتبار لو اعترض أحد أنّ الحقيقة المحمدية التي هي محل المشيئة يجب أن تكون مشابهة للفعل والفعل للذات ، تعالى الله عن ذلك سبحانه سبحانه كيف الجواب عنه والبيان لذلك ؟

كيفية ظهور هيكل التوحيد

أقول : كون ذات الإنسان الشاخص أي فؤاده على هيكل التوحيد لم يلزم منه أن تكون المعرفة كاشفة عن الكنه . وإن كانت هيكل التوحيد والهيكل هو الصورة أي صورة الشيء ، لأنّ هيكل التوحيد مركب من أربعة حدود :

الحد الأول : وحدة الذات كما قال تعالى : ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَبَعِذُوا إِلَيْهِنَّ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَه﴾^(١).

الحد الثاني : وحدة الصفات كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٢).

الحد الثالث : وحدة الأفعال كما قال تعالى من حيث اتحاد الفعل قال تعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَهُ كَلْمَحُ بِالْبَصَرِ﴾^(٣).

ومن حيث اختصاص المفعول : قال تعالى : ﴿مَا خَلَقْتُكُمْ وَلَا بَعْثَرْتُكُمْ إِلَّا كَنْفِسٍ وَحْدَهٌ﴾^(٤).

ومن حيث اختصاص الفعل به قال تعالى : ﴿أَللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِسِّكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شَرَكَاهُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٥).

الحد الرابع : وحدة العبادة بأن لا يستحضر عند الشروع في عبادته ذكر شيء غير المعبد الحق سبحانه ، وألا يخاف إلا الله وألا يرجو إلا الله ولا يعتمد إلا على الله ولا يتوكل إلا على الله

(١) سورة النحل ، الآية : ٥١.

(٢) سورة الشورى ، الآية : ١١.

(٣) سورة القمر ، الآية : ٥٠.

(٤) سورة لقمان ، الآية : ٢٨.

(٥) سورة الروم ، الآية : ٤٠.

قال تعالى : ﴿فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَهْلًا صَنِيلَحًا وَلَا يُشِرِّكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١).

وأن يُوالِي أولياء الله ويعادي أعداء الله ويحب في الله ويبغض في الله ويتأدب بآداب الله ، فمن قام بهذه من متابعة مَنْ أمر الله باتّباعه فقد ظهر فيه هيكل التوحيد بحدوده .

وقوله سَلَّمَهُ اللَّهُ : وهو الصورة الإنسانية ، يعني الفؤاد وهذا صحيح إذا أريد الصورة الإنسانية الأولى ، لأن الصورة الإنسانية تطلق على مراتب أعلىها الفؤاد .

وقوله : لأنَّه من فاضل أجساد الأنبياء عليهم السلام يعني من شعاع أجسامهم ، وهذا صحيح إذا أريد بالفؤاد القلب أو أريد بذِي الشعاع أجسامَ محمد وآلَه صلى الله عليه وآلَه ، وأمّا إذا أريد به محل المعرفة الحقيقة وأريد بذِي الشعاع أجسامَ الأنبياء عليهم السلام فقد بَعَدَتْ عليهم الشقة وطالَت المسافة والمقاييس ، لأنَّ محل المعرفة لا يقرن ببنسبة .

وقوله : والتَّيْ في المرأة يعني الصورة التي في المرأة كذلك ، يعني نسبتها إلى الشَّاخصَ كنسبته إلى عَلَّتِه ، ومراده من هذه التَّمثيلات أن نسبتها إلى عَلَّتِها كنسبتها إلى فعل الله ، وإذا

(١) سورة الكهف ، الآية : ١١٠.

فرضت أن هذه آيات وجب أن تكون النسب متشابهة فتكون نسبة الأثر إلى الفعل كنسبة الفعل إلى الفاعل فثبت الربط والمقارنة .

هل الحقيقة المحمدية مشابهة للذات ؟

قال سلمه الله : تفريعاً وإلزاماً على ما ذكر فبها الاعتبار لو اعترض أحد أن الحقيقة المحمدية التي هي محل المشية يجب أن تكون مشابهة للفعل والفعل للذات ، تعالى الله عن ذلك سبحانه سبحانه سبحانه كيف الجواب عنه والبيان عن ذلك ؟

أقول : إن الاعتبار المذكور إنما يصح لو كان التناصب جارياً على متناسبات تجمعها رتبة واحدة ، أمّا إذا كان جارياً على أفراد تقتضي أن تكون جهة الموافقة فيها هي بعينها جهة المخالفة ، ويقتضي التناصب فيها ألا تناصب يعني أن الموافقة هنا مقتضاهَا ألا توافق ، فإن الاعتبار لا يصح لأن التناصب إنما يصح بين أشياء تجمعها عرصَة واحدة ، أمّا إذا كان بين الأفراد التي يفرض فيها التناصب كمال اللاتناصب بالذات فلا يكون التناصب مقتضياً ما يقتضي لذاته عدم التناصب .

على أن التناصب شأن ما يصح فيه الموافقة والتشبيه والملايمَة ، كما هو شأن الممكَنات إذ لا يكون ممكِن إلا وبينه وبين ممكِن آخر موافقة أو مخالفة أو مبادنة كلية أو جزئية أو جهة أو حيث أو غير ذلك ولو ضدَ الضدَ ، فبها اللحاظ يرتفع الربط

وعدمه والمناسبة وعدهما ، لأن عدم الربط وعدم المناسبة من الممكنا

مشابهة الحقيقة المحمدية في غير الذات

قال أيده الله : ولو توهّم هذا الفساد من لا قريحة له في وضوح الدين وثبات اليقين من الحديث القدسي (فضلك يا محمد على الأنبياء كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق) انتهى^(١) ، ما طريق البيان له والرد عليه ، بينما بياناً جلياً غير خفي يكشف عن الحق شبّهات الشيطان ويوضح البرهان والله المستكى والمستعان وهو حسيبي ونعم الوكيل .

أقول : ي يريد أن الاعتراض بهذا إنما يكون من أهل الجهل ، فإن قلت : إنه إنما سُئل عنه لعدم علمه فيلزمه ما ألزم به من لا قريحة له في الدين .

قلت : إنما قال ذلك لبيان أن من اعترض بذلك مع عروض الشبهة له مع اطمئنانه بها كان ممن لا قريحة له في الدين ، وأماماً من كان قلبه مطمئناً بالإيمان بعدم تناول النسب بجميع أنواعها

(١) بحار الأنوار : ٩ / ٣٠٧ ح ١ ، وتفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٢٣٥ . ولفظه في البحار : قال الإمام العسكري عليه السلام : (يا محمد إنَّ فضلك على جميع النبيين والمرسلين والملائكة المقربين كفضلي - وأنا رب العزة - على سائر الخلق أجمعين) .

للذات المقدسة وإن لم يقدر على تفصيل البرهان فإنه لا يدخل في زمرة من لا قريحة له في الدين ولا بصيرة لاطمئنان قلبه وثبات إيمانه ، وهو كما قال ، وإنما يسأل ليطلع على البرهان الذوقي العياني وبيان ما طلب من الدليل التفصيلي .

والجواب ، إنَّ الأثر يشابهُ صفةَ المؤثِّر كالكتابَة فإنَّها تشبه صفةَ حركة يد الكاتبِ وتدلُّ عليها لأنَّها المؤثِّر القريب ولا تدلُّ الكتابة على الكاتب لا بحسنٍ ولا بقبحٍ ولا بشقاوةٍ ولا بسعادةٍ ولا بقوَّةٍ ولا بضعفٍ لأنَّه المؤثِّر البعيد ، لأنَّ الأثر صفةٌ تنبئُ عن مبدأً اشتتقاقه .

فقوله في الحديث القدسي : (فضلك يا محمد على سائر الأنبياء كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق) انتهى ، لبيان ظهور الآثار من مؤثراتها يعني أن الأنبياء عليهم السلام اشتقت أنوارهم من نورك لأنهم أشعة من نورك لا أنهم من ذاتك ، كما أن حقيقتك اشتقت من حقيقة اسمي وفعالي وكما أن نورك قائم بحقيقة أمري كذلك حقائقهم قائمة بحقيقة نورك ، فالتنظير والتتشبيه لبيان أن أنوارهم عليهم السلام شعاع من أنوار محمد وآلـه صلـى الله علـيه وآلـه ، ولا يجوز أن تدخل الذات البحث في أحكام الحوادث من التشبيه والتنظير التي هي من صفات الحوادث ، بل إذا ذكر الذات المقدسة مع شيء من الحوادث حمل ما ينسب إليها على ما يلائم القدم من الصفات سواء كان من شيء وصف به نفسه أم من شيء

لا يجوز على غيره ، ولهذا قلنا إن التناسب المذكور يصح إلى أن يصل إلى الفعل ، ثم ينقطع ولا يتعدى إلى الذات البحث ، وإنما لكان حادثة ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .

في بيان علة الحادث التي يصدر عنها الشيء

قال أيده الله : ومن ذلك السؤال عن علة الوجود وسبب الأسباب هل هي صنع الله فيتحد الفاعل والفعل والمفعول فكيف أنتم تبطلون ذلك ؟ أم هي الذات في مقام الفاعلية سبحانه ، ولا ينعقد على ذلك ضميري لكن يتوهم هذا من بعض العبارات في بعض المناجاة والدعوات ، وكيف عدم الربط والمشهود في الآيات المضروبة وجود الربط بين الأفعال والذوات ، فكما أنّ النار ذاتها الحرارة واليبوسة كذلك فعلها أي الإحراق حار يابس في رتبته لا محالة لا فرق بينهما إلا أنه عبدها وخلقها ولو لا الربط والحكاية في التجلي لجاز ، وأمكن أن يكون الفعل على خلاف الذات ولا يكاد يوجد ذلك في شيء أبداً فيبينوا الحقيقة وأرشدونا إلى الصواب واسطروا الجواب الكاشف عن حقائق السؤالات بهم الحجاب .

أقول : يريد بكلامه السؤال عن علة الحادث التي يصدر عنها أو منها أو لها أو لها ما هي ، فاعلم أنّ العلة لها إطلاقات : أحدها أنها تطلق على واحدة من العلل الأربع التي هي العلة

الفاعلية والمادية والصورية والغائية أو على مجموعها فالأول العلة الفاعلية وهي الفعل المعتبر عنه بالحركة الإيجاديه في أثرها الحامل لها وهي مجموع الحركة الإيجاديه وحامليها وذلك كمعنى الضارب من زيد ، والعلة المادية كالخشب للسرير ، والعلة الصورية كالهيئة المقدرة للسرير من الطول والعرض ، والعلة الغائية أي التي لأجلها عمل السرير كالنوم عليه ، فالأولى الرابعة علة الوجود ، والثانية والثالثة علة الماهية ، فالأولى علة الصدور ، والرابعة علة الباعت ، والثانية علة التحقق ، والثالثة علة الظهور والمجموع علة الكل وهذا هو المراد بقوله هنا علة الوجود وسبب الأسباب .

وقوله : هل هي صنع الله ؟ فيتحد الفاعل والفعل والمفعول ، يريد أن الفاعل إذا صار حادثاً يكون من نوع الفعل والمفعول وهو معنى الاتحاد عنده فيلزم الربط بين الفاعل والمفعول فكيف يقال ألا ربط بين الفاعل والمفعول .

والجواب : إن الفاعل هو مثال الذات ، والمثال حادث ، والحادث يكون بينه وبين أثره ربط بخلاف الذات القديم ، فإنه لا يصدر عنه أثر وإنما يصدر عن فعله وفعله صدر عن نفسه أي نفس ذلك الفعل ، فالأشياء ترتبط به وهو لا يرتبط بغيره ، وإنما يرتبط بنفسه إذ ليس قبله مثل ولا معه غيره ليرتبط به فلأجل هذا أبطلنا القول بالارتباط .

وقوله : أَمْ هِيَ الْذَّاتُ فِي مَقَامِ الْفَاعِلِيَّةِ سُبْحَانَهُ وَلَا يَنْعَدِدُ عَلَى ذَلِكَ ضَمِيرِي ، صَحِيحٌ عَلَى مَعْنَى أَنَّ الْعَلَّةَ يَعْنِي الْفَاعِلُ لَا الْعَلَّةُ الْقَرِيبَةُ الْمُبَاشِرَةُ ، وَأَمَّا إِذَا أَرِيدَ بِالْعَلَّةِ الْقَرِيبَةِ الْمُبَاشِرَةِ فَلَا يَطْلُقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَيَصْحُحُ حِينَئِذٍ تَنْزِيهُهُ .

وَالْحَاصِلُ ، إِنَّ الْذَّاتَ الْبَحْثُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَّةً لِشَيْءٍ إِلَّا عَلَى الْمَعْنَى الَّذِي قَرَرْنَا مِنْ أَنَّ الْأَشْيَاءَ كُلُّهَا تَنْتَهِي إِلَى فَعْلَهُ وَفَعْلَهُ يَنْتَهِي إِلَى نَفْسِهِ ، أَيِّ نَفْسِ الْفَعْلِ ، وَإِلَيْهِ الإِشَارَةُ بِقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (اَنْتَهَى الْمُخْلُوقُ إِلَى مُثْلِهِ ، وَأَلْجَاهُ الْتَّطْلُبُ إِلَى شَكْلِهِ ، الْتَّطْلُبُ مَرْدُودٌ وَالطَّرِيقُ مَسْدُودٌ)^(١) .

(١) وَرَوَاهُ الْمُصْنَفُ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ شِرْحِ الْعَرْشِيَّةِ ، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَتِهِ : (وَإِنْ قَلْتَ : مِمَّ هُوَ ؟ فَقَدْ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ كُلُّهَا ؟ فَهُوَ هُوَ ، وَإِنْ قَلْتَ : فَهُوَ هُوَ ، فَالْهَاءُ وَالْوَاءُ كَلَامُهُ صَفَةُ اسْتِدْلَالٍ عَلَيْهِ لَا صَفَةٌ تُكَشَّفُ لَهُ ، وَإِنْ قَلْتَ : لَهُ حَذَّ فَالْحَذَّ لِغَيْرِهِ ، وَإِنْ قَلْتَ : الْهَوَاءُ نَسْبَهُ فَالْهَوَاءُ مِنْ صِنْعِهِ رَجْعٌ مِنَ الْوَصْفِ إِلَى الْوَصْفِ وَعُمْيُ الْقَلْبِ عَنِ الْفَهْمِ وَالْفَهْمُ عَنِ الْإِدْرَاكِ ، وَالْإِدْرَاكُ عَنِ الْاسْتِبَاطِ ، وَدَامَ الْمُلْكُ فِي الْمُلْكِ ، وَانتَهَى الْمُخْلُوقُ إِلَى مُثْلِهِ وَأَلْجَاهُ الْتَّطْلُبُ إِلَى شَكْلِهِ ، وَهَجَمَ بِهِ الْفَحْصُ إِلَى الْعَجَزِ ، وَالْبَيَانُ عَلَى الْفَقْدِ ، وَالْجَهَدُ عَلَى الْيَأسِ ، وَالْبَلَاغُ عَلَى الْقُطْعِ ، وَالسَّبِيلُ مَسْدُودٌ ، وَالْتَّطْلُبُ مَرْدُودٌ ، دَلِيلُهُ آيَاتُهُ ، وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ) .

وَهِيَ الْخُطْبَةُ الْمُعْرُوفَةُ بِدَرْرَةِ التَّوْحِيدِ رُوِيَّ بَعْضُهَا السَّيِّدُ حِيدَرُ الْآمِلِيُّ فِي جَامِعِ الْأَسْرَارِ وَمَنْبِعِ الْأَنوارِ : ٢٣٤ ، وَأَوْلُهَا : (الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدٌ مُعْتَرَفٌ بِهِ مُغْتَرِفٌ مِنْ بِحَارِّ مَجْدِهِ بِلِسَانِ الشَّنَاءِ شَاكِرٍ . . .) .

وَفِيهَا : (السَّبِيلُ مَسْدُودٌ وَالْتَّطْلُبُ مَرْدُودٌ دَلِيلُهُ آيَاتُهُ وَوُجُودُهُ إِثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ تَنْزِيهُهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَيْنَ لَا بِمَسَافَةِ قَرِيبٍ لَا بِمَدَانَةٍ . لَهُ حَقِيقَةٌ =

ولو فرض أن ذاته تعالى علة لشيء لوجب أن تكون هيئته مشابهة لهيئة ذاته ، لأن المعلول أثر والأثر يشابه صفة مؤثره وذلك كما ترى من مشابهة هيئة الكتابة ، فإنها تشابه صفة حركة يد الكاتب ولا تشابه شيئاً من صفات الكاتب فلا تدل على قوته أو ضعفه ولا على بياضه أو سواده ولا على سعادته أو شقاوته ، ولا على طوله أو قصره ، وهكذا ولو كان بين الكتابة وبين ذات الكاتب مناسبة لدللت الكتابة بهيئتها على شيء من صفات ذات الكاتب ، فلما لم يكن بينهما مناسبة بوجه من الوجوه دل على عدم الربط مطلقاً لأنها هي علة الربط ، فافهم .

قوله : وكيف عدم الربط والمشهود في الآيات المضروبة وجود الربط بين الأفعال والذوات ؟

الريوية إذ لا مربوب ومعنى الإلهية إذ لا مأله . صفة أنه رب وغيره خلق . له تأويل البيونة لا بینونة له ، ما تصورته الأوهام فهو بخلافه . ليس برب من أطرح تحت البلاء ، ولا بمعبد من وجد في وعاء هواء وغير هواء . فهو في الأشياء كائن لا كينونة محصور (محظورة - م) بها عليه . ومن الأشياء بائن لا بینونة خائب عنها . .) إلى قوله عليه السلام : (فهو الأول لا أول له . والآخر لا آخر له . والظاهر لا ظاهر له والباطن لا باطن له) .

رواہ السیزوواری والطباطبائی باختصار : (دلیله آیاته ، ووجوده إثباته ومعرفته توحیده وتوحیده تمییزه) . انظر شرح الأسماء الحسنی : ۱ / ۱۶ ، وتفسیر المیزان : ۶ / ۱۰۲ .

ورواه ابن شعبة الحراني عن الإمام الحسين عليه السلام بتفاوت واختصار ، انظر تحف العقول : ٢٤٤ ، وبحار الأنوار : ٤ / ٣٠١ ح ٢٩ .

والجواب : أنا قد ذكرنا في كثير من أجوبتنا ورسائلنا ومباحثاتنا أن الأمثال التي ضربها الله آيةً لشيء لا يمكن فيما يطابق الحكمة أكمل منه ولاأشد مطابقةً لما ضرب آيةً له ، فلو وجد في شيء منها ربطٌ بين الذاتِ وبين أثرها في حال لما تخلف الربط في شيء منها ، ولكن لم يوجد الربط بين الآثار والذوات في شيء منها أبداً ، ولكن معرفة ذلك يحتاج إلى توفيق من الله ، ألا تسمع قول الله تعالى : ﴿وَيَلَّكَ الْأَمْثَالُ نَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾^(١) ، ولكنني في كثير من رسائلنا بيئن ذلك فمن عرف ما قلت لحصل له القطع بعدم الربط بين الأثر والذات .

وبيانه أن السراج ضربه الله مثلاً تاماً فيما نحن فيه ، فالنار آية الواجب عز وجل وحرارة النار آية المنشية التي هي فعل الله تعالى ، وآية نور محمد صلى الله عليه وآلـهـ الـدـهـنـ المـتـكـلـسـ بـحـرـارـةـ النـارـ حـتـىـ صـارـ دـخـانـاـ وـاستـنـارـ ذـكـرـ الـدـهـنـ بـتـلـكـ الـحـرـارـةـ ، لأنـ نـورـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ تـكـوـنـ بـفـعـلـ اللـهـ كـمـاـ اـسـتـنـارـ الدـخـانـ بـحـرـارـةـ النـارـ فـيـ السـرـاجـ وـالـأـشـعـةـ الـمـنـبـثـةـ مـنـهـ آـيـةـ لـلـأـشـيـاءـ الـمـوـجـوـدـةـ مـنـ نـورـ مـحـمـدـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ ، فـكـمـاـ أـنـ الـأـشـعـةـ لـاـ رـبـطـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـ النـارـ الـتـيـ هـيـ الـحـرـارـةـ وـالـيـبـوـسـةـ الـجـوـهـرـيـانـ إـذـ لـاـ نـورـ فـيـهـاـ ،ـ وإنـماـ الـرـبـطـ بـيـنـ الـأـشـعـةـ وـبـيـنـ الشـعـلـةـ الـتـيـ هـيـ الـدـخـانـ الـمـنـفـعـلـ

(١) سورة العنكبوت ، الآية : ٤٣ .

بالاستضاءة عن حرارة النار كذلك لا ربط بين الحوادث بأسرها وبين المعبد بالحق عز وجل ، وإنما الربط بين الحوادث وبين فعل الله الذي آيته حرارة النار والمتعلق به الذي هو نور محمد صلى الله عليه وآلله آيته الدهن المتکلس حتى صار دخاناً واستضاء بحرارة النار فخلق الله سبحانه من شعاعه حقائق الأشياء التي آيتها شعاع السراج الواقع على الأرض والجدر ، فإن الله خلقه من شعاع الشعلة المرئية من السراج .

ومن المعلوم المقطوع به أن الربط متتحقق بين الأشعة الواقعة على الأرض والجدر وبين الشعلة المرئية التي هي الدخان المتکلس من الدهن بحرارة النار المستنير بحرارتها وبين الأشعة بعضها بالنسبة إلى بعض لا غير ذلك ، وليس بينها أو بعضها وبين النار ربط في حال من الأحوال ولا نسبة ولا تعلق ، وهذا آية ما نحن فيه ، فتفهم .

وقوله : فكما أن النار ذاتها الحرارة واليبوسة كذلك فعلها ، أي الإحراق حار يابس في رتبته لا محالة ، يعني به أن النار في ذاتها لو لم تكن حارة يابسة لما كان فعلها كذلك ، والمشابهة بين الفاعل والفعل تدل على الربط بينهما .

وأقول : إذا جازت المشابهة جاز الربط ولا تجوز المشابهة بين القديم والحدث في حال من الأحوال ، فلا يجوز الربط بين ما لا تجوز فيها المشابهة ولا حالة جامدة ، والذي مثلاً به

حوادث مع حوادث بخلاف ما نحن بصددِه وشّان بين القديم عزّ
وجلّ وغيره .

وقوله : لا فرق بينهما ، مُقتبِسٌ من قول الحجة عَجَلَ الله
فرجهُ في دعاء شهر رجب ونفي الفرق هناك ، إنما هو بين صفات
الأفعال بعضها مع بعض ، مثل قوله : لا فرق بين قيام زيد الذي
هو حدث فعله وبين معنى ما صدر من قام زيد ، فإنّ ما صدر من
قام زيد هو قيام زيد فبلحاظ صدوره من فعل زيد له عبارة ،
وبلحاظ أنه حدث فعله له عبارة ، وفي نفس الأمر هو شيء
واحد ، لأنّه هو انتساب زيد ورأسه إلى جهة السماء ورجلاته إلى
جهة الأرض ، فلا فرق بين انتساب زيد بالوضع المذكور وبين
قيام زيد فيما يناسب إلى الاعتدال في هذه الحالة ، كذلك لا فرق
بين النار في الإحرق وبين فعلها في الإحرق ، لأنّ الإحرق في
العباراتين شيء واحد إذ المحرق هو النار بفعلها ، كذلك لا فرق
في الطاعة بين الذات وبين امثال أمر الذات لأن طاعة الذات هو
امثال أمر الذات ، فإن قول الحجة عليه السلام : (لا فرق بينك
وبينها)^(١) يعني في الطاعة لأنها هي امثال أمر الذات وهو شيء

(١) قال عليه السلام : (أسألك بما نطق فيهم من مشيتك ، فجعلتهم معادن
لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ، ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان
يعرفك بها من عرفك ، لا فرق بينك وبينها إلّا أنهم عبادك وخلقك ، فتقها
ورتقها بيدهك ، بدؤها منك وعودها إليك ، أعضاد وأشهاد ، ومناة وأذواد ، =

واحد ، فإذا كانت المساواة في شيء واحد هو شيء واحد لا ثنان ، فأين المساواة وأين الربط بين النار في الإحرق وبين فعلها الإحرق ، والشيء واحد فأين الربط وأين المرتبط به ؟ !

نعم ، إذا أردت أن تفرض الربط بين ذات النار وبين فعلها حصل التعدد وامتنع الربط ، لأن الفعل تنسب إليه الإحرق ولا تنسب إلى النار شيئاً ، لأن الإحرق يناسب إلى فعلها لا إليها ولو نسبت إليها الطبيعة لأنها هي الذات لم يكن الفعل شيئاً ، إذ لا طبيعة له فلم يرتبط بالذات شيء أبداً .

وأما الحكاية في التجلي فإنما يستلزم الربط إذا فرضت شيئاً صدر من الذات ووقع منها على الفعل ، وأما إذا لم يكن شيء يخرج من الذات ويقع على الفعل وإنما الإحرق طبيعة الفعل لم يصدر من النار إلى الفعل وإنما كان الإحرق مولوداً كما هو شأن الحوادث المصنوعات التي يتولد فيها الشيء من أصله ، فإذا جاز التوالد تحقق الربط وكان الفعل مطابقاً للذات لما بينهما من المشابهة والموافقة ، وإذا لم يجز التوالد لامتناع القديم من أن يخرج منه شيء أو يخرج من شيء لعدم المشابهة والمجانسة

وحفظة ورواد ، فبهم عليهم السلام ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت) مصباح الكفumi : ٢ / ٧٢ ، ومصباح المتهجد : ٨٠٣ ، وإقبال الأعمال لابن طاوس : ٣ / ٢١٤ .

والمشاكلة من جميع الوجوه ، لم يجز الربط وامتنعت مطابقة الفعل للذات لعدم المشابهة والموافقة .

وقوله : ولا يوجد ذلك في شيء أبداً ، يعني به أنه لا يوجد أن يكون الفعل على خلاف الذات أبداً ، لأن الفعل مشتق من طبيعة الذات ، فلا بد أن يكون موافقاً لها وهذا غلط لأن الفعل مشتق من طبيعة فعل الذات ، مثلاً قام مشتق من ميل طبيعة الذات الفعلية إلى إقامة جسمه بالوضع المخصوص الذي يتتحقق بإقامة فقرات ظهره مع كون رأسه إلى جهة السماء ، ورجليه إلى جهة الأرض ، وليس مشتقاً من طبيعة الذات نفسها ليكون موافقاً للذات ، بل لا يوجد الفعل إلا مخالفًا للذات إلا الفعل الذي وقع موافقاً لأمر الشرع الإلهي فإنه يكون موافقاً للذات ، لأن الشارع عليه السلام إنما يأمر بما فيه صلاح الذات وما فيه صلاح الذات لا يكون إلا موافقاً لطبيعة الذات الذاتية ، لأنّه هو منشأ المدد الذاتي الوجودي ، فافهم موافقاً راشداً مسدداً والحمد لله رب العالمين .

وقد الفراغ من تسويد هذه الكلمات ضحى الرابع والعشرين من شعبان سنة تسعة وثلاثين بعد المئتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها وأله أفضل الصلاة والسلام بقلم العبد المسكين أحمد بن زين الدين الهجري الأحسائي في بلد الحسين عليه السلام حامداً مصلياً مسلماً مستغفراً .

الفهرس

- فهرس الآيات القرآنية**
- فهرس الأحاديث**
- الفهرس الموضوعي**
- فهرس المحتويات**

فهرس الآيات القرآنية

الآية	الرقم	الصفحة
سورة الفاتحة		
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»	٢	٣١٧
سورة البقرة		
- «وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»	٥١	٤٠٤
- «إِنَّمَا بَقَرَةٌ صَافِرَاءٌ فَاقْعُ لَوْنُهَا نَسْرٌ أَنْتَظِرِينَ»	٦٩	١٢٥
- «كُنْ»	١١٧	١٤٧
- «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً»	٢١٣	٣١
- «فَبَعَثَ اللَّهُ أَنْبِيَاءً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ»	٢١٣	٣٧
- «وَسَعَ كُرْسِيَهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ»	٢٥٥	١١٢
- «وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ»	٢٥٥	٣٩١

١٦٢	٢٥٥	- ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾
٢٩٥	٢٦١	- ﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ﴾
٢٩٦	٢٦١	- ﴿مَثُلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَجَةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾
٩٥	٢٨٢	- ﴿وَاللَّهُ يُكَلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

سورة آل عمران

٩٠	٦٧	- ﴿كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾
٢١	١١٠	- ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أَخْرَجْتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَايُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾
٣٧٤	١٤١	- ﴿وَلَيَسْحَاصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكُفَّارِ﴾

سورة النساء

١٦٠	١٢٣	- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيْكُمْ وَلَا أَمَانِيْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾
-----	-----	--

سورة المائدة

١٠	١٠	- ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ أَتَى أَتَّبَعَ رِضْوَانَكُمْ سَبِيلَ
----	----	---

- السَّلَامُ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى
النُّورِ يَا ذِينَهُمْ ﴿١٦﴾
- ٨٤ ١٦ ، ١٥
- «وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِي مُسْتَقِيمٍ»
- «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَانَهَا أَحْيَا النَّاسَ
جَمِيعًا»
- ٤٥٣ ٣٢
- «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ لَأَنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي أَقْوَامًا أَظَلَّمُّينَ»
- «لَيَسَ عَلَى الَّذِينَ مَاءَمُوا وَعَمِلُوا
الصَّلِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا أَتَقَوْا
وَمَاءَمُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ ثُمَّ أَتَقَوْا وَمَاءَمُوا
ثُمَّ أَتَقَوْا وَأَحَسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»
- ١٠٥ ٩٣
- «وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ»

سورة الأنعام

- «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَنَّهُمْ
أَفْتَدِهُمْ»
- ٩٣ ٩٠
- «قُلِ اللَّهُ شَهِدَ ذَرَهُمْ فِي حَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ»
- ١٧٧ ٩١
- «فَالِّقُ الْحَيِّ وَالنَّوَىٰ»
- ١٥١ ٩٥
- «إِنَّ اللَّهَ فَالِّقُ الْحَيِّ وَالنَّوَىٰ»
- ٢٩٧ ٩٥
- «فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْرُوتُ ﴿١٢﴾ وَلَنَصْعَنَّ

إِلَيْهِ أَفْعِدُهُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ

- | | | |
|-----|-----------|---|
| ١٠٨ | ١١٣ ، ١١٢ | ﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ |
| ٢٥١ | ١١٦ | - ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ﴾ |
| ٣٦٦ | ١٢٢ | - ﴿أَوَ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ |

سورة الأعراف

- | | | |
|----------------|-----|---|
| ٤٦٢ | ٥٦ | - ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ
الْمُخْسِنِينَ﴾ |
| ٢١٧ | ٧١ | - ﴿فَتَأْسِمُوا سَمِّيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَهَابَاؤُكُمْ
مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَنٍ﴾ |
| ٤٠٤ ، ١٥٤ | ١٤٢ | - ﴿وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيَلَةً وَأَثْمَنَهَا
يُعَشِّي فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِيعَةِ أَذْبَعِينَ
لَيَلَةً﴾ |
| ٤٦٤ ، ١٤١ ، ٣٧ | ١٧٢ | - ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ |
| ١٣٦ | ١٧٢ | - ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ |
| ٢٠٧ | ١٧٢ | - ﴿وَلَمْ أَخَذْ رَبِّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِ
ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ |
| ٨١ | ١٧٦ | - ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ |
| | | - ﴿أَوَلَمْ يُنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ |

وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ ﴿١٨٥﴾	٢٩٠
- «وَإِمَّا يَرْعَنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزَعُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾	٢٩١

سورة الأنفال

- «لِيَهُوكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيْتِنَا ﴿٤٢﴾	٩٥
--	----

سورة التوبة

- «فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْوَا الزَّكُوَةَ فَإِخْرَاجُكُمْ فِي الْدِينِ ﴿١١﴾	٤٢
- «فَإِنْ تَابُوا وَأَقامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْوَا الزَّكُوَةَ فَإِخْرَاجُكُمْ فِي الْدِينِ وَنَفْصُلُ الْأَيَّاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾	٢٢٧
- «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾	٣٦٦
- «لَا يَرَأُلُّ بُتْنَاهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِبَّةٌ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقْطَعَ قُلُوبُهُمْ ﴿١١٠﴾	٣٢٨

سورة يونس

- «أَتُنَبِّئُكَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٨﴾	٤٥٧
---	-----

- ٢٤٧ ٣٢ - «فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ» ﴿١﴾
- ٣٠٣ ، ٢٥٦ ٣٩ - «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَرَنْجِيْطُوا يَعْلَمُهُ، وَلَمَّا
يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ» ﴿٢﴾
- ٤٦٧ ٧٤ - «فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ
قَبْلُ» ﴿٣﴾
- ١١٥ ٨٣ - «فَمَا أَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ
عَلَى حَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِ» ﴿٤﴾

سورة هود

- ١١٦ ٥٦ - «إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ» ﴿١﴾
- ٢٩٠ ٨١ - «إِلَّا أَنْرَأَنَّكَ إِنَّمَّا مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ» ﴿٢﴾
- ٤٨ ١٠٨ - «خَلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ
إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكُ عَطَاهُ غَيْرَ مَجْذُوذٍ» ﴿٣﴾
- ٣٤٤ ١١٩ ، ١١٨ - «وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٤﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
رَبُّكَ» ﴿٥﴾

سورة يوسف

- ٤٦١ ٨٧ - «وَلَا تَأْيَشُوا مِنْ رَفْعِ اللَّهِ» ﴿١﴾
- ١٦٧ ، ٩٤ ١٠٥ - «وَكَائِنَ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ يَمْرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا
مُغَرِّضُونَ» ﴿٢﴾

سورة الرعد

- ﴿ قُلْ سَمُّوْهُمْ أَمْ تُنِتَّعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي	
١٦٦	٣٣
الْأَرْضِ أَمْ يُظَاهِرُ مِنَ الْقَوْلِ ﴾	
- ﴿ أَمْ تُنِتَّعُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٥٧
	٣٣

سورة إبراهيم

- ﴿ تُؤْتِي أَكْلَاهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾	٢٥
٨٩	
- ﴿ فَاجْعَلْ أَفْغَدَةَ مِنَ النَّاسِ تَهُوِي	
١٤٢	٣٧
إِلَيْهِمْ ﴾	

سورة الحجر

- ﴿ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّعْدَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُّمِينٌ ﴾	١٨
٢٧٨	
- ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَانَةٌ ﴾	٢١
١٦٢ ، ٨٦	
- ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ﴾	٢٩
٢٧٠	
- ﴿ وَأَتَيْتُهُمْ أَذْبَارَهُمْ ﴾	٦٥
٢٨٩	
- ﴿ وَلَا يَلْفَتُ مِنْكُو أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمِرُونَ ﴾	٦٥
٢٨٩	

سورة النحل

- ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَنْخِذُوا إِلَهَيْنِ أَثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَحْدَهُ ﴾	٥١
٤٨٤ ، ٦٢	

٤٣٨	٦٠	- ﴿وَلَهُ الْمَثُلُ الْأَعْلَى﴾
٨٨	٦٨	- ﴿وَمَا يَعِشُونَ﴾
٣٩٧	٦٨	- ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّعْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْمُبَالِ بِيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمَا يَعِشُونَ﴾
٨٨	٦٩	- ﴿ ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ﴾
٤٤٨	١٠٢	- ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ إِلَّا حَقٌّ﴾

سورة الإسراء

٣٩٦	١٥	- ﴿وَمَا كَانَ مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾
٦٤	٤٦	- ﴿ وَلَمَّا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْءَانِ وَحَدَّمْ وَلَوْا عَلَيْنَ أَدَبَنِيهِمْ نَفُورًا﴾

سورة الكهف

٩٨	٤٤	- ﴿ هُنَالِكَ الْوَلَيْةُ لِلَّهِ الْحَقُّ﴾
٢٦٧	٥١	- ﴿ مَا أَشَدَّتُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾
٤٨٥ ، ٦٢	١١٠	- ﴿ فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا﴾

سورة مريم

١٨٢ ، ٦٨	٦٥	- «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا»
		﴿٨٩﴾
		- «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرُنَّ مِنْهُ وَتَنْشَقُ الْأَرْضُ وَتَخْرُجُ الْجِبَالُ هَذَا»
٣٨٤	٩٠ ، ٨٩	﴿٩٠﴾

سورة طه

١٢١ ، ١٤	٥	- «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى»
		﴿٩١﴾
٣٣٢	١٥	- «إِنَّ السَّاعَةَ إِذَا كَادَ أَخْفِيَاهَا لِتُجْرَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى»
٤٠٩	١٨	- «وَاهْشُ إِلَيْهَا عَلَى عَنْمَى»
		﴿٩٢﴾
٤٣٩ ، ٢٥١	٥٢ ، ٥١	- «قَالَ فَمَا بَالُ الْقَرْوُنَ الْأُولَى»
		﴿٩٣﴾
٣٣١	١١٥	- «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّهِ فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّهِ
		﴿٩٤﴾
٣٣١	١١٥	- «وَلَا يَنْسَى
		﴿٩٥﴾
		- «وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَيْكَ عَادَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ»
		﴿٩٦﴾
		- «وَلَمْ يَنْهِ لَهُ عَزْمًا»
		﴿٩٧﴾

سورة الأنبياء

١٣٠	٢٧	- «وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ»
		﴿٩٨﴾
٣٧٤	٢٨	- «وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى»

- ٣٦٩ ، ٢٩٦ ٣٠ - «وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»
 - «أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْنِي الْأَرْضَ تَنْقُصُهَا
 مِنْ أَطْرَافِهَا»
 ٢٠٦ ٤٤

سورة الحج

- ٣٦ ٥ - «يَسْأَلُهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مِنَ
 الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ
 نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ
 وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِتُبَيَّنَ لَكُمْ»
 - «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَلُ
 الْأَفْلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»
 ٤٠٣ ٤٦ - «وَإِذْ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَالْفِ سَنَةٌ مِمَّا
 تَعْدُونَ»
 ٢٠٣ ٤٧

سورة المؤمنون

- ٦٨ ١٧ - «وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ»
 ٣٤٨ ٧١ - «بَلْ أَنِيبُهُمْ بِذِكْرِهِمْ»
 - «إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ»
 ٤٧٢ ٩١

سورة النور

- ٥٨ ٣٥ - «مَثْلُ نُورٍ كَشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ»

- ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ مَثْلُ نُورٍ وَكِشْكُوفٌ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي نِجَاجَةٍ﴾ ٣٥ ٨١
- ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ ٣٥ ٩٦ ، ٩٣
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كُسُرٌ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُمُ الظَّمَانُ مَاءً﴾ ٣٩ ٣٦٨
- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُهُمْ لَمْ يَعْدُهُ شَيْئًا﴾ ٣٩ ٣٧٣

سورة الفرقان

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَيَّ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَ الظَّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُمْ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلَنَا أَشْمَسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْتَهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ ٤٦ ، ٤٥ ٣٢

سورة الشعرا

- ﴿أَرْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِينُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٣﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثُوا فِي الْأَرْضِ مُقْسِدِينَ ﴿١٨٤﴾﴾ ١٨٣ ، ١٨١ ٤٢٩

سورة النمل

- ﴿أَنْ بُوْرَكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ ٨ ٨٩
- ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾

مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا

١٤٠

٨٢

يَعَايِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٤﴾

سورة القصص

١٩٨

٤٤

- «وَمَا كُنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى الْفَرِيقِ إِذْ قَضَيْنَا ﴿٤﴾

سورة العنكبوت

٤٩٣

٤٣

- «وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ نَضَرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴿٤﴾

سورة الروم

٣١٢

٢٢

- «وَمَنْ أَيَّدَنِيهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَأَخْيَلَهُ أَسْتِكْمُ وَالْوَزْكُرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذَيْنَ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤﴾

٤٢١ ، ٣٩٢

٢٧

- «وَلَهُ الْمَشْلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾

٦٢ ، ٤٧

٤٠

- «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ
يُمِسْكُمْ ثُمَّ يُحِيِّكُمْ هَلْ مِنْ شَرَكَاهُمْ
مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مَنْ شَاءَ عَرَفَهُ
وَتَعْلَمَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤﴾

١٢١

٤٠

- «خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِسْكُمْ ثُمَّ
يُحِيِّكُمْ ﴿٤﴾

٤٨٤

٤٠

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ
يُمْسِكُمْ ثُمَّ يُحِبِّكُمْ هَلْ مِنْ شَرَّاً كَيْفُمْ
مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾

سورة لقمان

٤٨٤

٢٨

- ﴿مَا خَلَقْتُمْ وَلَا بَعْثَرْتُمْ إِلَّا كَنَفِسٍ
وَاحِدَةٍ﴾

٨٥

٤٦

سورة الأحزاب

٣٩

١٩ ، ١٨

سورة سباء

- ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرَى أُلَّقِ
بَرَكَاتِنَا فِيهَا قُرُىٌ ظَاهِرَةٌ وَقَدَرَنَا فِيهَا
السَّيِّرُونَ سِيرُونَا فِيهَا لِيَالٍ وَأَيَامًاً أَمِينَ
فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمْوَا
أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ
مَرْزِقٍ﴾

٤١٥ ، ٣٦٧

٢٢

سورة فاطر

- ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْتَحْيِي مَنْ فِي الْقُبورِ﴾

سورة يس

٣٦٦ ٧٠ - ﴿لَيَسْدِرَ مَنْ كَانَ حَيَا﴾

سورة الصافات

٤٢	٣٩	- ﴿وَمَا تُخْزِنُ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
١٤٠	٦٤ ، ٦٥	- ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيرِ طَلْعُهَا كَانَهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ٦٤
٩٠	١١٣	- ﴿وَنَرَكَنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾
٤٧٥	١٦٤	- ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾
٤٧٥ ، ٤٧١ ، ٣٨٣	١٨٠	- ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾
		- ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَّمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٨٠
٣٩٢	١٨٢ ، ١٨٠	- ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٨٢

سورة ص

٤٦٥	٦ ، ٥	- ﴿أَجْعَلَ الْآلهَةَ إِلَهًا وَجْدًا إِنَّ هَذَا شَئْءٌ عَجَابٌ وَانْطَلَقَ الْمَلَائِكَةُ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَمْكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَئْءٌ يُرَادُ﴾ ٦
-----	-------	--

سورة الزمر

٣٣٢	٩	- ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾
-----	---	---

- «وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ أَشْمَارَتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِّشُونَ»	٤٥
١٤٢	٤٥
- «وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورٍ رَّاهِنًا»	٦٩
٨٥	٦٩

سورة فصلت

- «لَمْ أَسْتَوِي إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ»	١١
٢٧٠	١١
- «وَمَا رَبُّكَ يُظَلِّمُ لِلْعَبْدِ»	٤٦
٢٤١	٤٦
- «وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»	٥٣
٩٤	٥٣
- «سَرِّيهُمْ إِنَّا نَنَزَّلُ إِلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْفُسِهِمْ»	٥٣
١٧٣	٥٣
- «حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»	٥٣
٤٧٧	٥٣
- «سَرِّيهُمْ إِنَّا نَنَزَّلُ إِلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»	٥٣
٢٧١ ، ٢٦٨	٥٣
- «سَرِّيهُمْ إِنَّا نَنَزَّلُ إِلَيْهِمْ مِّنَ السَّمَاءِ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ»	٥٣
٤٧٢ ، ٤٦٥	٥٣

سورة الشورى

- «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ»	١١
٦٢	١١
- «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»	١١
٤٨٤	١١

سورة محمد

٣٩٤ ١٨ - ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾

سورة ق

٤١٦	٣	- ﴿أَإِذَا مِنَّا وَكَانَ نَرَاهَا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾
٢٥٢ ، ١٦٣	٤	- ﴿فَقَدْ عَلِمْنَا مَا نَقْصُ الْأَرْضِ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِظٌ﴾
٤٣٩ ، ٤١٦		
٤٠٠ ، ٣٩٧	١٥	- ﴿بَلْ هُنَّ فِي لَبِسٍ مِنْ خَلْقِ جَدِيدٍ﴾
١٦٣	٣٧	- ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمَعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

سورة الذاريات

٩٤	٢١	- ﴿وَقِ أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا يُبَصِّرُونَ﴾
٨٦	٢٢	- ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقٌ لَكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾
٤٠١ ، ١٣٥	٤٩	- ﴿وَمَنْ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ نَذَكَرُونَ﴾

سورة النجم

٢٥٦ ، ٨٨	٩	- ﴿أَوْ أَدْنَى﴾
١٢٣ ، ١١٤	٩	- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾
٣٩٥	٩	- ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾

٤٥	٣١	أَحْسَنُوا بِالْمُسْنَى ﴿٩﴾
-	-	» يَجْرِيَ الَّذِينَ أَسْتَوْا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْرِيَ الَّذِينَ
٣٢٣	١٧	» مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿٨﴾

سورة القمر

سورة الواقعة

<p>٤٨</p> <p>١٣٩</p>		<p>- « وَفِكْهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَمْنُوعَةٌ »</p> <p>- « أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزِّنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزَلُونَ »</p>
<p>٣٣ ، ٣٢</p> <p>٦٩</p>		<p>-</p>

سورة المجادلة

۱۰

۲۸۴

۷

۳۹۲

- ﴿۱۰﴾ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۝ -
- ﴿۱۱﴾ إِنَّمَا أَنْجَوْتُ مِنَ السَّيْطِنِ لِيَحْرُكَ الَّذِينَ
- أَمَّنُوا وَلَيُسَّرَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ
الله۝

سودة الملك

- ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَيِّرُ﴾ ١٤ ٢٥١

٢٦٨

١٤

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ -

١٢٤ ، ٣٣

١

﴿تٌ وَالْقَلِيلٌ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ -

سورة القلم

٢٠٧

١٧

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ -

سورة نوح

٤١٠

١٤ ، ١٣

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَحْدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ

﴿يَأْسَاهُرَةٌ ﴿١٤﴾

سورة النازعات

٧٢

٢٤

﴿فَلَيَنْظِرِ الْإِنْسَنُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾ -

٧٢

٢٥

﴿أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبَّاً﴾ -

سورة الإنفطار

٣٦٦

١٦ ، ١٥

﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْدِينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَافِرِينَ

﴿١٦﴾

سورة المطففين

٧

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِيَّئِينَ﴾ -

١٣٨	١٠ - ٧	﴿٩﴾ ﴿٨﴾ كِتَبٌ مَّرْفُوعٌ ﴿١٠﴾ وَيَلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَذَّابِينَ
٢٢٨	١٤	﴿﴾ كَلَّا بَلْ رَأَنَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَبَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلْمٍ ﴿﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمُهُنَّ
١٣٧	٢١ - ١٨	﴿﴾ يَشَهِّدُ الْمُقْرِبُونَ ﴿﴾ أَحَدٌ

سورة الإخلاص

٦٨ ، ٦٦	١	﴿﴾ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
٧٧	٣	﴿﴾ لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدْ ﴿﴾ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
٧٨ ، ٧٥ ، ٦٠	٤ - ١	﴿﴾ اللَّهُ أَكْبَرُ ﴿﴾ لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدْ ﴿﴾ أَحَدٌ

فهرس الأحاديث

حرف الألف

- (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله) ٣٤٧ ، ١٨٦
- (إذا أمرت بلعنه والبراءة منه) ٣١٥
- (إذا ذهب بريداً ورجع بريداً فقد شغل يومه) ٣٧٩
- (الأحد الفرد المتفرد والأحد الواحد بمعنى واحد) ٧١
- (الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مجد الله) ٥٧
- (التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) ١٠٧
- (الحب ما أحبه والنوى ما نأى عن الحق) ٢٩٧
- (الحب هو المحب لنا وهم شيعتنا) ٢٩٧
- (الحجاب والله عزّ وجلّ وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجن والإنس وكلهم يلعن فلاناً وفلاناً) ٣١٤
- (الحسن من الله إمام مفترض الطاعة ولكن ليس من السنابل السبعة أولهم الحسين وأخرهم القائم عليهم السلام) ٢٩٦

- (الحجبة فاطمة والسبعين السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم) ٢٩٦
- (الروح الذي هو على ملائكة الحجب) ١٢٦
- (السعيد من سعد في بطن أمه) ١٣٦
- (السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه) ١٢٧
- (السکينة جزء من سبعين جزءاً من نور الزهرة ، والزهرة جزء من سبعين جزءاً من نور القمر ، والقمر جزء من سبعين جزءاً من نور الشمس) ١١٤
- (السيد المصمود إليه في القليل والكثير) ٧٧
- (الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسي ، والكرسي جزء من سبعين جزءاً من نور العرش ، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب ، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر ، فإن كانوا صادقين فليملؤوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب) ١١١
- (الصمد الذي لا جوف له والصمد الذي قد انتهى سؤدده والصمد الذي لا يأكل ولا يشرب والصمد الذي لا ينام والصمد الدائم الذي لم يزل ولا يزال) ٧١
- (الصمد الذي لا شريك له ولا يؤوده حفظ شيء ولا يعزب عنه شيء) ٧٤
- (الصمد السيد المطاع الذي ليس فوقه آمرٌ وناهي) ٧٣
- (الصمد هو الذي إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والصمد

- الذي أبدع الأشياء فخلقها أضداداً وأشكالاً وأزواجاً وتفرد بالوحدة بلا ضدّ ولا شكل ولا مثل ولا ندّ) ٧٤
- (ال العبودية جوهرة كنها الربوبية فما فقد في العبودية وُجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أُصيب في العبودية) ٤٦٥ ، ٢٦٨
- (العرش والكرسي بابان من العلم) ٤٤٠
- (العلم ذاته ولا معلوم) ٤٣٧
- (العلم نقطـة كثـرها الجـهـال) ٣٥٦
- (الله سبحانه خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم نحن في آخر العـالـمـ وـآخـرـ الـآـدـمـيـنـ) ١٤٣
- (اللهم أنت الأبد بلا أمد) ١١
- (اللهم زدني فيك تحريراً) ٣٨٨
- (الله معناه المعبود الذي أله الخليق عن درك ماهيته والإحاطة بكيفيته) ٧١
- (الملك الموكل بالبلـةـ أصابـهـ البـلـلـ) ٣٠٢
- (النور الأصفر) ١٢٤
- (النور الأخضر) ١٢٦
- (الورد الأبيض من عرقـيـ) ١٢٢
- (الورد الأـحـمـرـ منـ عـرـقـ جـبـرـئـيلـ) ١٢٢
- (الورد الأصـفـرـ منـ عـرـقـ الـبرـاقـ) ١٢٢
- (إنـ البرـاقـ جـناـحـهـ بـيـنـ فـخـذـيـهـ وـعـيـنـهـ فـيـ رـجـلـهـ وـأـذـنـهـ تـتـحـركـ أـبـداـ) ١٢٥

- (إن الروح مجنس الريح) ٢٧٠
- (إن الزمان كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض) ٤٢٢
- (إن السنة ثلاثة مئة وستون يوماً هلالية فلما خلقت السماوات والأرض في ستة أيام اختزلت منها فالسنة ثلاثة مئة وأربعة وخمسون يوماً) ٣٦١
- (إن الشمس عند الزوال لها حلقة تدخل فيها فإذا دخلت فيها زالت الشمس فيسبح كل شيء دون العرش بحمد ربى عز وجل وهي الساعة التي يصلي على فيها ربى جل جلاله) ٣٠٦
- (إن العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه أحمرت الحمرة ، ونور أخضر منه أخضرت الخضرة ، ونور أصفر منه أصفرت الصفرة ، ونور أبيض منه البياض وهو العلم الذي حمله الله الحملة) ١١٩
- (إن العرش مركب من أربعة أنوار: نور أحمر منه أحمرت الحمرة ، ونور أصفر منه أصفرت الصفرة ، ونور أخضر منه أخضرت الخضرة ، ونور أبيض منه البياض ، ومنه ضوء النهار) ٤٨
- (إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته فالمؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه أبوه النور وأمه الرحمة) ١٣٧ ، ١٨٦
- (إن الله خلق أبدانهم من عليين وخلق أرواحهم من فوق ذلك وخلق قلوب شيعتهن من فاضل طيتهم) ٣٤٢
- (إن الله خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنتم في آخر العوالم وأخر الآدميين) ٢٠٦

- (إن الله خلق ألف ألف عالم وألف ألف آدم ، أنتم في آخر العالم وآخر الآدميين ، لم يخلق منهم شيء من التراب إلا هذا العالم) ٣١٨
- (إن الله عزّ وجلّ خلق النبيين من طينة عليين قلوبهم وأبدانهم ، وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك ، وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم فخلط بين الطينتين فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن هاهنا يصيب المؤمن السيئة ومن هاهنا يصيب الكافر الحسنة فقلوب المؤمنين تحزن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحزن إلى ما خلقوا منه) ١٣٢
- (إن الله عزّ وجلّ لما أراد أن يخلق آدم عليه السلام بعث جبرائيل عليه السلام في أول ساعة من يوم الجمعة) ١٤٣
- (إن الله علم أنه سيكون أقوام متعمقون فأنزل سورة التوحيد والآيات من سورة الحديد) ٧٠
- (أن يفلق العلم من الأئمة والنوى ما بعد عنه) ٢٩٧
- (إن المؤمن أعز من الكبريت الأحمر) ٣٠٩
- (إن النبي صلى الله عليه وآلـهـ صلـىـ عـلـىـ سـعـدـ بـنـ مـعـاذـ فـقـالـ : لـقـدـ وـافـىـ مـنـ الـمـلـاـئـكـةـ لـلـصـلـاـةـ عـلـيـهـ سـبـعـوـنـ أـلـفـ مـلـكـ وـفـيهـ جـبـرـيـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ يـصـلـوـنـ عـلـيـهـ فـقـلـتـ : يـاـ جـبـرـيـلـ بـمـ اـسـتـحـقـ صـلـاتـكـ عـلـيـهـ ؟ـ قـالـ : يـقـرـأـ «ـقـلـ هـوـ أـلـلـهـ أـحـدـ»ـ قـائـمـاـ وـقـاعـدـاـ وـرـاكـبـاـ وـمـاشـيـاـ وـذـاهـبـاـ وـجـائـيـاـ) ٨٠

- (إن اليهود سأלו رسول الله صلى الله عليه وآله فقالوا : انسب لنا ربك فلبث ثلاثة لا يجيئهم ثم نزلت : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾) ٥٧
- (إن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن الصمد ، فكتب إليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم ، فإني سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار . وإن الله سبحانه قد فسر الصمد فقال : ﴿اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ١ ﴿الصَّمَدُ﴾ ٢ ثم فسره فقال : ﴿لَمْ يَكُلُّدْ وَلَمْ يُوَلَّدْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ ٣ : ﴿لَمْ يَكُلُّدْ﴾ لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا يتشعب منه البدوات كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والساممة والجوع والشبع ، تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف ، ﴿وَلَمْ يُوَلَّدْ﴾ : لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والتبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ، ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبصر من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب ، وكالنار من الحجر ، لا بل هو الصمد الذي لا من شيء ولا في

شيء ولا على شيء ، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذلكم الله الصمد الذي لم يلد ولم يولد ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، «ولَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ» . وعن جابر بن يزيد قال : سأله أبو جعفر عليه السلام عن شيء من التوحيد فقال : (إن الله تبارك وتعالى أسماؤه التي يُدعى بها وتعالى في علو كنته واحد توحد في التوحيد في علو توحيده ثم أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدوس يعبده كل شيء ويصمد إليه كل شيء ، ووسع كل شيء علمًا)

- ٧٥ - (إن بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها)
٦١
١٢ - (انتهى المخلوق إلى مثله وألجه الطلب إلى شكله)
٤٤٥ - (انتهى المخلوق إلى مثله وألجه الطلب إلى شكله السبيل مسدود والطلب مردود)
٤٩١
٣٣٠ - (إن حديثنا صعب مستصعب أجرد ذكره ثقيل مقنع) ١٤٥ ،
- (إن قوله ﴿كِسْكَوْقٌ فِيهَا مَضْبَاحٌ﴾ وهو نور العلم في صدر النبي صلى الله عليه وآله و﴿الزُّجَاجَةُ﴾ صدر علي عليه السلام علمه النبي صلى الله عليه وآله فصار صدره ﴿يَكَادُ زَيْتَهَا يُضْيَءُهُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ يكاد العالم من آل محمد صلى الله عليه وآله

- يتكلّم بالعلم قبل أن يُسأل ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام مؤيد بنور العلم والحكمة في أثر إمام من آل محمد صلّى الله عليه وآلـه وذلـك من لدن آدم إلى وقت قيام الساعة ، هم خلفاء الله في أرضه وحججه على خلقه لا تخلو الأرض في كلّ عصر من واحد منهم) .. ٩٥
- (إن الله اثني عشر ألف عالم ، كلّ عالم منهم أكثر من سبع سماوات وسبع أرضين ما يرى كلّ عالم منهم أن الله عالماً غيرهم ، وأنا الحجة عليهم) ٣١٦
- (إن الله ألف قنديل معلق بالعرش فسمواهاتكم هذه وأرضكم في قنديل واحد) ٣١٨
- (إن الله خلف هذا النطاق زير جد خضراء منه اخضرت السماء) ٣١٤
- (إن الله في كلّ يوم ثلاثة عساكر : عسكر ينزل من الأصلاب إلى الأرحام وعسكر ينزل من الأرحام إلى الأرض وعسكر يرتحل من الدنيا إلى الآخرة) ٣١٩
- (إنما خلقتم للبقاء وخلقتم للأبد ، وإنما تنقلون من دار إلى دار) ٤١٤
- (إن ما يراه الشخص في السماء فهو حق وما يراه في الأرض فهو أضياع أحلام) ٢٧٧
- (إن من قال : لا إله إلا الله دخل الجنة) ٢١١
- (إن من قال : لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة) ٢١١
- (إن وراء شمسكم هذه أربعين عين شمس ما بين عين شمس إلى عين شمس أربعون عالماً ، فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله خلق

- آدم ألم يخلقه ، وأن من وراء قمركم هذا أربعين قرصاً بين القرص إلى القرص أربعون عالماً ، فيها خلق كثير ما يعلمون أن الله عزّ وجلّ خلق آدم ألم يخلق قد ألهموا كما ألهمت النحلة بلعن الأول والثاني في كل الأوقات ، وقد وكل بهم ملائكة متى لم يلعنوا عذبوا) ٣١٦
- (إن هذا ملك الماء خرج وعانقني) ٣٠٠
- (إنه لا اسم له ولا رسم ولا وصف) ٤٥٥
- (إنه يقول على الله) ٣٢٢
- (إنني أتكلم بالكلمة وأريد بها أحد سبعين وجهأً لي من كل منها المخرج) ٣٣٢
- (إنني سألت الله أن يجعل هذا الأمر وهو الخلافة في ابني هذا وهو إسماعيل فأبى الله ذلك ولم يجعلها فيه) ٣٢٩
- (أتاني جبرئيل) ٣٢١
- (أتعرف إبليس؟) ٣١٥
- (أدبر فأدبر) ٤٢٦
- (أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرضون) ١١٤
- (أسألك باسمك باسم الله الرحمن الرحيم) ٦١
- (أقبل فأقبل) ٣٩٥
- (أليست بربكم ومحمد نبيكم وعلى وليكم؟) ١٤٧
- (أليست بربكم ومحمد نبيكم وعلى وليكم وإمامكم؟ قالوا: بل) ١٣٤

- (أليست بربكم ومحمد نبيكم ، وعلي وليكم وإمامكم والأئمة من ولده أئمتكم ؟) ٢١٠
- (أنا النذير العريان) ٣٩٤
- (أن الرؤيا أول الليل كاذبة وآخر الليل صادقة) ٢٧٨
- (أنا والساعة كهاتين) ٣٩٣
- (أنت مني بمنزلة الروح من الجسد) ٩٨
- (أنت نفسى التي بين جنبي) ٩٩
- (أن شروط لا إله إلا الله منها شهادة أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأن علياً ولی الله وأن الأئمة الاثني عشر حجج الله وأن محبهم محب الله وأن أعداءهم أعداء الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت مع الاستطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع شروطهما وجميع ما أمر الله واجب وورد ذلك مع الإيمان به) ٢١٢
- (أنها تكون في بعض الليالي صادقة وبعضها كاذبة) ٢٧٨
- (أنه إذا اشتد ظلم العباد أسرع الفلك في حركته وقصرت عمرهم وضاق معاشهم) ٤٢٥
- (أنهم لا يعلمون الغيب) ٣٥٦
- (أنهم يعلمون كل شيء مما كان وما يكون) ٣٥٧
- (أول ما خلق الله العقل) ٤٠٠
- (أول ما خلق الله روحه) ٣٩٩ ، ١٢٤ ، ٥٠
- (أول ما خلق الله عقله - والعقل - أو نوري) ٥٠

- (أول ما خلق الله نوري ابتدعه من نوره واشتقه من جلال عظمته
 فأقبل يطوف بالقدرة حتى وصل إلى جلال العظمة في ثمانين
 ألف سنة ثم سجد لله تعظيمًا ففتح منه نور على فكان نوري محيطاً
 بالعظمة ونور على محيطاً بالقدرة ، ثم خلق العرش واللوح
 والشمس وضوء النهار ونور الأ بصار والعقل والمعرفة وأ بصار
 العباد وأسماعهم وقلوبهم من نوري) ١٢
- (أولهم الحسين عليه السلام) ٢٩٩
- (أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك
 متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك متى بعثت حتى
 تكون الإشارة هي التي توصل إليك) ٨٣

حرف الباء

- (بالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وآخرها) ٣٥
- (بالحكمة يُستخرج غور العقل وبالعقل يُستخرج غور الحكمة) ١٠٦
- (بالمشية عرف صفاتها وحدودها وإنشاءها قبل إظهارها) ٣٥
- (بدت قدرتك يا إلهي ولم تبد هيبة يا سيد فشيهوك واتخذوا
 بعض آياتك أرباباً يا إلهي فمن ثم لم يعرفوك) ٢٥٢
- (بل تجلّى لها بها) ٤٧١
- (يعنى واحد) ٧١
- (بموت العلماء) ٢٠٦

حرف التاء

- (تبقى الأرواح ساهرة لا تنام) ٤١٠

حرف الثاء

- (ثم إن الطينتين خلطتا جميماً وذلك قول الله عز وجل : «فَالْحَيُّ وَالنَّوْتَرُ» ، فالحي طينة المؤمنين التي ألقى الله عليها محبته والنوى طينة الكافرين الذين نأوا عن كل خير) ١٥١

حرف الحاء

- (الحجة فاطمة والسبع السنابل سبعة من ولدها سابعهم قائمهم) ٢٩٦
- (حد الخلق إبابة له من شبهنا وإبابة له من شبهه) ٤١٩
- (حقيقة التوحيد نفي الصفات عنه) ٤٥٥
- (حي من الجن كشف الله عنهم الغطاء) ٣١٠

حرف الخاء

- (خلق الأشياء بالمشيئة والمشيئة بنفسها) ١٦٨
- (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة) ١٦٩
- (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الخلق بالمشيئة) ٤٧٥
- (خلقه ملك له رؤوس بعده الخلاائق من خلق ومن يخلق إلى يوم القيمة ، ولكل رأس وجه ولكل آدمي رأس من رؤوس العقل واسم ذلك الإنسان على وجه ذلك الرأس مكتوب وعلى كل

وجه ستر ملقى لا يكشف ذلك الستر من ذلك الوجه حتى يولد
هذا المولود ويبلغ حد الرجال أو حد النساء ، فإذا بلغ كشف
ذلك الستر فيقع في قلب هذا الإنسان نور ففهم الفريضة والستة
والجيد والرديء ، ألا ومثل العقل في القلب كمثل السراج في

وسط البيت) ١٢٢

- (خمرت طينة آدم يدي أربعين صباحاً) ٤٠١ ، ١٥١

حرف الدال

- (داخل في الأشياء لا كدخول شيء في شيء وخارج عن الأشياء

لا كخروج شيء من شيء) ٩٩

حرف الذال

- (ذرأ من السماوات ذرواً ومن الأرض ذرواً) ١٥٠

- (ذهب من ذهب إلى غيرنا إلى عيون كدرة يفرغ بعضها في
بعض ، وذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافية تجري بأمر الله لا

نفاد لها) ٢٥٥

حرف الراء

- ﴿رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ ، قال : (إن الله عز وجل خلق ثلاثة عالم
وبعضه نصف عشر عالم كل عالم منهم يزيدون ثلاثة عالمًا مثل
آدم وما ولد آدم وذلك معنى قوله : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَلَمِينَ﴾) ٣١٧

- (ربى على كلّ شيء قدير) ١٦٥

حرف الصاد

- (صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أونبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان) ٣٢٩
- (صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له) ٤٣٧ ، ٢٤٢

حرف الطاء

- (طعامهم التسبيح والتقديس) ٧٢

حرف الظاء

- (ظهرت الموجودات من باء باسم الله الرحمن الرحيم) ٤٢٦

حرف العين

- (علم وشاء) ٤٥١
- (علم وشاء وأراد قدر وقضى وأمضى) ٣٠
- (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى) ٤٥٣
- (علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد فبعلمه كانت المشية وبمشيتها كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضاءه كان الإمساء ، فالعلم متقدم المشية والمشية ثانية والإرادة ثالثة والتقدير واقع على القضاء بالإمساء فللله تعالى البداء فيما علم

متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدأ فالعلم بالعلوم قبل كونه والمشيّة في المشاء قبل عينه والإرادة في المراد قبل قيامه والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقتاً والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذات الأجسام المدركات بالحواس من ذي لون وريح وزن وكيل مما دبّ ودرج من إنس وجّن وطير وسباع وغير ذلك مما يدرك بالحواس فللله تعالى فيه البداء مما لا عين له فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدأ والله يفعل ما يشاء. وبالعلم علم الأشياء قبل كونها وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها وأنشأها قبل إظهارها. وبالإرادة ميز نفسها في ألوانها وصفاتها وبالتقدير قدر أقواتها وعرف أولها وأخرها. وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها ، وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها ذلك تقدير العزيز العليم) ٢٩

- (علمه بالأشياء قبل الأشياء كعلمه بها بعدها) ٤٥٥ ، ٤٥٨

حرف الفاء

- (فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة) ٤١١ ، ٤٠٦
- (فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بدأ والله يفعل ما يشاء) ٣٤
- (فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بدأ) ٣٤
- (فاستقر في ظلك فلا يخرج منك إلى غيرك) ٤١٨

- (فالأول لا إله إلا الله ، والثاني محمد رسول الله صلى الله عليه وآله ، والثالث نحن ، والرابع شيعتنا) ٦٢
- (فالعلم بالمعلوم قبل كونه) ٣٣
- (فالعلم متقدم المشيئة) ٣٢
- (فالعلم متقدم المشيئة والمشيئة ثانية والإرادة ثالثة) ١٦٩
- (الحب هو المحب لنا وهم شيعتنا) ٢٩٧
- (فأظهر منها ثلاثة أسماء لفافة الخلق إليها وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون) ١٩
- (فأمر الله كلمته فأمسك القبضة الأولى بيمنيه والقبضة الأخرى بشماله ، فقلق الطين فلقتين فذرأ من الأرض ذروأ ومن السماوات ذروأ ، فقال للذى بيمنيه: منك الرسل والأنباء والأوصياء والصديقون والمؤمنون والسعداء ، ومن أريد كرامته فوجب لهم ما قال ، وقال للذى بشماله: منك الجبارون والمشركون والكافرون والطواحيث ومن أريد هوانه وشقوته فوجب لهم ما قال كما قال) ١٤٦
- (فبالعلم علم الأشياء قبل كونها) ٣٥
- (فبعلمه كانت المشيئة) ١٦٧ ، ٣٢
- (فجعلتهم معادن لكلماتك وأركانًا لتوحيدك وآياتك التي لا تعطيل لها في كلّ مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك) ٢٥٧
- (فجعلها كلمة تامة على أربعة أركان ليس منها واحد قبل الآخر

- فأظهر منها ثلاثة لفافة الخلق إليها وحجب واحداً منها وهو
الاسم المكون المخزون ، فهذه الأسماء التي ظهرت فالظاهر
هو الله تبارك وتعالى وسخر سبحانه له كل اسم من هذه الأسماء
أربعة أركان فذلك اثنى عشر ركناً ثم خلق لكل ركن منها ثلاثة
اسماء فعلاً منسوباً إليها فهو الرحمن الرحيم الملك القدس
الخالق الباري المصور الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ،
العليم الخير السميع البصير الحكيم العزيز العجار المتكبر) ٣٦٢
- (فلق الطين فلقتين) ١٥٠
- (فقال للذى ييمينه منك الرسل) ١٥٠
- (فقبض بييمينه قبضة فبلغت قبضته من السماء السابعة إلى السماء
الدنيا وأخذ من كل سماء تربة وقبض قبضة أخرى من الأرض
السابعة العليا إلى الأرض السابعة القصوى) ١٤٤
- (فقلوب المؤمنين تحن إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحن
إلى ما خلقوا منه) ١٤١
- (فكان بينهما حجاب من نور يتلاها بخفق ، ولا أعلم إلا وقد
قال : زبرجد) ٢٢٣
- (فكذلك أمر هؤلاء) ٣١٥
- (فلا بدء) ٣٣
- (فلله تعالى البداء) ٣٣
- (فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على
المعلوم) ٢٤٧

- (فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع) ١٧٠
- (فلم يجعل للحروف في إبداعه لها معنى غير نفسها يتناهى ولا وجوداً) ٣٢٦
- (فضلك يا محمد على الأنبياء كفضلي وأنا رب العزة على سائر الخلق) ٤٨٧
- (فليس شيء أقرب إليه من شيء) ١٤
- (فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خلق فهو من الحوراء ، وما كان منهم من سوء خلق فهو من ابنة الجان) ٣١١
- (فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويولد الكافر المؤمن) ١٤١
- (فوجب لهم ما قال كما قال) ١٥٠
- (فيلوح على هياكت التوحيد آثاره) ١٤٨

حرف القاف

- (قد علم أولو الألباب أن الاستدلال على ما هناك لا يعلم إلا بما هاهنا) ٤٦٦
- (قد علم أولو الألباب أن [الاستدلال على] ما هنالك لا يعلم إلا بما ها هنا) ٢٦٨
- (قوم من شيعتنا منخلق الأول جعلهم الله خلف العرش لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكتفاهم ، ولما سأله موسى عليه السلام ربه ما سأله أمر رجلاً من الكروبيين فتجلى للجبيل فجعله دكاً) ١١٣

- (قلوبهم وأبدانهم) ١٣٨

حرف الكاف

- (كان عالماً بها قبل كونها كعلمه بها بعد كونها) ٢٥٠
- (كان عالماً قبل إيجاد العلم والعلة) ٤٤٤
- (كان عالماً ولا معلوم) ٢٥٠
- (كان محمد ابن الحنفية يقول: الصمد القائم بنفسه الغني عن غيره) ٧٣
- (كتب الله عزّ وجلّ كتاباً قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس أنبته ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمّة محمد صلّى الله عليه وآلـهـ إنـ رحـمـتـي سـبـقـتـ غـضـبـيـ أـعـطـيـتـكـمـ قـبـلـ أنـ تـسـأـلـونـيـ وـغـفـرـتـ لـكـمـ قـبـلـ أـنـ تـسـتـغـفـرـونـيـ فـمـنـ لـقـيـنـيـ مـنـكـمـ يـشـهـدـ أـلـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللهـ وـأـنـ مـحـمـدـ أـبـدـيـ وـرـسـوـلـيـ أـدـخـلـتـهـ الـجـنـةـ بـرـحـمـتـيـ) ١٩٨
- (كمال توحيده نفي الصفات عنه) ٤٦٠
- (كنت أنا والساعة كهاتين) ٣٩٣
- (كنت كتزأً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف) ٤٧٣
- (كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيره تحديد لما سواه) ٤٧٦ ، ٤١٩
- (كيدك منك) ٣٩١

حرف اللام

- (لا تحدّث بما تسارع العقول إلى إنكاره) ٨١

- (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها) ٤٧٢
- (لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها) ٤٧٤
- (لا ترتابوا فتشكّوا ، ولا تشكّوا فتكفروا) ٢٨٨
- (لا فرق بينك وبينها) ٤٩٥
- (لأن الله تبارك وتعالى لا يجمع منها شيئاً بغير معنى أبداً فإذا ألف منها أحرف أربعة أو خمسة أو ستة أو أكثر من ذلك أو أقل لم يؤلفها لغير معنى ولم تكن إلا لمعنى محدث لم يكن قبل ذلك شيئاً) ٣٢٦
- (لأن الله خلق الجنة من حبه وخلق النار من بغضه) ١٤٩
- (لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام) ٣٠٥
- (لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فرشهم فيدخل بياض النور إلى حجراتهم بالمدينة فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها من وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة ، فإذا اتصف النهار وتركت للصلاحة زهر وجهها بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصغر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله فيسألونه عما رأوه فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور وجهها ، فإذا كان آخر النهار غربت

- الشمس احمر وجه فاطمة عليها السلام فأشرق بالحمرة فرحاً
 وشكراً لله عزّ وجلّ فكانت تدخل حمرة وجهها حجرات القوم
 فتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي صلى الله عليه
 وآله ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونهاجالسة
 تسبح الله وتمجداته ونور وجهها يزهر بالحمرة فيعلمون أن الذي
 رأوه كان من نور وجه فاطمة فلم يزل ذلك النور في وجهها حتى
 ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيمة
 أهل البيت إماماً بعد إمام)
 ٣٠٣
- (لا يكون هؤلاء من هؤلاء ولا هؤلاء من هؤلاء)
 ٤٦٧
- (لَحُبْيٌ لِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)
 ٧٩
- (للجنة ولا أبالي ، وقال للعاصين: للنار ولا أبالي)
 ١٢٨
- (لم يزل الله ربنا عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم)
 ٤٣٧
- (لم يزل الله ربنا والعلم ذاته ولا معلوم.. إلى أن قال: فلما
 أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم) .
 ٤٣٦
- (لم يزل ربنا عزّ وجلّ والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا
 مسموع والبصر ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما
 أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم
 والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على
 المقدور)
 ٢٤٦
- (لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخرًا ، ويكون
 باطناً قبل أن يكون ظاهراً)
 ١٠

- (لم يسبق له حال حالاً فيكون أولاً قبل أن يكون آخرأ ويكون باطنأ قبل أن يكون ظاهراً) ١٧٦
- (لم يقرّ ولم يجحد) ٣٣١
- (لو علم أبو ذرٌ ما في قلب سلمان لقتله) ٤٨١
- (لو كشف لكم الغطاء لما اخترتم إلـا الواقع) ٤٥
- (له معنى الربوبية إذ لا مربوب) ٤٢١
- (له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع وليس منذ خلق استحق معنى الخالق) ٤١٦
- (ليس العلم بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب فينفسح فيشاهد الغيب وينشرح فيتحمل البلاء) ١٠٧
- (ليس منذ خلق استحق معنى الخالقية) ٤١٩

حرف الميم

- (ما أحببها حتى أحبك الله عز وجل) ٧٩
- (ما زال العبد يتقرب إلى بالنواقل حتى أحبه فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته ، وإن سألني أعطيته ، وإن سكت ابتدأته) ١٠٦
- (ما كلُّ ما يُعلَمُ يُقال وما كلَّ ما يُقالُ حان وقته وما كلَّ ما حان وقته حضر أهله) ٨١
- (﴿مَثَلُ نُورٍ﴾ هو محمد صلى الله عليه وآلـه ﴿كَمِشْكَوْفٍ﴾ هو

- صدر علي عليه السلام «فيها مصباح» نور العلم من محمد صلى الله عليه وآله في صدر علي عليه السلام «المصباح في زجاجة» هو الحسن بن علي عليه السلام «الزجاجة» هو الحسين عليه السلام «كأنها كوزك دري» فاطمة عليها السلام تزهر لأهل السماء كما تزهر النجوم لأهل الأرض «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَة» علي بن الحسين عليه السلام «مبشركة» محمد بن علي الباقي عليه السلام «زيتونة» جعفر بن محمد عليه السلام «لَا شَرِيقَة» موسى بن جعفر عليه السلام «لَا غَرِيبة» علي بن موسى عليه السلام «يكاد زيتها يضيء» محمد بن علي الجواد عليه السلام «لَوْ لَمْ تَمَسَّسْ نَارٌ» علي بن محمد الهادي عليه السلام «نور على نور» الحسن بن علي العسكري «يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» القائم المهدى عليه السلام) ٩٦
- (ملك الله) ٥٧
- (ما يدرك بالحواس) ٣٤
- (من شرب منه لم يظماً أبداً) ٢٩٦
- (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ١٧٢
- (من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة بشروطها وأنا من شروطها) ٢١١
- (من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله دخل الجنة) ٢١٢
- (من قرأ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) مرة واحدة فكأنما قرأ ثلث القرآن وثلث التوراة وثلث الإنجيل وثلث الزبور) ٨٠

- (من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ حين يأخذ مضجعه غفر الله له عزّ	
وجلّ ذنوب خمسين سنة) ٨٠	
- (منه ايض البياض) ١٣١	
- (منه احمرت الحمرة) ١٣٠	
- (منه البياض) ١٣١	
- (محو الموهوم وصحو المعلوم) ٣٩٦	

حرف النون

- (نحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا) ٣٧١	
- (نعم والله والله عزّ وجلّ قلب كثير ، أما أن لخلف مغربكم هذا تسعة وتسعين مغرباً أرضاً بيضاء مملوقة خلقاً يستضيفون بنورها لم يعصوا الله طرفة عين لا يدرؤن أخلق الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام أم لم يخلقه ييرؤون من فلان وفلان) ٣١٥	

حرف الهاء

- (هو الله لا إله إلّا هو) ٤٣٦	
- (هو المالك لما ملّكم والقادر على ما أقدّرهم عليه) ١٥٣	
- (هي عنده في علمه وهو مستحقها) ٤٥٠	
- (هي عين الكبريت ، وعين اليمين ، وعين أبرهوت ، وعين الطبرية ، وجمة ماسيدان وجمة ناجروان (بلعوران) وعين أفريقية) ٣٣٧	

حرف الواو

- (واحد لا بتأويل عدد) ٦٤
- (وإذا تلذذ أهل الجنة بما كلهم ومشاربهم تلذذوا بمناجاتي وبكلامي) ١٠٢
- (والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء) ٣٣
- (والحروف لا تدل على غير نفسها) ٣٢٦
- (والروح الذي هو على ملائكة الحجب والروح الذي هو من أمرك) ٤٠٠
- (والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعمولات) ٣٤
- (والله يفعل ما يشاء) ٣٥
- (والمشيئة ثانية) ٣٢
- (وإن خفت موازينهم فقل لها بفضل حسناتنا) ٣٧٣
- (وإنما تنتقلون من دار إلى دار) ٤١٦ ، ٤٠٨
- (وأخرج لعبد الله امرأة من الجن) ٣١١
- (وأسماؤه تعbir وصفاته تفهم) ١٩١
- (وبإرادته كان التقدير) ٣٢
- (وبالإرادة ميز أنفسها في ألوانها وصفاتها) ٣٥
- (وبالإمضاء شرح عللها وأبان أمرها) ٣٥
- (وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلهم عليها) ٣٥
- (وبالمشيئة كانت الإرادة وبالإرادة كان التقدير) ١٦٨

- (وبتقديره كان القضاء)	٣٢
- (ويقضائه كان الإمضاء)	٣٢
- (وبمشيته كانت الإرادة)	٣٢
- (وتزوج الآخر ابنة الجان)	٣١١
- (وجعل أبدان المؤمنين من دون ذلك)	١٣٨
- (وجوده إثباته ودليله آياته)	١٨٠
- (وخلط بين الطيبتين)	١٣٩
- (وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم)	١٣٩
- (وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة)	١٣٨
- (وذلك لزعمهم أنه تعالى ليس له علم إلا هو ذاته بأن له علماً هو ذاته وبه علم ذاته وعلم مخلوقاته في كتابه)	٢٥١
- (وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائينا الباكرة)	١٢٤ ، ٧٣
- (وضع في قالب كقالبه)	٤١٤
- (وقع العلم منه على المعلوم)	٤٣٨ ، ٢٤٩
- (وكان الله ولا شيء معه)	٤٢١
- (ولا أكملتك إلا فيمن أحب)	٣٩٥
- (وما كان من حسن وجمال فمن ولد الحوراء وما كان من قبيح بذيء فمن ولد الجنية)	٣١١
- (ومنه ضوء النهار)	١٣١

- (وجوه إثباته) ١٨٥

حرف الياء

- (يا سلمان لو عِمِلَ عَمَلَكَ مِقْدَادَ لِكُفَرٍ ، يا مِقْدَادُ لو عِمِلَ عَمَلَكَ سَلَمَانَ لِكُفَرٍ) ٤٨١
- (يا سليمان هذا الذي عبتموه على ضرار وأصحابه من قولهم إن كلّ ما خلق الله عزّ وجلّ في سماء أو أرض أو بحر من كلب أو خنزير أو قرد أو إنسان أو دابة إرادة الله ، وإن إرادة الله تحبي وتموت وتذهب وتأكل وتشرب وتنكح وتلد وتظلم وتفعل الفواحش وتکفر وتشرك فنبراً منها ونعاديها وهذا حدها) .. ١٦
- (يا عليّ لِمَ فعلتَ هذا؟) ٧٩
- (يا من هو قبل كلّ شيء يا من هو بعد كلّ شيء) ٤٤٥
- (يا نعيمي وجتني) ١٠٢
- (يا ويلك من أقدر ممن يكبّر البيضة حتى تسع الأرض أو يصغر الأرض حتى تدخل في البيضة) ١٦٥
- (يعني من نوره الذي خُلِقَ منه) ١٨٦
- (يولد للرجل منهم في الكوفة مئة من صلبه وليس ذاك إلّا هؤلاء السبعة) ٢٩٧

الفهرس الموضوعي

الصفحة

الموضوع

الله سبحانه وصفاته

هل ما يمتنع عن الممكן يوجد في الواجب؟ ١٧١	
في بيان بطلان المشابهة بين الممكн والواجب ٤٧١	
كون الصفة تابعة للموصوف في الظهور والخفاء والقوّة والضعف ١٧٨	
تقديم كتابة الله بألفي عام في عالم الذر ٢٠٠	
علة جعل البناء لله تعالى ٣٨٣	
الله قبل كل شيء بلا وصل ولا فصل ٤٤٥	
في بيان الفرق بين الأقدس الحق وأ المقدس الروح ٤٤٧	
كون الأسماء والصفات هي هو تعالى ٤٥٠	
في أن الله تعالى ذات بسيط خال من جميع الصفات وأضدادها ٤٥٥	
هل المعرفة كاشفةً عن الكنه؟ ٤٨٣	

٤٦	شرح معنى : له معنى الربوبية إذ لا مربوب
٢٤٣	بيان أن خلق الأشياء لا من شيء
٤٨٩	في بيان علة الحادث التي يصدر عنها الشيء

علم الله تعالى

٣٨٧	في علم الله تعالى
٤٤٤	بيان زمن علم الله تعالى
٤٣٤	بيان أن العلم عين المعلوم هو العلم الحادث
٤٣٩	الكلام على قسمي العلم الحادث والقديم
٤٤١	هل العلم يغاير الذات ؟
٣٥٥	شرح حديث : (العلم نقطة كثراها الجاهلون)

الاسم الأعظم

٦١	أركان الاسم الأعظم
٦٣	الاسم الأعظم أول الموجودات

التوحيد

٦٤	الفرق بين واحد وأحد
٦٩	الخلاف في اشتقاق اسم الجلال
٧١	بيان معنى الصمد
٧٩	الفرق بين أحد في أول سورة التوحيد وآخره

كيفية ظهور هيكل التوحيد ٤٨٣

سورة التوحيد

في بيان حقيقة سورة التوحيد ٥٦

فضل سورة التوحيد ٧٩

الأوقات

بيان تعدد الأوقات ٩

رأي المتكلمين وغيرهم في الأوقات ١٠

الأزل والأبد

في بيان أن الأزل والأبد شيء واحد ١٠

السرمد والدهر والزمان

في بيان السرمد والدهر والزمان ٩

في بيان السرمد ١١

في أنه لا شيء ممكн قبل السرمد ١٦

في بيان الدهر ١٧

المعنى الباطني للدهر ١٨

بيان اللوح المحفوظ ولوح المحو والإثبات

١ - اللوح المحفوظ ٢٤

٢٤	طبقات اللوح المحفوظ
٢٥	إمكان المحو في طبقات اللوح المحفوظ
٢٦	١ - ما يستحيل محوه
٢٦	٢ - ما يمكن محوه ولا يمحى
٢٦	٣ - ما يمحو

بيان معنى القضاء والقدر

٢٨	بيان معنى القضاء والقدر
٢٩	تعريف الشيخ الأوحد للقضاء والقدر
٤٦	سبب شقاوة الأشياء وسعادتها

بيان عالم الذر

٣٦	في بيان عالم الذر
----------	-------------------

في بيان البداء والأجل المحتوم والمخروم

٤٤	في بيان البداء والحكمة منه
٤٦	في بيان الأجل المحتوم والمخروم

أركان العرش

٤٧	بيان سرّ أركان العرش الأربع وحملته
٥١	حملة العرش الثمانية في عالم الآخرة

البسملة

بيان حقيقة البسمة ٦١

محمد وآل محمد عليهم السلام

٨١	تفسير آية النور والمشكاة
٩٧	الفرق بين النبوة والولاية
٩٧	الفرق بين النبي والرسول
٩٨	معنى الولاية
٩٩	بيان معنى أن الولاية باطن النبوة
١١٤	سبب كون الأنوار خمسة
٣٠٣	في بيان علة أنوار فاطمة عليها السلام وأثرها
٣٢٤	الدليل العقلي على نبوة النبي والولي
٣٢٩	معنى حديث آل محمد عليهم السلام الصعب المستصعب
٣٣٣	حالات الإمام المعصوم عليه السلام
٣٣٩	رفع التنافي بين تسديد الملك لآل محمد وبين أنهم يزدادون علمًا
٣٤٠	ما ينزل على آل محمد في ليالي القدر؟
٣٤١	في أن كل ما ثبت للنبي ثبت لآل محمد عليهم السلام
٣٤٥	علة أن عدد المعصومين أربعة عشر
٣٥٨	معنى علم آل محمد عليهم السلام للغيب وعدمه
٣٩٣	اقتران ظهور النبي صلى الله عليه وآلـه بظهور الساعة

بركة ظهور وبعثة النبي وأثرها على اعتدال النشأتين ٤٢٢
هل الحقيقة المحمدية مشابهة للذات؟ ٤٨٦
مشابهة الحقيقة المحمدية في غير الذات ٤٨٧
بيان انتهاء الأشياء إلى الحقيقة المحمدية ٢٤٥
بيان كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول ٢٣٦

المراج

بيان كيفية المراج ٢٥٤
في فلسفة كون المراج بجسد النبي الشريف صلى الله عليه وآله ٢٥٧
معنى آخر لفلسفة العروج الجسدي ٢٦٠
معنى ثالث لفلسفة العروج الجسدي ٢٦٢
الردد على المانعين من العروج الجسدي ٢٦٧

الرياضة الشرعية

شرح حديث كون الله نعيم المؤمن ١٠٢
بيان طريقة الرياضة وكيفية تحصيل السعادة والمعرفة ١٠٣
أثر الإيمان والتقوى على الرياضة النفسية ١٠٥

العوالم

في ذكر عدد العوالم ٣١٤
تأويل السبعة الأبحر ٣٣٧

عالم الذر

تقديم كتابة الله بألфи عام في عالم الذر	٢٠٠
معنى إنبات ورق الآس في عالم الذر وعلى العرش	٢٠٦
مناداة الله لبني آدم في عالم الميثاق والذر	٢٠٧
وجوه فيض وإعطاء الله تعالى لبني آدم في عالم الذر	٢٠٨

بيان الأنوار

سبب كون الأنوار خمسة	١١٤
بيان المراد بالكرسي	١١٢
بيان المراد بالعرش	١١٢
بيان المراد بالحجاب والكروبين	١١٢
بيان المراد بالستر	١١٤
وجه عدد السبعين في نسبة الأنوار	١١٥
وجه آخر في عدد السبعين	١١٦
الأنوار التي خلق منها العرش	١١٩
بيان معنى النور الأبيض	١٢٢
بيان معنى النور الأصفر	١٢٤
بيان معنى النور الأخضر	١٢٦
بيان معنى النور الأحمر	١٢٨
في أن فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقاً	١٣٠

بيان الطينة

في بيان طينة سجين وطينة البرزخ ١٣٢
بيان طينة الطاعة وطينة المعصية ١٣٥
سرّ ومراتب خلق طينة القلوب والأبدان ١٣٨
في بيان تكوُّن الطين من شجرة المُزن ١٣٩
القبضات التي خلق منها آدم عليه السلام ١٤٣
شرح حديث تخمير طينة آدم بيدِ الله تعالى ١٥١
في بيان تخمير وتدوير طينة آدم عليه السلام ٤٠١

المشيئة

بيان المراد من الإمكان والوعاء للمشيئة الكونية ١٦١
الفرق بين الإرادة والمشيئة ١٦٨

الشرك

أنواع الشرك الثمان ٧٨

الوجود

هل الوجود عين الموجود؟ ٢١٦
هل الوجود بالنسبة للواجب والممکن مشترکٌ معنوي ولفظي؟ ١٨٠
هل الوجودات الذهنية انتزاعية؟ ١٨٧
عدم جواز الاشتراك اللفظي ١٩٠

١٩٩	بيان الهندسة الإيجادية
٢١٢	الفرق بين المبدأ والمشتق
٢٠١	أركان مظاهر الوجود
٢٠١	١ - أركان جبرائيل
٢٠١	٢ - أركان ميكائيل
٢٠١	٣ - أركان إسرافيل
٢٠١	٤ - أركان عزرايل
٢١٧	الأقوال في حقيقة الوجود
٢١٧	١ - قول أهل الإشراق
٢١٧	٢ - قول أهل التصوف
٢١٧	٣ - قول المتكلمين
٢١٧	٤ - قول الأشاعرة
٢١٨	٥ - القول الحق
٢١٨	الأقوال في الماهية
٢٢٠	القول الحق في الماهية
٢٢٦	بيان مرآة العقل ومرآة النفس وتأثيرهما
٢٢٨	هل الوجود اشتراك لفظي أم معنى؟
٢٢٨	بيان الاشتراك اللفظي والمعنوي
٢٣٠	أقسام الوجود باعتبار اللفظ
٢٣٠	١ - الوجود الحق
٢٣١	٢ - الوجود المطلق

٢٣١	٣ - الوجود المقيد
٢٣٥	١ - كيفية صدور الموجودات عن المبدأ الأول
٢٤٥	٢ - كيفية علمه تعالى بالجزئيات
٢٥٤	٣ - كيفية المعراج

الرؤيا

٢٤٥	بيان كيفية علمه تعالى بالجزئيات
٢٧٧	في الرؤيا وأقسامها
٢٧٨	بيان فلسفة تفسير الرؤيا
٢٨٢	بيان عدم الفرق بين رؤيا الصالح والطالع
٢٨٣	أصل الرؤيا ومنتجوها
٢٨٥	بيان مكان عالم الرؤيا
٢٨٦	علاج لأصحاب الوسوسة والشك في العقيدة

الملائكة

٣٠٠	في بيان أنواع الملائكة
٢٠٢	أفعال الله الموكل بها الملائكة الأربعية
٣٢١	في ذكر فائدة نزول جبرائيل

البرزخ

٤١٣	في بيان حقيقة البرزخ
-----------	----------------------------

حال النفوس الفاسدة في البرزخ ٤١٤

الجنة

سبب وجود جنة عرضها السماوات والأرض ٣٠٧

النار

هل يحس المؤمن بالنار في دخولها أم في خروجها؟ ٣٦٥

الشفاعة

في الشفاعة واحتياصها ٣٧١

بيان معنى الإحباط ٣٦٧

في تخفيف الذنب وزوالها ٣٧٠

أبناء آدم عليه السلام

في ذكر من تزوج أبناء آدم عليه السلام ٣١٠

القلب والنفس

في بيان أنَّ القلب يصف ربِّه بما خلقه عليه وأودعه فيه ٤٧٩

في بيان اتحاد النفس بالبدن ٤٠٥

أمور فقهية

زمان البلوغ ٣٧٥

- ٣٧٧ مسألة القاصد في صلاة المسافر
٣٨١ طلاق الغائب لزوجته
٣٨٢ زواج المفقود زوجها

آراء الشيخ الأوحد

- ٢٩ تعريف الشيخ الأوحد للقضاء والقدر

فهرس المحتويات

الصفحة

الموضوع

١ - رسالة في جواب السيد أبي القاسم اللاهيجاني	
رسالة في جواب السيد أبي القاسم اللاهيجاني	٩
في بيان السرمد والدهر والزمان	٩
بيان تعدد الأوقات	٩
رأي المتكلمين وغيرهم في الأوقات	١٠
في بيان أن الأزل والأبد شيء واحد	١٠
في بيان السرمد	١١
في أنه لا شيء ممكн قبل السرمد	١٦
في بيان الدهر	١٧
المعنى الباطني للدهر	١٨
بيان اللوح المحفوظ ولوح المحظ والإثبات	٢٤
٢ - اللوح المحفوظ	٢٤
طبقات اللوح المحفوظ	٢٤
إمكان المحظ في طبقات اللوح المحفوظ	٢٥
٣ - ما يستحيل محظ	٢٦
ما يمكن محظ ولا يمحى	٢٦

٢٦	٣ - ما يمحو
٢٨	بيان معنى القضاء والقدر وعالم الذر
٢٨	بيان معنى القضاء والقدر
٢٩	تعريف الشيخ الأوحد للقضاء والقدر
٣٦	في بيان عالم الذر
٤٤	في بيان البداء والأجل المحتوم والمخروم
٤٤	في بيان البداء والحكمة منه
٤٦	في بيان الأجل المحتوم والمخروم
٤٧	بيان سرّ أركان العرش الأربعية وحملته
٥١	حملة العرش الثمانية في عالم الآخرة

٢ - رسالة في جواب السيد محمد البكاء

في بيان أصول العقائد

٥٥	رسالة في جواب السيد محمد البكاء في بيان أصول العقائد
٥٦	في بيان حقيقة سورة التوحيد
٦١	بيان حقيقة البسملة
٦١	أركان الاسم الأعظم
٦٣	الاسم الأعظم أول الموجودات
٦٤	الفرق بين واحد وأحد
٦٩	الخلاف في اشتقاء اسم الجلال
٧١	بيان معنى الصمد
٧٨	أنواع الشرك الثمان

الفرق بين أحد في أول سورة التوحيد وآخره ٧٩
فضل سورة التوحيد ٧٩
تفسير آية النور والمشكاة ٨١
الفرق بين النبوة والولاية ٩٧
الفرق بين النبي والرسول ٩٧
معنى الولاية ٩٨
بيان معنى أن الولاية باطن النبوة ٩٩
شرح حديث كون الله نعيم المؤمن ١٠٢
بيان طريقة الرياضة وكيفية تحصيل السعادة والمعرفة ١٠٣
أثر الإيمان والتقوى على الرياضة النفسية ١٠٥

٣ - رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان

رسالة في جواب بعض الإخوان من أصفهان ١١١
بيان أنوار الشمس والكرسي والعرش والحجاب والستر ١١٢
بيان المراد بالكرسي ١١٢
بيان المراد بالعرش ١١٢
بيان المراد بالحجاب والكربيين ١١٢
بيان المراد بالستر ١١٤
سبب كون الأنوار خمسة ١١٤
وجه عدد السبعين في نسبة الأنوار ١١٥
وجه آخر في عدد السبعين ١١٦
الأنوار التي خلق منها العرش ١١٩

١٢٢	بيان معنى النور الأبيض
١٢٤	بيان معنى النور الأصفر
١٢٦	بيان معنى النور الأخضر
١٢٨	بيان معنى النور الأحمر
١٣٠	في أن فلك الشمس أول الأفلاك السبعة خلقاً
١٣٢	في بيان طينة سجين وطينة البرزخ
١٣٥	بيان طينة الطاعة وطينة المعصية
١٣٨	سر ومراتب خلق طينة القلوب والأبدان
١٣٩	في بيان تكوُّن الطين من شجرة المِيزَن
١٤٣	القبضات التي خلق منها آدم عليه السلام
١٥١	شرح حديث تخمير طينة آدم بيدِ الله تعالى

٤ - رسالة في جواب الملا محمد الجيلاني الرشتى

١٥٩	رسالة في جواب الملا محمد الجيلاني الرشتى
١٦١	بيان المراد من الإمكان والوعاء للمشيئة الكونية
١٦٨	الفرق بين الإرادة والمشيئة
١٧١	هل ما يمتنع عن الممکن يوجد في الواجب؟
١٧٨	كون الصفة تابعة للموصوف في الظهور والخفاء والقوّة والضعف
١٨٠	هل الوجود بالنسبة للواجب والممکن مشتركٌ معنوی ولفظي؟
١٨٧	هل الوجودات الذهنية انتزاعية؟
١٩٠	عدم جواز الاشتراك اللفظي

٥ - رسالة في جواب سؤالات الميرزا محمد علي المدرس

رسالة في جواب سؤالات الميرزا محمد علي المدرس	١٩٧
بيان الهندسة الإيجادية	١٩٩
تقدير كتابة الله بآلفي عام في عالم الذر ..	٢٠٠
أركان مظاهر الوجود ..	٢٠١
١ - أركان جبرائيل ..	٢٠١
٢ - أركان ميكائيل ..	٢٠١
٣ - أركان إسرافيل ..	٢٠١
٤ - أركان عزrael ..	٢٠١
أفعال الله الموكل بها الملائكة الأربعة ..	٢٠٢
معنى إنبات ورق الآس في عالم الذر وعلى العرش ..	٢٠٦
مناداة الله لبني آدم في عالم الميثاق والذر ..	٢٠٧
وجوه فيض وإعطاء الله تعالى لبني آدم في عالم الذر ..	٢٠٨
الفرق بين المبدأ والمشتق ..	٢١٢
هل الوجود عين الموجود؟ ..	٢١٦
الأقوال في حقيقة الوجود ..	٢١٧
١ - قول أهل الإشراق ..	٢١٧
٢ - قول أهل التصوف ..	٢١٧
٣ - قول المتكلمين ..	٢١٧
٤ - قول الأشاعرة ..	٢١٧
٥ - القول الحق ..	٢١٨

الأقوال في الماهية ٢١٨
القول الحق في الماهية ٢٢٠
بيان مرآة العقل ومرآة النفس وتأثيرهما ٢٢٦
هل الوجود اشتراك لفظي أم معنى؟ ٢٢٨
بيان الاشتراك اللفظي والمعنوي ٢٢٨
أقسام الوجود باعتبار اللفظ ٢٣٠
١ - الوجود الحق ٢٣٠
٢ - الوجود المطلق ٢٣١
٣ - الوجود المقيد ٢٣١

٦ - رسالة في جواب سائل عن ثلاث مسائل

١ - كيفية صدور الموجدات عن المبدأ الأول ٢٣٥
بيان كيفية صدور الموجدات عن المبدأ الأول ٢٣٦
بيان أن خلق الأشياء لا من شيء ٢٤٣
بيان انتهاء الأشياء إلى الحقيقة المحمدية ٢٤٥
بيان كيفية علمه تعالى بالجزئيات ٢٤٥
بيان كيفية المعراج ٢٥٤
في فلسفة كون المعراج بجسد النبي الشريف صلى الله عليه وآله ٢٥٧
معنى آخر لفلسفة العروج الجسدي ٢٦٠
معنى ثالث لفلسفة العروج الجسدي ٢٦٢
الرّد على المانعين من العروج الجسدي ٢٦٧

٧ - رسالة في جواب بعض الإخوان في الرؤيا وأقسامها

رسالة في جواب بعض الإخوان في الرؤيا وأقسامها	٢٧٧
بيان فلسفة تفسير الرؤيا	٢٧٨
بيان عدم الفرق بين رؤيا الصالح والطالع	٢٨٢
أصل الرؤيا ومنشؤها	٢٨٣
بيان مكان عالم الرؤيا	٢٨٥
علاج لأصحاب الوسوسة والشك في العقيدة	٢٨٦

٨ - رسالة في جواب الشيخ**محمد بن عبد علي ابن عبد الجبار القطيفي**

رسالة في جواب الشيخ محمد بن عبد علي ابن عبد الجبار القطيفي ..	٢٩٥
في بيان أنواع الملائكة ..	٣٠٠
في بيان علة أنوار فاطمة عليها السلام وأثرها ..	٣٠٣
سبب وجود جنة عرضها السماوات والأرض ..	٣٠٧
في ذكر من تزوج أبناء آدم عليه السلام ..	٣١٠
في ذكر عدد العوالم ..	٣١٤
في ذكر فائدة نزول جبرائيل ..	٣٢١
الدليل العقلي على نبوة النبي والولي ..	٣٢٤
معنى حديث آل محمد عليهم السلام الصعب المستصعب ..	٣٢٩
أقسام المؤمن الممتحن ..	٣٣٠
حالات الإمام المعصوم عليه السلام ..	٣٣٣

٩ - رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي

٣٣٥	عن عشر مسائل منها تأويل السبعة الأبحر
٣٣٧	رسالة في جواب الشيخ محمد ابن الشيخ عبد علي القطيفي
٣٣٧	تأويل السبعة الأبحر
٣٣٩	رفع التنافي بين تسديد الملك لآل محمد وبين أنهم يزدادون علمًا
٣٤٠	ما ينزل على آل محمد في ليالي القدر؟
٣٤١	في أن كل ما ثبت للنبي ثبت لآل محمد عليهم السلام
٣٤٥	علة أن عدد المعصومين أربعة عشر

١٠ - رسالة في جواب الشيخ محمد بن الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي عن عشر مسائل منها

٣٥٥	رسالة في جواب الشيخ محمد بن الشيخ علي بن عبد الجبار القطيفي .
٣٥٥	شرح حديث : (العلم نقطة كثراها الجاهلون)
٣٥٨	معنى علم آل محمد عليهم السلام للغيب و عدمه
٣٦٥	هل يحس المؤمن بالنار في دخولها أم في خروجها؟
٣٦٧	بيان معنى الإحباط
٣٧٠	في تخفيف الذنوب وزوالها
٣٧١	في الشفاعة و اختصاصها
٣٧٥	زمان البلوغ
٣٧٧	مسألة القاصد في صلاة المسافر

٣٨١	طلاق الغائب لزوجته
٣٨٢	زواج المفقود زوجها
٣٨٣	علة جعل البنات لله تعالى

١١ - رسالة في جواب الشيخ محمد مسعود

ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أبي سعود في علم الله تعالى	
رسالة في جواب الشيخ محمد مسعود ابن الشيخ محمد ابن الشيخ أبي سعود	
٣٨٧ سعود
٣٩٣	اقتران ظهور النبي صلى الله عليه وآلـه بظهور الساعة
٤٠١	في بيان تحمير وتدوير طينة آدم عليه السلام
٤٠٥	في بيان اتحاد النفس بالبدن
٤١٣	في بيان حقيقة البرزخ
٤١٤	حال النقوس الفاسدة في البرزخ
٤١٦	شرح معنى : له معنى الربوبية إذ لا مربوب
٤٢٢	بركة ظهور وبعثة النبي وأثرها على اعتدال النشأتين

١٢ - رسالة في جواب الشيخ رمضان بن إبراهيم

عن مسائل استشكلها من بعض عبارات الفوائد وغيرها

رسالة في جواب الشيخ رمضان بن إبراهيم	٤٣٣
بيان أن العلم عين المعلوم هو العلم الحادث	٤٣٤
الكلام على قسمي العلم الحادث والقديم	٤٣٩
هل العلم يغاير الذات؟	٤٤١
بيان زمن علم الله تعالى	٤٤٤

الله قبل كل شيء بلا وصل ولا فصل	٤٤٥
في بيان الفرق بين الأقدس الحق والمقدس الروح	٤٤٧
كون الأسماء والصفات هي هو تعالى	٤٥٠
في أن الله تعالى ذات بسيط خال من جميع الصفات وأضدادها	٤٥٥
سبب شقاوة الأشياء وسعادتها	٤٦١

١٢ - رسالة في جواب الميرزا

محمد علي بن محمد نبي خان

رسالة في جواب الميرزا محمد علي بن محمد نبي خان	٤٧١
في بيان بطلان المشابهة بين الممكн والواجب	٤٧١
في بيان أنَّ القلب يصف ربَّه بما خلقه عليه وأودعه فيه	٤٧٩
هل المعرفة كاشفةً عن الكنه؟	٤٨٣
كيفية ظهور هيكل التوحيد	٤٨٣
هل الحقيقة المحمدية مشابهة للذات؟	٤٨٦
مشابهة الحقيقة المحمدية في غير الذات	٤٨٧
في بيان علة الحادث التي يصدر عنها الشيء	٤٨٩

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية	٥٠١
فهرس الأحاديث	٥٢٠
الفهرس الموضوعي	٥٤٧
فهرس المحتويات	٥٥٩

